

الجزء الثامن

من

جواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

(تأليف)

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا. متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بطبعة

مُصَطَفَى السَّابِى الْحَسْبِى وَأَوْلَادُهُ بِبَصْرَ

(حقوق الطبع محفوظة)

١٧١

الجزء الثامن

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

تأليف

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا . متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصْطَفَى السَّابِى السَّابِى وَأَوْلَادِهِ بِبَنِي

(حقوق الطبع محفوظة)

رجب سنة ١٣٤٦ هـ -

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر مكية وهي تسعة وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ * رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مُعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَجُنُنٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُزِّلَ
الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *
كَذَلِكَ نَسُكُّهُمْ فِي قُلُوبِ الْجَزَمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَلَوْ
فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ
قَوْمٌ مُسْحُورُونَ * وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا
فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ

بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
 لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُفُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَخْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
 وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ
 هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَءٍ مَسْنُونٍ *
 وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 صَلْصَالٍ مِنْ حَمَءٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *
 فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ
 مَا لَكَ الْأَنْ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ
 حَمَءٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ
 رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *
 قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
 جُزْءٌ مَقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي
 صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ
 * تَبٰى عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَنَبِّئُهُمْ عَنْ
 ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
 نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُون * قَالُوا بِشَرِّ نَاكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * قَالَ فَآ
 خُطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنجُوهُمْ
 أَجْمَعِينَ * إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ * فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ
 قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

* فَاسْرِبْ بِهَٰؤُلَآئِكَ لِقُطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْيَارَهُمْ وَلَا يَلْبَسْتُمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون * قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَاجِدٍ * إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْتَوَسَّعِينَ * وَإِنَّا لَبَسَدِيلٌ مُّقِيمٌ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ * فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِلَامٍ مُّبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يُخْفَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي هُمْ يَبْنُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَآمَتِنَا بِهِ أَرْوَجَا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ *

(تفسير الكلمات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) تقدم الكلام على حروف أوائل السور اجالا في أول سورة آل عمران وفي أول سورة هود ولكن تفصيل الكلام على - الر - في أول سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر هنا وعلى - المر - في أول سورة الرعد يعوزه تفصيل أتم هنا فأقول

إن سورة يونس علم ماني السموات والأرض ولانذار من لا يؤمنون من الأمم وهذا كله تضمنه قوله تعالى فيها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون - فهذه الآية ملخص السورة فالآيات مذكورة في عوالم السموات والأرض الموضحة في أول السورة والنذر في قصص الأمم كقوم

نوح وقوم فرعون وهكذا وهذا كله يشار إليه بلفظ النذر أولها (ال) وآخرها (راء) وإنما جاءت هذه الإشارة وأظهرها الله في هذا التفسير لأن المسلمين لا يقرّون إلا الأحكام الشرعية ولا يبالون بسواها السموات والأرض ولا بتاريخ الأمم المحيطة بهم فقد ذكر (ال ر) في أول السورة ليعين لهم بعد اضمحلالهم أن الآيات المذكورة والنذر كلها أهم أسرار القرآن وأما الاكتفاء بالمذهب الشافعي في الإسلام في الأحكام الشرعية فإنما هو الغرور وهو الجهالة وهذا انذار من الله للمسلمين بل هو آخر انذار . وأما (ال ر) في أول سورة هود فإن هذه السورة جاء فيها (أمران) الأمر الأول تدبير الأمور في هذا العالم الذي جاء علما لكل شيء في قوله تعالى - وكان عرشه على الماء - ومن له العرش هو الذي يدبر الأمر ومن ذلك آية أخذه بناصية كل دابة وهذا السر قد سرى في غضون قصص الأنبياء في تلك السورة فارجع إليه هناك (الأمر الثاني) أن فيها قصص الأنبياء كنوح ومفصلة وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ونحو ذلك بأن - ذلك من أنباء القرى نقصه عليك - الخ

هذان هما الأمران اللذان تضمنتهما السورة وبجملتهما آيتان في آخرها وهما - ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله - الخ وقوله - وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك - فأنبأ الرسل وذكر الأمم لتثبيت فؤاده ورجوع الأمر لله يستلزم العبادة والتوكل . إذن في السورة تثبيت القلوب بالتاريخ ومعرفة العوالم العالوية والسفلية لحب الله وعبادته والتوكل عليه ولأول الإشارة بذكر (ال رسل) فيها (ال ر) متصلة وللتأني الإشارة بلفظ (الأمر) ولم يذكر في أول هذه السورة (ال م ر) كما ذكره في سورة الرعد فيما يأتي لأن هذه السورة ليست خاصة بالعوالم الإلهية فحسب بل فيها ذكر الأمم ورسلهم جميع بين الأمرين بما تقدم وذكر (ال م ر) في سورة الرعد التي هي حروف الأمر لأن الدار هناك على نظام العوالم وتدبير أمورها كما ستراه وهذا كله متروك عند الأمم الإسلامية الآن فذلك ذكرنا بهذه الحروف اليوم وظهر في هذا التفسير . وأما (ال ر) في أول سورة يوسف فذلك لأن هذه السورة اختصت بقصة يوسف وقد جرى له ما جرى للأنبياء وهو العسر أولا والبسر آخر كما تقدم في قصص الأنبياء في سورة هود قبلها وهذا جاء في قوله - حتى إذا استأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا الخ - وفي الرسل (ال ر) كما في السورة قبلها . إذن يوسف لا يوضح أحد الأمرين في هود فقط لا لهما معا إذ ليس فيها إلا قصص يوسف وفيه تبيان أن المصلحين في آخر الأمر فائزون فاذن كل مصلح في الإسلام أحسن في قلبه بحسب النفع العام ينبغي له أن يطرد اليأس فانه في آخر أمره فائز لا محالة كما أن الرسل نصرنا بعد اليأس . فأما سورة الرعد فهي موضحة للتقسيم الثاني في سورة هود وهو تدبير الأمر في السموات والأرض الذي يلزم من العلم به التوكل على الله وعبادته وهناك تفصيله في سورة الرعد التي جاء في أولها (ال م ر)

اعلم أن سورة الرعد موجهة أكثر العناية فيها إلى تدبير الأمر الذي ذكره بقوله - يدبر الأمر الخ - بعد ذكر العرش فللقام مقام تدبير ونظام العالم مثل

- (١) مد الأرض
- (٢) و٣ و٤ و٥) وجعل الجبال فيها والأنهار والقممات من كل زوجين بتدبير محكم
- (٦) والليل والنهار
- (٧) وانقطع المتجاورات (٨) والحدائق
- (٩) وأن مافي الأرحام بمقدار
- (١٠) والسر والجهر معلوم عنده
- (١١) وخلق الحفظة للأنسان (١٢) ونظام البرق (١٣) والسحاب (١٤) والرعد

(١٥) وسجود الظلال بنظام سير الشمس

(١٦) وانزال انشاء في الأودية كل بقدره

(١٧) والمحو والاثبات بمقتدار

هذه مجامع النظام العام والتدبير المحكم . كل هذا رمز له بهذه الحروف وهي (ال م ر) وهذه مجموعة في لفظ - الأمر - من - يدبر الأمر - والمعزة مكررة . فتلخص السورة يرجع لآفت المسلمين لمعرفة نظام ربهم في هذه المذكورات وأنا أجد الله إذ استبان في هذا التفسير جل لفهم هذه المذكورات كتبها وأنا أشهد الله على الأمم الإسلامية أني قد فتحت هذا الباب على يدي وكل من قرأ هذا مسؤل عن هذه الأسرار التي ظهرت في هذا الزمان حتى يأخذ المسلمون حقيقتهم في هذه الحياة ويتيقنون مكانتهم تحت الشمس

وأما (ال ر) في سورة ابراهيم فقد قدمت الكلام عليها في غضون تفسيرها إذ استبان أن هذه السورة نجت العناية فيها الى التذكير بأيام الله والتذكير بأيام الله قد تقدم موضعاً بقدر الامكان هناك في التفسير وهناك قوله تعالى - ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً الح - والألف واللام والراء قد جاءت على هذا الترتيب مع الفصل في سبع كلمات في غضون الكلام على النعم مثل البحر والقمر والأهوار والنهار فكانت قيل ليفكر المسلمون في هذه النعم فان لم يعرفوها أصابتهم النار وحل بهم البوار وهذا المنطق من تلك الألفاظ السبعة . ولقد جاء هناك ذكر البحار الميت الذي لم يعرف المسلمون النعم التي فيه إلا في زماننا فارجع اليه هناك أما (ال ر) في هذه السورة فهو موجه الى لفظ - الذكر - في قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر - وقوله - يا أيها الذي نزل عليه الذكر - (ال) في أولها (الراء) في آخرها وهذه السورة فيها ذكر آدم والملائكة وإبليس وإبراهيم وإسماعيل وأحفادهم وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر وكل ذلك ذكر وإنذار في لفظ التنذير التي في أولها (ال) وآخرها (راء) إذن الذكر هنا لتوجيه العقول الى الاعتبار بالأمم والإنذار أن يصيبنا ما أصابهم . إذن هذه السور الثلاث كل منها ثمرة خاصة وعلى المسلمين أن ينهجوا منهاجها فلا رعد معرفة النظام العامة لإبراهيم التذكير بأيام الله وأن يعرف كل قوم ما جاء في تاريخهم وتاريخ من حولهم كما تقدم هناك من علم وتاريخ وهنا في هذه السورة حال أخرى فإذن يجب على أبناء العرب من سكان شمال أفريقيا والسودان ومصر وسوريا وفلسطين وبلاد العرب والعراق . وهكذا الفرس وأهل الهند وأبناء جزيرة جاوه وسومطرة وأجزاء أخرى حولها وأبناء بلاد الملايو والترك أقول على هؤلاء جميعاً أن يقوم فيهم رجال يؤلفون كتاباً جليل ذات رسوم جغرافية وأخرى سياسية يذكرون فيها مآثر بلادهم من أول ظهور تاريخها مع ذكر ارتباطها بالأمم الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية ويبينون ما حل بها من شقاء وما أوتيت من نعم ويحذرون أبناءهم مما وقع فيه آبائهم فيقرؤه الشبان ويكونون حذرين ناظرين لمستقبل بلادهم . وبغير هذا لا يكون لأمم الإسلام وجود . هذا كله يؤخذ من سورة ابراهيم وذكر (ال) في أولها ويؤلفون كتاباً أخرى جميلة نفيسة بهجة شيقة تفرح الشبان وتوقظ الوسنان يذكرون فيها بهجة الطبيعة وجمالها وحسنها ويعشقون الناس فيها ويحسون بالذكر أعجب ما يرون وهذا إجابة لنداء الله تعالى في سورة الرعد إذ يقول (المر) المشيرة لتدبير الأمر ويؤلفون كتاباً أخرى في التاريخ العام لبعض الأمم قديمها وحديثها بشرط أن تؤثر في العقول إجابة لقوله تعالى هنا في سورة الحجر (الر) إذ ذلك من جهة ذكر ومن جهة الإنذار . وهذه الكتب الثلاثة لظهور بعض السر في هذه الحروف التي خزنها الله في القرآن للأجيال الحاضرة والمستقبلية - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - . انتهى الكلام على (ال) فلنشرع في تفسير كلمات السورة فنقول (اللك) أي ما تضمنته هذه السورة من الآيات (آيات القرآن وكتاب مبين) أي تلك آيات ذلك الكتاب السكامل في كونه كتاباً أو في كونه قرآناً (ربما) بالتخفيف والتشديد وما كافة وقوله (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم (درهم) أمر

للايهانة (الذكر) القرآن (المجنون) يعنون النبي ﷺ (لوما) هلا (إلا بالحق) إلا تنزيلا ملتبسا بالحق (وما كانوا إذن منظرين) أى ولو زلنا الملائكة ما كانوا منظرين إذن ولم يؤخر عذابهم (شيع الأولين) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا فى الفرق الأولين والشعبة الفرقة المنفصلة على مذهب وطريقة (كذلك نسلكه) سلكنا الخيط فى الابرّة وأسلكته اذا أدخلته فيها (خلت سنة الأولين) مضت طريقهم انى سنها الله فى اهلاكم حين كذبوا رسالهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح بية وهو فتح باب من السماء (يعرجون) يصعدون (سكرت أبصارنا) سدت أبصارنا أو غشيت أو سكرت من سكر الشراب ففسد نظرها مثل ما يقع للرجل السكران (مسحورون) أى مسحنا محمد وعمل فينا سحره (بروجا) هى النجوم العظام ومنها نجوم البروج المعروفة فى علم الفلك التى هى (١٢) برج (وزيناها) أى بالأشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين (رجيم) مرجوم فعيل بمعنى مفعول أو ملعون مطرود من رحمة الله (إلا من استرق السمع) أى لكن من استرق السمع أى اختلس خلسة (فأتبعه شهاب مبين) أى يلحقه نجم مضى حار متوقد (مددناها) بسطانها (رواسى) جبلا ثوابت (وأثبتنا فيها) فى الأرض . ومعلوم أن الجبال منها ففيها النبات أيضا كما تقدم فى سورة الرعد (موزون) مقدّر بمقدار معين تقتضيه المصاحبة (معاش) يعيشون بها من المطاعم والملابس (ومن استم له برازقين) عطف على معاش (خزائنه) الخزائن تشمل أى وما من شئ يدفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه (وما ننزله إلا بقدر معلوم) وقوله (لواقع) يعنى للشجر * يقال لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فهى بمعنى ملقحات ونظيره الطواغيع بمعنى المطيحات (بخازنين) أى بحافظين فى الغدران والعيون والآبار (الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق وقوله (المستقدمين منكم والمستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر (الانسان) آدم (صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حثا) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حثا أى طين أسود متغير (مسنون) أى منقش أو مصبوب ليابس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحثا فصور منه تمثال انسان أجوف فيرس حتى اذا نقر عليه صلصل ثم غير طوراً بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه (والجان) المراد به الجنس كما هو الأظهر فى الانسان أنه الجنس . واذا أريد آدم فى الثانى يراد أبا الجن فى الأول (من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحرة الشديدة النافذة فى المسام (واذ قال ربك) أى واذ كروقت قوله (سويته) أنمته خلقته وهيايتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) لانفخ هناك وانما المعنى وجعلت فيه الروح وأحييته فهو لتمثيل (إلا ابليس) الاستثناء منقطع (أبى) امتنع وهو استئناف أى لكن ابليس أبى (مالك أن لا تسكون مع الساجدين) أى أى غرض لك فى أن لا تسكون مع الساجدين (لم أكن لأسجد) اللام لام الجود مؤكدة للنفي أن لا يصح منى أن أسجد (فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (رجيم) مطرود ملعون واللعنة هى الطرد من الرحمة والابعاد عنها (بما أغويتني) أى أقسم بأغوائك إياى (لأزينن لهم) المعاصى (فى الأرض) فى الدنيا وهى دار الغرور (هذا صراط على مستقيم) هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى إلا من اختار اتباعك منهم لغوائته (لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) أى طبقات ينزلونها (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى لكل دركة قوم يسكنونها فيجزى الله أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار (إن المتقين) أى الذين اتقوا الكبائر (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهذه حال أخرى (من غل) حقد كامن فى القلب وطهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ووضع الله فى قلوبهم التوادة والتحاب (إخوانا) حال (متقابلين) تدور بهم أسرتهن حيثما داروا فهم فى جميع أحوالهم متقابلون (لا يمسهم فيها نصب)

حال من الضمير في مقابلين لنفس الشعب (ونسبهم) أي ونبي نبادي وأخبر ملك ليتخذوا ما أحل من العذاب
 يقوم لوط عبرة يعتبرون بها بسخط الله تعالى وانتقامه من المجرمين (ضيف إبراهيم) أضيفه وهو جسر بل مع
 أحد عشر ملكا والضيف للواحد والجمع (سلاما) نسب سلاما أو سامنا سألما (وجنون) خائفون (إنا نبشرك) تعجب
 استئناف في معنى التعلين (بغلام) هو اسحق عليه السلام (علم) إذ بلغ (عني أن مسني الكبير) تعجب
 من أن يولد له مع مس الكبير إياه (فبشرون) فبأي أعجوبة تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه
 عادة بشارة بغير شيء (بالحق) أي باليقين الذي لا لبس فيه (الثاقنين) الآيسين من ذلك (الإلضالون)
 المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال عظمته وقدرته (فما خطبكم) فما شأنكم الذي أرسلتم
 لأجله سوى البشارة (إلى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (إلا آل لوط) أي أهل لوط المؤمنين والاستثناء منقطع
 (لمنجوهم أجمعين) مما يعذب به القوم (إلا امرأته) استثناء من آل لوط (الغابرين) الباقين مع الكفرة
 أهل الكهف (منكرون) تنكروكم نفسي وتفرغ عنكم مخافة أن تفرقوني بشر (عما كانوا فيه يمترون) بما
 كانوا يشكون فيه وهو العذاب الذي توعدتهم به (بالحق) باليقين وهو عذابهم (لصادقون) فيما أخبرناك
 به (فأسر بأهلك) فاذهب بهم في الليل (بقطع من الليل) في طائفة من الليل وقيل آخره (واتبع أدبارهم)
 وكن على أثرهم تلوذهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولا يفت منكم أحد) لينظر ما وراءه فيرى من أهول
 ما لا يطيقه (حيث تؤمرون) حيث أمركم الله (وقضينا إليه ذلك الأمر) أي أوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي
 حكمنا به على قومه وفرغنا منه وهو مهيم يسره (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي آخر قوم لوط
 مستأصل في الصباح والمعنى أنهم يستأصلون من آخرهم في ذلك الوقت (المدينة) مدينة سدوم وهي مدينة قوم
 لوط (يستبشرون) أي يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور (قال) أي لوط
 لقومه (فلان فضحون) يعني فيهم * يقال فضحه إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) خافوا
 الله في أمرهم (ولا تخزون) ولا تتحججون (قالوا) أي قوم لوط (أولم نهك عن السالمين) أي أولم نهك أن
 تدخل الغرباء إلى بيتك فإنا نريد أن نركب منهم الناحسة (بناتي) أي نساء قومه لأن الأنبياء آباء والأمة
 أبنائهم وبناته (فاعلين) ما أمرتكم به (لعمرك) وحياتك يا محمد * والعمر مدة عمرة بدن الإنسان بالحياة
 والروح وقائه مدة حياته أي لعمرك قسسي (سكرتهم) حيرتهم وضلالهم وغفلتهم (يعمّهون) يتردّدون
 متحيرين (الصبيحة مشرقين) صبيحة جسر بل حال كونهم داخلين في وقت اشروق وهو بزوغ الشمس
 (عاليها سافليها) على المدينة أوقراهم سافليها فسارت منقبة عليهم (سجيل) طين متحجر (للتوسمين)
 للتفكيرين المتفكرين الذين يتتبعون بنظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء (وانها) أي المدينة والقرى (بلسيل
 مقبم) طريق واضح مع ليس بخفي ولا زائل فأتار هذه القرى من عذابه وغضبه بطريق ثابت لم يدر ولم
 يخف والذين يعمرون عليها من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (إن في ذلك) أي ما ذكر من عذاب
 قوم لوط وما أنزل بهم (آية للمؤمنين) أي المصدقين (الأيكة) وهي الشجر ونسب الغيضة وأصحابها هم قوم
 شعيب (الظالمين) مشركين (فانقذنا منهم) في الدنيا بالعذاب (وانهما) أي مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب
 الأيكة (الباطن مبين) طريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فيسمى به الطريق واللوحي ومظهر البناء (أصحاب
 الحجر) يعني عمود كذبوا صاذا فكأنهم كذبوا الرسل كأنهم لأن الدنوة واحدة والحجر واد بين المدينة والشام
 (آياتنا) آيات الكتاب المنزل على نبيهم وهجراته كالقصة وشربها ودرها وما نصبنا لهم من الأدلة (آمنين)
 أي من الانهزام واتب المصوص وتخريب الأعداء (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار
 الأموال والعصود (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) إلا خلقنا ما تبنا بالحق فليس يناسب
 استمرار الفساد فذلك أهالكما أمثال هؤلاء (وأن الساعة آتية) فينقم الله لك فيها من كذبتك يا محمد

(فاصفح الصفح الجليل) فعرض عنهم اعراسا جيلا بجيل واغشاء (هو الخلاق) الذي خلقك وخلقهم ويده
 أمركم جميعا (العليم) بحالك وحالم (سبع من الثاني) سبع آيات وهي المائدة التي نثى وتكرر في كل صلاة
 أو ثلثي على الله فيها وهي جمع مثناة أو مثنيصة (واقتران العظيم) من عطف السكلى على الجزء أى أكرمناك
 بالمائدة وبالقرآن كله (لا تلتن عينيك) لا تلمح بصرك طموح راغب فيه ممنون له (أزواج) أصنافا من
 الكفار كالمشركين واليهود والنصارى والمجوس فأنت أوتيت النعمة العظمى وهي المائدة والقرآن فسكلى نعمة
 في جنبها صغيرة (ولا تحزن عليهم) أى ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام والمسامون وقوله
 (واخفض جناحك للمؤمنين) تواضع لهم وارفق بهم (أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله
 نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المتقين) أى مثل العذاب الذى أنزلنا على الاثنى عشر الذين اقتسموا
 مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر (الذين جعلوا القرآن
 عضين) أجزاء جمع عضوة وأصلها عضوة فعلة من عضا الشاة اذا جعلها أعضاء أى قالوا فى القرآن أقاوين
 مختلفة لمن يلاقونه من القادمين الى الموسم فبعضهم يقول هو شعر وبعضهم كهانة وبعضهم أساطير الأولين
 وبعضهم كذب يختلقه من تلقاء نفسه (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أى
 فاجهر بما تؤمر به (وأعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (إنا كفييناك المستهزين) بقمعهم
 واهلاكهم وأهمهم خمسة من أشرف قریش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن
 عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب وهم كانوا يبالغون فى إيذائه ﷺ والاستهزاء به فأتى الوليد بأهون سب
 إذ مر بنبال فتهلك بثوبه سهم فتكبر أن يعمده عن ثوبه فأصاب عرقا فى عقبه فمات ومات العاص بشوكة
 فى أخمص قدمه وأصاب عدى بن قيس مرض فى أنفه فامتخط قيحا فمات وأصيب الأسود بن عبد يغوث
 بداء وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات وعصى الأسود
 ابن عبد المطلب (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم فى الدارين (بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن
 والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك
 (الساجدين) من الصالحين * وكان ﷺ اذا أمه أمر بالذرى الصلاة (اليقين) الموت فانه موقن به لا يشك
 فيه أحد فهو مأمور بعبادة ربه فى جميع اوقاته مدة حياته حتى يأتيه الموت . انتهى تفسير الكلمات

التفسير

وهو ينقسم الى قسمين (الأول) فى بدء الخلق ومقدماته من أولها الى قوله - وما هم منها مخرجين -
 (القسم الثانى) فى القصص ونتائج ما فى السورة والارشاد والانذار وتسليته ﷺ من قوله - نبى عبادى -
 الى آخر السورة

القسم الأول

كأن الله يقول ما فى هذه السورة من الآيات آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي
 - ربما يؤد الذين كفروا الخ - قد يمتنى الذين كفروا لو أنهم كانوا مسلمين حينما يعاينون نعم الله تترى على
 المسلمين فى الدار الدنيا وقد نصرهم الله وخذل الكافرين وعند معاينة العذاب وقت الموت والملائكة باسطو
 أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون وفى الموقف حينما يرون هول العذاب وانصرف المسلمون
 الى الجنة وسبقواهم الى النار وفى جهنم والمسامون المذنبون معهم قد عذبوا بذنوبهم ثم يخرجون منها ويبقى
 الكافرون فى جهنم . فى هذه الأحوال الأربعة ربما ودوا أن يكونوا مسلمين وهذا التعبير بالتقليل على
 منذهب العرب فى قولهم ستندم على فعلك وليسوا يقصدون التقليل ولكن أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه
 أو قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العاقل يتحرز من التعرض للشعر المظنون كما يتحرز من المتيقن

ومن القليل كما يتحزرن من الكثير فهو لاء يا محمد قوم غافلون ذرهم في غفلاتهم يا كرون كما تأكل الأنعام ويجمعون بذات الدين وشهواتها وتلهيهم الآمال عن الآجال فيقول الرجل غدا أنال الثروة وأحظى بما أشتهى ويمأوذ كرى ويكثر ولدى وأبني القصور وأكثر ثلور وأفقر الأعداء ويزول الداء وأفاخر الأنداد ويكثر العدد والمدد والكرام والسلاح وهو غارق في بحار الأمانى ولحج الخيال يطلب المحال ويرقب السراب وما مثلهم إلا كما قال طرفة

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكاطول المرنجى وثنيه باليد

متى ما يشا يوما يقصده لحقه * ومن كان في جبل المنية ينقد

الطول بكسر ففتح كعب الحبل فهو لاء في حبنا مأسورون وفي قبضتنا مقهورون فتى شذنا جلبناهم وفي الأموات ساكنناهم فسوف يعلمون ولو شذنا لجلبنا العذاب فآبوا بالتياب ولكن لكل أجل كتاب فكل قرية لها كتاب معلوم فشاننا الامهال لا الامهال وسدل الأستار على هؤلاء الكفار فغرتهم ذلك الامهال فأخذوا يناضون عبدنا ويستهزؤون بنينا وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إن مات قوله أملاه عليك الجنون فليس له معنى معقول وأنه مخالف لآرائنا بعيد عن معتقداتنا فكيف نقبل ما لا تقبله العقول ولا ترضاه الفحول من رجالنا الفخام وعشائرنا العظام وإن كان مانتدعاه حقا مقبولا وقد أيدك الله وأرساك فامنعك أن تسأله أن ينزل معك ملائكة من السماء يشهدون بنبوتك فن يخالف آراءنا إما مجنون وإما له سلطان عظيم من ربه فيقويه بالملائكة . حينئذ أجاب الله أن الملائكة لا ينزلون إلا بالحق أى إلا بالحكمة وليس في حضور الملائكة من السماء تشاهدونها لكم فائدة تفيدكم لأنكم إذا رأيتموهم قاتم انهم بشر لأنكم لا تطبقون رؤية الملائكة إلا على الصورة البشرية وكيف تشاهدون ما لا يكون من عالمكم ومتى قالوا نحن ملائكة كذبتموهم لأنهم على صوركم وإذا أرسلناهم لغير ذلك فليكن هلاككم فأى حكمة في زيادة الالباس في الأول وتجهيل الهلاك لكم في الثاني . ولو أنزلناهم هلاككم متأخر العذاب عنكم ساعة . إنا نحن نزلنا الذكر الخ . إنما أنتم قوم مكذبون ضالون مستهزؤون بنينا فليس استهزؤكم بضارته لأننا نحن نزلنا القرآن ونحن حافظوه فقولوا إنه مجنون ونقول إنا نحفظ الكتاب الذي أنزلناه عليه من الزيادة والنقص والتغيير والتبديل والتحريف والمعارضة وإبطاله وإفساده وسنقيض له علماء في الأجيال المقبلة يقولون حفظه ويذبحون عنه ويدعون الناس اليه وسيخرجون للناس ما كمن فيه من العلوم ليناسب العصر الذى هم فيه ليقبل عليه المشورون ويقرأه الجهلاء والمتعلمون بما قيمة نسبتكم إياه للجنون فلا تبدئس يا محمد بما يقولون . ولئن بشرتك بحفظ القرآن في سائر الأزمان والامم والأجيال لنقص عليك نبا الأمم السالفة فلقد أصاب أنبياءهم ما أصابك به قومك فاستهزؤا بهم كما استهزؤ قومك بك فنصرنا الأنبياء وكبتنا الأعداء . هكذا نفعل باللاحقين كما فعلنا بالسابقين ويستهزئ بك المجرمون ثم ننصرك عليهم اقتفاء لسنننا واتباعا لطرقتنا فهو لاء لا يؤمنون وسيحل بهم ما حل بالأولين وننصرك بعد حين . ولو فتحتنا عليهم الخ . وكيف يقترح هؤلاء عليك الآيات ويفرمون بما يخرق العادات من ملائكة يرونها وحجاب ينتظرونها وهل تغنى الآيات ومافائدة تلك المعجزات وهل هم بذلك يؤمنون وهل النوع الانسانى يكفيه ما يبهى الأبواب ويخالف العادات . كلا ثم كلا وأى مناسبة بين الخوارق والعلوم . إن الناس لم يخلقوا فى الأرض سدى . إنهم خلقوا ليعلموا وأى عنم في تلك المقترحات لا لا فكم من نبي أيدناه بتلك الآيات فلم يؤمن قومه إلا قليلا وما الآيات إلا ما تفهمه العقول وتفحصه درسا وتنقيحا . أما ما يشبهه على الناس بأفعال السحرة والمشعوذين فذلك موقع للبس . فالعامة وإن كانت تبهرهم تلك الخوارق فإيمانهم طامع وأمرهم ضائع وليس للناس إلا التفكير في عجائب الأرض والسموات . فهب أنا فتحتنا عليهم من السماء بابا وقلنا اخرجوا فيه وخرجوا أفواجا أفلا يقولون في أنفسهم

ويقول بعضهم لبعض - إنما نحن قوم مسحورون - فاعمل سحرنا كما يفعل عاداء السحرة إذ يفعلون أفعالا تخيل للانسان أنه طائر وليس بطائر وكما يفعل علماء التنويم المغناطيسى في هذه الأيام فلقد رأينا بأعيننا . وأن المنوم يقول للمنوم (افتح الواء) أنت ملك أنت امرأة أنت راقص أنت كذا أنت كذا فنراه يفعل ويصدق كل ما قيل له والنوع البشرى في كل جيل فيه من لهم قدرة على استهواء العقول فيتخيل الانسان ملاحقيقة له وهذا أصبح في هذه الأيام علما يدرس ويقال في المراسع العامة وهو في أوروبا وأمريكا وقد جاء الى مصر فكيف يكون مثل ذلك صالحا للدليل أو موجبا للتصديق . كلا فأمثال هذا لا يقوم بهداية نوع الانسان . وإذا كان موسى وعيسى اتبعهم قومهم فلا نهم رأوا بعد ذلك آيات البصائر وحكمة التشريع ولو وقف الحد عند المجائب المذكورة لم تستقم الديانات ولم تثبت عليها الجماعات فثبت من هذا أن أمثال ذلك لا تقوم به أمة ولا تحيا به سنة

﴿ فصل في قوله - ولقد جعلنا في السماء بروجا - الخ ﴾

وإنما الذي تقوم به الجماعات وتثبت به الأمم النظر الصحيح والفكر الحق . وكيف يريدون ما هو خارج عن عاداتهم ونحن جعلنا في السماء النجوم الباهرة والبروج العالية والشموس الساطعة والأقمار النيرة والسيارات الدائرة والثوابت السامية وهم عن آياتها معرضون . وكيف يعرضون عما زيناها ويذرون ما نظمناه ويطلبون ما لا تنفع فيه من المقترحات . فهلا نظروا في الكواكب وحسابها ونظامها ومداراتها وكيف كانت بها الفصول والسنون وكيف كان ذلك بمقادير محدودة وأوقات معلومة لا تبدل ولا تغير . بأمثال هذا يكون اليقين وبه يكون الدين . وهذه العوالم الجميلة وآياتها البديعة التي زيناها فهي بهجة الناظرين وسعادة المفكرين . يراها البار والفاجر والبادي والحاضر والكن ما كل مكشوف القناع ينال ولا كل مارآه المرء بعينه له يحتال . كلا فالحسان يراهم الناظرون ولا ينال وصلهم إلا المقربون فالسما وان كانت مبذولة لكل ناظر معروضة لكل حي فهي محجوبة المعاني عن الغافلين . وإنها الكبيرة إلا على الخاشعين - إن العامة والجهلاء من كل أمة لا يؤمنون إلا بما يروعه ولا يخضعون إلا لما يدهشهم . أما العقول فهم عنها نازحون . وكما لا يخضع الجهال إلا للسيف والعصا والنبل والملك القاهرة والحكام المسيطرين . هكذا لا يفرحون من العلم إلا بما كان غريبا بعيدا خارقا للعادات وما هو إلا كبرق من خلب ثم يزول الأثر ويرجعون كما كانوا كافرين كمثل أولئك الذين يتبعون الشيوخ الناقصين في الأمة الإسلامية إذ يخبرونهم بالمجائب ويروونهم أنهم أصحاب خرق العادات ثم لا يلبثون أن يروههم كاذبين فيزول الأثر ويعظم الخطر فالناس في العلم وتوع الحكومات على طريقة واحدة . وإذا كانت الحكومات مستبدة والهيمة العامة نازحة عن المقصود الى غيره دالت دولة الأمم ولم يكن لأهلها هم . فلو أن دين الاسلام بنى على أمثال ذلك لم يخرج فيه قادة حكماء ولا علماء عظماء بل كان يسود فيه الماكرون ويغلب أهله السجالون وهؤلاء يسودون في كل أمة غاب جهلها وغفل أهلها ونام عقلاؤها وذهبت ربحها وغاب مجدها وسعدتها . فهل أمثال هؤلاء السجالين ومن تبعهم من العامة أهل أن نكشف لهم عن عجائب السموات أو أن نريهم ما لدينا من حساب واتقان . كلا فلقد حفظناها منهم ومنعناها عنهم شأن الدليل لا يكثر بما قرب اليه ولا يسعى إلانما منع عنه وهذه السماء مزينة لمن له عقل به يفكر وذهن به يتدبر فنحن طردنا هؤلاء أن يلجوا أقطار السماء بالرأى والعقل فلقد حفظناها من كل شيطان رجيم من شياطين الانسان وشياطين الجن فان الأرواح التي فارقت العوالم الجسمية اذا كانت في برازخها لم تترك آراءها ولم تبعد عن اعتقاداتها فهؤلاء وهؤلاء محبوسون في فهم ما لا يفيد وهم عن آيات السماء معرضون

﴿ تحقيق في قوله تعالى - إلامن استرق السمع فأنتبه شهاب مسين - ﴾

اعلم أن الناس ﴿ أقسام ثلاثة ﴾ قوم هم المفكرون وهؤلاء هم الذين يدركون سر هذا الوجود على قدر الطاقة البشرية . وقوم هم الجاهلون فلا يدركون له سرا إلا ما تملبه عليهم قواهم الحسية من اللذات والطعام . وقوم بين هؤلاء وهؤلاء وهم الذين يتطاعون إلى ما وراء الحس بأن يسلكوا طريق الرياضة والجوع أياما وشهورا ويدخلون الخلوة أو بأن يحضروا الأرواح بالطرق السبعة التي ذكرناها في كتاب الأرواح وإما بطرق أخرى غير ذلك وهي كثيرة وهذه الطاقة بأنواعها لا يتجاوز أصحابها من أحد خصتين إما أن يبدوا خلوص النفس حقا وإما أن يريدوا الاستعلاء على الناس للشهوات الدنيوية فإن أرادوا بذلك ارتقاء عقولهم وخلوص نفوسهم ومعرفة الحقائق فهم قد يصلون على مقدار همهم بشرائط مخصوصة . وإن أرادوا بالذكر والخلوة أو استحضار الأرواح الأمور الدنيوية والحياة الفانية . كأن أرادوا الاستحواذ على الناس والعلو عليهم لينالوا نصيبا من ما لهم فهؤلاء يدعون النكال ولا يسمع مستحضر الأرواح منهم إلا أضاليل وأكاذيب كاهو واضح في الكتاب المذكور ونجى لتلك النفوس أرواح وعلى قدر همهم من الأرواح البربخية فتلقى اليهم الأوهام والأكاذيب . أما أصحاب الطم العالية الذين قصدوا ارتقاء نفوسهم فانها توافيهم الأرواح العلية وتلقى اليهم ما يناسب حالهم وهكذا المصفون نفوسهم بالصيام والتميز يجلسون في الخلوة بشروطها فهؤلاء ان صحت عزائمهم بلقى اليهم في أنفسهم ما يرق نفوسهم . ومع ذلك كل هذا يحتاج إلى التفكير والتعقل

فهذه هي الخططات التي يخططها الناس من عالم الأرواح والعالم الأعلى الذي هو غير عالم الحس . فخططة تعطينا علما وخططة تكون سببا للضلال لأنها من شياطين مناسيين من كلوهم . فقوله تعالى في سورة أخرى - إلامن خطف الخططة فأتبعه شهاب ثاقب - ذلك في القسم الثالث فإن كانوا من المخلصين فالشهاب الثاقب يعطيهم نورا وعلما وإن كانوا يريدون الحياة الدنيا كان لهم عذابا فانهم اذا تمادوا في ذلك ذلوا في الدنيا وخاب فألم لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه . واعلم أن هذا مشاهد معروف ولكن الناس عنه غافلون

وإذا عممنا القول فلنقل إن العلوم التي عرفها الناس قديما وحديثا تراء ﴿ لائمرين ﴾ معرفة الحقائق لا كمال العقول ونظام المعاش والصناعات لترتبة الأجسام وإلى الأولى الإشارة بقوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا - وإلى الثاني بقوله - وجعلنا لكم فيها معاش - الخ هذان هما المقصودان من العلوم فكل من خالف هاتين القاعدتين فهو على إحدى ﴿ حالين ﴾ إما أن يريد ابتزاز المال من الأمة بالاستعلاء بلا فائدة وإما أن يريد الذكر والعبادة والشهرة لذاتها واعتقاد الناس فيه وذكر التاريخ له وكلاهما لا نفع في علمه ولا فضل له فن أكثر الذكر لهذه المقاصد أدخل الخلوة لأجلها أوقرا العلوم ولم ينفع الأمة وهو عالة عليها فهؤلاء داخلون في نوع الشيطان الرجيم فمن يخبر ببعض ما في نفوس الناس من الأفكار بما يسمى الكشف والذين يقرؤون العلوم لغاية الشهرة كل هؤلاء مرجومون مبعدون عن ادراك حقائق الكائنات وبعضهم يعذب في الدنيا بالذلة والاهانة والمرض وغير ذلك وهذه الآية كآية الصافات - إنا زينا السماء بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملاء الأعلى - فلا يعرفون حقائق الأشياء - ويقذفون من كل جانب دحورا - بما ركب فيهم من الشهوات وما ابتلوا به من العادات وما أحاط بهم في هذه الدنيا من أنواع البلاء في المال والولد والأهل والأصحاب والآقران وذلك كله بتقدير الله في العالم العلوي المشرف على الأرض يخرج النبات بنور الشمس والغير وانكواكب والحرارة المنبعثة من تلك العلويات فهذه نجم منها هذه العلويات الأرضية فكانت سببا لدحرهم وغمهم وضمهم وهم في كرب من الحياة وأثقالها وكيف يفرون من عذاب الحياة بالمال والولد والأعداء إلا بأن تسكر نفوسهم رغبة في الحقائق لذاتها فيفسلون بذلك عما يصيبهم ويرضون بما قدر لهم ولكن هؤلاء غارقون في بحار الآمال فتنتابهم الآلام وهم يتخبطون وفي ديجور

الظلام حائرون وفي طالك الدهر عائنون . هذا قوله تعالى - ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصل * إلا من خلف الحطيفة فأنبئه شهاب ثاقب - كما قدمنا فلما أن يكون الشهاب لهذا ولما أن يكون لرداه . وظاهر الآية يشير للثاني . ذلك هو شأن من على الأرض فلما مهديون هادون ولما أشقياء معذبون والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اهـ

﴿ تنبيه في تفسير الآية السابقة المناسبة لما نحن فيه وهي من سورة الصافات ﴾

قال تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - أي القربي منكم - بزيينة الكواكب - بالاضافة أو بالتنوين مع جعل الكواكب بدلا - وحفظا - أي وحفظناها حفظا - من كل شيطان ملود - خارج عن الطاعة يرى الشهاب ثم استأنف فقال - لا يسمعون إلى الملاء الأعلى - وهو من التسمع وهو طلب السماع . والملاء الأعلى الملائكة أو أشرفهم - ويقذفون - ويرمون - من كل جانب - من جوانب السماء إذا قصدوا صعوده - دحورا - أي للدحور - ولهم عذاب - أي عذاب آخر - واصل - دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة - إلا من خلف الحطيفة - استثناء من أو يسمعون أي اختلاس من كلام الملائكة مسارقة - فأنبئه شهاب - أي تبعه شهاب وهو ما يرى كأن كوكبا انقض - ثاقب - مضى كأنه ينقب الجوق بنوئه

(١) فإذا سمعت هذه الآية الشريفة

(٢) أو سمعت آية - تبارك الذي بيده الملك - ولند زينا السماء الدنيا بمصابيح - بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها - وجعلناها رجوما للشياطين - أي شياطين الحق أو جعلناها ظنونا للشياطين الانس وهم المنجمون أو بسببها يتكئون على الأرض مابه عذابهم النفسي - وأعتدنا لهم عذاب السعير - في الآخرة بعد احراقهم بالشهاب

وإذا سمعت حديث البخاري أن النبي ﷺ قال ﴿ إذا قضى الله أمرًا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العليّ الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ﴾ ووصف سفيان بكفه فخرتها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرمما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ورمما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

فإذا سمعت هذه الآيات وهذا الحديث وأمثاله فاعلم أن ذلك داخل فيما حققناه أن الأرواح في البرزخ تحن إلى أرواح بني آدم ومتى كانت متشاكسة وبينها مناسبة وأمكن الالتقاء والتفاهم بالطرق المعروفة إما باحضار الأرواح وإما بالجوع وإما بأشياء أخرى كبعض الأسماء وتلاقت روح الحى وروح الشيطان أو بعض الأرواح في البرزخ وسألت الحية الروح الميتة عن أمر فان الروح البرزخية تخبرها بالحق وبالباطل لأنها من الملاء الذي يسمى أعلى فقوله تعالى - لا يسمعون إلى الملاء الأعلى - ظاهر واضح كما هو مقرر في علم الأرواح ولكنهم يسمعون إلى الملاء الأدنى وهم ممنوعون عن العالم الأعلى كما يمنع السمك في الدنيا أن يجري على وجه الأرض وكما يمنع الحصان والجل أن يطير في الهواء . فهكذا هذه الأرواح الميتة وهي متحطة المنزلة لا تستطيع الصعود إلى أعلى من منازلها وبتواصلها بالأرواح الحية تاتي إليها ماعن لها حقا أو باطلا وقد ثبت في علم الأرواح أن هذه الطبقة تلمس المعارف الضليلة بطرق تعرفها ولا تنال إلا ما يناسبها ولها هناك عذاب على بعض ما تلقى إلى اخوانها من الانس كما قال تعالى - يامعشر الحق قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا الح -

﴿ لطيفة في أن القرآن أقرب للعلم الحديث جداً من العلم القديم وبه وحده تعرف معجزاته ﴾
 اعلم أن القدماء من حكماء الاسلام الذين نقلوا الفلسفة عن اليونان كانوا قرروا أن هذه الشهب التي تنزل
 من السماء في نيل مختلفة ليست من كواكب السماء وإنما هي دخان خارج من الأرض ارتقى الى الطبقات العليا
 في الجو ثم قرب من كرة النار فاحترق وضرىوا لذلك الأمثال كسيأتي واضطروا لهذا الرأي لأن السماء عندهم
 لا يمكن التثامها ولا خرقها فهي دائمة أبد الآباد ودهر الدهار ير فكانوا مضطرين حين يسمعون مثل هذه
 الآيات أن يقولوا هذه ظنون كما فعل الامام البيضاوي . وقد أظهر العلم الحديث بطلان هذا الرأي وأصبح
 العلماء في أوروبا يرون أن الشهب إنما هي قاع كوكبية سمائية كما سيأتي شرحه ونسب للأرض فيها من سبيل
 فانظر كيف ظهر أن لفظ القرآن جاء بالحقيقة وكان الفلاسفة يرون أنه مستحيل فاذن لم يبق إلا مسألة حرق
 الشياطين فإذا قال البيضاوي انه رجوم للمجتمين وقتلنا نحن ورجوم لمن نحنا نحوهم من كل من سار على هذا
 الدرب فذلك للفرار من أن الشيطان يحترق بالكوكب . ولكن لا نقدر أن نجزم بامتناع هذا بل نقول اذا
 كان آباؤنا وحكماؤنا كبر عليهم أن يخالف القرآن علم الفلك في زمانهم ولم يرض المفسرون منهم أن يبقوا على
 مذاهبهم الفلسفية بل مشوا مع القرآن ثم ظهر بطلان المذهب القديم فهل هناك من مانع يمنع أن تكون
 انكواكب محرقة أو مخلبة أو مؤذية لتلك الأرواح . ذلك نسلم به حتى ننظر المستقبل
 ﴿ تحقيق الكلام على الشهب عند القدماء وعلماء أوروبا في علم الآثار العلوية من علم الحكمة ﴾
 (نقلا من كتابي في علم الفلسفة العربية)

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب انقضى والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية
 ومعناه الرمح القصير ويطلق على الشهاب تشبيهاً * ويقال شهاب ناكب ونجم ناكب لأنه يثقب المظالم
 إن ما يرى في الليالي قد انقضى من السماء ليس كوكباً وإنما هي أجسام صغيرة لا تزيد الواحدة عن حجم
 البلاطة وهذه الأجسام كثيرة جداً ومنها مجموعة تسمى الاسديّة وهي تتم دورتها حول الشمس في شكل
 اهليلجي في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠.٠٠٠ ميل أو أكثر والأرض لا تحترق
 في سيرها هذه الاسديات إلا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة (١٨٦٦) وفي كل مرة تضيف
 آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وما النور الذي ينزل من تلك الشهب إلا
 من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يقذف الزناد وهي أكثر سقوطاً في نيل معلومة فهي تزيد في (١٠)
 أغسطس ١٣ نوفمبر وتقل في (٢٠) ابريل و٢٧ نوفمبر و١٨ أكتوبر و٦ و٩ و١٣ ديسمبر . ويقال ان
 عدد الشهب التي نراها نحو ١٥٠.٠٠٠.٠٠٠ وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها
 ﴿ الكرات النارية ﴾

هي أيضا أجسام مضيئة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب لكنها أبداً منها وتتمزق غالباً بالقرب من الأرض
 فتحدث فرقعة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوية ويدخل في تركيبها
 الحديد والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من (٨) كيلومترا إلى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلومترا وسرعتها متغيرة
 كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها . ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها
 صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فسقط على الأرض
 وتشتعل في الجو على هيئة شهب وتسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية
 فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين أن الأولين يزعمون أن تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات
 عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق وعلماء العصر الحاضر يقولون سامنا بالاستراق من الاحتكاك لامن
 كرة الاثير فنحن لا تقربها ولكن لانسلم أن المحترق هو البخار بل هو أجسام صغيرة دائرة حول الشمس

تخطفها أرضا كأنه تتغذى بها بعد أن تطبخها في جوفها بالحرارة ثم تزدردنها كما تزدرد نحن الحيوانات وهذه الاجسام الصغيرة الدائرة حول الشمس تستقط على الأرض دائما ولسكن لها أيام خاصة يكثّر سقوطها فيها الى آخر ما تقدم وهذا آخر الكلام في تفسير آية - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين * وحفظناها الى قوله - فأنبهه شهاب مبین -

﴿ الكلام على تفسير - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي الخ - ﴾

بعد أن وصف الله بهجة السماء وزينتها وأنها أزيلت للنظرين المفسرين واحتجبت عن الغافلين أخذ يشرح جمال الأرض وبهجتها فذكر كيف مدّها وثبت فيها جبالها وأثبت فيها من كل نبات موزون فعناصره موزونة وأغصانه وأوراقه وأزهاره وأثماره ألا ترى الى ما ذكرناه في سورة البقرة من أن كل نبات قد وزنت عناصره وقدرت تقديرا . ولقد ذكرت لك هناك أن الدّرة مثلا فيها البوتاسا الداخلة في الحب الذي تأكله ٣٢ في المائة وهي داخلة في الفول بنسبة ٤٣ ونصف في المائة وفي القصب ٣٤٣ في المائة وفي البطاطس ٦١٥ في المائة وفي البرسيم ٣٤٦ في المائة . هذا عنصر واحد دخل في البرسيم وفي البطاطس وفي القصب وفي الدرة وفي الفول فكان مترواحا ما بين ٣٢ و٦١٥ وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرًا والبرسيم لأن يكون قوت البهائم والفول لأن يكون مشركا والبطاطس لأن تأكله والدرة لأن تقتات بها ولو اختلفت تلك المقادير لاختل البرسيم والدرة والقصب الخ فهذا اختلاف جزء واحد من الأجزاء الداخلة في تركيب هذه النباتات وهي البوتاسا والصودا والجير والمغنيسيا وحض الفوسفوريك وحض الكبريتيك والسلكا والكلور فهذه الأجزاء داخلة في هذه النباتات بنسب مختلفة والنبات المركب منها يمتص بعروقه من الأرض الأغذية المناسبة لها

﴿ الجذور وامتصاصها ﴾

تأمل رعاك الله . تأمل وقل لي كيف يستخرج النبات غذاءه من الأرض . إنه لا يمتصه إلا بعروقه الضاربة فيها . يمتصه ويرفعه الى الساق والأغصان والأوراق والأزهار . كل ذلك بعد الامتصاص . فيأليت شعري ما الذي جعل هذا برسيا وهذا قمحا وهذا بطيخا . أليست الأرض واحدة والنبات يمتص فلماذا دخل في الدرة من البوتاسا مثلا ما لم يدخل البرسيم وما الذي وزن تلك المقادير التي رأيتها حتى أخذها النبات ولم يزد عليها ولم ينقص وأين الميزان وكيف كان الوزن . يا عجبا ما الذي حدّد المقادير وجعل لكل نبات مقدارا وماذا لم تحطى الجذور الضاربة في الأرض . ولماذا نجد جميع الجذور تأخذ بمقدار محدّد نوع البوتاسا مثلا فنرى أنها في حبّ الدرة ٣٢ في المائة ﴿ الجواب ﴾ أن الذي حدّد ذلك هو تلك الفتحات الشعرية التي في ظواهر الجذور . وكما أن للإنسان مسام يتنفس بها هكذا للزرع ثقوب دقيقة بها تمتص تلك الاصول من الأرض وهما محل العجب فنقول بأي وضع صنعت تلك الثقوب . إن أنواع النبات تقدر بما يزيد عن مائتي ألف نوع ولكل نوع أصناف فكيف اختلفت تلك الثقوب اختلافا دقيقا حتى ان ثقوب كل نبات لاتسع إلا بالمقدار اللازم لها من العناصر وتطرّد سواء لأنه لا يلائمها وهذا محل العجب أن يكون ثقوب النبات وفتحاته كوّنت على هيئة بحيث لا يتسلع ولا تسع إلا تلك المقادير بعينها . ذلك هو العجب ومن هذه المسألة الجزئية تفهم قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون -

﴿ جوهره في قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - ﴾

هذه الآية بديعة من بدائع القرآن ومعجزة من معجزات العلم وحكمة باهرة وعجيبة ظاهرة إن هذا التفسير قد نجى فيه نظام هذا العالم وأصبح الوزن والميزان والحساب وحسن النسق من أخص أوصاف هذه الدنيا وهذا الوجود في كتاب الله تعالى . وحسبك ما قرأه في سورة الرحمن من قوله تعالى

– ووضع ميزانين لا تظنوا في الميزان – وزن الله السكواكب في سيارها وفي وضعها وفي حركاتها وفي أضواؤها ووزن العناصر بمقادير مع مناسبة بعضها لبعض كأنها صفوف منظمة كما ستره في سورة العنكبوت . وهذا هوذا يقول هنا – وأثبتنا فيها من كل شيء موازين –

الأنهم إنك أنت الذي أنزلت الكتاب وأنت الذي نظمت وأحكمت ودبرت هذه الدنيا وأنت القائل في المعنى أن كل شيء موازن وأنت القائل – قل انظروا ماذا في السموات والأرض – وهذا النبات الموزون مما في السموات والأرض وقد خصصته بالبيان لتبين لنا الطريق التي نسيرها حتى نعرف نهج ميزانك في العوالم من نظام النبات وأوراقه وأزهاره وثماره . إن الله أنزل القرآن وجعل فيه جمال البسالة وحسن الالتقاء كما خلق الخدائن والجنات في الدنيا وجعل فيها الفواكه الحسنة اللذيذة للآكلين . فهنا لذة اللبوق للآكلين وهناك لذة السمع للسامعين . وما أجهل الإنسان إذا وقف عند لذة السمع أو اكتفى بحاسة اللبوق . إن لذة القراءة بلاغة أو حسن إلقاء يجتري بها لفافون والوقوف عند لذة الفاكهة والجهل بحقائقها شأن العاجزين والله يقول في الأولين – مثل الذين جاولوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا – كما يقول – ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني – ويقول في الآخرين – ريباً تكون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم –

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صديق ذكي صالح فقرأ ما سطرته الآن فقال

(س) نحن نعرف أن النبات خلق الله وهو حسن ومنظم وماذا نبتغي فوق ذلك

(ج) ليس ينبغي هذا . وإذا سمع الناس قوله تعالى – أقيموا الصلاة – فهل يكفي في ذلك أن يكرروا اللفظ وهم لا يصلون . أم الصلاة شيء ولفظها شيء آخر ولفظ الصلاة يدل على أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالنسليم . إذن ليس يكفي في هذا المقام أن يقرأ القارئ – وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم – ولا أن يرددوها بصوت حسن ولا أن يعرف أن موازين في الصرف اسم مفعول وفي النحو صفة لشيء ولا أن يعرف أن في الآية من البلاغة حسن الانسجام وموافقة اللفظ للمعنى وما أشبه ذلك كما أن يكف أمثال ذلك في قوله – أقيموا الصلاة – ولا فرق بين قارئ القرآن العارف بتلك العلوم المطبق لها على القرآن من بلاغة وصرف ونحو وبين آكل التفاح المتلذذ به . كلاهما واقف عند الظواهر جاهل بالباطن (س) ما معنى هذه البواطن التي نسمع الصوفية يكررونها كثيراً فاعل هذا من تعبير الصوفية الذي يذكرونه ولا يدري الناس ما معناه

(ج) كلا انني اليوم أريد أن أقول حقيقة عجيبة ظهرت في القرآن في هذه الآية وهي أن كل نبات لا ينبت ورقه على أغصانه إلا بنظام حسابي أو شكل هندسي . وأكثر الناس يأكلون ولا يحسبون ويقرؤون القرآن وهم لا يحسبون

(س) صف لي هذا الحساب وصف لي هذه الهندسة

(ج) قبل أن أدخل معك في هذا الموضوع أحدثك حديثاً عن نفسي أيام الشباب وأنا منقطع عن الأزهر وأتوق الى الرجوع اليه أيام كنت أشك في أمر هذا الوجود ﴿ ذلك ﴾ انني كنت أجلس على شاطئ نهر أبي الأخضر بجوار قربتنا المسماة (كفر عروس الله حجازي) وأنا حائر في هذه الدنيا وأتأمل الأوراق على أشجارها وأقول يا ليت شعري أهذا الورق نظام هندسي أو حساب ومن ذا يوتقني على سرائره أم من ذا الذي يعرفني حقائقه ومن أي شيء ركب ولماذا ركب بحساب الخ مما تراه مسطوراً في كتابي ﴿ التاج المرصع ﴾ الذي أنشر وترجم قبل نحو عشرين سنة . فأنظر ماذا جرى اليوم . أكتب هذا اليك وأنا حامد لموجد هذا العالم شاكر لنعمه فقد عرفت اليوم ما لم يكن ليخطر لي على بال . عرفت أن الورق نظام وضعه على

الأغصان • أتدري من أين عرفته بها • عرفته من هذا الكتاب الذي أملى الآن المسمى «علوم الجميع» بلغة الانجيز وأحسن من هذا أن يقال «موسوعات العلوم» ها هو ذا الكتاب أملى لمؤلفه الاستاذ (روبرت براون)

إن الله منزل القرآن خالق النبات بعزانه هو الذي ألهم قلوبنا فأبرزت ذلك الميزان فهو الذي أنزل القرآن بالعربية وسخر قلوبنا في بلاد الفرنجة لابرار حقائقه وإن كان المسلمون والفرنجة لا يعلمون أنه معنى القرآن • ولقد وفق الله اليوم واطلعت على هذه الحكم في ذلك الكتاب وها أنا ذا أذكرها تبصرة للمسلمين وتذكرا للناهيين عنهم يتعلمون حتى يعلم الأذكىاء مصداق قوله تعالى • خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون • وقوله تعالى • وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها • وقوله • فاذا قرأناه فانبج قرآنه ثم إن علينا بيانه •

الله أنزل القرآن وهو الذي أبرز معناه على قلوب قوم آخرين لأنه خلق نوع الانسان متعارف إذ يقول - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا •

سيدهش المسلمون حين يعلمون أن هذا المؤلف في صفحة (٧) من المجلد الثاني من كتابه قد أتى بمعنى هذه الآية وهو لا يعلم وسيدهش أهل أوروبا حين يرون أن خلاصة هذا العلم داخلة في مضمون هذه الآية • هذا هو سر التعارف • يتعارف الشرقيون والغربيون بالعلوم والمعارف ويتناكرون بالجهل وهم صاغرون (س) قد عرفت مقدماتك فهات المقصود من حساب النبات وهندسته على شريطة أن أراه مرسوماً أملي ليكون تذكرة وتبصرة للفكرين

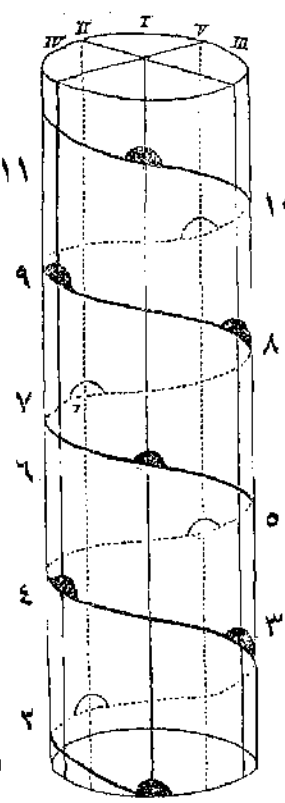
(ج) خذ غصنا من نبات بعض الحشائش أو شجر الدرار المسمى بالفرنجية (الم) بسكون اللام وغصنا من ضرب من (الزنبق) يسمى بالفرنجية (نيولب) وغصنا من السنديان أو من التفاح أو من (الكرز) وغصنا من الكتان وغصنا من أغصان نوع من الصوبر وغصنا من نوع يسمى بالفرنجية (لرش) فهذه ستة أغصان من أشجار مختلفة كالحشائش والزنبق والتفاح والكتان والصوبر (لرش)

ضع هذه الأغصان أمامك • ضعها وانظر فستري عجباً • ترى أوراق الغصن الأول منتظمة عليه بحيث تكون كل ورقتين متناظرتين على الجانبين لكل منهما نصف الدائرة على الغصن والدائرة (٣٩٠) درجة والنصف (١٨٠) وهذا الكسر يبين ذلك وهو ١/٢ فاليسط يبين أن الدائرة واحدة والمقام يبين عدد الورقات التي قسمت الدائرة بينها • والغصن الثاني ترى فيه أوراقاً ثلاثة على الغصن متعاضبات الوضع وقد قسمت الدائرة بينها (١٢٠) درجة • والغصن الثالث من نحو التفاح والسنديان ترى عليه أوراقاً مبتدئة بأولاهما من الأسفل وتليها خمس ورقات قد كوّنت دائرة تامة مشتملة على دورتين حلزونيتين فتكون كل خمس ورقات لها هاتان الدورتان الحلزونيتان حول الغصن والورقة السادسة قد جاءت محاذية للورقة الأولى وهذه السادسة مبدأ دائرة ثانية تشتمل أيضاً على دورتين حلزونيتين وهكذا دائرة فوق دائرة كل منها تشتمل على هاتين الحلزونيتين فتكون تلك الأوراق في الدوائر أشبه بسلاسل المنارة فانها حلزونية الشكل والكسر الذي يبين هذا هو ١/٣ فاليسط لعدد الدورات الحلزونية والمقام لعدد الورقات

وعلى هذا القياس تعرف الغصن الرابع كغصن الكتان فدوراته الحلزونية (٣) وأوراقه في الدائرة التامة على الغصن (٨) فبسط كسره ٣ ومقامه ٨ والغصن الخامس كغصن الصوبر دوراته الحلزونية خمس وأوراقه في تلك الدوائر (١٣) وبها تكون دائرة تامة والغصن السادس دوراته الحلزونية (٨) وأوراقه ٢١ وبهذه الأوراق والدورات تتم الدائرة الواحدة وهكذا ما بعدها • ها أنا ذا أملي الذي ذكرت لك هذه الدوائر على تلك الأنواع الستة من الأشجار وقد آن أن أضعها لك صفاً واحداً كما جاء في ذلك الكتاب

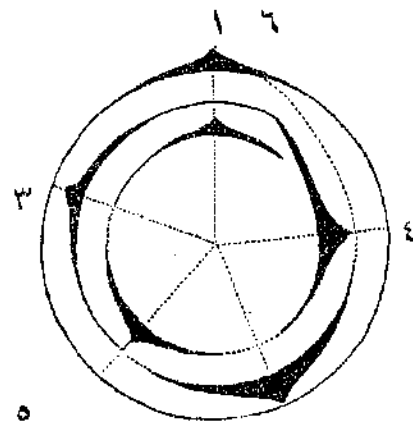
$$\begin{array}{r} ٨ \ ٥ \ ٣ \ ٢ \ - \ ١ \ ١ \\ \hline ٢١ \ ١٣ \ ٨ \ ٥ \end{array}$$

أنظر أيها الحكيم لهذا العجب وتأمل في هذا الجدول الذي نقلته من ذلك الكتاب فلا بين لك بعض ما عرفه العقلاء . الله أكبر جلّ العلي وجلت الحكمة التي تنبت عن بلاد الشرق حيناً وهاهي ذه أيامها قد أقبلت فانظر وتأمل فانك تجد الكسر الثالث وهو المثلث الفصن التفاح أو السندان بسطه مجموع البسطين قبله فانه ٢ وهما مجموع البسطين قبله وهكذا مقامه وهو (٥) فهو مجموع (٣ و ٢) وهكذا الكسر الرابع الممثل به للسندان فان بسطه (٣) مجموع البسطين قبله (١ و ٢) ومقامه مجموع المقامين قبله وهما (٥ و ٣) وهكذا قل في بقية الكسور . ثم انظر نظرة أخرى فانك تجد بسط الكسر الثالث هي عين مقام الكسر الأول وبسط الكسر الرابع هو عين مقام الكسر الثاني وبسط الكسر الخامس هو عين مقام الكسر الثالث . إذن كل بسط لكسر من هذه هو عين مقام الكسر الذي قبله بواحد وهذه قاعدة مطردة . هذا هو الذي قرأته في هذا الكتاب وارتدت ايضاحه هنا . وهذه صورة الكسر الثالث الذي يكون في التفاح والبوط



هاتان الصورتان المرسومتان (أولاهما) صورة لفصن التفاح أو البوط وقد دارت الأوراق عليه مبتدئة من الأسفل دائرة حول الفصن فالورقة الأولى المعنونة عنها بعدد واحد تلاوها خمس قد صنعت دورتين حلزونيتين كما قدمنا والخامسة منها التي هي السادسة في العدد تراها أمامك في الرسم فوق الأولى على خط مستقيم وهي تمام الدائرة الأولى وتليها الدائرة الثانية ونهايتها ومبدأ الدائرة الثالثة عدد ١١ وهكذا واضع في الشكل الأول ولكن لما كان هذا لا يظهر منه أن كل خمس ورقات دائرة تامة وجب رسم الشكل الثاني الذي يمثل الدائرة التامة من هذه الدوائر بورقاتها الخمس بوضعها الأفقي لتظهر للناس فيعلمون أن هذه الأوراق الموضوعة وضعا رأسيا هي دائرة تامة منقسمة خمسة أقسام بخمس ورقات كل قسم منها (٧٢) درجة تقسيما عادلا

فانظر في الشكل الثاني فانك تجد الورقات الخمس التي صنعت دورتين حلزونيتين قد ظهرت واضحة جلية فالورقة الأولى عدد (١) والثانية عدد (٢) والثالثة عدد (٣) وهكذا الى السادسة التي جاءت في مقابلة الاولى على خط مستقيم فهذان الشكلان قد أوضحا الكسر الثالث وإياك أن تغفل عن أن هذا الكسر له علاقة بالكسرين قبله وبما بعده .



(شكل ١) فباليك شعري أين المسلمون وأين هذه العلوم . قرآن يقول الله فيه - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - ونبات ترسم عليه الأشكال الحلزونية والدوائر التامة النظامية المدهشة والناس يقرؤون ولا يعقلون ويأكلون ولا يفهمون ان القوم لا يعلمون

انظروا أيها المسلمون . أليس هذا كلام ربكم . انظروا أليس يوجب أن تعم الهندسة ويعم الحساب ويعم علم النبات ويعم حتى يدرك الناس سرّ هذه الدنيا . اللهم إن صنعتك لعجب . نبات ونبات ونبات بين أوراقها حساب وحساب انتظمت أوراق شجرة التفاح مثلا وكوّنت حلزونيات ودوائر منتظمة

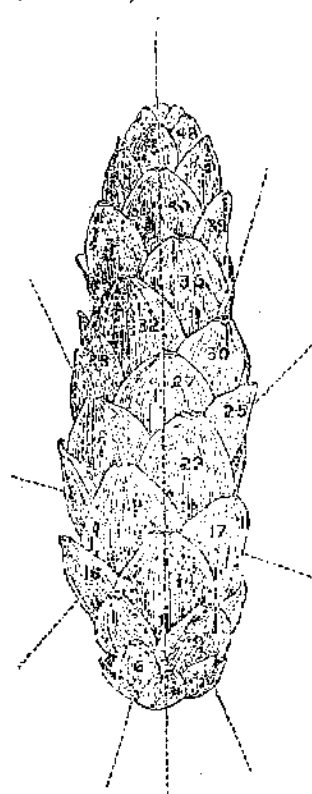
وكان بين هذه الدوائر ونظائرها في نباتات أخرى مناسبات . اللهم إن أهل الأرض ما مواغيبين عن هذا فهم بنعمتك كافرون . اللهم إن أهل الأرض ما تنافروا فيهاهم بصنعتك ولوانهم كانوا مفكرين حتى التفكير (١) لكانوا أمة واحدة لأنهم إذا رأوا أن أوراق الأشجار بينها هذه النسب يعرفون من باب القياس التمثيلي ومن باب الوجدان أن العوالم كلها وضعت بحساب ونظام وإذا نظم ورق النبات وجعل بينه نسب مقدرة في النباتات المختلفة كما نظمت الكواكب وحركتها فهل هذا كله ينظم وتبقى عقول الناس في الأرض بلا رابطة وبلا حساب . هذا غير معقول فالمعقول أن عقول الناس في الأرض قد وضعت بحساب بحيث يكون في كل أمة من يكفون لعلومها وصناعاتها وبحيث يكون لكل أمة من أمم الأرض خواص بها تنفع الباقين

إن الناس قد أمكنهم درس النبات واستعماله في حاجاتهم وهو مسخر لهم . أما العقول الانسانية وقواها فهم عن دراستها واستخدامها في المنافع العامة عاجزون . ومادام أهل الأرض لا يعرف بعضهم بعضا ولا يدرسون أحوالهم وخواصهم فانهم حقا أذلاء فأهل هذه الكرة الأرضية لا يزالون في حرب وضرب حتى يقوم فيهم علماء يدرسون عقول الأمم وخواصها ويتحدد الجميع ضوعا أو كرها وحينئذ تكون الانسانية كلها أمة واحدة كما أن أوراق النبات بينها نسبة جامعة . أنظر كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ وسترى ملخصه في سورة الحجرات إن شاء الله وهذا نهاية الأمر الأول (٢) والكان المسلمون منهم أعلم الناس بحمال الحساب والهندسة وعجائب الدنيا لأن العلوم كلها هي نفس دين الاسلام كما أوضحناه في هذا التفسير في هذا المقام وغيره (٣) ولعلم الانسان انه لا سعادة له إلا اذا كان نظامه في نومه ويقظته وجميع أعماله بحسبان كنظام هذه الأوراق ونظام الكواكب في السماء ﴿ فها سمع صاحب ذلك ﴾ قال إني أريد مثالا آخر مصورا بالتصوير الشمسي فقلت هاك ﴿ صورتين ﴾ إحداها صورة نبات يسمى باللسان الافرنجى (هوس ليك) وهو نوع من الكراث وترجمته الكراث المنزلى ونظيره في هذا الترتيب الخرشوف المسمى بالافرنجية (أرتشوك) وأصله بالعربية في بلاد الأندلس (أرض شوك) (شكل ٣)

﴿ والثانية ﴾ صورة زهرة الصوبر وهو مخروط (شكل ٤)



(شكل ٣)



(شكل ٤)

٢٦	٢٧	
٢٤	٢٥	
٢١	٢٢	٢٣
١٨	١٩	٢٠
١٦	١٧	
١٣	١٤	١٥
١١	١٢	
٨	٩	١٠
٥	٦	٧
٣	٤	
١	٢	

وهذه الصورة الرابعة إنما هي للزهرة الأتني في الباطن . أما الزهرة الذكر فهو أصغر . هذان الشكلان وهما الثالث والرابع يمثلان الكسر الخامس وهو $\frac{5}{13}$ فعدد خمسة هو عدد الدورات الحزونية التي تشاهدها أمامك وعدد ١٣ يبين عدد الورقات في الدائرة الثامنة ولذلك تجد عدد ١٤ هو نهاية الدورات الخمس للدائرة الأولى وهو مبدأ الدائرة الثانية ومبدأ الثالثة ٢٧ ومن عجب أن عدد ٥ وعدد ١٣ المذكورين يؤخذان أيضا مما يأتي وهو أن عدد ٥ ظاهر في الصف الذي فوق الواحد وهو ٦ و ١١ و ١٦ فهذه أعداد يزيد كل واحد منها عما قبله بعدد (٥) وترى أمامك صفوفًا أخرى فوق الواحد أيضا فانك ترى عدد ٩ وعدد ١٧ وعدد ٢٥ كل واحد يزيد عما قبله بعدد ٨ فتراهم يقولون اجمع ٥ و ٨ يكون عدد ١٣ الذي هو المقام . هذا ما قالوه . والمقصود من هذا أن في الأوراق نظاما ومن شدة احكامه أن عدد ٥ في البسط وجد في صف من الصفوف وعدد ١٣ أمكن أخذه من الأعداد المكررة في صفين وهذا حقا من العجب . فمن ذا الذي كان يظن أن هذه الأوراق منظمة ولها جداول ومن ذا الذي كان يظن أنها دوائر وأن هذه الدوائر لها نسبة إلى دوائر أخرى في أشجار أخرى . بل إن الانسان اذا عرف جميع أوراق النبات وعرف أوائل كل سلسلة منها أمكنه أن يعرف جميع السلسلة بدون أن يحفظ أعدادها والدليل على ذلك أنك تقدر أن تعرف سلسلة الكسر المنتظمة بمجرد معرفة الكسرين الأولين فما عليك إلا أن تجمع البسطين والمقامين وتأني بالثالث ثم تفعل هكذا مع كل كسرين

إن هذه التنبؤ التي ذكرتها هنا تبين أن نظام هذا العالم عبارة عن نظام واحد وأن للعلم مفاتيح ومنى عرفت المفاتيح فتحت بها العلوم فهنا مفتاح السلاسل الكسرية في النبات وهما الكسران الأولان وهما يعرف الجميع بالتدريج وهذا مثل ما ذكرناه في قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - فانك تجد هناك أن الكواكب السيارة تعرف أبعادها عن الشمس بمضاعفة بعد كل واحد عما قبله فارجع اليه هناك بالمضاعفات وهنا بجمع الكسرين السابقين بسطا ومقاما . ومثل هذا يرى من السنين الكبيسة والبسيطة كما رأيته في آخر سورة آل عمران فتي عرف الانسان منها (٢١٠) من السنين عرف جميع السنين آلافا وآلاف إلى ما لانهاية له ولولا هذا ما أمكن الناس أن يضعوا جداول لحساب الأوقات . لحساب الأوراق ونظامها وحساب أبعاد الأفلاك وحساب دورات الأرض حول الشمس كلها ذات مفاتيح والمفاتيح بها تعرف العلوم فأما الغيب فمفاتيحه عند الله قال تعالى - وعنده مفاتيح الغيب -

فأما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن لم نعرف إلا سلسلة واحدة وما عرفنا منها إلا ستة نباتات . فقلت لا يصح اطالة الكلام وقد جعلنا هذا رمزا للسلسلة كلها ونظامها فنحن الآن في مقام التفسير والتفسير علم عال والعلم العالي يختصر في العلوم الجزئية ولا يظيل فيها فكفى الانسان عالما أن يتقن ما ذكرناه هنا فأما اذا أردت سلاسل أخرى وجداول فهناك ما جاء في هذا الكتاب بإيضاح هنا

الجدول الأول	$\frac{13}{34}$	$\frac{8}{21}$	$\frac{5}{13}$	$\frac{3}{8}$	$\frac{2}{5}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{2}$
الجدول الثاني	$\frac{13}{47}$	$\frac{8}{29}$	$\frac{5}{18}$	$\frac{3}{11}$	$\frac{2}{7}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{3}$
الجدول الثالث	$\frac{13}{60}$	$\frac{8}{37}$	$\frac{5}{23}$	$\frac{3}{14}$	$\frac{2}{9}$	$\frac{1}{5}$	$\frac{1}{4}$

فانظر الى هذه الجداول بعد أن عرفت الجدول الأول وقد زدنا فيه واحدا فصار سبعة كأخويه فاعجب لذلك وانظر فانك ترى الثالث من كل جدول منها مقامه عبارة عن مجموع البسط والمقام لنظيره فيما فوقه فان ٢ وه عبارة عن ٧ وهو مقام الكسر الثالث في الجدول الثاني ومثله عدد ٩ وهو المقام للكسر الثالث في

الجدول الثالث وهو مجموع ٢ و ٧ وهما البسط والمقام لما فوقة وهكذا في جميع الأعداد كل مقام لكسر يساوى مجموع البسط والمقام لما فوقة وهكذا كل بسط في أى جدول وكل مقام هما مجموع ما في الكسرين قبله مثل ما جاء في الجدول الأول . ألا ترى انك ترى أن عدد ٢ في الكسر الثالث في الجدول الثالث هو مجموع البسطين قبله وأن عدد ٩ وهو المقام في هذا الكسر هو عين المقامين قبله وهما ٥ و ٤ انتهى

﴿ - الله نور السموات والأرض - ﴾

ههنا تبين جلال العلم بل تبين جلال الله بل هنا ظهر نور الله - وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب - هذه هي الأرض وهذا هو النور . النور على ﴿ قسمين ﴾ نور يعرفه الحيوان والإنسان ونور يخص بالإنسان فنور الحيوان والإنسان هو نور الكواكب والشمس ونور الإنسان هو نور العلم ونور الحكمة . فهذا من أبدع أنواع الحكمة وأجلها وأبهرها . اللهم إنا نحمدك على العلم ونحمدك على الحكمة التي تجلت في هذه الدنيا . ننظر فترى أنواعا من النبات جعل العلماء لها جداول منظمة كجداول الميقات في حساب سير الكواكب ثم ترى النسب بين أوراقه ودورات كل صف من النبات بينه وبين دورات وأوراق الصف الآخر مناسبة ثم ترى أن هذه الجداول بينها مناسبات حتى أن كل جدول منها يمكن استنتاج الجدول الآخر منه . فما أبهج العلم . إننى وأنا أسطر هذه الجداول ناقلا من الكتاب الفرنجى المتكتم ذكره كنت أكتب الكسرين الأولين من الكتاب ثم أكتب بقية تلك الكسور بطريق الجمع المتقدم بدون نظر للكتاب وبعد اتمام الكتابة أراجع على ما في الكتاب فأجده لا خطأ فيه

﴿ أوراق الأشجار أصبحت ذات نظام به يعرف مجهولها من معلوماتها وغائبها من حاضرها ﴾ هذا هو قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولى الألباب * الذين يذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فالذكر باللسان ثم بالقلب ثم يعقبهما التفكير فالتفكير هو المقصود وهذا من أبهج أنواع التفكير الله خلق هذا الإنسان ونظم له هذا الوجود وشوق خواصه للبحث . إن الخواص في كل أمة هم المسؤولون عن نظام هذه الأعراس

فلما سمع صاحبي ذلك قال أعراس أين هي الأعراس . فقلت هل أحدثك عما سمعته في علم الخيال من عالم يحدثنى . قال عالم الخيال . نحن نبحت عن الحقائق ومالنا وللخيال . فقلت إن الخيال جبال للحقيقة وما الخيال إلا زينة لعرائس الحقائق والحقيقة مخالة متكبرة فلا تظهر غالبا إلا في أثوابها القشب وزينتها وجالها لتبهر الأبصار بمظهرها . فقال نعم أحب ذلك . فقلت أنشدنى سحى بن يقظان بيتا من الشعر فقال

الناس في ماتم والكون في عرس * يختال بالحسن في الاشراق والغلس

فلما سمعته قلت مامعنى هذا البيت . أين الماتم وأين العرس . فقال اعلم رعاك الله أن هذا النوع الانسانى الذى أنت أحد أفراد قوم حبسوا في هذه الأرض وهم أشبه بأناس قد سجنوا في قصر الملك والملك زين القصر بأنواع الزينة ورقشه وزوقه وعلق فيه القناديل المضيئة المتلائة البهجة المشرقة التي يكاد سناها يذهب بالأبصار وقد حضرت الوفود من سادات الأمم وأشرافها فأنزلهم في دار ضيافته يتمتعون بما لذ وطاب من أنواع الاكرام وأطياب الطعام والفاكهة والشراب وهم على سرر متقابلين لا يسمعون هناك لغوا ولا نأثما إلا قايلا سلاما سلاما هذا ما كان من أمر الاشراف أما أولئك الذين حبسوا فهم مقيدون في سلاسلهم مكبلون في قيودهم قد جعلت الأغلال في أعناقهم فأنى لهم أن يروا جبال العرس وأن يتمتعوا بأطياب الطعام والشراب والفاكهة والاكرام فهذا العالم الذى تعيشون فيه أشبه بهذا العرس والوفود المقبلون وأهل الأرض الذين معك أشبه بالحبوسين . فقلت له

لم يتضح لي القول فقال إني أبين لك هذا من نفسك . فقلت أريد ذاك . فقال أنست لحسن في نفسك
بهزّة طرب وانتعاش وسعادة لانهاية لها أثناء النظر في أمثال هذه الجداول النيبانية والنجائب الحسابية في الأرض
وفي السماء . أليس هذا هو الحسن الذي تهشقه عقول العلماء والحكماء والأنبياء . أليست ترى أن الشكل
الأول من الأشكال الأربعة المرسومة في هذا المقام أشبه بعمود قد تلقت فيه قناديل مضيئة في عرس عام وهذه
القناديل منظمّة بحيث ترى أن كل نجمة منها تكون دائرة تامة وهي قد دارت دورتين كوكبيتين كما تقدم في
كلامك ومع ذلك ترى أنها قد كنّوت صفوفا منظمّة مستقيمة من أسفل إلى أعلى فتجد عدد (١) فوقه (٦)
(١١) وعدد (٣) فوقه عدد (٨) وهما صف آخر على اليمين وعدد (٢) فوقه عدد (٧) وهما صف
واحد منظم ثم عدد (٤) فوقه عدد (٩) وهما صف واحد فالجمال مضاعف جمال في الشكل الكوكبي
وهو الخيوني وجمال في الدوائر التامة وجمال في الصفوف المنظمّة من أسفل إلى أعلى وهي هنا نجمة وجمال في
نظام الأعداد في الصف الواحد فان كل واحد هو خامس ما قبله بحيث لا يكون في ذلك خطأ فهذا النظام يراه الحكماء
نورا يهرهم ويزدرون بالأنوار الحسية فان ذوي البصائر إذا أدركوا أمثال هذا في نبات أو حيوان أو كوكب ذهابوا
عما حولهم واستغرقوا في ذلك الجمال وطربوا طربا لا يحسن به الناس حولهم فالناس الذين يعيشون على هذه
الأرض أكثرهم لا يدركون هذا الجمال ويكتفون منه بالمنا كل والمشارب والملابس فهم محبوسون مقيدون
بسلاسل الخواص والحكماء والمستبصرون هم الذين يعقلون فالعامة هم المحبوسون والحكماء هم الذين يرون
هذا الجمال ويفرحون به والله هو الذي مدّ لهم المائدة التي طلبوها وجعلها عيدا لأوطهم وآخرهم وجعلها آية
منه ورزقهم . فقلت فبين لي معنى هذا المأتم . فقال ان دول الأرض كلها في جنتهم لا يعقلون من العلم إلا
ظواهره . فقلت إن هذا القول نقلته أنا من كتب الفرنجة فكيف تقول انهم يقفون على الظواهر . فقال
إن الفرنجة الذين كتبوا هذا هم علماء النبات وعلماء النبات من شأنهم أنهم مختصون بعلم واحد ولكن ليس
من شأن علماء النبات المباحث العامة التي تشمل نظام الوجود كله . إن أهل الأرض لا يزالون في حرب وضرب
حتى يرشدوا ولا يرشدون إلا إذا ارتقى التعليم في الأرض وارتقاء التعليم في الأرض أن تكون هناك صبغة
عامة وهي - صبغة الله - وصبغة الله هي الصبغة التي تصبغ بها قلوب كبار الأمم جميعها من عرب وعجم وشرق
وغرب فيتفتنون في كل العلوم وينشرون في المدارس الجمال العام مثل الذي تذكره أنت الآن لكل أمة على
حسب ما يناسبها وتكون الأمم كلها مشتركة في نظام التعليم العام مع مميزات كل أمة ويعلم الصغار في المسكاتب
شرقا وغربا نظام الله العام وصبغته والقطرة العامة والميزان المنصوب ويعلمون أيضا أن الناس كلهم فوق الأرض
متضامنون متناسبون كهذه النسبة المنظمة في السكسور المتقدمة في كلامك هذا وحينئذ يصبح نوع الانسان
كله في عرس ونورمين ويحب الناس بعضهم بعضا أجمعين فهم كلهم كرجل واحد . فقلت له ولكن ديننا
فيه أن نغزو الكفار ونحاربهم . فقال أنسيت قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهل نسيت قول
العلماء ان هذه الحال حينها لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم . إذن دين الاسلام الذي تحتاج به هو الذي
يبحث عن السلم العام وعلى أهله أن يكونوا قادة للأمم في سبيل السلام العام حتى يصبح أهل الأرض كلهم
كأسرة واحدة وهذا هو الزمان الذي جاء في الحديث أن الانسان يريد أن يعطى الصدقة لأحد فلا يجد فقيرا

إن الشرائع سواء أكانت بالوحى أم بالوضع لاسطان لها إلا على المتأفرين فأما الصالحون الذين هم
متحابون فهو لاء لاسطان للشرائع عليهم . قوم لا يقتل بعضهم بعضا ولا يسرق بعضهم بعضا فكيف يسطو
القانون عليهم وقد نقلت أنت في هذا التفسير أن أهل سويسرا ربما لا يكون للقاضي إلا ثلاثة أيام يقوم فيها
بالقضاء لقلة الشكاوى وفي بقية الشهر يبحث عن قوته بعمله . وإذا صحّ هذا في سويسرا فهو ممكن أيضا
في جميع الممالك شرقا وغربا والمسلمون هم أحق الأمم بذلك لأنهم جازا راحة للعالمين وهم اليوم في دور الجلود

وسيقومون بدورهم الموعود واذن يكون الناس كلهم في عرس مثل هذا الوجود . فقلت هذا هو الذي جاء في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

فلما سمع ذلك صاحبي قال هذا حسن ولكن كيف تقيس الانسان على النبات وهل علم الحقائق يكون بالقياس والقياس علم ظني . فقلت وبالنص أيضا . فقال وكيف ذلك . فقلت قال الله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فجعل الناس نباتا والنبات كاه موزون فالوزن في الانسان كالوزن في النبات والنبات وزنه في أمور كثيرة أهمها أربعة

(١) نظام الاجزاء الداخلة فيه بحساب كما قدمنا في سورة البقرة عند قوله تعالى - ألم تر اني الذي حاج ابراهيم في ربه -

(٢) ونظام توزيعه على المناطق الحارة والمعتدلة والباردة

(٣) ونظام توزيعه على ما يحتاج اليه الانسان والحيوان من غذاء وكساء ودواء وفاكهة

(٤) ونظام أوراقه من حيث أوضاعها الذي كلامنا فيه

ولاريب أن الانسان قد وزعت على أفرادها وأممها القوي كما توزعها كما قررناه في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ بحيث يحتاج أعلاه الى أدناه وشرقيه الى غربيه وبالعكس . فقال مانقول في حديث ﴿ بني الاسلام على خمس ﴾ فالشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج من أركان الاسلام ولم يرد ما قلته في تلك الأركان . فقلت له انما مثل الاسلام كمثل الانسان . ان الانسان مركب من هيكل عظمي مشتمل على (٢٤٨) عضوا ومن عضلات وعروق وأحشاء ودماغ وحواس ظاهرة وباطنة . فالقسم الأول وهو هيكل العظام وهو أس هذا الانسان اذا عطل لم يكن له وجود فهو أشبه بأركان الاسلام الخمسة . والقسم الثاني من اللحم والشحم والعروق الخ هو المتمم للأول فالأول كالأعمى والثاني كالمتعبد والأعمى يحمل المتعبد والمقعدي يريه مواقع المنافع . هكذا دين الاسلام فهيكاه الذي لا وجود له إلا به هو هذه الأركان الخمسة ولجه ودمه ونحوه وحواسه وعقله الخ هو هذه العلوم والصناعات التي بعضها فرض عين وبعضها فرض كفاية

واني أجد الله إذ أعانني فقررت ذلك في هذا الكتاب وشرح الله صدرى لذلك وسيكون هذا إن شاء الله موردا يرد اليه الأذكياء ويصدرون عنه حكماء . فاذا اكتفى المسلمون بما هم عليه اليوم من اقامة شعائر الاسلام فهم كهيكل منصوب بدون نخ ولا عروق ولا لحم ولادم فتخطفهم الأمم من حولهم وهم نائمون وتكون بلاد الاسلام أشبه ببيت بنيت فيه خمسة أعمدة مرفوعة ليس عليها سقف فينصب عليهم المطر والحر والبرد وتسطو عليهم الوحوش الكواسر وهم في ذل عظيم فهم اليوم عرضة للأطم من كل جانب ذلك لأنهم ظنوا أن الاسلام خاص بالأركان الخمسة وما عداها إلا حافظة لشكلها ولولاها لم يبق هذا الدين والشكل والهيئة لا يكفيان وكما أن الانسان لا يتم وجوده إلا بهيكل ولحم وشحم ونخ وحواس الخ هكذا لا يتم دين الاسلام إلا بجميع العلوم والصناعات التي أوضحناها في هذا التفسير والله ولي الصالحين - إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - والله خير الناصرين . فقال لقد أحسنت وأجذبت . فقلت الحمد لله رب العالمين

بعد أن كتبت ما تقدمت حضر لي كره أخرى ذلك الصديق الصالح العالم وقال لقد عنت لي أمر فأرجو السؤال عنه . فقلت سن . فقال أريد ايضاح الكلام على قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - التي جاءت في الكلام عرضا في تفسير قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - . فقلت لقد ذكرت لك هناك مشابهة الانسان للنبات من وجوه كثيرة فإذا تريد إذن . قال ان الكلام في حاجة الى ايضاح فقلت إذن ايضاحها في سورة الفتح . قال وما مناسبة سورة الفتح لما هنا . قلت إن الله عز وجل ضرب ﴿ مثلين ﴾ للأمم الاسلامية ﴿ المثل الأول ﴾ مثلهم في التوراة أنهم أشداء على الكفار رجاء بينهم تراهم

ركعاً سجداً الخ ﴿ المثل الثاني ﴾ مثاهم في الانجيل فشبههم بزرع أخرج شطأه فآزره فاستعلاظ فاستوى على سوقه يجنب الزراع . ولقد شبه الله الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة في سورة ابراهيم فقال - ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء - فلثلاثان اللذان في سورة الفتح أولهما أنهم يهتدون الأمم ويعبدون الله وسيماهم في وجوههم من أثر السجود وهذا هو الحاصل الآن لأن أسلافنا نشروا الاسلام في آسيا وأفريقيا وبعض أقطار أوروبا وفي الاوقيانوسية وبعض أهل أمريكا مسلمون واليهود أصحاب التوراة قوم كانوا مغرمين بالحرب والضرب ولكنهم من جهة أخرى لم يريدوا أن يكون دينهم علماً فلذلك قهرتهم الأمم وشتتوا في البلاد الى الآن وهم الآن (١٦) مليوناً وكثير من ممالك أوروبا مكونة من أقل من عشرة ملايين ولكن القوم عندهم كتاب سماوى وبه حاربوا ولكن الله لم يسلطهم على الناس بالقتال لعلمه أنهم لا ينشرون دينهم وإنما يريدون مجرد السلطان والقهر لأن عقيدتهم أنهم سادات الناس وأن الناس كالحيوانات وهم ساداتهم فمن هذه الوجهة سلط الله عليهم الرومان فأجلوهم الجالوة السكبرى بعد رفع المسيح عليه السلام الى الآن

أما الاسلام فان الله أنزله ديناً عاماً وجاء فيه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - الى قوله - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولكن اليهودى يقول ان الاكرام خاص ببنى اسرائيل . إذن ضرب المثل للمسلمين في التوراة بأنهم أقوىاء أشداء على الكفار رجاء بينهم مناسب لبنى اسرائيل من وجهة واحدة أما الوجهة الأخرى فالمسلمون انتشروا في الأرض ونشروا دينهم والمنشبه بهم انتشروا في الأرض ولم ينشروا دينهم لأنهم جعلوه ديناً قومياً

المثل الثاني هو تشبيههم في الانجيل بالزرع والزرع له نمو وله ثمر ونمو الزرع يحصل منه ﴿ امران ﴾ قوة النباتات وانتاج الثمر والامران هنا أو لهما قوة الامة وانتشارها وثانيهما قوة العلم والحكمة اللذين هما نتيجة الايمان والدليل على ذلك ما ذكرناه من تشبيه حكمة الايمان بالشجرة الطيبة في سورة ابراهيم وحديث الاسراء من قول ابراهيم عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ أخبر أمك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبعحان الله والحمد لله الخ فاذن تحصل من هذا أن المثل الثاني فيه معنى الرقى العلمى والأخلاقى بعد انتشار الدين والعبادة في المثل الأول ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ امتلاء القلوب بخشية الله وحبه بحمالة العلم إذ لا يخشى الله إلا العاملون بصنعته كما قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بعد ذكر الثمرات المختلف ألوانها وهكذا الجبال والدواب الخ . إذن أمة الاسلام لها دوران ﴿ الدور الأول ﴾ دور فتح البلدان وهذا الدور قد كمل لأن المقصود دخول طوائف من الناس في أقطار الكرة الأرضية في دين الاسلام طوعاً أو كرهاً

أما الدور الثاني فهو المقصود من الدور الأول وهو الفتح العلمى ونشر حب الله بالعلوم والمعارف وإدراك نظام هذا الوجود وهو المثل الانجيلي لأن الانجيل إنما جاء حب الله تعالى والغرام به ولم يؤمر المسيح بحرب ولا ضرب بل أصل الدين يرجع للأمور الروحية . فهذا المثل ينطبق على الأمم الاسلامية في المستقبل بعض الانطباق . إن الأمم الاسلامية المنتشرة اليوم في أنحاء المعمورة الذين أدخلهم الله في الاسلام (لعلمه أن هذا الدين عام ليس كدين اليهود) أصبحوا اليوم أجهل الأمم بهذا الوجود وليس لهم غالباً حظ من العلم إلا ظواهر الشريعة وقشورها . أما حقائق الأشياء فهم عنها غافلون

إن الاسلام يشتمل على ﴿ قسمين ﴾ القسم الأول ظواهر العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج وهكذا السمعيات كالخشر والنشر والحساب والعقاب والنار والجنة فهذا هو القسم الأول ﴿ القسم الثاني ﴾ هي حقائق الوجود التى ملئ بها هذا القرآن وأكثرها الله فيه وصرف عنها أكثر عقول المسلمين قديماً وهاهنا أخذ يفتح لهم باب فهمها والوقوف على حقائقها من الآن . فالقسم الأول أوشك أن ينتهى دوره والقسم

الثاني هاهوذا قد أقبل زمانه وجاء اباه وحضر موسمه وأشرقت شمسُه وفلح عبيره وآنس أنسه وأبهج محضره وسرّ مخبره وابتهجت حدائقه وأزهرت أشجاره وأبذت أثماره كما ترى في هذا التفسير وفي هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شيء موزون -

إذن عرفت أيها الذكي قولي لك ان تفسير قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتاً - يظهر سرّه في سورة الفتح . إن سورة الفتح قد ختمت بالمثلين المذكورين ﴿أولهما﴾ لنشر الأُمم الإسلامية على وجه الأرض وقد تم ﴿وثانيهما﴾ لرفي العلوم والاخلاق وأوانه ابتدئ من زماننا هذا

إن الملك اذا أراد أن يزور قرية أرسل الى أهلها فأعدوا له العدة وفرشوا الإماكن والطرق واحتشدوا هكذا الله عز وجل أراد ولا راد لقضائه أن يعم الأرض بنعمه ويغمرها بإحسانه والمسلمون وهم سيكونون صفوتها خير من ينعم عليهم بالعلم والحكمة فهو أولاً بشرهم بالفتح الظاهري وثانياً ملاء أوروبا وأمريكا واليابان والصين بالعلوم التي كلها هي معاني آيات القرآن كما اتضح في هذا التفسير فهذه كلها نشرها الله في الأرض وقال اليوم للمسلمين ها أنتم أولاء قد انتشرتم في الأرض شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وها هي ذه العلوم تحيط بكم من كل جانب وكتابي يطلها كلها وليس طلبه ذلك لآيات قليلة بل مئات من الآيات فلم يبق إلا أن ترجوا تلك العلوم كما هي وتدرسوها جميعها ويكفيكم في ذلك (٢٠) سنة لا غير ثم بعد ذلك ادرسوا هذا الوجود بعقولكم دراسة أتم لأن القسم الأول من الدين تقليدي يؤخذ بالتسليم فتصومون وتصومون وليس لكم حق أن تقولوا لم كان كذا ولم كان كذا وهكذا تؤمنون بالبعث والحشر الخ وتسلمون بذلك تسليماً

أما القسم الثاني فهو لبّ الباب وهو الجوهر الممكنون وهو المقصود الأتم من دينكم المجيد فإذا قرأتم - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - نظرتهم بعقولكم أحراراً كما نظراً أهل أوروبا واليابان وأمريكا وأهل الصين . تنظرون بعقولكم أحراراً إذ ليس ذلك مناقضاً للقسم الأول برجه من الوجوه . فإذا قصرت أكثر الأُمم الإسلامية في هذا القسم في العصور المتأخرة فأتى أيها المسلمون لم أترككم تتخطون في ديجور الظلام بل ألهمت الأُمم فأبرزت العلوم وأمرتها فقاتلتكم ونشرت لغاتها في بلادكم وذلك لا وظيفكم اني علوي ومعارفي التي أنا الصانع لموضوعاتها وأنا الشارح لصدور الناس ليدرسوها . فها أنا ذا سهلت لكم السبل وذللتها خالطكم الأُم طوعاً أو كرها وهم يحملون علوم مخلوقاتي التي أمرتكم بها في كتابي . تلك العلوم التي لا سبيل لمعرفة إلا بالعلم المحض بخلاف القسم الأول الذي لا سبيل الى تغييره ولا تبديله والاقصاع على القسم الأول من قسمي الدين مؤذن بالخراب مؤدّ الى الجود مهلك الأُم . أما القسم الثاني فهو المقصود الأعظم من هذا الوجود وهو المقصود من مثلكم في الانجيل وانكم كنزع أخرج شطأه الخ

فتبين من هذا أيها الفاضل الذكي هنا أن الفتح فتحان . فتح البلدان وفتح العلوم وكلاهما جاء في آخر سورة الفتح وفتح العلوم هو المقصود الأتم وهو المناسب لتفسير آية - وأنبأنا فيها من كل شيء موزون - فان المعاني المدرجة فيها فتح علمي لافتح البلدان . إن فتح البلدان قد خاف منه النبي ﷺ إذ قال ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها﴾ الحديث وقد تقدّم عن الشيخين في سورة الأنفال فالتبني يقول ان هذا أخوف ما يخاف علينا والخوف منه قد تحقق فعلاً فليس في قدرته ﷺ رد قضاء الله وقدره وقد قضى الله بأن ما خاف منه النبي ﷺ قد كمل وتم وذلك أن فتح البلدان يورث التنارع على الملك وعلى الغنائم وعلى المدن وعلى اللذات والشهوات وينتهي ذلك بزوال الملك وقد حصل هذا كله أيام بنى أمية وبنى العباس وانتهى الأمر بضعف المسلمين وانتحال العزائم ومن أعظم ما خافه ﷺ ما جاء في البخاري ﴿ويل للعرب من شرّ قد اقترب﴾ وسيتأتى إيضاح هذا المقام في آخر سورة الكهف عند ذكر أجوج وأجوج إذ ترى هناك أن الأُم الإسلامية فوجئت بالتتار الذين دخلوا بلاد الاسلام

في نحو القرن السابع الهجري وأهل كوا الحث والنسل . هذا هو الفتح الأول من الفتحين وهو الفتح الذي خافه عليه السلام الذي جعل مقدمة للفتح العلمي الذي سيكون بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله إذ ستطلق العقول من عقابها وينطلق المسلمون إلى شرق البلاد وغربها لدراسة الأرض والسماء كما انطلق آبائنا في شرق البلاد وغربها لفتحها . فها أنا ذا أدعو المسلمين إلى فتح الفتح الأول وذلك بالفتح الثاني نحن الآن جئنا في زمان وجدنا الأمور مهتدة لنا والسبل مدلة . وإذا ذل الله بالعمل سبلها وهي حشرات فها هو ذا سهل لنا سبلنا ونحن من نوع الإنسان . سهل الله لنا السبل فليسنا محتاج إلى حرب ولا ضرب وهذا التفسير مثلاً ينتشر في بلاد أفريقيا وآسيا وغيرها لأن الطرق مدالة والفتح الإسلامي الأول مهد لهذا التفسير وأمثاله أن يقرأ فالعلوم ونشرها اليوم فتح عالمي بعد الفتح الأول للبلدان . وعلى كل من قرأ هذا التفسير أن يكون أمة وحده يهدي الناس إلى العلوم ومعرفة ما فيها . ومن فهم ما كتبه في هذا التفسير فقد شاركني في الرأي والفهم فوجب عليه ماوجب عليّ بل عليه أن يفعل كل ما في طاقته . أما أنا فليس في طاقتي إلا ما صنعت . لا تكاف نفس إلا وسعها . فربما كثرت غيري بما لم أكف به إذا كان على استعداد أتم في مال أوجه أو علم والله هو الولي الحميد

فأما سمع صاحبي ذلك قال لقد أفسدت أفادة نامة ولكني أرجو أن تزيد القول إيضاحاً . أما أنا فقد اكتفيت ولكن كلما تضافرت الأدلة على المدلول ازداد المعنى إيضاحاً وأرى أن هذا المقام شائق والله واسع العلم فاطلب من الله يزدك علماً فيزيد النور . فقلت قال الله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً -

إن هذه السورة هي ملخص ما تقدم . ألم تر أنه أمره بعد النصر والفتح ودخول الناس أفواجا في الدين أن يسبح بحمد الله ويستغفره . فيأيت شعري ما التسبيح والتحميد . أليس الأول تنزيه الله عن الشريك والثاني اختصاصه بالحمد وقد عرفت أن الحمد يرجع لسائر العلوم إذ لا حمد إلا على نعم والنعمة المجهولة يكون الحمد عليها نفاقاً وكذباً وزوراً

ومن حمد أحداً بالنعمة يعلمها فهو منافق أو مستهزئ ورجل زور . ولقد كان عليه السلام بعد فتح مكة يكثر من التسبيح والتحميد . يألئ شعري . أليس معنى هذا أنه يعلمنا وهل هذه السورة جاءت لقرأها نحن مجرد قراءة أم جاءت لتقتدي بنبينا عليه السلام ونبينا عليه السلام بعد الفتح كان يحمد الله وهو قد أفرغت عليه سائر العلوم . أما نحن فلم تفرغ علينا العلوم وإنما نحن مأمورون بالاجتهاد في العلم كما قال تعالى لنبيه عليه السلام - نحن على أثره - وقل رب زدني علماً - فنحن اليوم مأمورون بالعلوم لنحمد الله بحق بعد انتشار الإسلام في الأقطار . الأهم الإسلامية اليوم يجب عليها حمد الله ولا معنى لحمد الله بغير علم بالمحمود عليه وهي سائر الخلوقات التي إذا جهلت كان الحمد عليها رياء وكذباً . فهذه السورة يؤخذ منها بطريق الإشارة والرمز أن الأهم الإسلامية تجتد في آخر الزمان في العلم والحكمة وتعرف العلوم ولذلك كثر الحمد في القرآن وتسمع المسلم في صلاته يقرأ - الحمد لله - في كل ركعة والحمد جاء في أول سورة من القرآن من حيث ترتيب القرآن في السور والمسلمون يسمون (الحامدين) يحمدون الله في السراء والضراء وبعد الأكل والشرب وعند النعم والنعيم . ويقول المسلم في صلاة الصبح ﴿ فلك الحمد على ما قضيت الخ ﴾ قال تعالى - وآخردعوا لهم أن الحمد لله رب العالمين - ونبينا عليه السلام له مقام الحمد والله يقول لنا - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - وهذا يدل دلالة الإشارة أن آخر هذه الآية بوقفهم الله على عجائب صنعه فيعرفونه وهذا أوانه واني أجد الله عز وجل الذي وفق لهذا التفسير ومنح وهدي وأعطي وهو سبحانه سيألفهم كثيراً من قرائه بسبل النفس والنفس والمهيج في سبيل نشر العلم وتعميم التعاليم للعلوم كلها والصناعات وحب الله تعالى

إن الأمة الإسلامية كما زاد علمها بهذا الوجود ازدادت ثمراتها في الحياة وأصبحت قدوة للناس شرقاً وغرباً . إن الأمم اليوم تقرأ العلوم ولكنهم لا يقولون أنها موافقة لأديانها . أما ميزة الأمم الإسلامية بعد انتشار هذا التفسير ونحوه فإنها تقرأ العلوم وهي موقفة أنها مقصودة من الدين بل سيقرؤها ويعلمون أنه لا نسبة بين تلك العلوم وبين العبادات . إن العالم بعلوم هذه الدنيا أفضل من العابد بما لا حصر له قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقد ذكر ابن عباس أن بين العالم والعابد درجات كثيرة كل درجة منها كما بين السماء والأرض إذ من ميزة الأمم الإسلامية المستنبطة أنها تقرأ العلوم وهي مستغرقة في حب الله فإذا كان ظاهر علوم الفلك أو علم النبات مثلاً يرجع لامور الحياة فإن عجائبه وبواطنه كما رأيته في هذا التفسير يرجع للغرام بالله تعالى . وكلما ازداد الناس علماً دنيوياً ازدادوا بحجابه علماً بربهم وعلى مقدار سعادتهم بعلوم الدنيا تكون سعادتهم بربهم وبجنته وبرجته الواسعة

والدليل على ذلك ما مرّ آنفاً في هذا المقام في تفسير - وأثبتنا فيها من كل شيء موزون - فإن نظام الأوراق لم نصل لحسن إبداعه فوق الأشجار المختلفة إلا بعد نقل ذلك من كتب الفرنجة والمؤلف لذلك الكتاب يقول إن هذا العلم نقله عن علماء النبات إذن جال النبات وغير النبات لا يعرف إلا بعد استيفاء نفس العلم بمصالح الدنيا الذي هو فرض كفاية في ديننا . أما النظر العام في جلاله فذلك فرض عين على من قدر عليه لأمرين للتوحيد والشكر ولاشكر ففي علم النبات ﴿ ثلاثة فروض ﴾ فرض كفاية لمصالح الدنيا وفرضا عين هما التوحيد والشكر لأمر الآخرة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لارتقاء النفس والحب والبهجة وهذا العلم على هذا النحو هو المقصود من هذه الدنيا بل لذة العلم هي المقصود في الدنيا والآخرة بل القرب من الله إنما يكون بالعلم . وهذه المعاني ليست في أكثر كتب الفرنجة بل هم يقرؤون العلم من حيث هو ولا متصداً لهم سواء لأن دينهم ليس فيه حض على العلم بوضوح كما في القرآن فاذن أتم الإسلام متى عرفت هذا النظام ترقى أكثر من الفرنجة بعد ترجمة علومهم . فدين الإسلام ﴿ قسمان ﴾ قسم هو العلوم كلها بها يتقرب العبد لله ويكون من أوليائه وبهذا يصبح الأولياء والصديقون في الأمم الإسلامية والطبقة اراقية كلها يشاركون أوروبا وأمريكا واليابان في علومهم ولغاتهم وفي التاريخ والآثار وعوالم الكواكب والنبات والحياة والخلق والقسم الآخر يختص بالمسلمين وهو العبادات ونحوها وبهذا يصبح المسلمون أغنى من جميع الناس في العلم وفي الدنيا وفي الدين وكيف لا يكون كذلك والدين أصبح هو نفس هذه المدنية بعينها ونصها والقرى إلى الله بنفس هذه العلوم كما رأيت فتكون علومهم شارحة لصدورهم مقربة لربهم نافعة لأبناء نوعهم من الآدميين . سيكون في العالم أمة إسلامية خليفة لربها يقتدى بها المقتدون تشارك الأمم في علومها وتزيد عليها العشق والحب والغرام بهذا الوجود الذي تعيش فيه ويصبح فيهم حكماء فإن الحكمة أولها حب العلم ووسطها معرفة العلوم ونهايتها حب الله والتخلق بحمائل الأخلاق

ففر بعلم تعيش حياً به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

فلما سمع صاحب ذلك قال لقد أجدت وأحسنيت ولكني أريد أن تلخص لي ما تقدمت كله في بضعة أسطر وتزيد عليه كيف عميت هذه الحقائق عن أكثر المتقدمين . فقلت إن محصل ما تقدمت أولاً أن آية النبات ووزنه ظهر سرها في كتب الفرنجة وأنهم قد عرفوا الأوراق وترتيبها وترتيب دوائرها بحيث جعلوا لها جداول مرتبات منظمة من السكورا الاعتيادية وبين هذه السكورا مناسبة كالتي بين الجداول المتقدمة . وثانياً أن الأمم في نظامها كالنبات في اتقائه فالناس لو فطنوا لأدركوا أنهم في نظامهم محتاج ومتوقف بعضهم على بعض في جميع السكورا الارضية ولا يزالون في ذلك حتى يصلوا لهذه النتيجة . وثالثاً أن الله جعل الإنسان نباتاً وضرب المثل

باررع في سورة الفتح للمسلمين . ورايا أن الفتح فتح بلاد وقد تم أمره وفتح علوم وهو الذي سيكون بعد نشر هذا التفسير وأمثاله وفتح البلدان خاف منه نبينا ﷺ وفتح العلم أمرنا بالزيادة منه فالفتح العلمي مأمون العواقب وهو الزمان المستقبل الذي تم فيه الصفة المحمدية المسماة بالعبودية تصطبغ فيها سائر الأمم . ويستحيل اصطلاح الأمم والمسلمون والأمم معا جاهلون اما قولك كيف عميت هذه الحقائق على كثير من أسلافنا فاعلم أن الله هو الذي قال - سأريكم آياتي - وقال - وقل الحمد لله سير يكم آياته فتعرفونها - إن الله عز وجل لا يخلق الأمور إلا في أوقاتها المناسبة وهذا الزمان أنسب الأزمنة لذلك لاسيما بعد أن ذاق المسلمون ذل الجهل وتجرعوا صعابه وأوصابه فالأجيال المقبلة سيقبلون على هذه العلوم بعد ادبار آياتهم عنها ويحرصون على تحصيلها حرص آبائهم على تركها والتبري منها وعلى مقدار اقتراب بعض المتقدمين لله بمعادة هذه العلوم يكون اقتراب أبنائنا لله تعالى بحجة هذه العلوم والانغماس فيها

﴿ الكلام على نحو الفتوحات المكية لابن عربي ﴾

واعلم أن الأمم الاسلامية لما أقل نجمها وغابت شمسها وأدبر سعداها وأقبل نحسها أذلت العلماء ومحت آثارهم كما حصل لابن رشد بالأندلس ولكتاب الاحياء في تلك الأرجاء من الاحراق والتخزيق . تلك أخذ الخلف منهم يعلمون العلوم باسم التصوف كما ترى في الفتوحات المكية لابن عربي وفي الفصوص له فالكتاب بحر متلاطم الأمواج في وحدة الوجود ونحوها . وقد كان الأذكياء من علماء الاسلام يقرؤون هذا الكتاب فيخيل الي أنهم أشبه بذباب غرق في العسل

إن ذلك الكتاب بحر لجي لا ساحل له بقلم فياض ولكن القارئ له ينصرف بالكلية غالبا عن العلوم المحيطة بالناس في السموات والأرض وليس معنى هذا أنه ليس فيه هذه العلوم . كلا بل انه هو كان يعرف الفلسفة القديمة معرفة تامة وكذلك الشريعة الاسلامية وهما في يديه معا يتصرف فيهما بالانشاء ولكن غلبت على الكتاب الامور الغائبة عن العيان فكان القارئ له يضيع بقية الحياة في حل رموز الكتاب ويرى نفسه ليس أهلا لفكر آخر ولا لاجتهاد . واعلم أن الله عز وجل ألهم بهذا التفسير لتتزن القوى في الأمم الاسلامية فان هذا التفسير وأمثاله يجعل في الناس شوقا الى معرفة العوالم العلوية والسفلية ومشاركة الأمم والعقود عليها في علومها ولكن الفتوحات وأمثال الفتوحات كثيرا ما تلقى في وهم القارئ أنه ليس أهلا لأي فكر ولا أي اجتهاد لأن ما في الفتوحات فوق متناول العقول البشرية فتقف العقول غالبا والله أسأل أن يهدي بهذا التفسير أمما وأممنا وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم . انتهى

﴿ الكلام على قوله تعالى - وجعلنا لكم فيها معاش - ﴾

يقول الله تعالى إن أنواع معاشكم التي تغذيكم وترويك وتلبسكم وتدأويكم قد سخرناها لكم في الأرض فلا السمك في البحر غذيتموه ولا الطير في جو السماء ربيتموه ولا غديرها من أشجار الجبال وغابات الأرض ومعجائب البر والبحر خلقتموه . إن في خزائنا من أنواع المعادن النفيسة والمخلوقات البديعة ما لا يحصره ولكننا لانعطيكم لكم إلا بمقدار ولا تمنحكم إلا بحساب . ألم تروا الى الرياح كيف جرت لحكمة دبرها وآية ينشأها فهي تحمل السحاب وتلقح الأشجار وما الرياح إلا الهواء أثارت الحرارة الشمسية فكان ما كان من الرياح وأقلها يجتاز قدمين في الثانية الواحدة والنسيم سرعته خمسة أقدام فيها والمعتدل من الرياح من ١٠ الى ١٦ قدما في الثانية وقواصف المناطق المعتدلة من ٢٠ قدما في الثانية الى ١٠٠ قدم وهي في المناطق الحارة من ١٠٠ قدم الى ٣٠٠ قدم والكلية التي تخرج من المدافع تقطع ٦٠٠ قدم في الثانية باعتبار المتوسط وفي أول خروجها ضعف هذا أي نحو ١٣٥٠ فأعظم الرياح يجري كنصف متوسط تلك السكة والصوت الذي

يجرى مع الريح في اتجاهه يقطع ١٠٥٠ قدم في الثانية والضوء يقطع (١٨٦) ألف ميل وإنما قومت لك سرعة الهواء بسرعة المدفع وسرعة الصوت وسرعة الضوء لنطلع على خزائنه التي أبرز بعضها لنا وتري أن تلك السرعات المختلفة جاءت لمصالحنا وهي مما أبرزه من خزائنه . أفلاست ترى أن سرعة الريح لو كانت دائما أشبه بالعواصف في البلاد الحارة لم يستقر الحيوان والانسان ونساءت الحال ولم يتم العمران . أولست ترى انه لو بقي الهواء ساكنا لم يتم لقح النبات ولم ينتظم ولم تجر السفن ولم يسمد الناس الخ . أألمست ترى أن اعتدال الذسيم تارة وقصف القواصف وعصف العواصف في بعض الأوقات بعض الخزانين الخزونة التي أخرجها الله بحكمته لاسعادنا . أولست ترى أن سرعة الضوء لو لم تكن بهذا المقدار لكانت الأرض محتلة النظام في حياة من عليها أعني أن الضوء لو كانت سرعته كسرعة الريح لم يصل لنا ضوء الشمس سريعا كما يصل الآن فتأمل هذا الخزن الذي أمامك وهو مخزن الحركات التي في الرياح وقل لي . أليس الهواء لولا حركته ماجرت السحب بالرياح ولولا الرياح لم يلقح الشجر . إن حياتنا وديعة أودعها الله في الأرض وأوصى عليها الهواء وقال للحرارة حركي الرياح بحيث تزيجي السحاب في أوقات معلومة ولو أن الرياح كانت ساكنة لم نعش ألبتة فما الذي يحمل السحاب فينزل المطر وقال أيضا اجلي أيها الرياح لقح الأزهار التي هي ذكور إلى الأزهار التي هي إناث

يقول الله لها اجلي طلع الذكور وضعه على الاناث من كل نبات لتخرج الثمار والنواكه للناس . سيرى أيها الرياح بلطف ولا تكوني كالقواصف ليستقر الطلع في الأماكن التي وصل اليها ولتسير السفن في البحر فلا تكسر قلوبها بسرعتك الشديدة وحركي أيها الرياح الأشجار لتدفعي عنها ماعاني بها من الغبار وليكون ذلك رياضة للشجر ولزراع كرياضة الحيوانات لينفذ الغذاء في المسام فالنبات بتحركك له والحيوان باختياريه في الحركات الخربة والحركات الرياضية . فهذه خزائني أيها الرياح فيك أودعتها لاهني مخلوقاتي على الأرض وأجعل جريك بقدر مقدور

هذه بعض خزان الله في الهواء ذكرها الله هنا ليتبين الناس كيف كانت الخزان في بقية المخلوقات وهذا هو قوله تعالى - وان من شيء إلا عندنا خزائنه - الى قوله - فأزلفنا من السماء ماء فأسقينا بكوه وما أأنتم له بخازنين -

﴿ ومن خزان الهواء الرياح الدائمة المنتظمة والرياح السورية والرياح المختلفة ﴾

فالرياح المنتظمة تذهب من الشرق الى الغرب ومن القطبين الى خط الاستواء فالتى تذهب من المشرق الى المغرب تكون بين مدار السرطان ومدار الجدى جاءت من حرارة الشمس ومن حركة الأرض حول محورها فحرارة الشمس تجعل الهواء خفيفا فيعـلـو ويسير والهواء في المنطقة المعتدلة والمنطقة المتجمدة في نصف الكرة يجري الى مابين المدارين ليحل محل الهواء الذي خف وارتفع فجري الرياح هناك دأبم ولا يستشعر به إلا على بعد مائة فرسخ من الساحل الغربي لأفريقيا

ومن عجب أن فوق طبقات الريح المنتظمة يجري تيار مخالف له . فاعجب لنظام بدیع . خف الهواء بين المدارين فارتفع الى أعلى وجري فكان ذلك سببا حرك الرياح من الربع الشمالي والربع الجنوبي فجرت على عجل لتحل محل ماخلا من الهواء في تلك الأقطار وكأن تلك لرياح قوم من البشر ذهبت أرواحهم الى عالم الأرواح فجاء آخرون حلوا محلهم . والحركة بين هؤلاء وهؤلاء دائمة فحرارة الشمس بتأثيرها في الاقطار الاستوائية ومازالها رفعت الهواء الى أعلى الطبقات كما رفع الأرواح من عالم الأرض الى عالم السماء وتخلوا أمكنتها فيحل محل هذا الهواء نظيره من نصف الكرة كما يحل أناس في الأرض محل الداهيين

إذا فهمت هذا فتعجب كيف أتى بعدها بقوله - وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون - لان حركات الحياة والموت حركات الرياح المنتظمة . وأما الرياح السورية فهي التي تسمى ربح الموسم وهي تكون في

البحر الهندي وهي تهب ستة أشهر من مهب واحد من السماء وفي ستة أخرى تهب من جهة مقابلة لها وهي دائما تتجه جهة نصف الكرة الذي سخنته الشمس بأشعتها ولا تتجاوز الدرجة العاشرة أو الثانية عشرة من العرض الجنوبي

أنظر خزائن الله في الهواء وانظر خزائنه في الماء الذي حمله الهواء وانظر الى البحر كيف تزن الماء فيه والحرارة أثرت فيه فحمله الريح من البحار الملحة ومن الآجام والمواضع الرطبة وذلك بقدر يقول الله للحرارة كما يقول للرياح لا تلحى أيتها الحرارة على البحار إلا بمقدار حتى يكون بخار على قدر الحاجة فيكون سحب وإذا نزل المطر على الأرض فاحتفظه بإجبال أبعادي وبأحرارة أذيبه قليلا قليلا ليزيد في الأنهار ويأثولوج قفي فوق الجبال وانتظري الحرارة حتى تذوب بك قليلا قليلا لتزيد في الأنهار وباعيون انبي بقدر معلوم وليبق الماء مخزونا في جبال وفي أرض وفي المجارى التي تحت أرجل الناس في طبقات الأرض ولتكن قرية حتى يسهل لهم إخراجها عند الحاجة . هذه هي بعض خزائني . فإياك يا بحر أن تطغى على اليابسة . وإياك يا أنهار أن تعمى الأرض دائما بالماء بل لتكن زيادة وليمكن نقص على حسب ما أرسلت لتكن من حرارة الشمس . هكذا أمر الله . فهذه الحركات الجوية والمائية وتعاقبها واحتياج الرياح وارتفاعها الى أعلى بين المدارين وحلول الرياح الآتية من المناطق المعتدلة والباردة أشبه بما في حركة الأحياء وحلولهم محل الأموات كما قدمناه . إن هذه هي المقدمات المعيشية للناس في الأرض فليس يكون الناس إلا حيث يكون هذا الهواء وهذا الماء والقاح الشجر والانسان هو الملك الذي توجه الله على ملك الأرض فلما أتم الكلام على نظام المعيشة والحياة وشرع يذكر حياة الانسان وموته التي هي نتيجة هذا كله بدأ يذكر الحياة والموت فقال - وأنا لنحن نحي ونميت - كما جعل في الرياح تيارات عليا فوق الرياح المنتظمة لأن هواءها أخف فكان أعلى . يقول الله إن حركات الأرواح في الحلول بأرضكم والارتحال عنها الى عالم أظف من عالمكم لا تخالف ما على أرضكم من الحركات فهو أرق يحمل السحب فيرفعها وقد كان ماؤها في أرضكم هكذا أنا أحييكم بقاءكم في أرضي وأميتكم بإخراجكم منها لتوسعوا الطريق الى من بعدكم وليطلع على خزائني أم كثيرة تأتي بكم وليس أحياءكم وأما أنتمكم بلا قانون مسنون بل لها طريق معلوم وإذا غاصتم ما سناها في الماء والهواء فاعلموا ما سناها في الحياة والموت فنحن نحي ونميت بقدر فاعلموا المستقدمين منكم وعلمنا المستأخرين كما علمنا ارتفاع السحب والرياح وقد رنا انخفاضها وانحطاطها في أوقات معينة ثم بعد ذلك نحشركم جميعا ههنا أن أن نشرح لكم الحياة الدنيا وأن نشرح لكم الحياة الأخرى بعد ما ينالها المعاش التي لا بد منها في حياتكم الدنيا

﴿ كيف كان خلقنا ﴾

وهنا أبتدى بذكر خلقكم وأشرح كيف خلقناكم لتبين الحياة ثم أشرح كيف تكون حياتكم بعد الموت على سبيل اللغو والنشر المرتب . أما حياتكم فاني أمثلها بما تصنعون . إنكم تصنعون من الطين أباريق وأواني مما نستعملونه لأموركم المعيشية فتبدون بتصوير الطين ثم تضعونه في النار فيحترق وذلك هو الفخار هكذا أنا صنعت الانسان . ذلك أني سويته من العناصر الأرضية التي يتغذى بها النبات ويفتدى بذلك الانسان ويصير في دم الحيض الذي يغذى الجنين ثم أنكم أنتم تأكلون الطعام المسكون من الطين فيضج الطعام من جملة جسمكم الانساني والماء معه . فالذي يقوم مقام الطين في صنع الفخار هنا شهوتكم المركبة فيكم فان هذه الشهوة بها جلبتم المواد النباتية التي تأكلونها وتصير من جملة أجسامكم بعد هضمها . إني جعلت الشهوة هي التي تقوم بعملية تصوير أجسامكم بعناية وحكمة دبرناها والذي يقوم مقام نار الفخار لاحتراقه هو ماركبت فيكم من قوة الغضب التي بها تحافظون على أجسامكم ومدنكم وقلاعكم وأعراضكم فلا تفتضحون

فهذه القوة الغضبية فيكم مقابلة للنار التي تحرق الفخار فيصير قويا اذا بقرتموه صوت . وهذه الحرارة اكسبته البقاء ولولاها لتكسر . هكذا قوة الغضب جعلتكم تدفعون بها عن أنفسكم مايؤذيها من السباع والأعداء وهكذا الحر والبرد بالاستدقاء فان المراد بهذه القوة المحافظة سواء أكان مع حدة أم لا والدليل على أن هذه القوة كالحرارة في الفخار انك ترى الرجل اذا غضب تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ويشور الدم ويحمر وجهه ويغلي ويفور كل مارطب من جسمه . فهذا دليل أن قوة الغضب نارية كما أن قوة الشهوة أرضية لأنها تميل الى الأرض والى التعاطي من أغذيتها ومائها . هذا قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون -

ولما كان هناك عالم ألطف من عالمنا وكان ذلك ﴿قسمين﴾ قسم وجد لا يذائنا وعدم طاعتنا وقسم خلق لمصلحتنا ونعمنا كما أن من النبات ما هو شوك يؤذينا ومن الحيوان حيات تميئنا وعقارب لا يذائنا وهكذا منها نخل وورد وغزال وبقير لمصلحتنا . هكذا كان في العالم الروحي من هو مؤذ لنا كما آذانا المكروبات من الحيوانات والآساد فوجد عالم الجن الذين هم أرواح إما مفارقة للأبدان الانسانية واما غيرها توسوس للناس وتغويهم كما ثبت في العلم العصري بأوروبا ونقلناه في كتاب ﴿الأرواح﴾ ووجد عالم الملائكة الذين هم نافعون لنا وحافظون لحياتنا . فعالم الجن مخلوق من النار الحارة الشديدة الحرارة قد عظمت فيه القوة الغضبية كما نرى الآساد في عالم الحيوان قويت فيها القوة الغضبية فلم تخضع للانسان . وهكذا نرى أشرار الناس لا يريدون إلا الأذى

﴿خطاب الله للملائكة والجن﴾

وهنا تجلى المقام في المحاورات الالهية بين الملائكة وربهم وبين الجن وخالقهم فقال الله للملائكة الأرضيين الذين هم قائمون بتدبير العالم الأرضي حيناً أراد خلق الانسان . أيها الملائكة هذه هي الأرض وهذه هي الحيوانات وهذه هي النباتات وهذا هو المطر والرياح والسحب . أفليس هذا النظام حسناً . بلى هو حسن ولكني أريد أن أجعل لهذا الملك العظيم من يقوم بنظامه ويتصرف في جميع مآترونها فاذا خلقته وسوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقدموا له كل منافع الأرض من ماء وحيوان ومن جميع المعاش التي قدّمنا ذكرها فامتثلت الملائكة وهاهم أولاء يقتسمون للانسان أنواع الحيوان والنبات والماء والهواء كل ذلك ينتفع به الانسان والملائكة هم القائمون بالتدبير إذ ليس يعقل أن هذا النظام المحكم يسير بحرارة عمياء ويرج أصم ومطر وسحاب لا يعقلان . كلا بل هناك عالم الملائكة والعقول العالمة المحكمة للعمل . فكما قام الملائكة بنظامنا قامت الحيوانات على الأرض بخدمتنا بل هي أنفسها من النظامات التي قامت بها الملائكة . فهذا هو سجود الملائكة للانسان فالسجود باق كما كان فهو في هذا الزمان وفي كل زمان بهذا المعنى . فأما الأرواح المسميات بالجن فانها لم ترتق عن درجة القوة الغضبية في الانسان فان غضب يحرك فينا عواطف الانتقام . أما العلماء منا فان نفوسهم نورانية يحبون نوع الانسان كله ويودّون سعادته فعمقوا لهم ملكية نورانية . فالشياطين طبائعهم نارية كطبائع الناس الذين لم يهذبوا والملائكة هم نفوس عالية طبائعهم كطبائع الأنبياء والحكماء في الأرض فيهتمون بمصلحة الناس - قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين - فترفع وتعظم أن يسجد لمن تخلق من طين وهو مخلوق من النار ونظيره ما يرى من الآساد والنور لا تليق قناتها ولا تخضع للانسان حتى يركبها ويذلها للحمل والركوب ونحوهما كما خضعت الابل والحير والبغال فالملائكة اذن كالأنبياء والعلماء والشياطين كأشرار الناس وكالآساد فترى الرجل الذي غلب عليه الحقد والغضب يهز عطفه اذا ذكرت له فضل العلماء وفضل أبويه مثلاً في حالة غضبه ولا يبالي بأحد مطيعاً للقوة الغضبية التي تحجبه عن المودة والمحبة . فذلك خاطب الله إبليس فأمره بالخروج ونظيره ما نفعل بالشوك فنخرجه من أرض العيران وما نفعله

بالآساد والنمور والذئاب والناس والحيات والعقارب فانه نجد في ابعادها عنا لأن طبيعتها الأذى وكما نجتهد في حبس الأشرار سفاكي الدماء . هكذا أخرج الله الأرواح التي غلب عليها الغضب عن مساعدتنا بل جعلها توسوس لنا وسوسة تريخ تلك لأرواح كما يستريح لعضوب بايذاء من غضب عليه كما هو مدون في كتاب ﴿الأرواح﴾ الذي ألقته وهذا قوله تعالى . اخرج منها فانك رجيم * وإن عليك اللعنة الى يوم الدين - وهذا لاشك فيه لأنه مدام الانسان على الأرض فلا بد من بقاء الأرواح الخبيثة التي لا تفتأ توسوس للناس كما لا بد من بقاء الناموس والحيات والعقارب . ولا يخلص الناس من الناموس والآساد وأمثالها إلا بحفظ مدنهم واتقاء الأخطار برفع القاذورات من دورهم وردم المستنقعات والبرك ووفور العمران . فهناك تمهاهم الآساد والنمور وغيرها وتموت الحشرات المؤذية

هكذا هنا متى طهر الناس أخلاقهم وتهذبوا ذهبت عنهم الرعونة الشيطانية وصارت قوتهم نورانية لا نارية شيطانية وهذا معنى قوله - أنظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم - فهذه المحاورة أشبه بحكاية حال هذا العالم الجنائي والروحاني والمادى والمعنوى ساقيا الله هذا ليعرف المسامحين كيف بدأ خلقهم وكون طبائعهم وجعلها بمثابة محاورة بينه وبين ملائكته ليقراها الجاهلون تعبهذا ويفهمها العلماء تفكيرا . فاذا حصل لهم فيها شك وريب عمدوا الى كتب الحكمة ففتحوها والى دروس الطبيعة فاستوعبوها والى علوم الانسان والحيوان فدرسوها والى علوم التشریح فاستوعبوها والى قصة الأرواح التي ظهرت في العالم اليوم فكشفوها

يا أيها المسامون هذا كلام ربكم . يا أيها المسبون هذا هو القرآن المنزل لتدروسه أما التلاوة البحتة فقد مضى وقتها فأما دراسة العلوم فهذا أوانها ولن تعرفوا أنفسكم وتنظموا مدنكم وتوقوا إيقان الحكماء بالحقائق إلا بأعمال هذه الدراسة . ثم انظر بعد ذلك في القسم الذي أقسم به إبليس إذ قال - فبعزتك لأغوينهم أجمعين - وعبر بالعزّة لأن العزّة هي الغلبة والشيطان لم يحظ من الحياة إلا بحب التسلط وقد حرم من النفع العام خلف بالعزّة الإلهية لما كان في نفسه هو من عزّة شيطانية وفرق بين العزتين كالفرق بين البقرة والفيل ولكن هكذا كان حلف بعزته ليغوين بنى آدم أجمعين إلا العباد المخلصين كما نرى الذباب والبراغيث وسائر الحشرات تتخطى الذين لظفوا أجسامهم ومدنهم ولا تؤذى إلا من أهملوا شؤونهم وكانوا كاسلين فأجابه الله - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الخ - لأن الشئ لا يأتي إلا لما يناسبه فالصالحون لا يؤثر فيهم الشيطان ولا يغوينهم لأنهم ليسوا من طباعه كما لا يقع الذباب إلا على الأعين القذرة الوسخة . وهيات هيات ان يقع على الأعين النظيفة لأنه لاغذاء لها فيها . هكذا الشيطان من شياطين الانس والجن لا يوحى بشراً إلا لمن يجد فيه قبولاً لشره وأنسا بقوله واستماعاً لنصحه . هنالك يكون لقوله سميعة ولنصحه مطيعا ولا امتثال أمره سريعا . هذه هي قصة الانسان من يوم أن يولد الى أن يموت وهذا ابضح لأحد شقى الآية السابقة وهي - وإنا لنحن نحيي ونميت - ولما فرغ من الكلام على حياة الانسان في الدنيا شرع يتكلم على حياته الأخرى فقال - وإن جهنم لموعدهم أجمعين الخ -

ههنا ذكر الجنة والنار ولم تخرج هذه الحياة عن التي قبلها إلا في ذهاب الأجسام الحالية . وبيانه أنك رأيت أن الناس على وجه الأرض مخلوقون من طين ومن نار وعرفت أن القوة الغضبية غلبت في الفجرة والجاهلين وهي من نوع النار وعلمت أن الله لا يجعل دنيا ولا آخرة إلا بنظام وحكمة فاذا أدخل قوما جهنم فلم يعدل بهم عن السنن المعهودة . إن طبائعهم لا تستحق إلا جهنم لأن أخلاقهم نارية غضبية فالشياطين خلقوا من النار كما نرى في أشرار العالم الانساني وجهالهم فلا حرم وضعوا في جهنم لما غلبت عليهم الطباع النارية ومن باب أولى اذا كانوا في طباع أخس منها بأن كانت طباعا شهوية

أما أولئك الذين دخلوا الجنة فهم إما طباعهم نورية وأما مصقولة بالأنوار والآداب التي عاينها لهم أصحاب الطباع النورية من الأنبياء والعلماء والحكماء والملائكة

﴿ بماذا وصف النار وبماذا وصف الجنة ﴾

وصف النار بأن أهلها سبع درجات في سبع طبقات كل قوم غلب عليهم نوع من الشهوات التسمة على الأعضاء الجسمية . أما أهل الجنة فانظر ماذا حصل نزع الله من قلوبهم الغل والحسد . ومعلوم أن الغل هو من طباع القوة الغضبية . فههنا نظف الله أهل الجنة من تلك القوة التي يكره بها الإنسان من عداه من الناس وهي طبع الشياطين وطبع أهل الشر من الإنسان . فإذا خلق الله الإنسان من نار وطين فإن العلوم والدين والتهذيب قد تصقله وتصفيه وتبعد عنه رجس الأخلاق الشيطانية الإبلسية التي نحن الآن بتعذيبها لنا في القضايا والمشا كل والعداوات فتكون اخوانا ولا تخرج من الجنة اه

فانظر كيف ابتدأ بذكر المعاش في الأرض وشرح الهواء والسحاب ثم قفى بذكر خلق الإنسان وما تلا ذلك من الشياطين والملائكة ثم أتى بالنهاية من حياته حتى انتهى إلى آخرها في جنة أنوار وهذه هي قصة العالم الذي نحن فيه باعتبار طبيعته ولم يبق شيء بعد ذلك . وإياك أن تظن أن هذا ينافي ظاهر الآية فإن هذا رأى الذين لا يعلمون . فإذا حدثت نفسك بهذا فقل إن علم البيان فيه الكناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي كقولك فلان طويل الذنجد أى علاقة السيف فهذه العبارة لم يقصد بها مجرد أن علاقة السيف طويلة بل القصد أنه هو طويل والمقصود هو الثاني مع صحة المعنى الأصلي . فهكذا هنا نقول محادثة الله مع الملائكة ومع إبليس تشير إلى المعنى الذي ذكرناه وهذا المعنى هو المقصود

فقل لمن يدعى عالما ومعرفة * عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

والى هنا انتهى تفسير القسم الأول وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في هذا القسم في قوله تعالى - والأرض مددناها - إلى قوله - ومن لستم له برازقين - ﴾
(عجائب مما رزقنا الله ولسنا له برازقين)

﴿ الأولى ﴾ جاء في الجرائد المصرية يوم الخميس (٢) أكتوبر سنة ١٩٢٤ م أنه

تقول إحدى جرائد غرب أفريقيا أنه بينما كان القارب البخارى (سجوف) ماخرا بجانب الساحل الأفريقي الغربي إذ وقف فجأة في فجر يوم فظن من فيه أن هذا شاطئ رملى خفى . وعند ما انبج الصباح عرفوا أنه قطيع كبير من الأسماك ومن كثرتة واجتماعه في مكان واحد لم يتمكن القارب من اختراق تلك الكتلة ثم تبين البحارة أن السمك الصغير كان يحيط به من كل جهة كثير من أفراس البحر التي كانت تعمل بسرعة متناهية في أكل تلك الكتلة

﴿ العجيبة الثانية . الفحم وعجائبه ﴾

إن الفحم الحجري يقطر ويستخرج منه غاز الاستسباح . ومعنى هذا أن الفحم يوضع في أفران ويوقد عليه ويخرج منه جسم هوائى لطيف دخانى وذلك الجسم الدخانى يجرى في أنابيب تمتد في المدن وتوقد بها المصابيح وذلك بأعمال وشروط خاصة لايسعها المقام وبتلك العمليات يخرج منه قطران بواسطة مرور ذلك الغاز على ماء في أوان مخصوصة في طريقه كما يمر دخان التبغ في الأعواد التي يشرب فيها الناس الدخان ثم تكون بعد ذلك بالتدريج غير القطران أنواع من الزيت الطيار ومن أنواع هذه الزيوت يستخرج أمور عجيبة مثل البنزين والانيلين وحض الفينيك والانتراسيين . ثم وصل ما استخرجه العلماء من ذلك القطران ونحوه من هذه المادة الفحمية ثمانية مادة ولكن أهمها البنزين والسيلين والنفثالين والفنيول والكريسول وهناك مواد أخرى من هذه الثمانية هي أساس الأصباغ أى أنواع النيلة وأيضا هي أساس جواهر أخرى مفيدة

للطب وللنجارة

فياعجباً كيف خزن الله الفحم الحجري في الأرض آلاف آلاف السنين ثم كيف أبرزه في هذه الأيام ثم كيف جعل منه نور بيوتنا بما يسمى الغاز الذي يجري في الأنابيب ويضيء الشوارع ومنه يكون حض الفينيك الذي يظهر الأمكنة وهو سم نافع قتال ومنه تكون الأصباغ وألوان الثياب المختلفة وأنواع الطب والتجارة . أليس هذا هو الخزن الذي خزنه الله

فيا سبحانك اللهم خزنت الفحم في الأرض دهوراً ودهوراً وأظهرته فأجريت به القاطرات وأثرت به البيوت والطرقات ونظفت به القاذورات وأجريت بالبزير من المجلات ولوتت به ثياب الغانيات وأفدت به في الطب صحة المخلوقات - فتبارك الله أحسن الخالقين - فهذا هو الخزن وهذه هي المخزونات

يا الله كما خزنت الفحم قروناً وقروناً وأفدت به الأمم اليوم عموماً . هكذا خزنت في القرآن خزائن وحفظتها للمسلمين في الأجيال المقبلة . وهانحن الآن يا الله نفتح خزائنك للمسلمين كما فتحت خزائن الأرض وأبرزت جواهرها للعالمين . واني لأرجو وأمل أن ينتفع المسلمون بخزائنك الأرضية متى عرفوا أنك منحتهم هذه العطية والمفاتيح في القرآن . وهاهذه نفتح بها ما انغلق على الأفهام وحرم منه قوم ظنوا الدين بريثاً من خزائنك بعيداً عن مجال بدائعك فخرموا من الثمرات . فلك الحمد على أن فتحت الخزائن اليوم وتشرق الأرض بنور ربها للمؤمنين وهاهذه كتاب الله نور للمؤمنين فهذا كتاب الله وهذه خزائنه فليفرح المسلمون فهذا أوان الانقلاب والأخذ بالأسباب فله الحمد في الآخرة والأولى والحمد لله رب العالمين ﴿ اللطيفة الثانية في الرياح وإلقاها ﴾

هذا أنقله من كتاب ﴿ الزهرة ﴾ الذي هو مقدمة كتاب ﴿ نظام العالم والاعم ﴾ تأليف منذ عشرين سنة تقريباً

جمال النبات وبهجته في الأزهار ونظامها

تأمل يا أخى معي . ولعلك قد رأيت الأمثلة الأخيرة التي شرحناها الآن في تركيب النبات وكيف وزنت بميزان منظم لا تغير له ولا تبدل وهكذا الجماد والأفلاك . وتأمل كيف ترى النظام بادياً على ظاهر الأوراق والأزهار في تركيبها وشكلها ولونها والحشرات الواردة عليها ونومها وبقظتها ولشرح لك ذلك كله في هذه الرسالة الصغيرة فنعجل لك الفائدة قبل قراءة الكتاب الكبير وننقل لك ما قاله العلامة (جون لوك) الانكليزي في هذا الموضوع لتقف على ما رآه الغربيون في الزهرة

يا صاحبي تقصصياً نظريكم كما * تريا وجوه الارض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمساً قد زانه * زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى اذا * حلت الربيع فانما هي منظر
أضحت تسوغ بطونها الظهورها * نورا تكاد له القلوب تنور

قال العلامة ما ملخصه ﴿ كان العلماء في غابر الأزمان يذكرون في رواياتهم أن الأرواح كانت تهدي الأزهار إلى من يحبهم أو تود مكافأتهم عطفا عليهم وتلطفا بهم وكان يظهر ذلك في بادئ النظر أنه بضاعة مزجاة لا قيمة لها وكيف تساوى هذه الزهرة الصغيرة الهدايا الثمينة والنحف الغالية ولسكنها عند أولى الأبواب قد جمعت حسنا وبهاء من جمال الطبيعة يؤدي إلى النفوس سعادة وإلى النلوب مسرة وإلى العيون بهجة وإلى الصدور انشراحا وإلى الأوتدة انعطافا تفوق السعادة بها والتأمل في جمالها سعادتنا بالذهب والفضة والأحجار النفيسة واللؤلؤ والمرجان

يقول كاتب هذه الرسالة وقد لمح تلك المعاني من خلال سطور الكائنات وملاح جمال المناظر الشيخ

صلى الدين الحلى * فقال

ورد الربيع فرحبا بوروده * وبنور بهجته ونور وروده
فصل اذا اقتصر الزمان فانه * انسان مقلته وبيت قصيده
يا حبذا أزهاره وثماره * ونبات ناجه وحب حصيده
فالورد في أعلى الغصون كأنه * ملك تحف به سرة جنوده
وانظر انرجسه الحلى كأنه * طرف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد في السماء ما تما * والأرض في عرس الزمان وعيده

وانرجع الى كلام العلامة (جون ليك) قال فما ألد أوقات نصرتها في انقاوت والخلوات وتأمل جمال الطبيعة والذهب المنبعث من ضياء الشمس يكسو وجه الطبيعة حلة ذهبية تسمى الناظرين . وليس هذا نهاية ما ترناح له النفوس من الأزهار فهناك عقول ارتقت عرش العلم وليست تاج الأدب واستوت على ملك المعارف وتطاعت من شرفات الحكمة فنظرت في بساينها أزهار جلالها فأخذت تتأمل فيما وراء ذلك من أشكال وألوان وصور حتى وقفت على أسرارها . ولعمري اننا اذا أدركنا سر الزهرات الصغيرة دخلنا منها الى معرفه كثير من أسرار الكائنات . إن الوقوف على أسرار الطبيعة لا يناله إلا الذين صرفوا أوقاتهم في تحصيله مع الصبر والعناية الثامة والاحترام والمداومة أمد العمر . ومع ذلك فكل هذا لا يغني شيئا ولو وهبنا مواهب قدسية وعقولا سامية كما وهب (أرسططاليس) و (أفلاطون) إلا اذا وقفنا على كلام الأوائل وحادثنا التاريخ وتاجينا ما وعته الدفاتر وقابلنا الرجال فهناك نال من هذه العلوم حظا وافرا فان الانسان وحده لا يستطيع أن يصل الى ما يريد إلا بمشاركة غيره من أبناء جنسه اه

﴿ لطيفة ﴾

جلست أنا وصديق لى وأخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وكنا إذ ذاك نطل على أزهار باسمه فاصغ اليها لتقف على جمال الأزهار ومحاسنها ونعم سيدى كيف حسن وضع تلك الصور الجيلة وانتظم شملها ووزنت بميزان الحكمة والاعتدال لتفهم قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وكيف وزن في فروعه وأغصانه وأوراقه وأزهاره كما وزن في تركيب أجزائه فيما ذكرناه وهذا ملخص من كلام السر (جون ليك) وضعناه لك بلسان عربى مبين لتقف منه على ما تريد في كتابنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ قال صديق وزمى له بحرف (أ) وأنا (ب)

(أ) صديقى انظر الى شجر السنط والغار والصنوبر والصفصاف لم جردت أزهارها عن الزينة والجمال وجلت أزهار الأشجار المتوسطة حسن منظرها وتأنج ريحها وابتسمت أغورها واحتوت عسلا صافيا في أسافلها فنقات منه الحشرات فهل تعلم لذلك من حكمة

(ب) سيدى قد جعل الله الأشجار الكبيرة لاحتياج الى الرائحة الأريجة ولاجمال الهيئة ولا العسل بل هي غنية عن هذا كله أما غيرها من الأشجار فانها تحتاج لذلك بل لاهياة لها إلا بعسلها وجمالها ورائحتها ولولا هذه المزايا الجيلة لانمحت من صحيفة الوجود كما ينمحي وجود النوع الانسانى بانقراض سنة التناسل بينهم (أ) أرجو ايضاح هذا المقام فان هذا القول غامض على . وكيف يكون جمال صورة الزهرة سببا

لبقاء النبات

(ب) اعلم أن الزهور على اختلاف أجناسها وتباين أشكالها وتنوع أصنافها يحتاج بعضها الى بعض فنها ما خلق الله فيها النطلع ومنها ما يقبله . وكما أن النخل فيه ذكور وإناث وطلع الأول يلقيح الثانى فمكثدا جميع الأشجار ذكرانها تلقح إناثها فتل الورود والرماني تلقيح بواسطة الحشرات والحشرات لن تعيب أجسامها

وتطير في الهواء بلاداع يدعوها الى ذلك . وهل من باعث أقوى من العسل الذى تشربه من أسفل الزهرة والرائحة التى تدلها عليها وقت العسل وجمال اللون وبهجة التى تهيمها في أوقات الضياء والنور . أسأل الأشجار الكبرى كأنصوبر والغار فانها اكتفت بتدبير آخر وهي الرياح التى سخرت تحمل اللقاح من ذكرها لانثاها وقد دبر الله ذلك اللقاح فجعله كثيرا جدا حتى اذا حملته الرياح وتبعثر منه أهم أجزاءه فما بقى كفى انثا الأزهار من ذلك النوع . واذا كان بعض الزهر فيما لا يحتاج الى الريح قد تخرج الواحدة منه مابين ثلاثة وأربعة ملايين خردلة من اللقاح فما بالك بما يحتاج للريح فلا بد أن يكون أضعاف هذا بما لا يتناهى وبهذا التدبير فى الأولى والآخرة تخرج الأثمار والحبوب ويخلق شجر آخر وقد شوهد فى بلاد (اسكتلنده) غبار من طلع بعض الأشجار يمر في الهواء كأنه سحب تزجها الرياح ثم يؤلف بينها ثم تصير كلما يراها الناس بأعينهم تلقح انثا تلك الأشجار كما ينزل المطر على الأرض فتحيا بعد موتها مصداقا لقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين -

ومن معاني هذه المادة الجملى فهامى الرياح تحمل الماء واللقاح والأصوات لتصل الأرض والأزهار والآذان وهذا كله يجري ونحن ساهون لاهون والقوم فى بلادهم تبرز معانى كتابنا المقدس على أيديهم ونحن غافلون ومدير الكائنات من فوقنا يلقح أشجارنا ويحكم أمرها ولا يدخل لنا ولا حول ولا قوة - آمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أليه مع الله بل هم قوم يعدلون -

(أ) ها أنت أفهمتى ظاهرة إلقاح الرياح للأزهار ولكنى لا أعلم كيف تحمل الحشرات اللقاح وهل تقصد ذلك وهل عندها علم وإدراك حتى تنفذ أثمان العسل والتمتع بالأزهار بأن تنقل الطلع من شجرة الى أخرى (ب) اعلم ياسيدى أن الزهرة مركبة من أوراق خضرة تغلفها من الظاهر ويسمى بها عشاء النبات بالكاس داخلها أخرى ملونة بالألوان الجيلة يسمونها (التويج) تصغير ناج تشبها لها بتيجان الملوك المرسعة بالجواهر الثمينة . وقد علمت بما ذكرناه أنفا أنها أرفع قيمة عند الحكماء وفى داخلها سوق تحمل الطلع فى حصن حصين بما أطاها من تلك الأوراق وفى أسافلها عسل فتدعى الحشرات تلك الألوان الجيلة فتسرع طيراتها اليها لئلا أوتشم رائحتها فى الظلام فتشرب العسل فتأمن ظهورها ذلك الطلع فيرش عليها كالدهيق فتسدهب الى الزهرة الأخرى من ذلك النوع فيحصل تلقيحها ولا علم لازهرة بذلك ولا للحيمة وإنما كانت تسمى لمنفعة أنفسها وإنما ذلك تدبيره تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وهذا قد كنا أوضحناه فى كتابنا (جواهر العلوم) ولكن الأمر المدهش هنا تركيب الزهرات لمناسبة الإلقاح وترتيبها وترتيبها حتى قيل ان الأزهار مدينة للحشرات فى جمالها وعسلها . فلعمرك لولا طواف الحشرات عابها ما منحتها يد القدرة الإلهية ذلك الجمال - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وما الحشرات إلا كنواطير البستان (بستانيين) فان ناطور البستان يختار من أجل الأشكال وأحسنها ليندفع فى اقتانها ويزيد فى تنظيمها وجمالها فكذلك هذه الحشرات بطوافها على هذه الأشجار زينت بتلك الزينة تشويقا لها لكن الناطور يختار بتمييزه وهذه بعناية الحكمة الإلهية . وأعجب من هذا تدبير أشكال الأزهار على وفق هذا الإلقاح

(أ) وكيف ذلك

(ب) تعلم أن أوراق (التويج) قد تنظم فتصير كأنها أنبوبة فى داخلها تلك الأعشاء التى ذكرناها آنفا وقد يشاهد فى بعض الزهر أنابيب حولها شعرات قريبات من العسل فى أسفل الزهرة على جوانبها من الداخل وتلك الأنبوبة مستطيلة ضيقة وما ذلك إلا لتبذل كل حشرة من الفراش تريد الدخول وذلك أن ضيق الأنبوبة و بروز تلك الشعرات كافيان فى منع الحشرات من ذلك ماعدا النحل فانها أعطيت قوة بها

تقتحم تلك الأنبوبة ولا نبالي بأسنة الورير . وماعدا النحل من الحشرات فلا قدرة له على حمل الطلع في ذلك النبات فلهذا منع من الدخول فالحكيم الإلهية قضت أن النعم بالغرم وإذا كان ماعدا النحل عاجزا عن حمل الطلع في شجر مخصوص فمنعه أمر محتوم

أوما ترى الأزهار ما من زهرة * إلا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها * تلقى فنون الشجور في أسلوها
تشدو وتهتز لفصوص كأنها * حركاتها وزن على تطريبها

وقال القاضي أبو الحسن بن زبناج

أبدت لنا الأيام زهرة طيبها * وتسربت بنضيرها وقشيبها
واهتر عطف الأرض بعد خشوعها * وبدت بها النعماء بعد شجوبها
وظلمت في عنقوان شبيبها * من بعد ما بلغت عتق مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم * فبصكت لها بعيونها وقلوبها
فحسبت للأزهار كيف أضاحكت * بكائها وتبشرت بتطوبها
وتسربت حللا تجر ذيلها * من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزن في انجاده * وأجاد حر الشمس في ترتيبها

﴿ السكلام على الزهر ذي الأقفل والمفاتيح والزهر ذي الحراس والزهر ذي الجند ﴾

(والزهر ذي السياسة الحقيقية والوهمية)

﴿ الزهر ذو المفاتيح والأقفل وذو الحراس ﴾

(١) بلغنى أن في بلاد أوروبا زهرا له مفاتيح وآخر له حراس فهل لذلك من حقيقة

(ب) هناك زهر يسمى (سانس) وآخر يقال له زهر الأشراف والنساء فالأول ذو المفاتيح والثاني ذو الحراس الأول وضع الله فيه على فم الأنبوبة المسكونة من أوراق (التويج) ساقا معرضا على فمها كأنه مغلاق لذلك الباب فأى حشرة تريد الدخول عجزت عن ذلك فإذا جاء صاحب الأمانة ألا وهو النحل أزال ذلك الساق من مكانه ودخل فشرب . وفي أثناء دخوله يكون هناك ساق آخر يحكم الوضع على ظهره يحمل الطلع فينزل عليه منه مقدار فيحمله الى زهرة أخرى . فتأمل سيدى كيف جعل أحد الساقين قفلا لباب الزهرة والآخر كأنه يد ملأى بدقيق الطلع فتضعه على ظهر النحلة والأمر الأعجب من هذا أن هذه النحلة حينها إذا ذهبت الى الزهرة الانى رأيت أسراجيها . رأيت الأوراق العليا منها مرتفعة هي وعضو التأنث حتى أن تلك النحلة إذا دخلت تشرب العسل لم يتيسر لها مس عضو التأنث لارتفاعه جدا فانظر ماذا حصل . وضع في نهاية عضو التأنث ذراع طويل الى أن يلامس النحلة فيمسح ظهرها ويأخذ الطلع الذى التقطته . فتبارك الله أحسن الخالقين . وفي الأرض آيات للموقنين . أليس هذا مصداقا لقوله تعالى . ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين . كأن وجود الزوجين من النبات داع حيث لتأمل في هذا العالم كأنه يقول هذا أمر خفى فتذكروا وجئوا فيه ومتى عرفتموه قرئتم من الله تعالى وهذا بعينه ما صرح به العلامة (جون ليك) الانكليزى ﴿ أن من وقف على أسرار الأزهار أمكنه أن يفتح كنوزا من الأسرار الخفية ﴾ فتأمل وانظر كيف جد القوم في فتح كنوز مقلدة في القرآن ونحن عنها غافلون واقد صرح به القرآن في آية أخرى . والأرض مددناها وأقمنا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لعلكم تتقون . فانظر كيف ذكر الأزواج في انبات وقال إنه تبصرة وذكرى ولكن يا للأسف اننا تركنا التبصريفه ونفى لى غاية العجب من هذا السر الخفى كيف يذكر في القرآن وكيف يبحث

عنه عاء الغرب وكيف يقول عالمهم إن هذا سر به تفتح أسرار الطبيعة . ألا فليتنامل مع أهل العقل والعلم وليتفكروا وليستظروا فإني أقول هذا وأنا محترق الفؤاد على ضياع العلم من بلادنا ورضنا بالقشور ونبتدئ الب - إنا لله وإنا إليه راجعون -

﴿ الزهر ذو الخارس ﴾

(أ) عرفت الزهر ذا المفاتيح والأفمان فما زهرة الخفراء
(ب) هذه الزهرة موضوعة على هيئة قارورة يحمل فيها شعرات وافقات فتأتي الحشرات الصغار إليها من الذباب والفراش الجاهلات لتقيها الحر والبرد ولا يدخلها النحل لعلمه بما فيها من الخطر فإذا دخل الذباب وقفت لها تلك الشعرات بالباب ومنعتها الخروج فأخذت تثب وتسقط في وسط الزهرة وهناك الأعضاء الملقحة الذكور وتحبها الملقحة الاناث . وقد أُنعت الأولى وحان قطافها ولم يأن للثانية أن تلقح . فإذا اضطرب ذلك الذباب سقط الغبار الذي في أعضاء التذكير على ظهوره وفي الوقت عينه تذب تلك الشعرات الخافرات على فم الزهرة فيخرج الذباب آمناً في سربه طائراً في الهواء ذاهباً إلى زهرة أخرى قد فعل بها مثل هذا فيدخلها للاحتماء بها فيقع الطلع على الانثى ويخرج آمناً مطمئناً . أليس هذا مما صدق عليه قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر - وقوله - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تلتقون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون -

هذا وبعض الزهر تفتح النحل بأرجلها فتشرب العسل ثم يقفل على الطلع ليحفظ حتى تأتي نحلة أخرى والزهر ذو الخارس يسمى زهر الأشراف

﴿ عجيبية عن الحشرات والنحل وانها كاللدول في السياسة ﴾

جعل الله تعالى في الأزهار سياسة تضارع سياسة الأمم باهرام ضعفاء العتول لتنال غرضها منهم لقصر أنظارهم . فهكذا زهرة الأشراف قد خدعت الذباب بجعله يدخل فيها احتماً بها فلقى منها ملقى مجيراً عامراً وكما أن النحل ذو ذكاء فلا يتجده خادع . فهكذا لا تراه يحوم نحو تلك الزهرة الجوفاء الخاوية بل تراه يحوم أنى يجد العسل ولم تبخل يد العناية الإلهية أن تزوده العسل وتطعمه الشهد استحقاقاً وعدلاً - ويؤت كل ذي فضل فضله -

أما الذباب فترى العناية الإلهية قد دبرت له ما يناسب جهله حتى انك ترى بعض الأزهار يحمل أنابيب قد توجت برؤس كتطرات من العسل في شكلها ولونها فإذا أسرع إليها الحشرات لن تجدها شيئاً وسجات الطلع ولم تل ثمناً فأشبهت الأمم الجاهلة المغرورة بمجرد القول دون الفعل فانظر كيف حوت الزهرة بحيل علم السياسة وكيف ينطبق عاينها قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكري لسكل عبد منيب -

﴿ الزهر المنظم كالجنود ﴾

(أ) قد سمعت أن في بلاد أوروبا زهراً له ثلاث صفوف تقف بانتظام على ثلاثة أيام كل صف في يوم فهل عندك علم بذلك

(ب) اعلم أن هناك زهراً أصفر ذا ثلاث صفوف كل صف خمس زهرات فترى أول صف فيها يظهر مساء مظهرها جمال صفوته في غسق الليل لتأتي الحشرات إليه سراعا وترى رائحته تتأرجح فتأخذ الحشرات منها حظها فإذا انقلب عمود الصباح وأضاءت الشمس رأيته ذبلت وأصبحت هشماً كأن لم تكن بالأمس يظنها من رأيها أنها أي الشجرة قد أدبر مشابهاً وأقبل هرمها . فإذا كان مساء اليوم الثاني رأيت الخمس الآخر التي كانت

مغمضة الأجفان قداسية فقلت من نومها وبعثت من مسردها وقامت بالمظهر الذي فعلته سابقا ورجعت الشجرة كالعروس تجلي في الطامة حتى تترود الحشرات من طلوعها كما كانت في اليوم الأول . فإذا جاء صباح اليوم الثالث ذبلت . وفي المساء الثالث تظهر الاناث منتظرة الحشرات محضرة لها الطلح من زهر آخر كما فعلته من ذكر هذه الشجرة في اليومين السابقين وهذا من فوائد تلقيح الحشرات بحيث ان الانثى من زهرة تفتح من ذكر الأخرى وبالعكس

﴿ زهر عجيب يحكم الترتيب ﴾

(أ) من الورد نوع يشاهد الناس في زهره أنابيب التدكير مستطيلة تساوي أوراق الزهرة في الطول وأنابيب التأنيث تصل الى نصف تلك المسافة وأزهار أخرى من ذلك النوع بالعكس . فترى أنابيب التأنيث تستطيل الى أطراف أوراق الزهرة وأعضاء التدكير على النصف من ذلك . ولو نظرنا مائة شجرة من هذا النوع لوجدنا النوعين من ذلك الزهر متساويين بحيث تكون ذات الاناث الطويلة تساوي في العدد ذات الذكور الطويلة فهل تعرف سيدي هذا

(ب) إن هذا الزهر وضع مناسباً للنحل وذلك أن النحلة اذا مدت خرطومها الطويل وصل الى أسفلها لشرب العسل ولا تمس عضو التدكير الطويل فعمل منه طلعاً فإذا راح الى ذات عضو التدكير القسير أخذت الانثى المستطيلة ذلك الطلع ثم رور الخراطوم بحذائها لمساواتها الأوراق وهكذا في الأعضاء القصيرة فيأخذ النحل بخرطومه من كل عضو الى ما يناسبه في الزهرتين . فتأمل كيف تساوى عدد النوعين من هذا الزهر وتجب كيف كان طولها واحداً في جميع الأزهار إما للانصاف أو النهاية وكيف كان خرطوم النحلة اذا لامس عضواً في زهرة يلامس نظيره في الأخرى بحيث لا يختل شعيرة في مقدار طولهما . ولعمري لو سئلت هذه الزهرة لقرأت بلسان الحال - إنا كل شئ خلقناه بقدر - لو سئلت تلك النحلة لقرأت - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وبعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - ولقرأت - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم مافرتنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون - إذ أنه تعالى وضع مقادار لكل شئ في أم الكتاب عنده فلا يضيع حشرة ولا دابة ولا حيواناً صغيراً ولا نبأاً حقيراً ولا زهرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين

﴿ نوم الزهر ﴾

(أ) رأيت في بعض الكتب أن الزهر ينام فهل لهذا حقيقة وإذا صح فلم ينام . النوم في الحيوان سببه معروف وليت شعري ما سبب نوم النبات . يجد الحيوان في قوته ويتعب في تحصيله فإذا جن الليل خارت قواه فتعب فنام . أما النبات فما سبب نومه وبعض النبات لا ينام أبداً وآخر ينام صباحاً ويستيقظ مساءً وآخر بالعكس ومن الأول ما يستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً أو الساعة أو الثامنة أو التاسعة أو العاشرة ثم تغمض أجفانها بعد الظهر في أوقات مختلفة إما في الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة وهكذا . ما الحكمة في ذلك

(ب) يختلف نوم الزهر وانطبق أوراق الزهرات باختلاف الحشرات التي تأكل منها فالنحل يستأد اليقظة نهارة فترى الأزهار التي خصصت له تفتح عيونها نهارة حتى يشرب منها العسل وفقاً بالفر يقين ومنفعة لعلنا نقتين أما الأزهار المخصصة للحشرات الأخرى فلا تفتح أوراق أزهارها غالباً إلا مساءً في الغلس إذ لتلك الحشرات غدوات وروحاً في ذلك الحين فلا جرم تفتح لها . واهم مترك للعكس الأمر فافتتح النهارى الصباحى بالمساء والمساءى بالصباح لسرق العسل فأخذ ما لا يبذل له ثمناً ممن يخصص لذلك العمل ويعتدى كل فريق على ماله الآخر فيتضرر الحيوان ولا يلقح النبات فتمت الحكمة . ففاتيح هذه الأزهار بيد القدرة الإلهية تفتحها وتغلقها

لادخل للشمس ولا للقمر فيها والا فَمَاذَا تنام الزهرة المسماة ﴿حنا ذهب لينام﴾ في وقت الهجيرة حتى إن أولاد الفلاحين في أوروبا يعرفون مواعيد المذاة بنومها فلو كان للشمس دخل في تفتيح الأزهار لكان أولى الأوقات بانفتاحها وقت الظهيرة والحشرات تختلف أوقات قيامها لطلب معاشها في ساعات انهار فكل زهرة تفتح في الوقت المعين لحشرات التي خصصت لها بالحكمة الإلهية - ذلك تقدير العزيز العليم - وكأن الشاعر العربي الأندلسي نظر لهذا المعنى فقال

وعلى سماء الياسمين كواكب * أبدت ذكاء العجز عن تغيبها

زهرة توقد ليها ونهارها * وتغوت شأو خسوفها وغروبها

(ذكاء) الشمس وهذا باعتبار المجموع لا الجميع

(!) من الأزهار ما هو أحر وأصفر وأبيض وأزرق . فهل لهذا من حكمة . وبعضها دور يح طيبة دائما والآخر لا تذكو رائحته إلا وقت المساء

ينسب إلى عترة العنبر هذه الأبيات من زهرية له

زار الربيع رباضنا وزها بها * فنباتها حطيت بأنواع الحلى

يزهو بأجر كالعتيق وأصفر * كالزعران وأبيض كالسنجل

وبنفسج يزهو إذا عاينته * آثار نقش في ذراع ممثلي

(ب) إن الزهرات الحرة والزرق خصصت غالبا بالنحل وهو مغرم بهذين اللونين عاشق لهما فكانا داعيين إلى الافتتان بهما . ولا جرم أن في الأحمر والأزرق من الجمال ما ليس في الأبيض والأصفر . أما الآخران فانما يكونان في الأزهار التي تمتص منها بقية الحشرات غالبا وقدّمنا أن الحشرات أغلب ما يكون خروجها مساء - صنع الله الذي أتقن كل شيء - ولا ريب أن اللون الأبيض والأصفر يناسبان وقت العنبر إذ نجلى فيه الصفرة والبياض . أما الحرة والزرق فسلطانهما إنما يكون بالنهار فاقتضت حكمته جلّ جلاله أن يتناسب الزهر واللون والحشرات في الصباح والمساء ويتجلى البياض مساء والحرة والزرق نهرا وهكذا تلك الزهرات الصفرة والبيضاء تذكو رائحتها مساء لتهدى إليها حشراتهما وتساعد الرائحة اللون على جذبها ولو أبدل البياض بالخرقة تعرفها الحشرة أولم تذكر الرائحة لضعف الداعي

تأمن في رياض الأرض وانظر * إلى آثار ما صنع للمليك

عيون من الجين شاخصات * على ورق كما الذهب السديك

على قضب الزبرجد شاهيدات * بأن الله ليس له شريك

﴿ نهاية ﴾

نقل السر (جون لبيك) عن (أرسطاطاليس) اليوناني أنه شاهد أن النحلة تذهب من زهرة إلى أخرى من نفس ذلك النوع وقال أنها منفعة للفريقين النبات والنحل . أما النبات فإن الطالع الذي من الله كرم لا يضيع بسقوطه على زهرة من نوع آخر . وأما منفعة للنحلة فانها تعرف طريقها ولا تغيره ولا تضع الزمن في أخذ دروس جديدة عن كل زهرة وتجارب حتى تضع قوتها ويذهب زمانها سدى وهذا بعينه ما قاله تعالى - وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لآلئهم يفكرون - فقوله - سبل ربك ذللا - أي إن طرق ربك في الأزهار مسهلة لك من الله لا تلتبس عليك لأنها في نوع واحد من الأشجار التي أرادت في الزمان المخصص لها والله أعلم وإن لموقن أن هذا هو عين التوحيد . وكيف يقول الله تعالى - وأبنتنا فيها من كل شيء موزون -

وترى جاهلا يقول هذا خارج عن الدين مع انه لا يقين ولا ايمان إلا بعرفة هذه البدائع وهذا سر تأخر المسلمين اليوم عن مصاف الأمم . وعندى أنه يجب على علماء الاسلام قاطبة أن يتعلموا ويعلموا هذه المعارف التي أجلها علم الكيمياء والطبيعة التي هي سر التوحيد . وباليات شعري كيف انعكست الأحوال وأصبح ماهو أصل الدين خارجا عنه حتى ظن المسلمون أنها خاصة بالافرنج . وفي كتابنا هذا وكتبنا السالفة ما فيه غنى للذكياء فمن أرادها للعلم فيها ونعمت ومن أرادها لليقين فهو أفضل . ولقد أطلنا في الزهر وعجائبه وغرائبه ووضعناه في قسم النبات تجيلا للفائدة واحضارا للسرة في الأذهان . انتهى ما خصنا من كتاب « الزهرة » الذي هو مقدمة كتابي « نظام العالم والأمم »

﴿ فائدة في الحلم ﴾

اننى في هذه الليلة ليلة الأحد التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ بينما أنا أكتب في هذه العجائب بعد العشاء إذ أخذتني سنة من النوم فاستغرقت حالا وأنا غير متأهب للنوم ولا متدبر . ومن عادة النوم إذا فاجأتني على تلك الحال أن يصيبني فيه برد وأكثر ما يصيبني المرض من أجل ذلك . فأنظر ماذا حصل . شعرت في النوم كأنى سائر في الطريق ناحية (الجمالية) بمصر وعلى ثياب نظيفة بيضاء وفوقها سر بال بنى اللون مخلوق تستبين منه الثياب وصرت أشعر في الطريق بأمرين معا البرد الشديد والعار من كون الثياب غير لائقة وقد وقع في نفسى أنى سأقابل صديقا في محطة القاهرة وأنه سيلاقينى بهذه الثياب التي لا تليق . فهذه ثلاثة أشياء برد وخجل من الناس وخجل ممن سأقبله وفوق ذلك ندم على أنى تركت عبا عتي . فهذه الأربعة اجتمعت في نفسى . ولما لم أستيقظ مع هذا كله جاء كاب أسود سريعا ابقدم على عض رجلى . هنالك استيقظت وعلمت أن ذلك للمحافظة على صحتي فتدبرت حالا وصليت العشاء ونمت هادئا

لعلك تقول وائى علاقة لهذا بالزهرات في الشجرات ولم تكتب جاملا لا تفسير له . أقول إن هذه الأحلام التي في الحقيقة أضغاث لا تأويل لها قد أعطتني درسا أرقى من الدرس الذى كتبته الليلة في الزهر والاقاح وأرقى جدا

- (١) أن هناك تديرا تاما لحفظ أجسامنا
- (٢) أن قوى العاقلة نائمة فن ذا الذى دبر هذا كله حتى أيقظني
- (٣) ان هذا العمل ناتج من قوة عاقلة
- (٤) لنقل أن البرد الذى فى المنام هو الذى أحس به فى الذى أحضر لى الملابس المخلوكة لتحدث عندي خجلا لاستيقظ

- (٥) ومن ذا الذى وضع فى نفسى أنى سأقابل صاحبا أخجل أمامه ثيابى الزنة
- (٦) ومن ذا الذى أحضر صورة كب ليكون أدعى الى استيقاظى خوفا من نجاسته ومن عضه
- (٧) ولذا كنا نرى فى مسائل الزهر المتقدمة أن الباب يضغط عليه البرد فيفر داخل إلى الزهرة المخوفة وهناك يضطر لحركات توجب عملا نافعا للاقاح . أفليس ما هنا دق وأحسن صنعا وأن الحية هنا أتم لأمرها مركبة من أعمال خيالية أثرت فى النفس فأيقظت الجسم . إن هذه أضغاث أحلام ولكنها أعمال معقولة منظومة كما قال تعالى - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقوله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - وما يدرينا أن تكون هذه الأضغاث قد أقيمت الى لأضعها هنا وأقارن فيما بينها وبين الخيل الجيمية المختلفة فى عالم الزهر والقاحه لتكون بابا لاستخراج أهل العلم ما فى نفوسهم من الكنوز التي تمر عليهم وهم عنها غافلون . وكأن الله بهذه يقول لنا أنتم نظرتم فى النبات والزهر - وفى أنفسكم أفلا تبصرون - ويقول الله لنا كيف غفلتم عما فيكم من العجائب وأنتم أرقى من الزهر والنبات ويقول لنا لما عدناك فى حال

نومك بالبرد والحزى من الفضيحة الحالية والمستقبلية وبارسال كلب عقور عليك وبذلك على أنك لم تلبس عباءتك . لم يكن ذلك التعذيب منا غضبا حقيقيا وإنما هو رجة . هو في ظاهره عذاب وفي باطنه رجة هو في ظاهره أننا سلطنا عليك كلابنا وأذيناك بالبرد وأعريناك وأخزيناك . وفي الباطن أيها العبد أرحنا عنك أسباب المرض ببقظتك وراحة بدنك وصحتك لتتوفر على هذا التفسير الذي أردنا أن يخرج عني يدك لعبادنا كما أريناك في المنام منذ عشرات السنين وأخبرناك به وأعلمناك أنه سيكون للسامين شأن بعد ظهوره فهنا نحن أيقظناك وساعدناك فهذه عذاب . كلاب هو نعمة . وإذا فهمت هذا أيها العبد فقل لعبادي كل عذاب أنزلته بكم في الأرض فهو كهذا بك الذي رأيته فأنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم وما أله إلا على هذا النحو . فما نرى ولا يلاى أبني آدم إلا لاسعدهم وراحتهم . وحاشا أن أفعل غير ذلك إن رحتي سبقت غضبي وانظر قولي - فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب - نعم إن هذا سيشكل عليكم في مسألة عذاب الكفار ولكن في عذابهم سر لا تعرفونه إلا بعد ارتقاء نفوسكم وهناك تفهمون

هذا هو الذي خطر بالنفس بعد هذا الحلم ككتبته تذكرة للأخوان ليغاموا أن الله معهم وأنه مع كل نفس ولكن أكثر الناس لا يلاحظون مثل هذا . وفي نفس كل امرئ من العجائب التي تمر عليه وهو يزدريها أضعاف أضعاف ما يتصوره في الكتب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . انتهى
﴿ جوهره في قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - مع قوله - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين الخ - ﴾

إن من أعز النعم وأشرف المزايا وأسعد الأحوال أن يقف الإنسان على الحقائق وتصل العلوم وتتحد ويعملها ناموس واحد . هذا هو نهاية مقاصد هذا النوع الانساني . إن شعور النفس بالحقائق الثابتة ابتهاج لها وسعادة قصوى . أنا أكتب هذا وفي النفس من البهجة والجمال والسرور ما لا حد له . أنا لا أقدر أن أصف سروري وبهجتي حينما أردت أن أكتب هذا الموضوع . ألا حيا الله العلم والحكمة . وإني أسأل الله عز وجل أن يجعل اشراق العلم علما في الأمم الاسلامية حتى يتبوء مقاعدهم في الحياة الدنيا بين الأمم وفي العالم الباقي بعد مبارحة هذه الدار

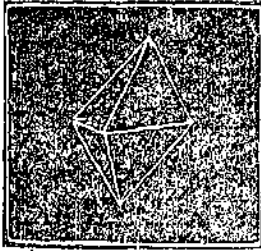
هأنذا الآن أدخل في موضوع الآيتين ولكن علام أنكم ومن أي علم أقتبس . أما الذي وقر في نفسي اليلة فهو عجائب السوائل التي تتكون وعجائب الجوامد التي تكون بهيئة بلورات منتظمة وذلك أن بعض المواد اذا ذوبت ثم أعيدت جوامد تأخذ هيئات هندسية منتظمة قانونية وهذا العمل في عرف علماء الطبيعة يسمى (تبلورا) فهذه كلمات اصطلاحية . ومثاله ما تقدم في أشكال الثلج المسدسة المذكورة في سورة الرعد وهناك أشكال أخرى في سورة (آل عمران) ولكن الأولى أجل وأوضح شرحا وبيانا . ولا ذكر لك منها مسائل فأقول

(١) مثال السائل المذكور اذا مزجت ماء بالكحول وألقيت في هذا المزيج نقطة من الزيت فانها تثبت في وسطه وتصبح هيئة شكل كروي وهكذا كل سائل ترك وشأنه يكون على هيئة كروية كقطرات الندى والمطر والزئبق . وذلك بسبب جاذبية الملاصقة وجاذبية الملاصقة خاصة بالمادة التي من نوع واحد كالماء والكرزيت وهكذا جاذبية الأرض لا تؤثر بل المؤثر فيها دقائقها مع بعضها فتصير كروية

(٢) ان كل نوع من المادة له بلورات ذات شكل وزوايا خاصة . فن المواد ما بلوراته دقيقة إبرية وزواياه صغيرة وبعض آخر بلوراته مكعبة وهكذا . ومن أذاب أجساما مختلفة في إناء واحد ثم جدد وبحث فيها أمكنه تمييز بعضها من بعض بأشكالها بل يعرف ذلك وإن لم يعرفها حين اذابتها إلا أن هذه الاشكال متقنة

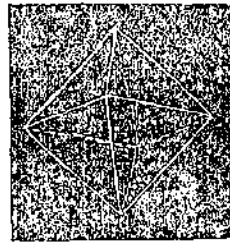
الصنع بديعة النظام . جميلة الهيئة . حسنة الوضع . يحار فيها اللب . ويحبب القلب من الأناس البديع والعقيق البهي والياقوت وسائر الأحجار الكريمة ففيها من دقة الصنع وغرابة الوضع ما يدهش الألباب وإذا أردت أيها الذكي اللبيب أن تطلع على ذلك فهالك ثلاثة أمثلة

(المثال الأول) ركب كأسا صينيا أو بلوريا على منصب حديد وضع فيه عشرة دراهم ماء وأغل الماء بقسديل الكحول ثم اجعل فيه حوالي عشرين درهما من الصودا الكاوية . إذن ترى الصودا تذوب جميعها في الماء الحار ثم اطفى النار واتركه حتى يبرد . هناك ترى البلورات على هيئة منتظمة مختلفة التقادير مع حفظ الشكل كما في شكل ٥

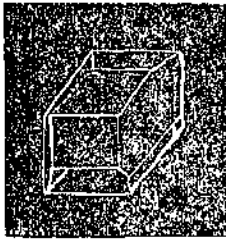


(شكل ٥)

(المثال الثاني) أعد العمل واجعل بدل الصودا الكاوية شبا أبيض



فتكون البلورات على حسب هذا الشكل ٦
(المثال الثالث) فإذا أعدت العمل بالشب الأزرق (كبريتات النحاس) بدل الشب الأبيض فانك ترى البلورات تتكون على هذه الهيئة شكل ٧



(شكل ٧)

ثم انك إذا مزجت (٦) دراهم مثلاً من مسحوق الشب الأبيض مع مثلها من الشب الأزرق ومزجت المسحوقين معا في (هاون) ثم ذوّبت الجميع في عشرة دراهم من الماء الحار فإذا تركته حتى يبرد أمسكتك تميز بلورات الشب الأبيض بهيئتها من بلورات الشب الأزرق بهيئتها . وبهذه الطريقة وهي أن كل مادة لها هيئة بلورية خاصة . ترى كل مادة لا يمكن أن تخلع شكلها وتلبس غيره وقد ذاب في الأرض من قديم الزمان أنواع بلورات من السليكا والماس والياقوت والجشت والفلور . ويمكننا أن نصنع مثل ما تقدم من ملح البارود وملح الطعام فأما ملح الطعام فقد تقدم شكله في آخر سورة (آل عمران) وأما ملح البارود فانه يتكون على هيئة إبر منشورات

إن الانسان ليحب جد العجب من أنه يرى أمثال العقيق كما تقدم وسائر الاحجار الكريمة كلها بهيئة منتظمة صاغها الله وأبدعها وأحسنها ونظمها وهكذا قطع الثلج كما تقدم . وقد يظن الانسان أن الصقيع وقطع الثلج على الأرض ليس لها نظام كالذي ذكرناه ولكن اذا تأمله الانسان ألفي ما هو متجمد متكاتف على الأرض مركبا من بلورات متقنة الصنع غريبة الشكل حسنة الهيئة . وهكذا من يراقب سطح الماء وهو آخذ في الجود يرى البلورات فيه تظهر من جوانب الوعاء مرتبة في أشكال حسنة . قال صاحب كتاب (فلسفة الطبيعة) وأكثر تراب الأرض مؤلف من بلورات متكسرات أو متحللة من تأثير الماء والصقيع ونحوهما . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام

ألا فلتعجب أيها الذكي أشد العجب . وكيف لا تعجب من عقول بني آدم . هؤلاء الذين يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يعلمون . أكثر الناس لا يعلمون . اللهم إنا أنت الذي خلقت الجبال وجعلته يا الله محيطا بنا من كل جانب وأفرحت قلوبنا وشرحت صدور جهالنا وعاماننا معا للأحجار الكريمة والمنظر البهيجة . كل ذلك منك لتلفت عقولنا الى الجبال والحكمة والنظام الذي أنزلته ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الصغيرة . حياة الحيوان من مأكل ومشرب وزينة فيتزين المرء

بالأحجار الكريمة وقلبه خال من زينة العلم فهو عن الحقائق المودعة في تلك الزينة من الغافلين والحقائق هنا تلك الاشكال المنظمة . نحن نرى الثلج ونضعه في الماء ليبرده ونحن لا نفكر أن هذا الثلج أشكال منظمة متراكمة بعضها فوق بعض كأنها قطع من الماس

اللهم إنك قد أحطت بالجمال في العوالم التي حولنا وأرى أننا في الصودا الكاوية المتقدمة بالورات على هيئة هرمين سطوحهما متساوية بينهما قاعدة واحدة مستطيلة وهما مائلان عليها . وأرى أننا في الشب الأبيض هيئة الهرمين المتساويين ولكنهما قائمان على القاعدة المشتركة بينهما . وأرى أننا في الشب الأزرق شكل مكعب . وأرى أننا في الثلج شكل مستسا . وهكذا من أشكال البديعة في نظام الأحجار الكريمة

يا الله هذا هو قولك . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه . الآية وهذا هو التقدير والميزان المنسوب وهذا هو الحكمة والحفظ في آيات تعد بالعشرات كأنها ناطقات بحكمتك وعدلك ونظامك . اللهم إن هذا كله مستمد من اسمك الحفيظ فأنت واضع الميزان في العوالم وأنت الحفيظ وهذا الحفظ وهذا الميزان هما المعبر عنهما في الطبيعة بكلمة (جاذبية الملاصقة) لجاذبية الملاصقة التي وضعتها في الماء وفي انعيق وفي الشب الأزرق والأبيض والصودا الكاوية هي التي نسميها الحفظ والوزن في قولك . والوزن يومئذ الحق . ونسميها الامساك في قولك . إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا .

اللهم إن الفراغ لانهاية له وهكذا الزمان . الفراغ الذي وضعت فيه كواكبك لا آخر له وهكذا الزمان لا أول له ولا آخر . فهذه المخلوقات لو تركزت وشأنها لندبت ولكنك أنت جعلت في المادة (قوتين) قوة الجذب وقوة الدفع فالجاذبية لا تقدر على فصلها كما لا تقدر على ضغطها مع علمنا أن الفراغ في داخلها عظيم وهي الماسم كما أوضحناه في غير هذا المقام . ويمكننا أن نقوى قوة الدفع بالحرارة فهناك يقل الجذب ويكثر الدفع ويصير الحديد سائلا . وإذا أبطلنا الحرارة قويت قوة الجذب فرجع جامدا ومثل هذا يقال في الماء والثلج . وقوة الجذب من أهمها قوة الملاصقة المذكورة وهي التي بها تبقى الأجسام محفوظة وهذه الملاصقة إذا قلت أصبح الجسم سائلا وهكذا إذا زاد نقصها أصبح غازا . فهذه القوة بقلتها وكثرتها كانت الجوامد والسوائل والغازات . ومن قوى الجذب قوة الالتصاق وهي التي تكون بين جسمين مختلفين مثل الجاذبية الشعرية التي في الورق النشاف والتي في جذور النبات

ومثل هذا الجاذبية العامة كجاذبية الأحجار الساقطة على الأرض المشروحة في أول (آل عمران) بإيضاح وحساب . اللهم إن هذا هو النظام العام في السموات والأرض نظام واحد تدخل في الذرة وفي الجبل وفي الكوكب وفي كل شيء وهذا هو نفسه قولك في هذه السورة

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يُسْمِعُ فِيهَا النَّبَأَ

وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ -)

اللهم إنه لا فرق بين ذرات القطرات المطرية في اتحادها وتسكونها كرة ونقطة الزيت فوق بعض السوائل والهرمين المتكونين من الشب الأزرق والأبيض المختلفين من حيث الميل والقيام والشكل المكعب في غيرهما والشكل المستدس في الثلج . أقول لا فرق بين هذه كلها وبين انفصال المجرمين من الصالحين . أنت تقول - أم نجعل المتقين كالفجار - ونقول - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - ونقول - إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين - ونقول - فكذبوا فيها هم والعاورون * وجنود إبليس أجمعون - ونقول - والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم -

اللهم إنه لا فرق بين الآخرة والأولى . لا فرق بين الدارين . هاهي ذرة القطرة من المطر تتجاذب ذراتها وتتحد فتصير كرة ولا تطيح في الجو . أليس هذا بعينه قولك - على سرر متقابلين - ولماذا هذا . لأنهم

متجانسون • فهنا نسميها في أشكالنا الطبيعية (جاذبية للانجذاب) وهي إحدى الجاذبيات الثلاث الأخرى (الجاذبية السكّانية) و (جاذبية الالتصاق) كما تنتم ولكنها بالنسبة للنفوس البشرية تشاكل الطباع والأخلاق كما قلت - هم وأزواجهم في ظلال الخ - وقلت - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم الخ - فهناك تجمع الأشكال إلى أشكالها معا وتوضع في الأماكن المهيّنة لها كما نرى الاشكال عندنا تمتاز الانسجام حتى انك ترى في عملية وضع الاشكال المختلفة وجليانها فيما تقدم تصير متميزة اذا بردت فيمتاز كل نوع بالشكل الخاص به كما قلت في كتابك - قل كل يعمل على شاكلته - * وفي المثال انرى في ﴿ إن الطيور على أشكالها تقع ﴾ هناك أمر عام جمع الاشكال المماثلة وتفرق المختلفة • هذا هو الذي نراه فنرى الناس يذرون القمح في الهواء فيصير البر معزولا عن التبن ونرى الرمال متراكمة في الصحراء والماء مجتمعا في أماكن خاصة نسميها البحار والهواء فوق الماء فكل طائفة من عالمنا نراها مجتمعة لأجل المشاكلة

فاذا عاش الناس في هذه الأرض وهم عمى عن هذا الجمال فانهم أولى بعالم النرات والبهائم ولاحظ لهم في الانسانية لأن الانسان أعطى عقلا به يميز الجليل من غيره والحسن من القبيح فاذا مات وهو لم يدرس ما استعمله بعقله تنزل الى أدنى درجات الحيوانية لأنه جهل المقصود من وجوده فعلم ظاهرا للحياة وهو أن يعيش بما يغنيه وجهل حقائقها التي تنبئ عن سر خفي ونظام بدیع يرشد النفوس الى عالمها وهؤلاء هم الذين قيل فيهم - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وعالم الآخرة هو سر عالم هذه الدنيا لأن هذا الجال الذي رأيته في هذه التجاللة هو السر الذي تعشقه النفوس وبه تصير أعلى من المادة وتستأهل أن تكون - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - وتحب أمثالها وتعيش معهم بسلام كما في قوله - وزعنا ما في صدورهم من غل - الخ انتهى

﴿ جوهره في قوله تعالى - واذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه - الى قوله - إلا من اتبعك من العاوين - ﴾

(وموازنته بلغز قابس في أن جهل الخير والشر هو سبب شقاء الناس)

اعلم أن هذه القصة ذكرت في القرآن مكررة بطرق مختلفة . وقد جاءت في التوراة . أن هذه القصة يتلوها ويؤمن بها نحو نصف النوع الانساني وهم اليهود والنصارى والمسلمون • كل هؤلاء يؤمنون بأن آدم وحواء قد أغواهما الشيطان فأكلا من الشجرة • وهذه الشجرة لاتعيين لها • وأعم قول رأيته فيها أنها شجرة معرفة الخير والشر • وهنا أقول

إن الله عز وجل بذر العلوم والمعارف في أرضنا بذرا ونشرها نشرًا • سبحانه اللهم وبحمدك أرىتنا عجائب صنعك في نباتك وحيوانك وشموسك وأقمارك فدهشنا لتفننك فيها وأبدعك • ورأينا انك لم تذر صغيرة ولا كبيرة من هذه المخلوقات إلا وزنتها ونظمتها ورعايتها حق رعايتها • وهاهوذا النوع الانساني قد أرىته هذه المخلوقات جيلة الحيا بهجة المنظر تريد بذلك شوقه لها وسوقه لعالمها • ومن أبدع ما صنعتك إنك ألقيت لهم الحكمة العملية من ﴿ طريقين ﴾ طريق الخير وطريق الفلسفة بهيئة لغز واحد

أنزلت يا الله هذا اللغز في أرضك على ألسنة الفلاسفة وعلى ألسنة الأنبياء • فأما الأنبياء فلامؤمنين بهم وأما الفلاسفة فلمن نظروا بعقولهم • إذن أنت أنزلت علم الحكمة النظرية على جميع الناس مقلدهم ومفكرهم وجاهلهم وعالمهم • فقلت لأنبياء إن آدم وحواء أكلا من الشجرة فطردا من الجنة وأصبحنا نحن في الأرض نذوق العذاب ألوانا فيها وتركنا للناس يقرؤونها ويفهمونها وألهمت فلاسفة اليونان كما سيأتي في سورة الاسراء أن يقولوا في خرافة يتناقلونها كابرا عن كابر ﴿ أن سفينكس كانت تلقى أغازا على الناس الذين يمرّون عليها فن فهمها تخلص منها ومن لم يفهمها قتلته فقول لهم ما الخير وما الشر وما الذي ليس بخير ولا

بشر) وقد جاء في الكتاب المنسوب الى (قابس اليوناني) المناصر (سقراط) المسمى (بافز قابس) أن قابس كان يمشي في هيكل (زحل) فرأى صورة غريبة الشكل قدر سم فيها حظائريين كبيرة وصغيرة وفيها صور رجال ونساء وجوع كبيرة وأحوال مختلفة سيأتى شرحها في سورة الاسراء كما قدت لك سجدوا هذه الصور هي لغز الحياة فمن فهمها كان سعيدا ومن لم يفهمها كان شقيا (وبعبارة أخرى) أن (سفينكس) المتقدم ذكرها وهي (أبوالهول) المشهور في مصر كان يقتل حالا من لم يفهم لغزه ويبقى من فهم

فأما هنا فلا يكون الموت حالا بل من جهل الخير والشر في هذه الصور التي رآها (قابس) في هيكل (زحل) قتله جهله قتلا تدريجيا وهو في ذلك وهوان مدة الحياة لا كما فعلت (سفينكس) بالقتل حالا وملخص هذا أن أصل كل شئ في الانسان عند هؤلاء الفلاسفة هو الجهل بالخير إذ لا يمكن لدى بصيرة وعقل أن يختار الشر وهو يعلم أنه شر وليس يختاره إلا لأنه تخيل شيا من الخير فيه فيرجع الشر في الانسان الى مجرد الغلط والتصور في العلم . وهذا المذهب تلقاه الروافيون من (سقراط) فهم معدودون من أتباعه فالجهل بالفضيلة هو منشأ الشر ومن علم الأشياء على ما هي عليه لا بد أن يتبع علمه بالحكمة عندهم راجعة ناعلم والعمل معا . فالخير عندهم (قسمان) خير في ظاهره وليس هو بخير في ذاته كالمال والصحة والجمال والولد والصيت أى كل ما هو موقوف على العوارض الطارئة . فهذا تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا وذلك بحسب استعمالنا إياه . والخير الحقيقي هو الحكمة والخلق الكريم الذي نتصف به فهذا موقوف على إرادتنا داخل في قسرتنا لا يسلبنا إياه سبب طارئ وذلك لأنه ملكة راسخة في نفوسنا لا تختلف باختلاف الأوقات والأحوال ولا يتصور فيها سوء الاستعمال فمن فاز بذلك فقد فاز بالسعادة طول حياته إذ لا يحتاج فيها الى شئ من الخبرات المحسوسة الخارجة عن قسوته المنوطة بالبدن والمال وهكذا . وعلى هذا يكون الناس عندهم (قسمين) حكماء سعداء وجهال أشقياء . هذا ملخص هذا المذهب الفلسفي

أما الشجرة التي أكل منها آدم فانها في الحقيقة ترجع الى هذا المعنى بهيئة أخرى . ويانه كما قلنا ان الشجرة أعم الأقوال فيها انها شجرة معرفة الخير والشر وهذا هو العجب . اللهم إنك عممت العلم ولم تقصره على طائفة أنشئت الحقائق وبذرتها في أرضك ولكن نوتت طرقها . فالفلاسفة يقولون من جهل الخير والشر عاش شقيا . لماذا . لأنه يتناول الشئ ظانا أنه خير محض فيكون شرا عليه الى آخر ما تقدم هكذا هنا آدم لما قيل له إياك أن تقرب شجرة الخير والشر فلما قربها حصل له ولبنيه ما هو معلوم من النصب والتعب . إن شجرة معرفة الخير والشر ترجع في نتيجتها الى ما تقدم ولكننا عند الفلاسفة بهيئة غير ما هنا . فهناك يقال أصل الشر الجهل بحقيقة الخير والشر ولكن هنا يقال له إياك أن تعرف الخير والشر وهذا عجب . هناك يكون النبل يتبع الجهل بالخير والشر وهنا تكون المعرفة شرا

أقول إن النتيجة واحدة لأن معرفة الخير والشر في قصة آدم معناه فهم الخير والشر فهما سطحيا ظاهريا والفهم الظاهري الذي يرجع الى ما يتصوره الناس بسبب حواسهم وخيالهم هو نفسه جهل . فالمعرفة هنا هي الغرور بالظواهر فهي معرفة ظاهرا جهل حقيقة . وأضرب لك مثلا بضروب الشهوات من الولوع بالمساكن والمشارب وباقي اللذات والاكتثار من المال . فكل هذا عند أكثر الناس سعادة ولكنهم فعلا به أشقياء في هذه الحياة الدنيا وهذا معروف فلا أطيل به وإنما أذكر لك (ثلاثة أمثلة)

(المثال الأول)

إن هيئة القوى في الانسان كهيئة شمعة كبيرة وهذه الشمعة قد وضعنا فيها أربع فتائل وهذه الفتائل الأربع لو أضاءناها ساعة لقنبت الشمعة ولو أضاءنا واحدة فقط لكانت الشمعة لا تنفنى إلا بعد أربع ساعات طبعها هكذا أكثر الناس ينهمكون في لذاتهم ويعتدون هذا الانهماك سعادة فيشربون الخمر ويزاولون الشهوات

الهيمة ونحو ذلك فتكون هذه السعادة الظاهرية في نظرهم القصير ضمنا لأبدانهم ونحوها في عقولهم وضياعا لما لهم وتقصيرا لأعمارهم وهم نادمون . فالإنهمالك في الذات كاشمال الفتائل الأربسة في الشمعة وهو شقاء باطنا وسعادة ظاهرا . والعقة يظنها الجاهل شقاء وهي في الحقيقة صحة البدن والعقل وسرور النفس فهي أشبه بأشعال الفتيلة الواحدة في الشمعة المذكورة

﴿ المثال الثاني ﴾

يقال ان علم النوع الانساني اليوم أوسع مما تعلمته الأمم السابقة حتى قال بعض أطباء القرن العشرين ان الناس تعلموا في هذه السبعة والعشرين سنة التي مضت من هذا القرن أكثر مما تعلمه من قبلنا في خمسة آلاف سنة في الطب وهذا القول وان كان فيه مبالغة لا يمنعنا من قراءة علومهم بل هو يغرينا بها . فهناك مثلا واحدا مما قاله الأطباء في عصرنا لتبتهج وتسعد في صحتك الجسمية كما تبتهج وتسعد بصحتك العقلية فيما تقدم . يقولون ان الجسم الانساني مركب من ست عشرة مادة

(١) كالجير الذي يغذي العظم ويشفي الجروح وهو في الكرب واللبن والجبن التي لم ينزع زبدها والسبانخ والبصل والمشمش والتين والبامية والطماطم وهكذا . فهذه كلها فيها مادة الجير التي تقوى العظم كما علمت

(٢) المغنسيوم وهو يساعد العضلات ويمنع الفتق وهو في السبانخ والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والبامية

(٣) الكبريت ينظف السم وهو ضد للروماتيزم الذي هو من الأمراض الباردة وهو في السبانخ والقنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرنفل والجزر والبصل

(٤) الفسفور يغذي المخ وهو في سمك البحر والخس وصفار البيض والسبانخ وكشك الماز والفجل والخيار والبسلة والمعدس الخ

(٥) الحديد يقوى السم ويعطيه لون الحرة وهو ينفع من فقر الدم . وهو في الكرب الأحمر والسبانخ والزبيب وصفار البيض النئ والبرقوق والطماطم

(٦) الكالورين يساعد على الهضم وينظف المعدة كتنظيف الصابون للثياب وهو في الكرب والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر المالح والفجل والجبنه

(٧) والملح العادي (٨) والصودا (٩) والرمال (١٠) والقمح هذه المواد العشرة من (١٦) التي تتركب منها جسم الانسان ونحن نعملنا وحركاتنا نفقد من أجسامنا

من هذه المواد . فعلينا إذن أن تكون ما كنا محتوية على هذه المواد جميعها . ومتى نقص منها واحد اختلت قوانا واعتلت صحتنا . إن هذا الكتاب تفسير للقرآن وليس كتاب طب . ولكن يجب علينا أن نشرح هذا الموضوع مختصرا ليكون القارئ على بينة منه وليخرج بفائدة علمية وعملية في آن واحد

هذه المواد الست عشرة كلها لابد منها في طعامنا . فلو أن الطعام نقص الجير مثلا فإن الدم يسرق ذلك الجير من العظم والأسنان . فاذا سمعت أن رجلا أسنانه ضعيفة فعناه أن طعامه ليس فيه جير كاف . وإذا

رأيت طفلا مقعدا لا يقدر على النهوض فاعلم أن ابن أمه ليس فيه جير يكفي . وذلك بسبب أن طعام أمه ليس فيه ما يكفي منه وهكذا . ويقول العلماء إن في هذه المواد ثلاث قوى تسمى كل منها (فيتامين) وهذه القوى لها مقادير معينة لابد منها في الطعام . إن هذه المواد جميعها خلقها الله في القمح بالمقادير المعينة في الدم .

القمح على حاله الطبيعية فيه الست عشرة مادة وفيه القوى الثلاث المغذية . الله أكبر تركيب القمح كتركيب الدم . فإذا فعل الناس بالقمح . انقسم الناس ﴿ فريقين ﴾ أغنياء وفقراء . فترى فرقى الأغنياء في

أكثر العالم ينخلونه فيكون لهم منه دقيق ناعم أبيض ويتركون ما يسمى في مصر (السنّ والتخالة) وهذا الدقيق اللطيف الأبيض الخليل هو الذي تأكله هذه الطيعة . وأما فريق الفقراء فإن منهم طائفة تشتري هذه التخالة وهذا السنّ ويأكلونهما . فإذا يقول علماء الطب في هذا . يقولون إن الدقيق الأبيض اللذيذ الطعم المذكور قد فقد ١٤ انتهى عشرة مادة من الست عشرة مادة ولم يبق فيه إلا أربع منها وهو الربع فتحتاج هذه الطائفة إلى تكميل ذلك من غير القمح مثل السبانخ والفجل والكرنب وهكذا مما تقدم . وأيضاً هذا الدقيق يكون سبباً في الأمراض . أما الذي فيه الردّة والسنّ أي الذي لم ينخل فهو الذي لا امساك فيه . إذن الدقيق الذي لا ينخل فيه ﴿ فائدتان ﴾ القوة التامة في التغذية وعدم الأمراض والدقيق المنخل فيه ربع التغذية وفيه الأمراض

﴿ نتيجة هذا البحث ﴾

ههنا يظهر معنى خطايا بني آدم في جهنم بالخير والشر على رأي انفلاسفة أوفى علمهم الناقص بالخير والشر كما في الدين . أنظر إلى أهل مكة فانهم كما بلغنا لا ينخلون الدقيق وصحتهم أرقى وأقوى من غيرهم ثم تأمل في هذا النوع الانساني . هذا النوع الذي يتبع آخره أوله جهنم . نخل زيد الدقيق فاستحسنه فقده عمره وفتابعت أجيال وأجيال فصار ذلك عادة راسخة . ولذلك تجدنا في مصر اعتدنا أن ننخل الدقيق وترى الطبيب الذي يعلم هذا والعالم والجاهل كلهم يأكلون على هذه الطريقة وهم يرون بأنفسهم كما يقرؤون في كتبهم أن هذه طريقة رديئة ثم لا يتوبون ويموتون وهم لا يدركون . ثم تأمل كيف كان الناس في عصرنا جهلاء أشد الجاهلة . فترى الحكومة المصرية تعطي المسجونين خبزاً غير منخل الدقيق فيخرج المسجون مفتول السواعد قوى العضل ونفس الطبيب لا يأكل مثله . وهكذا بقية الأمة أبدانهم ضعيفة وأكثر الناس مرضى بضعف المعدة وهم يرون المسجونين وعرب البادية وأهل مكة في صحة جيدة فالتفرون اتبعوا اللذة وسواهم لم ينالوها ونالوا الصحة والعافية

﴿ الانسان الأول والانسان الحالي والانسان في المستقبل ﴾

يظهر أن الانسان الأول عاش عيشة فطرية فأكل من الأشجار وأكل الحبوب بفطرتها فقلت أمراضه وهمومه ونظيره عرب البادية . أما الانسان بعد ذلك فإنه أخذ يستعمل عقله في استجلاب اللذات وترك الطبيعة ظهرياً واخترع ضروب المسرات من تلقاء نفسه هنالك هوى وضى وغوى وأخذت العداوات تزداد بازدياد اللذات وطلبها وهي المعبر عنها بمعرفة شجرة الخير والشر في الدين . أوهى جهل حقائق الخير والشر في الفلسفة . اللهم إن هذا الانسان تمادى في شهواته وهو يحجب حقيقة الخير والشر فأخذ يبحث في لذاته الظاهرة وأخذ كل يحارب كلا . لماذا . لينال اللذة الظاهرة فهم دائماً متحاربون مختصمون لأنهم إلا قايلاً يبحثون عن ظواهر السعادة . فترى الرجل قد يملك آلاف الأفدنة من الأرض وهو لا يحتاج إلا إلى أقلّ جداً من ذلك فهم في جشع مستمر . ومماثل ما يملك من المال إلا كمثل ما يكون فوق الشبع . كل هذا وذاك وبال عليهم

اللهم إن الانسان اليوم تمادى في الجهالة بشهواته وغضبه فترك الناس مواهبهم العقلية فلم يربوها وحرابوا لأرض ومنافعها فلم يظهروها إلا قليلاً . إن النوع الانساني اليوم معذب لأنه لم تستخرج بالتعليم قواه الخبوءة فيه الكامنة . ولو أنها استخرجت لاستخرج بها قنون النعم الخبوءة في الأرض . فالناس لجهلهم يقاثل بعضهم بعضاً يريد كل أن يخطف مافي يد الآخر وكان خيراً لهم أن يفتقوا جميعاً صفاً واحداً متعلماً ويستخرجوا مافي هذه الأرض من المنافع فذلك يكفيهم جميعاً . إن الله خزّن أرضنا وملاها بما ينفعنا على قدر حاجتنا . فإذا نحن لم نبق كآبائنا الأولين على الفطرة فكيف في بما في الطبيعة من النعم كما هي حالنا

اليوم فليس لنا حيلة إلا بالتعليم العام لسائر الأمم من جهة ومن جهة أخرى نستخرج منافع كل أرض في الدنيا . فالإنسان الأول كان في سعادة لأنه اكتفى بالطيرة . والإنسان الحالي شقي لأنه لم يكتف بالطيرة ولم يصل لنهاية العلم وإنما انبع الظواهر فضل . والإنسان في المستقبل هو الذي ينال نهاية العلم بما في أرضنا وأذن يسعد على مقدار علمه فإذا رأى الدقيق المنحول قال لا آكله بل أصكّله بنخاته مثلاً فلا أكون كاتباً الجلاء الذين كانوا يرمون منه القوة المغذية النافعة لهم في صحتهم لجهلهم فالسعادة في الدنيا إما بالرجوع إلى الطبيعة وإما باستكمال العلم استكمالاً تاماً . فأما الإنسان الحالي فلم يكتف بالطبيعة ولم ينل غاية العلم بل هو يستعمل قواه العقلية فأنت بخليط من حسن وسيئ . ومماثل هذه المراتب الثلاث إلا اكتمل الإيمان فمن الناس من يؤمنون بالأنبياء بلا بحث وهم العامة ومنهم من يشك في كلامهم وهذا الفريق (قسمان) قسم وصل إلى الحقيقة فصدقهم بعلمه فرأى أن نهاية العلم تشابه ما فطر عليه العامة . وقسم أخذ في البحث ثم قال خير لي أن لأبحث بل أكذب وهذا الفريق مسكين فلا هو مع العامة ولا هو مع الخاصة فهذا كذب بلا دليل وأخذ في اتباع الشهوات فكان انعمي أفضل منه . هكذا نرى الأعراب في البداية الذين مات كلهم أقرب إلى الطيرة أصح أجساماً من أبناء المدن وأبناء المدن لا يسعدون البتة إلا إذا وصلوا في العلم إلى أعلى الدرجات فالأولون بالطبيعة قانعون والآخرون بالعلم التام مرتقون وسوى هذين بين هؤلاء وهؤلاء مذبذبون معذبون

(المثال الثالث)

(ما يزاله الناس من أكل السكر الصناعي مع أن الفاكهة أفضل منه . وما يقتربون من الغش في اللبن والدقيق والخبز الخ)

قد ذكرت لك مافعله هذا النوع الإنساني في الأغذية كالتمح وأذكر لك الآن ماوقفت عليه أنا بنفسى وخبرته . ذلك أني قرأت منذ سبع سنين مقالا للدكتور (جاستون دورفيل) يقول ان السكر من الأغذية انهلكة لأجسادنا وأن الناس في عصرنا قد اعتادوا أن يتناولوا منه أربع قطع إلى ست فوق الغذاء الكثير . ولاجرم أن ذلك يحكم على الجسم بازدياد الحركة بافراط مرض مميت . إن أكل السكر الصناعي يحدث فينا أرقاً شديداً . قال ولقد منعت من شكواي إلى الأرق من أكل السكر فشفا منه وناموا مطمئنين . إن السكر ليس يكون إلا دواء وليس يكون غذاء . إذن هو ضار ونافع . فليتنجبه المؤلفون والسياسيون وجميع ذوى الأعمال الجلوسية . أما ذوو الأعمال الجسدية كالزراع والصناع فهو نافع لهم وعلينا أن تمنح الأطفال من هذا السكر الصناعي . ذلك السكر الذي لم يكن معروفاً لآبائنا (يريد الأوروبيين) منذ ثلاثة أجيال فكانوا أباطاً منا انحطاطاً في قواهم وأقوى أجساماً . ثم عطف على السكر ضرره وضرر المشروبات الروحية فجعل خطر السكر يقرب من خطرهما

ويقول الدكتور (كانتون) في كتابه (ثلاثة الأغذية المميتة) ان ما يستهلكه الناس من اللحم قد بلغ ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل ثلاثين سنة وهذه الزيادة في اللحم يضاف إليها المقادير المأكولة من السكر ومن المواد الكحولية . وذلك نشاهد أن السل الرئوي والسرطان يحتاجان (١٣٠) ألف نسمة كل سنة والمجانين كانوا سنة ١٨٦٥ م (١٤) ألف نسمة فصاروا ٧١٥٤٦ سنة ١٩١٠ والمتشربون بلغوا ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين . وأجاز الدكتور (جاستون) لأصحاب الأعمال الجلوسية أن يتعاطوا من السكر كل يوم قطعتين ومنعهم منه ومن الأغذية الاحتراقية كالنشأ والعجنيات مساء . ويقول ان السكر الطبيعي يكفي حاجتنا وهو موجود في الفواكه فهو فيها ذائب حلى . أما في السكر الصناعي فهو محروم من الحياة ومن القوة المغناطيسية فهو غذاء مميت

هذا ملخص ما اطلعت عليه في هذا الموضوع الذي يجعل السكر واللحم والنحر أخوات في الإهلاك ولكن

جعلوا السكر واللحم دواءين • فهما ينفعان ويضران وضربهما منصب على أصحاب الأعمال الجلوسية مثلى
ونفعتهما لغيرهم على تفصيل فيه • فانظر أيها الذكي حالى إذ ذاك

﴿ كيف كانت حالى عند قراءة هذا الموضوع ﴾

كانت لى سن من (الثنايا) التى فى مقدم الأسنان وهى مقلقلة (متعبة) تريد أن تسقط ولا يمر أسبوع
حتى تعطينى انذارا وهذا صورته (اقلبنى) فكنت أضع أصبى عليها فتميل ميلا شديدا حتى أضط أناسا قطة
لا محالة ثم أتركها وهكذا مدة شهر كثير لا أذكر عددها • وفى آخر انذار وضعت يدي عليها لأستقطها وكان
أهل بيتى أمانى فقالوا لى أنها لا تريد السقوط دعها فقد كنت تعالجها فتثبت بعد ذلك فتركتها ناويا الرجوع
فاتفق أنى اطلعت بعد ذلك على ما كتبته لك الآن وقد كنت إذ ذاك أشرب القهوة والشاي وأضع السكر فيهما
وهكذا كنت أتعاطى قطع السكر وأنا رجل مدرس ولى بعض مقالات إذ ذاك وكتب فرأيت القول منطبقا
على فتركت القهوة والشاي والسكر وقلت ان هذه تمنع نومي وتضرني ضررا شديدا • وما كنت لأعلم أن
اللثة وضعفها حاصل من تعاطى السكر وأن ميل سنى للسقوط من ذلك الضعف فرت أسابيع وشهور وهذه
الثنية على حاتها ثابتة بل هذه سبع سنين ولم أتلق من هذه السن انذارا كما كانت تفعل سابقا بل لا أفرق
الآن بينها وبين ماحولها • هذه هى حالى الآن وأنا أجد الله إذ أقف عن هذه العادة فكأن النتيجة
قوة عامة فى الجسم ونشاطا لم أعهد من قبل وقوة فى المعدة

﴿ تذكرة ﴾

اللهم إنك أنت الذى خلقتنا وجعلتنا فى هذه الأرض وجعلت الجهل هو الداء الأكبر لنا • انهم إلى
تعلمت فى الأزهر العلوم الدينية وتعلمت فى المدارس العلوم التى يسمونها (دنيوية) وألفت كتبنا واطلعت على
كتب الاوربيين ومضت له سنون وسنون وأنا دائب مجتهد ومع ذلك بقيت جاهلا • جهلت أن السكر يضرني
جهلت ذلك لأن العادة المستحكمة وسوء المملكات وشيوع أكله بين الناس جعله أمرا مألوفا
اللهم إنك أنت الذى خلقت الفواكه وأنت الذى ملائمتها سكرًا وقلت للحيوان وللقرود ولأهل البادية
كلوا فواكهى وكلوا حبوبى فأكلوها ولم تضرنا عند هؤلاء الناس ولا الحيوان إلا قليلا
لقد أبان الملامة ابن خلدون أن أهل البادية الذين هم أقرب الى الفطرة أبعد عن المرض ويقول علماء
البيطرة إن الحيوان الذى لم يذله الانسان بعيد عن المرض والمرض لا يفتس إلا الحيوان الذى يعيش معنا
فالمرض تابع للمدينة وهذا بيت القصيد • الانسان خرج على الفطرة والطبيعة واستخرج السكر • ذلك السكر
الذى خلقه الله فى الطبيعة بحال متوسطة فرأى الانسان أن يستعمل اللذات فاستخرجه فأكله فأضر به •
ذلك لأنه لم يفعل ما فعله الحيوان والانسان الفطرى فاتبع اللذة ولم يقف عند الفطرة • ترك الانسان فطرته
الأولى وحرم من الشمس التى كانت تعطى قوة لآبائه فأخذ الأطباء يقولون لتكثروا فى الشمس زمانما لتقووا
وأمرؤا التلاميذ بالحركات التمرينية لتعوضهم ما فقدوه من الحركات المقتوية للجسم عند طلب المعاش
الانسان خرج عن الفطرة الأولى وهو الآن بين فسكى الأسد وقد كثر الضرر والمرض

﴿ عقاب الله للناس أكره على الجهل ﴾

ها أنت ذا أيها الذكى رأيت الله عاقبنى • لماذا عاقبنى • عاقبنى على جهلى لأنى جهلت أن السكر
يضر اللثة فأكلته فأضرته • وأقول انك أنت اليوم معاقب على أمور كثيرة تجهلها وأنا كذلك • إذن
العقاب على الجهل هو العقاب العام والا فكيف أعاقب بقلقلة سنى وأنا مجتهد فى طلب العلم ولكن جهلت هذه
المسألة أنه عتاب مجمل مجله الله فى الدنيا وهكذا سيكون له نتائج فى الآخرة • ألم تر أن الانسان اذا اخلت
صحته تسوء أحواله ومتى ساءت أحواله ساء خلقه وقصر فى أمور كثيرة مع أهله وولده وأصحابه وأعماله وهذا

يتبعه ذم في الدنيا وعقاب في الآخرة . كل هذا سراً كل آدم من الشجرة هي شجرة معرفة الخير والشر
فآدم وأنا وأنت أكلنا من شجرة معرفة الخير والشر لأننا عرفنا أن السكر أذى من الفاكهة فقلنا هذا خير
منها فأكلناه . فهذه المعرفة السطحية التي يقول الله فيها - فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوءاتهما - هي التي أوقعتنا في الأمراض والآلام وذل الحياة . إن الإنسان ترك القطرة وعاش في المدن
وأخذ يتناول الشهوات استجلاً لها فقال الله لبعض عباده - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها فاليوم تجزون عذاب الهون - وقال في سورة الأعراف استنباعاً لقصة آدم وأكله من الشجرة - يا بني
آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - والاسراف من نوع الاقتراب من شجرة
معرفة الخير والشر التي هي الجهل بحقائق الخير والشر عند الفلاسفة كسقراط وتابعيه كما تقدم . ولا جرم أن
الخير يمو في النفس والشر كذلك كما قال تعالى - في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً - وقال - والذين
اهتدوا زادهم هدى الخ - . إذن الخير يمو كما تموا الشجرة والشر كذلك لذلك سمي شجرة . والناس
ذاقوا اللذات الظاهرية فعدوها خيراً فانكبوا عليها وهامهم يذوقون العذاب ألواناً وأخذ كل يحتل على لذاته
يأبى غيره وقد عمّ الجهل جميع الطبقات في نوع الإنسان . كل ذلك بسبب اتباع اللذات الظاهرية وسأينها
في فصول

﴿ الفصل الأول . غش اللبن ﴾

حرص الناس على الدرهم والدينار فأخذوا يعشون اللبن بأناء وقد أثبت العلامة (هوار) أن اللبن سبب
في إصابة (٥٠) في المائة من الذين يمرضون كل سنة بالجمل النيفودية و (١٤) في المائة من أصحاب الجمل
الحصبية و (٧) في المائة من الذين تعثرهم الدفتريا وقال إن السبب أن اللبن يمتلئ بالحيوانات الدرية التي
تحدث هذه الأمراض وهذه الحيوانات تكون في الماء الذي يضيفه الباعة إليه . ويزيد الطين بلة
(١) اذا لزعت منه (قشلقه)

(٢) أو خلط ما حلب منه اليوم بما حلب أمس

(٣) أو أضيف إليه النشا والدقيق أو بياض البيض

﴿ الفصل الثاني . الغش في اللبن ﴾

البين المسحوق الذي يباع عند (البداين) يضاف إليه مسحوق (الأجر) الطوب المحرق وبعض الأتربة
ورماد الفحم الحجري . فأما حب البن الأخضر فإن أهل (الندره) لم يجدوا من (٩١) منه سليماً من الغش
إلا (١٣) والبق بن صناعي يصنع من نشارة الخشب العادي ورمل وخشب (الأكلجو) وحجر الطلق وحجر
(البومباجين) الذي تصنع منه أقلام الرصاص

﴿ الفصل الثالث مباحث الدكتور (برودي السكياوي) بوزارة المعارف المصرية ﴾

لقد بحث الدكتور المذكور اللبن وقال كما تقدم ولزبد فقال إنه وجد كثيراً منها مغشوشاً وأنه اشترى
سماً من (٤٣) بقلاً فوجد الغش في (٤١) منه وواحد مشكوك فيه وواحد فقط لا غش فيه . وقال في
الزيت أنه زنج إما ظاهراً وإما غير ظاهر زناخته أي تغير رائحته واختفاء الرائحة بأعمال خاصة وقال ما زيت
الزيتون إلا خيال وهكذا وقال في الملح إن فيه (١٥) في المائة من كربونات الصودا وهذا غش يجعل
المعدة قلبية لا تستطيع الهضم وقال في الخل أنه غير خل وإنما هو (حامض الخليك) مخفف بالماء وفيه
حوامض معدنية تحدث في الجسم ضرراً بليغاً وقال في اللبن أنه لم يجد فيه المادة الفعالة في اللبن (الكافيين)
بل هذه المادة استخرجت منه قبل السحق ووجد في بعض اللبن طينا وفي بعض آخر مسحوق الفول وقد
وجد المستر (مورس) في أبي قرقاص نوعاً من اللبن مركب من الفول (والشكوريا) يعني (السريس)

والطين وقال في المشروبات الغازية ان فيها الزرنيخ وحمض الكبريتيك والنفثه وهكذا من المواد السامة المعدنية أو العضوية والماء الذي تصنع منه غالبا يكون قذرا وقال في الدقيق إن الناس في مصر لو شاهدوا صنع الخبز الذي نأكله ما أكلوا منه لقمة واحدة . وذكر أن الحال التي يصنع فيها الخبز تكون مظنة ويوضع في العجين ماء قذر وأنه وجد أنواعا من الدقيق فيها مواد غريبة (٢٠) في المائة من (الطلق) نوع من الحجر وكذلك أنواعا أخرى معفنة وهذا كله يجعل الدقيق مضرًا مهلكًا من الوجهة الصحية هذه هي الصورة المصغرة لحياتنا في المدن وبها يظهر أن لبننا وبننا وخبزنا ودقيقنا والمواد الغازية التي تأتي لنا فنشربها كلها قاذرات لنا . يقول المؤلف عند طبع هذا حصل اصلاح كبير جدًا في الخبز ﴿ خطابي لأُمِّ الاسلام ﴾

أيها الأُمِّ الاسلامية هذا كتاب الله تعالى والله يقول فيه ان آدم لما عصى أى وعصى بنوه اغتراههم الذل ورجعت معصيتنا لاتباع الشهوات فكان ذلك بذرا وكانت سائر الشهوات مفرعة كفرع الشجرة أيها الذكي . أنظر لما حصل لي . جهلت أن السكر ضار بالثقة فلم يغفر الله لي هذا الجهل فتقلقت نيتي ولم يغفر الله عني حتى عنت فتركت السكر . ومن أنا وما سني التي تقلقت . أنا رجل كبير السن ان لم أمت اليوم فغدا وسني تذهب معي ولكني اليوم أكتب لكم أيها المسلمون . أنا است بطبيب ولكن الصورة المكتوبة هنا من كلام الأطباء في مصر وفي غير مصر والكتابة رسمية فلائن عليها كلامي مع المسلمين واقول إن الله لم يغفر لي جهلي بالسكر وضرره . فلتعلموا أيها المسلمون أن الله لا يغفر لنا جميعا جهلنا بما تقدم . انظروا انظروا . نحن نشرب اللبن والمين ونشرب المواد الغازية من زجاجاتها ونأكل الخبز المصنوع عند الخبازين وقد ثبت الغش ثبوتًا لا يشك فيه ويشبهه الأمراض المتنوعة . أليس هذا هو عين قوله تعالى - فدلأهما بفرور الخ - وهما هي ذه سواك الانسان بدت في الشرق والغرب لماذا هذا . لأننا قديما خرجنا عن الفطرة وتصرفنا في أمور الحياة ﴿ دواء هذا الداء ﴾

لا دواء لهذا الداء إلا باتباع قوله ﷺ ﴿ المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ ومعنى هذا أن الخباز وبائع اللبن والخبز والأمين والفلاح كل منهم موقوف على الآخر فليقيم في كل قطر من أقطار الاسلام قوامون على الشعب يفنسون كل صغيرة وكبيرة ويعاقبون الخباز واللبن وكل ذي صناعة حصات منه هفوة صغيرة وليكن في الأمة علماء بكل حرفة وفن وفوق ذلك لتعلم الأمة كلها تعلما اجباريا وليجعل كل متعلم فيما يميل له والله خلق الأميال والغرائز على مقتضى المصلحة كما في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

المسلمون مأمورون بالصلاة جماعة وان لم يفعلوا ذلك عاقبهم الامام . هل كان ذلك في الدين عبثا . ألم تر أن المصلي اذا كان مريضا لا يعقل الصلاة وربما انقطع عنها . الصلاة واجبة وعلى الحاكم أن يجمع الناس لها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ومستحيل أن تتم الصلاة إلا بصحة ولا صحة لمن أكلوا وشربوا سموما كما ثبت رسميا في الشرق والغرب . نحن الآن نشرب السم ونأكل السم في بلادنا . فهل هذه الحياة تطاق . واذا كنا نأكل ونشرب ونحن جاهلون الضرر فأنه يؤاخذنا وان كنا لانعلم . لماذا . لأن الجهل هنا غير مغتفر . واذا كان جهل المسلم بفروض الوضوء يعاقبه الله عليه يوم القيامة فجهله بأمر الصحة التي تتوقف عليها الصلاة لم يرد في الدين أنه يعاقب عليها ولكن الله يعاقبنا فعلا في الدنيا . فأنه عجل عقاب الجهال بأمر الحياة والصحة في نفس الدنيا فليس ذلك يحتاج الى رسول يرسل لنا ويقول احفظوا صحتكم بل أخذ يعاقبنا على جهل الصحة قبل مجيء الرسل وبعد مجيئهم والرسول أكد ذلك بأمرنا بالمحافظة على الصحة . وليس معنى هذا أنني وأنت نعرف كل علم فهذا مستحيل وانما أنا وأنت كالبنيان يشد بعضه بعضا بل

بل الآتون والآخرون كائنيان لأنى أنا قرأت كتب التتدين ويقرأ قولى هذا المتأخرون . وعلى ذلك يفيض كل امرئ من علمه على غيره ويعم التحميم العام ونشرات لأطباء رخصا فظة الحكومات . وهذا كله داخل فى دين الاسلام الذى أمر بالصالحات وهدى بالعقوبات عليها وعلى بقية أركان الاسلام والله هو تولى عقاب المتعصرين فى أمور الحياة فمن عطل أمر الله ومنع زرعها لينتفع بها الناس فهو ظالم مذنب . والأمة التى تعطل مواهب بنيتها فلا تعلمهم تذلل بين الأمم

﴿ عموم الغش فى المدينة الحاضرة وقوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال

فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - ﴾

ههنا ظهر تفسير هذه الآية . يقول محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشيرازى فى كتابه المسمى

﴿ القاموس المحيط ﴾ فى قوله تعالى - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - أى فأبين أن يخنها

وخانها الانسان . انتهى

فيسر معنى الآية أن الشمس والكواكب والجبال وجميع ما خلق الله حفظت الأمانة التى استودعتها

فلا خيانة عند السحاب ولا الهواء ولا الجبال . الجبال فيها مخازن المعادن والبحار فيها الماء فأياها تعطينا

أمانتنا ولا نتجدها والطبيعة كلها قائمة بالصدق . فنعن نبتذر القمح فلا يكون فولا والفول فلا يكون قطنا

﴿ عبرة ﴾

ها أنت ذا أيها الذكى تقرأ هذا الكتاب وأنت ذوصفة ما إما زارع أو تاجر أو صانع أو قاض أو سياسى فان

كنت فى المدن فان الخبز الذى تأكله من السوق أو من عند الخبز واللبن واللبن وجميع ما فى الزجاجات لنقله

كالغازوة . كل ذلك فيه غش ولا علم لك به وهناك الضرر المتوالى الذى ينتهى بمرض وآلام مع الجهل بسببه

الله تعالى أوجب أن يكون الناس جميعا متضامنين وهذا هو المسمى فرض الكفاية فلتنظم أحوال الأمة

كلها . إن الانسان ظالم جهول . قد ظلم الناس بغشهم فيما يأكلون وما يشربون وهذا الغش أضرم من

الغش فى المحرمات الظاهرة فعقابه أشد لأن ضرره أعم . وإذا عوقب الانسان لفعله قوم لوط بسبب الابتعاد

عن النساء الذى به يكون الولد فما أكثر الموت والعقم والخراب بغش اللبن والخبز والدقيق ويكون العقاب

أشد من الله على الغاشين . فلانسان بهذا ظالم وهو أيضا جهول لأنه بهذا قتل أبناء جنسه جهالة لمنفعة

حقيرة . فان كنت فى المدينة فاسع فى النظام العام مع بقية الهيئة إذا كنت . وان كنت فى القرى فأنت

أقرب الى السلامة لأن الخبز واللبن لا غش فيهما لأنهما من منزلت . وان كنت فى البادية فالغش أبعد

عنك . وخير المدين فى المدن أن يكون خبزهم بأنفسهم وان كان فيه مشقة عليهم وأن لا يشربوا من تلك

الزجاجات الغازية ولان محال شرب القهوة المعروفة . يا الله ما أكثر العلم فى المدن وما أعظم الجهل

وأكثر الغش . انتهى القسم الأول من السورة

﴿ القسم الثانى ﴾

قد علمت أيها الذكى أن القسم الأول جمع زبدة هذا العالم فذكر المعاش من نبات وحيوان وهواء وسحاب

ثم ذكر الانسان وقدرته به الى أن أوصله الى جنة أو نار . هذا وصف الدارين . ثم أخذ هنا يرتب على

ذلك قائلا - نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم - وذلك حاصل مذكري

الجنة والنار المذكورين . ولما كان ذلك يدعو الى طلب برهان حسي لأن الآخرة لم ترها ولم نطلع عليها

شرع سبحانه يذكر لنا ﴿ قصتين ﴾ حصل العذاب فيهما فى الدنيا لكذلك . فهذا كالدليل التاريخى على ما

سيحصل فى الآخرة فقال وينبئهم عن الملائكة الذين نزلوا عند ابراهيم فساموا عليه فقال إني وجعل منكم

فأذهبوا فبه روه بأسحق فتعجب من بشرهم وكيف يرزق بولد وقد سمى السكبر وهذه عجيبه . قالوا بشرناك

بالحق فلا تسكن آيساً إنه لا يقنط من رحمة الله إلا من ضلّ في يعرف نعمته العظمى وفضله الشامل . ثم قل
 ماشاً نكم أيها المرسلون فأخبروه بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط لاهلاكهم إلا آل لوط ماعداً امرأته فانها مع قومها
 ثم دخلوا على لوط فأناكرهم وأوجس منهم خيفة فقالوا له قد جئنا لعذاب قومك ثم أمروه أن يسير بالليل هو
 وأهله ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته وكان ما كان من أهل المدينة وانهم أرادوا فعل الفاحشة بهؤلاء الأضياف
 وكيف تألم لوط وجرت بينه وبينهم محاورة وهم يأبون إلا أن يفعلوها وهو يدافعهم بالحجة ويقارعهم وذكرهم
 أن الزواج بنساء قومهم أفضل وأشرف فأرسل الله بهم العذاب وهذا ملخص القصة إلى قوله تعالى - إن في
 ذلك لآية للمؤمنين - ثم أنبعها بقصة أصحاب الحجر إلى قوله - فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون -

ولما أتم القصة أخذ سبحانه يبين ما يترتب على هذا من علم الأخلاق فأفاد أنه إذا كانت هذه صفة
 الإنسان وإنه مثاب ومعاقب وأن ذلك حاصل فعلاً في الدنيا وتبعها الأخرى . فاذن الأمر متقن لا خطأ فيه
 ولا خلط وكل شيء عنده بمقدار فلا بد لكل عمل من جزاء كما تقدم في عجائب الخلوقات - وما خلقنا السموات
 والأرض إلا بالحق - فلا تترك هفوة ولا ذنباً إلا حاسبنا فاعله عليه وعداً بناء فلا تهم بهم واصفح الصفح الجليل
 إن ربك خلاق الخلق عليم بهم فكيف يترك الذنب بلا عقاب . كلا . ولما كانت هذه النتائج التي مرت
 في هذه السورة بديعة محكمة فن خلق المعاش إلى نبات إلى حيوان إلى إنسان إلى جنة ونار إلى تاريخ إلى راحة
 النفس من هذه النتائج أن كلا ينال ما قدمت يدها كان ذلك داعياً أن توقن أن هذا القرآن عجيب وعظيم
 وأنه ليس غيره أعظم منه ولذلك أمره أن لا يمتدعنه ﷺ إلى ما في هذه الدنيا من المال وأن لا يحزن على عدم
 اتباعهم دين الإسلام لأنه سعيد بما أعطى . إن القرآن غنى بما لديه من البرهان

ولما أبلغ صدره بما لديه من الثروة العظيمة والغنى العلمي وأن هذه الثروة العقلية فوق كل ثروة وغنى .
 ونهاه عن اعتبار ما سواه أمره أن يتواضع للمؤمنين لأنهم أعوانه على بث هذه الثروة العقلية في سائر الناس
 فهذا تنمية لها في هذا العالم الإنساني وأمره أن ينذرهم أن من خالف يعذب في الدارين كما حصل لأولئك
 الاثني عشر الذين اقتسموا أطراف مكة وكل منهم ينفر الناس من الدين بوجه من الوجوه فهذا يقول ساحر
 وهذا يقول كاهن إلى آخر ما تقدم . ثم أقسم الله بذاته وبربوبيته ليسأل هؤلاء المتقسمين جميعاً عما قالوه
 في القرآن وفي الرسول . ثم أمره أن يجهر بما أمر به وأن يكف عنهم ولا يلتفت إلى لومهم على اظهار الدين
 وتبليغ الرسالة . وكيف تلتفت اليهم أو تخاف منهم وقد رفعنا عنك مؤنة المستهزئين الذين يجعون مع الله
 إلهاً آخر فسوف يعلمون عاقبة أمرهم ولقد نعلم أنك يضيق صدرك باستهزائهم وقولهم الفاحش والجبلة البشرية
 تأتي ذلك فيضيق الصدر فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك شرهم ويكشف الغم عنك
 أو زهره عما يقولون حامداً له على أن هذا لك للحق وقل سبحانه الله وبحمده وكن من المصلين . ولقد كان
 ﷺ إذا حزبه أمر بادر أي فزع إلى الصلاة . ويقول العارفون إن الصلاة متى كانت بحضور القلب أشرق
 الباطن وزال الحزن عن القلب وينفسح وينشرح الصدر فتعلو النفس عن هذه المادة . واعلم أن مثل هذا
 لا يعرف إلا بعد التجربة ومن لم يزل هذا الحظ لا يتصوره . فإذا أردت ذلك فصل وأنت حاضر القلب وهناك
 ترى ما يسرك فالعبرة بالعمل

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - ﴾

المتوسمون هم المتفرسون والفراسة بالكسر اسم من قولك ﴿ تفرست في فلان الخير ﴾ وهي إمامة بوقعه
 الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس ويكون لهم إصابة حدس ونظر وثبت . وأما ما يحصل
 بدلائل التجارب والخلق وبذلك أيضاً تعرف أحوال الناس . فالمتوسم هو الناظر في سمة الدلائل وسيمات الأشياء
 وصفاتها وعلاماتها . يقول الله إن فيما جاء في قصة قوم لوط الذين تركوا النساء واتبعوا الفاحشة الشنعاء في

الرجال فأخذتهم الصيحة فصار على القرية سافلها آيات لأصحاب الفراسة . وهنا ينظر المسلمون ويفكرون هل هذا القرآن نزل لأجل هذه القصص وحدها ولا متفرس في الاسلام إلا فيها . فاذا قرأ المسلم القرآن يفيض النظر عن أحوال الأمم المحيطة بنا وعن أحوالنا ويقول ان قوم لوط أهلكهم الله بفعل الفاحشة ووضع الشيء في غير موضعه . أم المسلم المتوسم يقول بفراسته وعقله المضيء المشرق . لماذا أهلك الله قوم لوط ويحجب بأنه أهلكهم بالخلل بنظام الأمة . ذلك أن النساء اذا تركن تعطلت الأرحام وقلّ النسل واكتفى الرجل بالرجل وهذا هو الهلاك لأنه اذا قلّ النسل شيئاً فشيئاً بهذه المخازي ضاعت الأمم ثم يفكر هذا المتوسم فيرى أن قوم هود هلكوا بمعاص مثل قطع الطريق واثيان المنكرات وقوم شعيب هلكوا بسبب نقص الكيل والميزان ونتيجة ذلك خراب مدنهم فيستنتج المتوسم من ذلك نتيجة واحدة وهي أن هلاك المدن وضيعاتها يرجع لأمر واحد وهو الاخلال بالنظام العام وتحت هذا ما لاحصر له من المعاصي ومعلوم أن عذاب الآخرة بعد عذاب الدنيا

ثم يقول ﴿ المتفرس في الاسلام ﴾

لأنظر حال الأمم اليوم اسلامية وغير اسلامية وأحكم أيهم أحق بالبقاء وأيهم أقرب الى الهلاك وانما يقول ذلك لأن المتوسمين ليسوا في كل الأمم إلا المسلمين . كلا بل الله الذي خلق الناس خلق المسلمين وقد جعل لكل أمة متوسمين . فهل يكون في الأمم متوسمون وللمسلمون يحرمون من هذا النوع . كلا . ثم كلا بل المسلمون أولى بهذه الصفة . ألم يقل الله فينا - كنتم خير أمة أخرجت للناس - فاذا كنا خير أمة فتوسمنا خير متوسم بل ورد في حديث غريب عن أبي سعيد الخدري عنه عليه السلام أنه قال ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - ﴾ أخرجه الترمذي

وحينئذ يقول المتوسم المسلم أنا أولى بالتوسم والفراصة بل أنا لماؤيد من الله والحديث يشهد لي . فيقول لأنظر نظرا صادقا لأهم الاسلام وأهم الفرنجة

﴿ موازنة بين أهم الاسلام اليوم وأهم الفرنجة بطريق الفراسة الخاصة بالمتوسمين ﴾

الفرنجة قد أحاطوا الكرة الأرضية بأسلاك برقية ومدّوا فيها طرقا حديدية واستخرجوا نعم الله المعدنية وغيرها من باطن الأرض وفوق ذلك استعملوا الأمواج الكهربية التي لاسلاك لها في أوروبا وأمريكا اللهم إنك أنت ذوالجلال وذوالجلال . أنت الذي ملأت الأرض والجوّ والسماء بنعمك واسكنك متكبر لا تعطى النعمة إلا لمن يطلبها وهذا من رحمتك . ولو أنك أعطيت النعم لنا جزافا لجهلنا قدرها وأضعفناها كأبناء الرجل الغني الذين ورثوا أرضا وملكا وهم لم يتعبوا فيه فصاروا أذلاء في الطرق والشوارع وهم خاسرون لهذا أنعمت على القوم الذين طابوا نعمك الخبوءة . تلك المواهب التي خزنتها في جوفنا فوق رؤسنا وفي الهواء المحيط بنا . هناك قوة كامنة بديعة هي قوة الكهرباء . تلك القوة اللازمة لما يسمى (الأثير) ذلك الأثير الذي يملأ هذه الدنيا وقد غرقت فيه أرضنا وشمسنا وكل كوكب وكل قمر . هذه الكهرباء تقوم الآن بإذاعة الخطب والأخبار والقصص والأغاني والموسيقى فمن تكون عنده آلة لاستقبال تلك الكهرباء بالحاملة لما ذكر سمع الخطيب والمغني وأمثالهما وبين القائل والسامع جبال وبحار وقارات فيسمع من في برلين نعمات من في الولايات المتحدة . وهكذا تنتقل الصور من بلاد الى بلاد ويخاطب الناس بعضهم بعضا بالتلفون بين أوروبا وأمريكا ويرى المتخاطبان صور بعضهم . وهاهم الآن لا يريدون الاقتصار على ما ذكر بل يريدون أن يرسلوا الكهرباء من محطات خاصة فتنبعث في الجوّ ويستعملها من يشاء لما يشاء في أي مكان وزمان بحيث تدور به الآلات في المصانع والمعامل وبه تضاء المصابيح في كل مكان وبه تجري السيارات بلا بنزين ولا احتراق داخلي والمصابيح المضاءة تتخذ ضوءها من الهواء ومتى تم هذا (وهو قريب) ترى الناس يطبخون ويغزلون

وينسجون ويدبرون آلات الحرارة وسقي الأرض والطحن والحز والقطر البرية والسفن البحرية . كل ذلك بأمر واحد وهي الكهرباء المنطلقة في المحطات السارية في الجوّ . وماء على الناس إلا أن يلتقطوها كما يشاؤون بالآلات تصنع لذلك فلا فم ولا بنزين ولا بترول بل هناك الكهرباء وهي القوّة الخفية التي نجعل كنهها ونعرف عملها . وليس هذا أمرا خياليا بل ابتداء للناس يصنعونه فقد أثبت الدكتور (فيليبس توماس) المهندس بشركة (وستنوس) الكهربائية الأمريكية في خطبة خطبها أمام جماعة من المهندسين الأمريكيين في يونيو الماضي سنة ١٩٢٧ أن هذا الموضوع خرج من حيز الفكر الى حيز العمل وبرهن على ذلك بأن أخذ مصباحا كهربائيا غير متصل بسلك ولكنه متصل بقضيب من النحاس طوله نحو متر ووقف على مسافة مترين من أنبوب مفرغ فلما أديرّت الآلة المتصلة بالأنبوب المفرغ وخرجت منه مجارى القوّة الكهربائية التقطها القضيب النحاسي من الفضاء فأثار المصباح الكهربائي المتصل به . هذا هو الذي يتمّ في نفس تلك الخطبة منذ ثمانية أشهر . ومعنى هذا أن الكهرباء أمكن انطلاقها في الهواء بلا سلك ولم تقتصر على نقل الخطب والصور والكلام . كلا بل أضاءت المصباح وغدا استضيء مصابيح على أبعاد مختلفة وتدير الآلات في المطاحن والمخازن والمحاريث وآلات سقي الأرض الخ

﴿ الطرق التي يبعثها القوم اليوم لنقل الكهرباء ﴾

يقول المهندس (يلرد) انه يبنى (برجان) أحدهما على مقربة من القطب الشمالي والثاني على مقربة من القطب الجنوبي . وهذان البرجان تولد فيهما الكهرباء بما في تلك الأصقاع من الفحم الحزون والبتترول وهذان لا يمكن نقلهما الى الأصقاع المعمورة لطول الشقة وبعد المسافة . وتلك الكهرباء المرسله منهما تمرّ في الجوّ المرتفع في طبقات الهواء العليا وهو أصلح موصل لأموالج القوّة الكهربائية وهي طبقة لطيفة لا تفقد الأمواج كثيرا من قوّتها في اختراقها . فأما عند اختراقها الهواء عند سطح الأرض فانها تفقد كثيرا منها وهناك اقتراح آخر وهو أن تبنى أبراج على قنن الجبال الشاهقة مثل جبل (مكنلي) في الاسكا وجبل (هوتن) بكاليفورنيا ونحو ذلك ولكنهم يفضّلون الأوّل لما تقدّم ومتى تمّ ذلك تنتقل الانسانية من حال الى حال ويعيش الانسان في جوّ مشحون بالكهرباء فيستخدم ماشاء منها بلا تعب ولا مشقة

هذا نظر القوم في أمر الكهرباء من جهة عمومها لسائر الأقطار مع سهولتها للعموم في جميع الأعمال . وهذا أمر لا يزال في معرض البحث والتفكير كما رأيت

﴿ كيف تجرى الطائرة ألف ميل في الساعة ﴾

وهاهم الآن يفكرون في سرعة الطائرة التي تطير الآن عشرات الآلاف من الأميال في الساعة ويريدون أنها تطير ألف ميل فيها . ومعلوم كما ستراه في أوّل سورة النحل عند قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - أن الطائرات على ﴿ قسمين ﴾ طائرات ترتفع في الجوّ وتطير بسبب خفتها عن الهواء كأن تكون مملوءة بالادروجين والادروجين أخف من الهواء وعلى ذلك ترتفع فيه الى حدّ ما وهذه تسمى (بالونات) وطائرات لا تكون أخف من الهواء بل هي أثقل منه فهي أشبه بالطير في جوّ السماء . ومعلوم أن الطير أثقل من الهواء لأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والطير يقرب ثقله من ثقل الماء . وهذه الطائرات يرفعها في الجوّ ويسيرها تلك المحركات الدائمة التي تدفع الهواء بسرعة حركتها فترتفع الطائرة وتسير الى الأمام في الجوّ بحلولها محل الهواء الذي طردته تلك المحركات في الطائرة . هذا هو ما عليه الطائرات اليوم ولكن القوم الآن يقولون . معلوم أن الكرة الأرضية محيطها حوالي (٢٤) ألف ميل وهي تجرى في الساعة الواحدة من الغرب الى الشرق حوالي ألف ميل . فما المانع إذن من أن ترتفع الطائرة الى أمد بعيد في الجوّ بحيث

لا يكون للأرض على الطائرة سلطان الجاذبية إذ الجاذبية تقل كلما ابتعد الجسم عنها . ومتى وصلنا الى ذلك المكان أوقفنا الطائرة . وحينئذ نترصد الدقيقة أو الثانية التي وصلت فيها الأرض في جريها الى المكان الذي قصدناه ثم نزل بالطيارة على ذلك المكان في الأرض بلا كلفة ولا تعب . وعلى ذلك يمكن الانسان أن يسافر ألف ميل في كل ساعة وفي الساعتين يقطع ألفي ميل وهو لم يبرح مكانه ولا أضعاف مالا في جري الطائرة فالأرض قامت بجريها مقام الطائرة . ومعالم أن الأرض تقطع في جريها في كل ساعة (١٥) درجة من السرجات الأرضية . (أنظر السرجات الأرضية المذكورة في سورة البقرة عند الكلام على اختلاف الليل والنهار في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - الخ هذا ما ابتدأ القوم يفكرون فيه

﴿ اقتراب تعميم التلفون الأثيري ﴾

أما الامور التي اقتربت أن تتم فعلا وقد قطعت شوط الفكر وشوط العمل كما تقدم هنا فهي التلفون الأثيري (المسره) التي في الاثير . وهاك ماجاء في جرائدنا المصرية يوم الاثنين ١٦ يناير سنة ١٩٢٨ في باب التلغرافات

نيويورك في ١٤ يناير سنة ١٩٢٨

شهد عدد من العلماء أمس عرضا انغرض منه الدلالة على أن نقل الصور الاثيري قد بلغ من التقدم درجة تؤهل للاستعمال العام في المنازل فأروا اللوحة الموضوعة فوق التلفون الاثيري قد أضيئت وظهر فيها وجه رجل يعالج بيده آلة في بعض المصانع الكهربائية على بعد ثلاثة أميال من مكان العرض وكان يدخن (سيجاره) يتصاعد منها الدخان وسمعت أقواله بوضوح تام ثم ظهر وجه شابة تعزف على (المندولين) وكان للحن الذي تعزفه مسموعا واضحا ثم تناوت بيدها كتابا مصورا ظهرت صورته للحاضرين جليلة وكان القرار أن الجهاز ليس معتمدا تماما للأسواق ولكنه أفضل من أي جهاز آخر من هذا النوع عرف للآن اهـ هذا ماسينظره المتوسمون في أمم الاسلام من جهة أمم الفرنجة

﴿ أمم الاسلام في نظر المتوسمين من علماء الاسلام ﴾

ينظر هؤلاء المتوسمون فيحجبون ويقولون ان المسلمين في أقطار الأرض اليوم هم المتوسمون بالجهل بحيث انك ترى غير المسلم في كل أمة هو المتعلم والمسلم غير متعلم . فترى الرجال والنساء في انكلترا وألمانيا وأمثالها وهكذا الممالك المتحدة . كل هؤلاء رجالهم ونساؤهم متعلمون وعلى قدر ازدياد العلم تزداد الثروة ثم ينظرون فيجدون اليابان التي هي أمة شرقية قد قرأت علوم القوم وصارت مثلهم بل غلبت دولة من دولهم ثم ينظر المتوسمون فلا يجدون أمة اسلامية لحقت بتلك الأمم إلا قليلا . فلماذا هذا . أهذا طبيعة الدين كلا . فالدين هو الذي حرك تلك الأمم بالواسطة كما تقدم في سورة التوبة موضحا عن العلامة (سديوالفرنسي) فقرأه هناك إن شئت . أم هذه طبيعة هذه الأمم . كلا فهذه الأمم هي التي كان لها القدر المعلى في المدنية إذن من أين هذا فيجدون أن هذا من جهل القائلين بأمر الدين وطريقة تدريسه من عهد بعيد وقرون تبلغ نحو تسع كما هو واضح في موضع من هذا التفسير ثم يضرب هؤلاء مثلا بما حصل أيام طبع هذه السورة وهو أن ملك الأفغان ﴿ أمان الله خان ﴾ قد خرج من أوطانه ليرحل في ارض الله شرقا وغربا فزار الهند ومصر وهو الآن عند كتابة هذه الأسطر في ايطاليا ويتوجه الى انكلترا وأم أخرى . وقد فرح به المسلمون في مصر فرحا شديدا لأنه أخرج الأعداء من بلاده فصارت بلاده مستقلة تمام الاستقلال فيقرؤون في الجرائد المنشورة بمصر يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧ مانصه

يقول المهندسون ان بلاد الأفغان غنية بالمعادن وآخر تقرير لهم في ذلك هو تقرير المهندسين الطليمان في سنة ١٩٢٣ وقد جاء فيه أنواع المعادن وأمكنة رجودها وهي الفحم الحجري والحديد والفضة والذهب والياقوت

الأحرار والكبريت وسلفات النحاس والملح وملح البارود والزئبق وقد عثروا على ينابيع المياه المعدنية
ولكنهم لا ينفقون اليها كثيرا ولم يستخرج حتى الآن شئ من تلك المعادن . وأرادت الحكومة أن تمنح
الشركات الإيطالية والأمريكية بعض الامتيازات ولكنها عدلت عن ذلك مراعاة لشعور الشعب الذي يكره
الأجانب لذلك فكرت في ارسال بعثة علمية صناعية الى أوروبا للاختصاص في أمر المعادن واستخراجها اه
هذا ما يقرؤه المتوسمون من علماء الاسلام ويوازنون بين أمم أوروبا وأمم الاسلام وانما يوازنون بين
الفریقین لأن المانع الذي منع أمة الأفغان من سرعة الرقي ليس خاصا بها بل هذه صفة عامة في الأمم الاسلامية
المتأخرة . إن الملك ﴿أمان الله خان﴾ يريد الاسراع في الرقي وهكذا كل المتتورين في أمم الاسلام يريدون
ذلك فاذا عاونهم رجال الدين بأن فهموا أمثال ما يكتب في هذا التفسير أسرع الرقي الى بلاد الاسلام كما أسرع
سابقا في بلاد اليابان وان تباطأ علماء الدين وبقيت دراسة الاسلام على ما هي عليه هلكت هذه الأمة هلاكاً
لامناص منه كما هلكت أمتان عظيمتان في زماننا وهما أهل أمريكا الأصليون وأهل استراليا الأصليون .

فهؤلاء لما دخلت عندهم المدنية الأوروبية ولم يجاروا القوم هلكوا وانقضوا إلا قليلا
ثم يقول المتوسمون في بلاد الاسلام من علماءهم . إن الله أهلك قوم لوط بسبب أنهم - بدّلوا نعمة
الله كفرا - . وما هي نعمة الله . هي أرحام النساء التي تربي لنا الأجنسة ليعمروا أرض الله فتركها الناس
وأثروا الرجال فلا تكون ذرية . إذن هذه قاعدة وهي أن كل من بدّل نعمة الله كفرا بهلك وهذا كما في
قوله تعالى على لسان ابليس - ثم لا ينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكرين - . ولا معنى لشكر النعمة إلا علمها والانتفاع بها . ومن لم يعرف النعمة لم يشكرها .
فاذا كان من عطلوا أرحام الناس أهلكهم الله فمن باب أولى من عطلوا ما في باطن الأرض من المعادن وما في
الجو من الكهرباء وما فوق الأرض من قطع متجاورات مملوءات بالخيرات

ألا انما مثل المسلمين في نومهم عن خيرات ربهم اذا داموا عليها كمثل دابة نامت في معلق الدواب على
التبن فلا هي منتفعة به ولا هي تركت الدواب تأكله . ثم يوازن المتوسمون المسلمون

(١) بين قوم استخرجوا ما بأرضهم من المعادن ووجهوا وجهتهم شطر القطبين يريدون أن يعلّوا الدنيا
نورا من نور الله الخبوء في القطبين لأن الله هناك خفيا وبترولا لا يمكننا الانتفاع بهما إلا بما قدّمناه

(٢) وبين آخرين قصرُوا في كل شئ حتى ان معادنهم الخبوء في أرضهم منعوا أنفسهم ومنعوا الناس
منها . أفليست هذه الأمم اذا دامت على ذلك (لاسمح الله) يغضب عليها أشد من غضبه على قوم لوط
وقوم هود وقوم شعيب لأن أولئك الهالكين عطلوا نعم الله أقل من تعطيل المسلمين اليوم لنعم ربهم ومن
هذا ما تقدم ذكره في سورة ابراهيم قريبا من أن دولة خلفاء بني عثمان التركية ملكت بلاد فلسطين وملكها
قبلهم دول اسلامية وهم جميعا يجهلون ما بالبحر الميت من العناصر والمواد النافعة لرقى المسلمين ومنعوا الأمم
الأخرى أن تستخرجها حتى اذا دخل الانجليز عرفوا قيمتها . وهاهم الآن يستخرجونها وفيها ما قيمته
تتجاوز ما عند جميع المسلمين في الأرض من المال . إذن الجهل عام في أمم الاسلام غاية الأمر أن (أمان الله
خان ملك الأفغان) يريد رقي بلاده عاملا مجتدا وليس خاملا كالكوكب بنى عثمان فعسى أن يكون من المفلاحين ثم
يحكم هؤلاء المتوسمون حكما عادلا على أمم الاسلام فيقولون الآراء التي في هذا التفسير وأمثالها قد أخذ
المسلمون يتلقونها بالقبول فأغلب الظن انهم أخذوا يسبرون في سبيل الرشاد وهذه الآراء جيدة فستعم رجال
الدين في أقطار الاسلام قريبا وسيقوم المسلمون قومة رجل واحد لحوز علوم الأمم فأكثر الناس منهم قريبا
فائزون . فان لم يصدق الظن بانباع هذه الحقائق فانهم والعياذ بالله هالكون وأول الرأيين هو الأول والحمد لله
رب العالمين اه

﴿ خطاب المؤلف لأُمّ الاسلام ﴾

أيها الأُمّ الاسلامية هذه المذكورات هنا حقائق وعلى من اطلع على هذا من أهل العلم في أمّ الاسلام أن يشمرها في المساجد والمجامع وفي كل مكان فلا يترك مجلسا ولا ناديا ولا جماعة إلا أذاع هذه الآراء بينهم
أيها الأُمّ الاسلامية • إن ربكم عدل وهو بالرصاد • عظمت نعم الله في الأرض ومنعتم أنفسكم وعباد ربكم عن الانتفاع بها • فهل ظننتم أن الله خلقها لتعطاؤها • كلا والله إن الله لا يغفر للناس منع كرمه وفضله عن عباده • وهأنتم أولاء ترون بأعينكم أن الأُمّ القوية تسعى فتملك الضعيفة المعطلة لنعمة الله • وهذا أمر يحتم • نعم استقلت دولة الأفغان ودولة ايران ودولة الترك وملكة الحجاز وهكذا نجد وبلاذالين فلتعلموا أيها المسلمون أن هذا الاستقلال لا يدوم إذا بقيتم على ما أنتم عليه من جهلكم بنعم الله في أرضكم فلا بد أن تؤخذ منكم عاجلا أو آجلا • أما إذا حفظتم أمانة ربكم واستخرجتم كنوزه ونفعتكم أنفسكم والناس فأنتم شاكرون باقون في أرضه • ألم تعلموا أن الله يجعل الأضعف طعمة للأقوى • خلق الله في الأرض نباتا وخلق في النبات دودا يأكله والدود حيوان والحيوان أرقى من النبات ولكن الدود لا سمع له ولا بصر ولا شم ولا ذوق وإنما يتص بجلده فهو ضعيف تخلق الله له طيورا تأكله كأبي قردان وذلك لأمرين ﴿ الأول ﴾ أن هذا الدود ضار بالزرع والزرع نافع للانسان والانسان أرقى من في الأرض • لذلك أرسل الله هذا الطير لأكله ﴿ الأمر الثاني ﴾ أن هذا الدود ضعيف وأبو قردان مثلا قوى فجعل الضعيف طعمة للقوى • فللطير أعين وآذان تسمع بنور الشمس وتسمع بواسطة الهواء وتمتع بالأرض والهواء ولا شيء من ذلك للدود • لذلك جعل غذاءه للكمال • هكذا إذا بقي المسلمون (لا سمح الله) كما كانوا في القرون المتأخرة فانهم يكونون أشبه بالدود والأُمّ أشبه بطير أبي قردان • ولنا وطيد الأمل أن المسلمين سيرتقون والله عاقبة الامور والحمد لله رب العالمين • انتهى

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ لا تمدن عينيك الى

ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين - ﴿

لقد علمت فيما سبق أن السبع المثاني هي الفاتحة - والقرآن العظيم - معطوف عليها عطف السك على البعض • إذن يكون ملخص الآيات إنا أعطيناك العلم فأياك أن ترغب في لذات الدنيا أو تزاحم أهلها وكيف ترغب في ذلك وقد أوتيت القرآن الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها * وروى أن رسول الله ﷺ كان لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه وقوله - ولا تحزن عليهم - أي ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا ولا تحزن على إيمانهم إذا لم يؤمنوا * روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال ﴿ أنظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعم الله عليكم ﴾ قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الأغنياء فما كان أحد أكثرهما مني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت واعلم أن هذه الآية موافقة لما جاء في أول السورة إذ يقول تعالى - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - فهذه احتقار للذات والمال وهنا تصريح بطلب غرض الطرف عن تلك الأموال والأحوال ﴿ عجائب الفلسفة اليونانية والرومانية وكيف أتى بها وبخير منها القرآن بعد اضمحلالها

وهذا من أعجب معجزات القرآن ﴾

يقول الله هنا - لا تمدن عينيك الخ - ويقول في أول السورة - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ويقول في أول سورة الكهف - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ويقول في سورة الكهف أيضا - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - يعني وهذه الزينة لا بقاء لها وإنما الباقيات الصالحات من

الأعمال أفضل ويقول في سورة البقرة - وبشر الصابرين الخ - وهكذا أكثر سور القرآن تذكر فيها هذه المعاني . فلننظر الآن الى علوم الأمم السالفة السابقة على النبوة المحمدية . ذلك أن اليونان والرومان كانوا هم القائمين بالفلسفة قبل التاريخ المسيحي ونبع من بين اليونان سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس . ثم إن أمة الرومان احتلوا بلاد اليونان وأخذوا فلسفتهم وقروها ونبع فيها نابغون مثل شيشرون وسنيكا . ولقد كان من حكماء الرومان رجل يقال له (أبيكتاتوس) وكان عبدا برومة لصاحب الشرطة على عهد الإمبراطور (نيرون) ولما رآه سيده أنه فيلسوف تركه يقرأ الفلسفة والحكمة وكان على مذهب (الرواقيين) وذلك سنة ٩٤ لميلاد فلما صدر أمر الإمبراطور (قورمطيانوس) بإخراج الفلاسفة من إيطاليا هاجر الى بلاد اليونان ومات بها ولا يعلم تاريخ موته وهو من أشهر المتأخرين من الرواقيين وله حكم لاتزال متداولة بين الناس من القرن الثاني الى الآن ومحاورات نشرها تلميذه (أريانوس) والموجود منها الآن في العالم أربع مقالات من الثمانية الأصلية فن حكمه ﴿ أن روح الانسان لها نسبة الى نور الاله بل انها شرارة من ذلك النور ﴾ هذا تعبير مجازي وفيض من ذلك الجوهر وأهم ما في الفلسفة أن نبحث عن تظهير أخلاقنا لتكون أحرارا

وملخص مذهبه يرجع الى ﴿ كلمتين اثنتين ﴾ الصبر على ما يؤذينا والصبر عما فاتنا . يقول ان الحرية أن يكون الانسان متصرفا في أفكاره كما يشاء . والعمدة في ذلك أن يفرق بين ما هو متعلق بقدرتنا وما هو غير متعلق بها . أما ما هو متعلق بقدرتنا فهو ضميرنا وأفكارنا وإرادتنا . وأما الباقي فهو من غير المقدور لنا . فعليما أن نتحمل ما باحقتنا من الأذى اذا عرض وأن نصبر على ما فاتنا اذا فات . وبالجلة عديم الاكتراث بآلأشياء اخارجة عنا التي هي غير مقدورة لنا . ويجب علينا أن نطهر لباض ونجذ في ذلك حتى نحس بالنور الالهي فينا الذي حجب عنا . ثم علينا أن نعين الاخوان من سائر النوع الانساني لأن الله هو رب الكل وجميعهم تحت كلاءته ورجته . إذن ملخص مذهبه صبر على أذى وصبر على ما فات وحجب الله وحجب للناس . وهذا كله لا يتم إلا بتظهير الباطن . وهاك بعض حكمه

﴿ الحكمة الأولى ﴾

كل ما في الطبيعة فهو إما أن يكون موقوفا على قدرتنا أو غير موقوف على قدرتنا . أما ما هو بقدرتنا فهو اعتقاداتنا وعواطفنا وأميلنا ومكروهاتنا وجميع الأفعال الصادرة منا . وما هو غير موقوف على قدرتنا هو البدن والمال والصيت والمناصب . وبالجلة كل ما ليس من فعلنا

﴿ الحكمة الثانية ﴾

ان ما يتعلق بفعلنا لا عائق له وما لا يتعلق بقدرتنا فهو ضعيف مضطرب أجنبي عنا

﴿ الحكمة الثالثة ﴾

ينبغي لك أن تذكر أنك اذا تخيلت فيما هو غير حروفيما ليس بقدرتك أنه بقدرتك فانك لاتزال مضطربا حزينا شاكيا الله والناس بخلاف ما اذا اعتقدت فيما هو لك وفيما هو لغيرك أنه لغيرك فقد لا تجد لأفعالك عائقا ولا تفعل شيئا وأنت كاره ولا يكون لك عدو ولا يلحقك ما يؤذي

﴿ الحكمة الرابعة ﴾

اذا أردت ادراك هذه الغاية الشريفة فعليك بالاجتهاد وعدم التواني والزهد في بعض الأشياء والامساك عن بعض والمراقبة على نفسك فانه لا يمكن لك أن تجمع بين طلب ما هو خير في ذاته وطلب المال والمناصب فان فعلت فقد يفوتك كلاً طرفي ما تنقصه . أما المال والمناصب فلائك قد طلبت الخير الحقيقي . وأما الخير الحقيقي فلائك قد طلبت المنافع الأخر

﴿ الحكمة الخامسة ﴾

إذا عرض ما يؤذيكَ فقل له إنك لوهم ولا شيء غيره ثم أعرضه على الأصول السابقة وخصوصاً على الأول فانظر هل هو في قدرتنا أو مما ليس في قدرتنا فإذا كان من غير المقدور فلا يلزم أن يسك بشئ

﴿ الحكمة السادسة ﴾

لا تنس أن القصد من كل ميل طبيعي إدراك ما نشتهيهِ والقصد من كل تطور اجتناب مكروهه فالإنسان قد يكون شقياً سواء فاتته ما طلبه أو وقع فيما كان يحذره وعلى ذلك فإذا كان ما تحذره من المقدور عليه فإنك لا تقع فيه أبداً بخلاف ما إذا كنت على حذر من المرض والفقر والموت فإنك لا تزال شقياً الحال فلا يكن حذرُك إلا بما هو في قدرتك وكن مطمئناً البال فيما سواه

﴿ الحكمة السابعة ﴾

أنظر في الأشياء التي تستعملها وفي كل ما تحبه ماهي صفة وحقيقة ذاته من أحقرها فصاعداً فإذا تعلق حبك مثلاً ببناء من خُرف فقل لنفسك إن ما تحبُّه هو إناء من خُرف فإذا انكسر لا يسوؤك آلفه ومثل ذلك يقال في ولدك وزوجك تذكر أنها من البشر الميت فإن عاجلتهم المنية لم يتكدر ضميرك

﴿ الحكمة الثامنة ﴾

عليك قبل الشروع في فعل أن تنظر فيما أنت فاعله . فإذا أردت الحمام مثلاً ينبغي لك أن تستحضر في فكرك كل ما يعتاد وقوعه في الحمام من ازدحام الناس وتلاكم بعضهم ببعض ورش الماء على المارين والمشاة وسرقة الثياب . فإذا تصوّرت ذلك في فكرك لم يضطرب ضميرك وقلت لنفسك إني أريد الحمام وإنما أريد البقاء على حريتي وذلك يستوجب تحمل ما تقتضيه الطبيعة في خصوص ذلك الفعل فإذا صلتك عائق عن الاستحمام فقل إني كنت أقصد الحمام إلا أني كنت أريد أيضاً البقاء على حريتي ومروتي فإذا لم أكن أصبر على ما يفعله الغوغاء في مثل تلك المحافل ما بقيت حراً

﴿ الحكمة التاسعة ﴾

أغلب ما يضطرب من أجله أفسكار الناس هو ما يتخيّلونه من الحوادث لا الحوادث نفسها . فالألموت مثله ليس بشئ إذ لو كان شراً لاستعظمه (سقراط) أيضاً خفونا الموت ليس السبب فيه إلا ما تخيلناه في حقه . وكذلك إذا أحسنا من نفسنا القلق والحزن فلا نلوم إلا أنفسنا أي ما فيها من الظنون الكاذبة . ومن لام غيره على ما يطرأ له فهو جاهل . ومن لام نفسه دون غيره فقد شرع في الحكمة أما الحكميم فلا يلوم نفسه ولا غيره

﴿ الحكمة العاشرة ﴾

لا تعجب بما هو أجنبي عنك فإن الفرس مثلاً إذا أعجب بحمالة يحتمل ذلك منه وأما أنت فإذا أعجبت بحمالة فرسك فقد افتخرت بما ليس لك . إذن لاحظ لك منه إلا الظن والوهم . نعم إذا قدرت أن تجري أفسارك على وفق الطبيعة فلك العجب به لأن ذلك لك ومنك

﴿ الحكمة الحادية عشر ﴾

إننا معاشر الناس كراكب السفينة فإن الراكب إذا بلغ مرسى على طريق سفره ونزل للبر ليتزود ماء فأعجبه شئ من العشب والخصي فلأمانع من أن يلتقطه ويحب عليه مع ذلك أن لا يقل عن سفينة ويلتفت أحياناً ليصر أين هي حتى يكون مستعداً مهما أشار له رب السفينة بالرجوع فألقى جميع حمّله وأسرع وكذلك المسافرون في هذه الحياة إذا أعطوا زوجاً أو بنتين مكان العشب والخصي فلأمانع من قبولهم إياها وإنما إذا ناداهم الرب فإن عليهم بالتلبية والمصارعة وترك جميع ما يدهم بدون التفات ثم إذا كنت شيخاً فلا تبع عن السفينة مثلاً يتعذر عليك إدراكها عند ما يدعوك ربها

﴿ الحكمة الثانية عشر ﴾

إذا أردت أن تعيش هنيئاً فلا تطلب أن تكون الحوادث على وفق مرادك بل فليكن مرادك على وفق الحوادث

﴿ الحكمة الثالثة عشر ﴾

إن المرض يعوق البدن وليس بعائق للإرادة إلا إذا وافقته . إذا كنت أعرج مثلاً فهذا نقص يعوق رجلك ولا يعوق حرية باطنك . فإذا تأملت في بقية الحوادث تجدها كلها منها يعوق شيئاً مخصوصاً وليس بعائق لك في فسكرك

﴿ الحكمة الرابعة عشر ﴾

كل ما عرض لك من الأمور الخارجة عنك فانظر في نفسك تجد أن لك فضيلة خاصة لمقاومته . فإذا كان الطارئ عليك امرأة جيلة مثلاً فابحث في نفسك تجد فيها العفة تعودت ذلك ولم يكن لأوهام خيالك قدرة عليك أبداً

﴿ الحكمة الخامسة عشر ﴾

لا تنقل في شيء أنفقته إنك أنفقته بل قل اني قد أرجعته . فإذا مات ولدك فقل اني أرجعته . فإذا قلت إنه قد تعدي على غاصب جبار فأقول لك فما يعينك على بد من استردّه من كان قد أعطاه لك فإدام بيدك فتصرف فيه كما يتصرف في مال الغير وكعابر الطريق يتصرف في متاع المنزل الذي حل فيه

﴿ الحكمة السادسة عشر ﴾

إذا أردت أن تتقدم في الأخلاق الكريمة فلا يرد عنك قول الناس فيك إنك معتوه سفيه لعدم أكثرائك بالمكاسب والمال ولا تجتهد في أن يراك الناس عالماً . وإذا أخذوا في احترامك فكن على حذر من نفسك واعلم أنه يصعب الجمع بين استقامة الباطن وشغل انبال بالمكاسب إذا مانع الباطن بأحدهما أهمل الآخر

﴿ الحكمة السابعة عشر ﴾

إذا طلبت أن زوجك وأصدقاؤك يعيشون على الأبد فانك من السفهاء إذ ليس ذلك إلا لطلب من أراد أن ما ليس بقدرته يكون بقدرته وأن ما لغيرك يكون لك . وكذلك إذا أردت من عبدك أن لا يأتي خطأ أبداً فانك على مثل ذلك من السفاهة إذ تريد أن لا تكون طبيعة العبد على ما هي في الحقيقة . وإذا أردت أن تبلغ مرادك فلا تريد إلا ما في قدرتك

﴿ الحكمة الثامنة عشر ﴾

إن كل من قدر على منع ما يريده أو أكرهنا على ما لا يريده فهو ربنا فإذا أردت أن تكون حراً فلا تطلب شيئاً مما لغيرك والا فقد تكون عبداً لا محالة

﴿ الحكمة التاسعة عشر ﴾

كن في الحياة كمن دعى إلى وليمة . فإذا قدم لك الطعام نخذ منه قدر حاجتك ولا تزيد . وإذا أبعد عنك فلا تمسكه . وإذا لم يأت به بعد فانتظر واصبر ولا ترفع صوتك في نداء الخادم . فكن مثل ذلك فيما يتعلق بالزوج والبنين والمال والمناصب جديراً بمنازمة الملائكة فإذا كان في قدرتك التمتع بذلك فاحتقرته وزهدت فيه فقد لا تكون نديم الملائكة بل شريكهم في الملسكية

﴿ الحكمة الحادية والعشرون ﴾

إنك في هذا العالم كالشخص في الملعب لتمثيل الشخص الذي عينه لك رب الملعب فلا يعينك كونه طويلاً أم قصيراً فإذا عين لك تشخيص الفقر فليس عليك إلا أن تقوم بذلك . وكذلك إذا فرض عليك أن تشخص أعرج أو سلطاناً أو انساناً من جمهور الناس فليس عليك إلا الوفاء بخطتك على قدر طاقتك . وأما

تعيين الشخص فهو من غيرك

﴿ الحكمة الثانية والعشرون ﴾

إن أحببت أن لا تغلب فلا تدخل من القتال إلا ما نيقت الغلبة فيه

﴿ الحكمة الثالثة والعشرون ﴾

إن الأذى الذى يلحق الضرب والشم ليس من الضرب والشم بل مما تتخيله من ذلك . وإذا أغضبك أحد فاعلم أنه ليس هو المغضب لك بل ما تعلق بك من التصور . وعلى ذلك فاجتهد حتى لا تكدر أوهام خيالك . فإذا دفعتها وانتظرت برهة من الزمان فقد تيسر لك أن تكبح نفسك وتتصرف فيها كما شئت

﴿ الحكمة الرابعة والعشرون ﴾

ليكن نصب عينيك دائما الموت والجلد عن الوطن وسائر ما يستعظمه الناس من المهولات لاسيما الموت فلا تدخل ضميرك شئ من الأفكار الخسيسة ولا تكن حريصا على شئ مزيد حرص

﴿ الحكمة الخامسة والعشرون ﴾

إنك إذا تفرغت لطلب الحكمة فلا تلبث وقد أخذ الجمهور في السخر منك والهزؤ . يتساءلون عنك أنه لشد صار فيلسوفا من يومه . من أين له هذه الحكمة وهذه النخوة . أما أنت فاسكت عنهم ولا يأخذوك الكبير والكبىب والزم ماتراه أفضل وأحسن قدر طاعتك وأعدده مرضا قد فرضه عليك الإله كالجندي جعل له مكانا يحرسه ولا يبرح عنه . واعلم أنك إذا داومت ولم تتوان في جهادك سيحبب بك من كان بك يسخر بخلاف ما إذا راعك قولهم فتوانت فقد لا يزيدهم ذلك إلا استهزاء منك واحتقارا

﴿ الحكمة السادسة والعشرون ﴾

إذا أحببت أن تعرف وأن يهيب منك الناس فقد انحط بك حالك الى أسفل مما كنت عليه فاقنع بأن تكون حكما . وإن أحببت أن ترى حكما فلعين نفسك . انتهى ما نقلته مما كتبه الاستاذ (سنتلانه) الطالباني الذى ترجم هذا من اليونانية

ويقول علماء الفرنجة . إن هذه الآراء هي الشائعة وأمثالها في كلام الصوفية في الاسلام . ويقول (أبيكتاتوس) المذكور أيضا هو وقابس اليوناني المذكور فيما سياتى في سورة الاسراء وهكذا فلاسفة الاسلام مثل الامام الغزالي في الاحياء ماملخصه

﴿ إن الخير المحض هي الحكمة والشر المحض هو الجهل . أما المال والولد والصيت وقهر العدو وأمثالها فهي ليست بخير ولا بشر . ويكون الخير والشر بحسب ما يقارنها لايها هي كما يرى كثير من ذوى المال والصيت في شقاء مستمر والعكس بالعكس ﴾

هنا ما أردت ذكره بمناسبة قوله تعالى - ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الخ - وهكذا ما يناسبها من آيات القرآن . وهكذا قوله عز وجل - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن - الخ

ويقول - يحسبون أنما تمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - ويقول - ولا تحببكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - الخ

فياتجيبا . هذا القرآن نزل في جزيرة العرب و بلاد العرب قاحلة من كل حكمة إلا ما جاء في الأشعار . و بلاد الروم خاوية من حكمة الحكماء . وحكمة هذا الفيلسوف قد جعلت في خبر كان لما علمت من تحريم الفلسفة في تلك الدولة لأجل الدين المسيحي

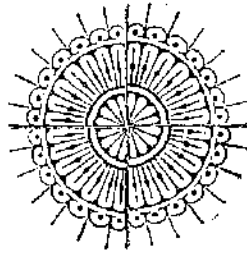
انظر وتجب من آيات القرآن التي أنت بحكمة كانت مخبوءة عن الناس . ولعمري إن هذا وحده

معجزة وهذا ربما يعرف من قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فالذين أوتوا العلم من الحكماء جرت على ألسنتهم وقلوبهم هذه الحكمة . فاذا سمعوا القرآن عجبوا من حكمة لم يسموها الناس في زمانهم بل سميت من الأمم المتمدينة الراقية إذ ذاك لتحريم الفلسفة في الدين المسيحي ويقول الحكماء إذا سمعوا هذا القرآن ان أعظم الأشعار المنقولة عن العرب أيام النبوة في الحكمة ما روى عن زهير بن أبي سلمى

ومن لم يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب وبوطأ بنفسه
ومن هاب أسباب المنايا ينلته * وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن لم يند عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذم
ومن يغترب بحسب عدو وأصديقه * ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حمله ذماً عليه ويندم
ومهما نكسك عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق إلا صورة اللحم واللحم

هذه أحسن ما في حكم زهير بن أبي سلمى وحكمه أشهر ما عند العرب . إذن هذه الحكمة مجهولة عند العرب ومكتومة ممنوعة عند دولة الرومان أيام النبوة المحمدية فنزلوها في القرآن بهذا المعنى في سور كثيرة هي المعجزة العلمية التي لم تعرف إلا في زماننا . هذا الزمان الذي ظهرت فيه حكم الأمم القديمة وترجت حديثاً للعربية والجد لله الذي وفق لنشر ذلك في هذا التفسير . وانظر إلى حكم ذلك الفيلسوف الروماني المتقدم فانك لا تجد فيها ما جاء في هذه الآيات في السورة إذ يقول الله تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسيح بحمد ربك وكن من الساجدين - الخ

فقد جعل الله في القرآن مخرجاً من الهمم بالتسبيح والحمد والصلاة ولكن الفلسفة المذكورة لم تفتح هذا الباب للنوع الانساني والجد لله على نعمة العلم والحكمة . انتهى تفسير سورة الحجر



﴿ سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية ﴾

﴿ وهي ثلاثة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - ويفعلون ما يؤمرون -
 ﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - وقال الله لا تتخذوا إلهين ثنين - الى قوله - وهدي و بشري المؤمنين -
 ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - إن الله يأمر بالعدل - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْفِئَةِ إِلَّا لِبَشَرِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِيعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِمَّا شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْزِلُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَا كُلُّوهُ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُوتًا وَتَرَى الْفُلَاقَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِيَبْتَلِيَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَاجِرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
 كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ * قَدْ مَكَرَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
 الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ
 تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
 خَيْرٌ وَلَنْعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
 كَذَلِكَ يُجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا
 الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ
 فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
 مَا عَمِلُوا وَخَلَقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الطَّاغُوتَ فَهُمْ مِنْ هَدًى اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا
 لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
 وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لَيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
 فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا
 أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
 مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ
 الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُ
 عِمَّجِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ
 اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ * يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ
 قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ *

﴿ التفسير المفطى ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

كان المشركون يستعجلون العذاب مستهزئين به ويقولون اذا صح مايقوله فان الأصنام تشفع لنا يوم
 القيامة وتخلصنا من الهلاك في الدنيا فرد الله عليهم -م قائلا (أتى أمر الله) وعبر بالماضي وان كان مستقبلا
 لتحققه كتتحقق الماضي فالأمر الموعود به محقق كما ان الماضي محقق (فلا تستعجلوه) وكيف تستعجلون ما هو
 محقق سيحصل بعضه يوم بدر وما يليه والباقي يكون يوم القيامة . ثم رد عنهم في الشق الثاني قائلا (سبحانه
 وتعالى عما يشركون) تبرأ سبحانه عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم وتئن سألت أي طريق به
 عرفت يا محمد أن هلاكنا محقق لنقولن الوحي هو الذي أخبر به وهذا قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح)
 بالوحي الذي هو في الدين قائم مقام الروح من الجسد ويحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره) بأمره ومن
 أجله (على من يشاء من عباده) الأنبياء أي أن يتخذ رسولا (أن أنذروا) أي بأن أنذروا أي اعلما
 (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) ان الشأن - لا إله إلا أنا فاتقون - ولو كان لي شريك لم يكن النظام الذي سيأتي
 الآن في خالق السموات والأرض على أحسن ترتيب فان العمل المتقن فيهما دال على وحدة العمل وتمازج
 المنافع واتصال العالم العلوي بالسفلي فالوكان هناك ثان في العمل لكان هذا العالم غير متفق للشارب ولا متحد
 المقاصد ولا صادق الوجهة الغائية . وهذه صفحة بيضاء من تاريخ عالم السماء والأرض قال تعالى (خلق
 السموات والأرض بالحق) على نهج متين تقتضيه الحكمة ولا يسوغ أن يكون له شريك في خلقهما (تعالى
 عما يشركون) ولما كانت السماء والأرض قد نشأ منهما معا خلق ما على الأرض وأشرف ذلك الانسان .
 وذلك أن العوالم الأرضية تدرجت في الخلق من أدنى نبات الى أعلاه ومن أعلى نبات الى أدنى حيوان فأعلاه
 وهو الانسان فلذلك أعقبه بقوله (خلق الانسان من نطفة) جاد لاحسن لها ولا حياة (فاذا هو خصيم)
 منطيق مجادل مناظر منكر على الله البعث وقد نسي ما كان عليه من المهانة وهو نطفة (مبين) للحجة .
 ثم اني قد كتبت تفسير هذه الآيات اجالا في الخطاب الذي أرسلته لسائر المسلمين في الشرق والغرب
 وسميته ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ فلا ذكره الآن كما هو هناك لاختصاره فأقول (والأنعام) الابل والبقرة
 والغنم (خلقها لكم فيها ذفاء) مايدفأ به فيق البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها (ومنها تأكلون) أي

تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم وانشعوم والألبان (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من
صراعها الى راحتها بالمشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى صراعها فان الأفتية تزين بها في الوقتين
ويجسأ أهلها في أعين الناظرين اليها (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس) أى
نحمل ثقلكم الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بكلفة ومشقة (إن ربكم لرؤف رحيم) حيث رحكم بخلفتها
لا تنفاعكم وتيسر الأمر عليكم (والخيل والبغال والحمير) ذوات الخوافرأى وخلق لكم هذه (لتركبوها وزينة)
أى لتركبوها وتزينوا بها (ويخلق ما لا تعلمون) غير هذه الدواب التى تركبوها وإنما ذكر هذه بعد البغال
والحمير والخيل التى تركبها وتزين بها ولم يذكرها بعد الأنعام من الابل والبق والغنم ليدلنا على ما كنز في
أرضه ومادفن في باطنها من الحديد والفحم وأن هذه ستخرجون منها قطرا سائرا على البر وأخر مثله في
البحر فان هذه القطر الجارية الحاملة لأمتعتكم التى تركبون عليها من بلد الى بلد والمناطيد الهوائية التى تسير
في الجؤ والغوصات التى تجرى تحت الماء مما سأخلق لكم بعد حين تقوم مقام الخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة . وكما أبحث لكم هذه الحيوانات وأنعمت عليكم هكذا أبحث لكم القطرات وخمها المخزون في الأرض
والبتترول وما أشبه ذلك فلكم أن تتفكروا بها وتشكرونى . ولئن شكرتم لأزيدنكم . والشكر صرف العبد
جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله . ولا جرم أنى أنعمت عليكم بالقطرات والطيارات والفحم الجبرى
والبتترول وسائر المعادن فإذا تركتم نعمتى وأبيت قبولها فان ذلك منكم كفرها وعدم شكر . ولئن كفرتم
إن عذابى لشديد . عليكم في الدنيا بالمثل وفى الآخرة بحسبهم وبئس المصير لتستوفوا العقاب . واعلم أن العاوم
في القرآن له هداية ولذلك قال تعالى (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق (ومنها
جائر) مائل عن القصد والاعتدال (ولو شاء لدسأكم أجمعين) هو الذى أنزل من السماء السحاب (ماء
لكم منه شراب) أى مانشر بونه (ومنه شجر فيه تسمون) ترعون * يقال سامت الماشية وأسماها صاحبها
(ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) * وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم
في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا
هو السمك (وتسخر جوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان تلبسها نسأؤكم (وترى الفلك مواخر فيه)
جوارى فيه تشقه بحيزومها من البحر وهوشق الماء (وانتفقوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة
(واعلمكم تشكرون) * وألقى في الأرض رواسى) أى جبالا وراسى (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم
وتضطرب (وأنبها راسبلا لعلكم تهتدون) أى وجعل فيها أنهارا وطرقا . لعلكم تهتدون . الى مقاصدكم والى
معرفة الله تعالى (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريخ والبوصلة المعروفة في السفن والبر
(وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البرارى والبحار (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) والمراد من من
لا يخلق الأصنام (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها فضلا عن أن تستطيعوا القيام بشكرها
(إن الله لغفور رحيم) هذه الآيات ذكر فيها الانسان والحيوان والنبات والبحر وما فيه وذلك كترتيب علماء

الطبيعة الذين جعوا العالم العضوى والجمادى هكذا الانسان ثم الحيوان ثم النبات ثم المعادن

يقول الله . خلقتكم من نطفة وأودعتمكم في الأرحام وجعلت أعضاءكم مفصلة منظمة من أعضاء بطش
كاليدى والرجلين وأعضاء حس من سمع وبصر وذوق ولمس ومن فكر وذكرة وحافظة ومخيلة ومنكم من
يرجى اليه . ومنكم الحكماء . كل ذلك من نطفة . وسخرت لكم جميع الأنعام وكل ما تركبون من الدواب
وأبحث لكم ما في باطن الأرض من الفحم الجبرى والبتترول والمعادن لتركبوها قطرات الطرق الحديدية التى لا
تعلمونها من قبل وهيات لكم الطيارات الهوائية والغوصات البحرية لتشاهدوا عجائب الجؤ وبدائع البحر

وتروا ما لعين رأت قبلكم ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب آبائكم الأتقين وجعلت لكم الزرع والشجر وبدائع الخلقه وعجائب الطبيعة أنشأتها لكم مختلفات الألوان بديعة الأشكال والخواص والطعم والرائحة منها الحلو والحامض والعفص والمرّ والحريف والقابض والسام والقاتل والشافي والمغذى ومنه طعام الأدميين ومنه ما خلق للدواب مما لا يعلمه إلا أولو الألباب وأنعمت عليكم بالبحر لتأكلوا سمكه ولتستخرجوا الدر والمرجان منه ولتسيروا السفن بمخر عبابه جاريات في بحر الظلمات بين أوروبا وأمريكا وفي المحيط الهادى والبحر الأحمر والأبيض والمتوسط وبحر الروم وبحر نمطش والبحر الاسود وبحر البلطيق وبحر الهند وبحر الصين . كل ذلك سخرته لكم لتبتغوا من فضلى بطلب التجارة ولم أخص الفرنجة به بل ععمته للناس أجمعين
أقول ألم يأن للمسلمين أن يعتلوا ويتفكروا وينظروا ويدكروا أن المرجان في البحار والتجارة بالسفن فيها في يد أعم الفرنجة وهكذا الأمريكيون . أما المسلمون فلا ينقصون عن ٣٥٠ مليوناً
أوليس من العجب أن المرجان في يد الفرنجة وسفن التجارة والحرب لهم وحدهم وليس للمسلمين من ذلك إلا القليل فألهم الله رجال أمتنا الاسلامية روحاً بها يستيقظون من غفلاتهم ويرجعون بحمدكم إنك على ما تشاء قدير

﴿ ايضاح لتفسير آية - وهو الذى سخر البحر لنا كلوا منه لحا طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون ﴾
فذكر اللحم الطرى وهو السمك المستخرج من البحر . وذكر عجائب الجبال وبدائع الصنعة من الدر الخلق في صدفة العائش في البحار . وكذا المرجان الذى ينبت في قاع البحر . ولعمرك لا ينال مغنمه ولا يحظى بمكسبه إلا الفرنجة . ألا ترى الى فرنسا فانها تحصد حقول المرجان التى أمام تونس والجزائر وهى حافظة لها ومتى تمّ بيعها حصرتها وابتاعها والمسلمون نائمون لا يعلمون شيئاً أولئك هم النائمون يقول الله - وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - والمسلمون كأنهم لم يقرؤا القرآن وكأنهم لم يخلقوا في هذه الأرض وكأنهم أموات لا أحياء . يقول الله لهم - وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - وتحتل بها نساؤكم وهم يقولون ياربنا نحن لانستخرج وانما نشترى من المستخرجين من الأرض فسكانهم ليسوا مخاطبين بالاستخراج المباح خرموا على أنفسهم ما أباحه الله لهم بل أوجبه عليهم باعتبار انه فرض كفاية ولا كفاية لدينا ولا علم ولا عمل . اللهم أقمنا أمتنا من هذا النوم العميق وأيقظهم انك أنت السميع العليم واجعل كتابي هذا نوراً يستضيء به المتقون ونبراساً يهتدى به الصالحون انك عليم قدير
﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

اعلم أن شواطئ بلاد الجزائر تنقسم الى عشرة أقسام ويحصدون المرجان من كل قسم منها في سنة ولا يصل السور الى آخرها حتى يكون قد نما أولها لأنه يبلغ أشده في عشرين سنين . وقد كان عدد الزوارق التى اصطادت المرجان في بعض السنين من شواطئ الجزائر (٣١١) زورقاً فيها (٣١٥٠) نوتياً وبلغ ثمن ما اصطادوه منه (١١٣٠٠٠) جنيناً وهذا سنة (١٨٧٣) وفي سنة (١٨٨٦) غنم الايطاليون من المرجان المذكور (٥٦) ألف كيلو غرام ثمنها أربعة آلاف ألف فرنك ومائتا ألف فرنك . وغنم اهل فرنسا واسبانيا (٢٢) ألف كيلو غرام ثمنها ألف ألف وخمسمائة وخمسون ألف فرنك . فيكون ما صيد من المرجان كله تلك السنة (٧٨) ألف كيلو غرام ثمنها خمسة آلاف ألف وسبعمائة وخمسون ألف فرنك . كل ذلك والمسلمون لا يعلمون ويقرؤن القرآن وهم نائمون والله سائلهم وهم لا يشعرون وهذه صورة المرجان في البحر



(شكل ٨)

هذه صورة المرجان ظهرت فيها ثغور حيواناته ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار النبات

﴿ فصل في بقية تفسير الآيات في هذا القسم ﴾

قال تعالى (والله غفور رحيم) حيث أكثر الذم عليكم ولم يمنعها بسبب تقصيركم مع أنه يعلم سرّكم ونجواكم . فاذن لم يمنعه عن الظلم إلا رحمة الواسعة بكم (والله يعلم ما أسرّون وما أعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وسأجازيكم عليه متى حان وقت الجزاء . ولما أتم الكلام على ما خلق سبحانه شرع يذكر الأصنام وإنها لا تخلق فكيف تجعل آلهة فقال (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) هم (أموات غير أحياء) ولو كانت الأصنام آلهة لكانت أحياء دائماً لا يجوز عليها الموت ولكن هذه أموات لأحياة لها ولا حس (وما يشعرون أبان يبعثون) أي وما تشعرا الأصنام متى يبعث عابدها . فإذا لم يكونوا للعالم خالقين ولا بالحياة موصوفين ولا يبعث عابديهم عالمين . فكيف يعبد الجاهلون مخلوقين أمواتا جاهلين بالبعث ولا جرم أن هذا برهان على التوحيد (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عن اتباع الحق اتباعاً لأسلافهم وجزياً وراء المألوف (ولا جرم) أي حقاً (أن الله يعلم ما أسرّون وما يعلنون) فيجازيهم (إنه لا يحب المستكبرين) * وفي حديث مسلم أن النبي ﷺ قال (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس * ومعنى بطر الحق أن الإنسان يستكبر عند سماع الحق فلا يقبله . ومعنى غمط الناس احتقارهم * يقال غمطت حق فلان إذا احتقرته ولم تره شيئاً وكذلك معنى غمضته بالساد أي انتقصته وزدريته . وههنا شرع يبين صفات هؤلاء المستكبرين وكيف يبطلون الحق ويغمطون الناس فقال (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) أي أحاديثهم

وأباطيهم . وكأنه جيء بهذا بعد ذكر العجائب والنعم في السموات والأرض والزرع والنبات ليكون برهاناً
ساطعاً أن هذا ليس أساطير الأولين وإنما هي حجج الحكمة وبرهان الطبيعة وعلايم هذه العوالم التي يشاهدها
الخلق أجمعون وهم فيها لا يفكرون ولذلك رب عليه ما بعده فقال قالوا ذلك (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) وبعض أوزار الأنبياء الذين أضلهم المتبوعون حال كون الأتباع
لا يعلمون أن ما تبعوه من العقائد الزائفة ضلال وهذا يفيد أن جهلهم بأنه ضلال لا يعتد عنرا لأن العقل
هو الميزان لا اتباع الرؤساء (الأساء مايزرون) أي ألا تبس ما يحملون وهذا وعيد شديد . ولما كان جميع
الأنبياء على سنن واحد معروف وذلك أن أعداءهم يكفرون بهم فبهاكهم الله فهم جميعاً كقوم شيدوا بنياناً
وأقاموه على عمد فضعف الله البنيان بأن تعتم العمدة التي تحته فوقع عليهم السقف فهلكوا وهم لا يتوقعون
ما أصيبوا به . وهذا هو تاريخ كل من كذبوا الرسل كما تقدم في سورة إبراهيم وهذا قوله تعالى (قد مكر الذين
من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي قصد تخريب بنيانهم من أصوله فضعف العمدة التي بنوا عليها
(نخر عليهم السقف من فوقهم) سقط عليهم السقف فأهلكهم (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) وهم
آمنون مطمئنون وهذا كقول القائل

فلو بغي جبل يوما على جبل * لك منه أعاليه وسافله

وقولهم ﴿من حفر بئرا لأخيه يوشك أن يقع فيه﴾ وهذا الجزاء حصل لكل أتباع الأنبياء الذين
خالفوهم في الدنيا ولأهل مكة يوم بدر وما بعده . هذا عذاب الدنيا (ثم يوم القيامة يخزيهم) أي يفضحهم
على رؤس الأشهاد ويقول (أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم
(قال الذين أوتوا العلم) وهم الأنبياء وأعلامهم تقرر بالحقيقة (إن الخزي العار والفضيحة (اليوم والسوء)
العذاب (على الكافرين) فيزيد ذلك القول في خزيهم ألا وإن عذاب الخزي يوم القيامة والافتضاح أشد
أنواع العذاب وقد أوضحناه في سورة ﴿آل عمران﴾ ونقلنا أقوال عاماتنا رحمهم الله في ذلك وهذا مشاهد
في الدنيا فإن الناس لولا خوف الفضيحة لكانوا أسعد حالا فهم جميعاً إلا من رحم ربك يسترون عوراتهم
وفترهم وسوء حالهم بالتظاهر والتباه فيضيعون ما اقتنوا من المال ويذنبون مهجهم في عداوات ومشاحنات
وحرب خيفة الشامة والعار . إن الناس يفضلون الموت على العار كما يفعل كثير من الناس ويقدم على الموت
ولا يعيش ذليلاً . فهكذا هؤلاء يخزيهم الله ويفضحهم فانهم لما خزي بنيانهم الذي بنوه من فوقهم وأتاهم
العذاب لم يكن لهم عذر ويقول الذين أوتوا العلم بأن درسوا هذا الوجود المحكم المنظم الذي هو دائم النظام
فاستقرت عقولهم واطمأنت نفوسهم وعرفوا الحقائق . انظروا إلى هؤلاء كيف سقط عليهم بانيان بنوه بلا
روية وهو بانيان الاعتقادات الفاسدة فأصبحوا في نظرهم أهل جهالة . حينئذ يكشف الغطاء ويقول
العارفون بخلق السموات والأرض والانس والحيوان والنبات والبحار ونعم الله التي لا تحصى مما هو مذكور
في هذه السورة وغيرها أن هؤلاء عارون عن السموات والسموات وأفتدتهم هواء فهم لا يعقلون هذا . هذه المعاني
كلها دخلت في قوله - قال الذين أوتوا العلم - ولم يقل المؤمنين لأن الذين أوتوا العلم هم من أصحاب الأعراف
وهم الذين - يعرفون كلا بسماهم - فهؤلاء هم الذين يلهون بأحوال أهل الدارين فيصفون الكافرين
بالخزي والسوء ثم وصف الكافرين فقال (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم)
استسلموا وانقادوا وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) أي ما أشركنا وذلك من الهلع (بلى إن الله عليم بما كنتم
تعملون) فهو مجازيكم ولا فائدة لكم في الإنكار (فادخلوا أبواب جهنم) أي فيقال لهم ذلك (خالدين فيها)
مقيمين فيها لا يخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن الحق فلا يؤمنون وهذه الصورة التي يقابل بها
المشركون يوم القيامة ويقابلها ما يناله المؤمنون وهو قوله (وقيل للذين اتقوا) وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم

قالوا خيرا) أى أنزل خيرا وأبدل منه قوله (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) مكافأة في هذه الدنيا كالنصر والفتح والرزق الحسن (ولدار الآخرة خير) وما أعد لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (ولهم دار المتقين) الذين اتقوا الكفر والفواحش (جنات عدن) بساتين إقامة وهو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجرى من تحتها الأنهار) أى تجرى الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم (لهم فيها) في الجنات (ما يشاؤون) أى ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين (كذلك) هكذا (يجزى الله المتقين) ثم وصفهم في مقابلة وصف الكافرين بالخزى وحكم أهل العلم عليهم أنهم مخزون معذبون فقال فيهم (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) في اعتقادهم ورأيهم وخلقتهم وأعمالهم وبرئيتهم مما خبئت به طباع أهل الخزى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم (يقولون) أى الملائكة (سلام) في مقابلة قول أهل العلم لظالمى أنفسهم - ان الخزى اليوم - الخ * قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ياولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال له في الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أى بعملكم في الدنيا وهذا كترتب الشيع على تعاطى الطعام واستقامة العقل بالنهار في الدرس على استيفاء اليوم وكل من عند الله فالعمل من الله والجزاء من الله فصح أن دخول الجنة بأعمالنا وصح حديث النبى ﷺ أن يدخل أحدكم الجنة بعمله كما في الصحيحين وهذه التحيات المرسلة من الله للأكرام الذى هو أشرف أنواع اللذات في مقابلة الأخزاء لظالمى أنفسهم يذكر أنهم لهم الخزى والسوء فهذا هو الجزاء العقلى مع الجزاء الجسمى وهما أقوى أثرًا في التعذيب والتنعيم . ثم أخذ يشرح حال الكفار المار ذكرهم فأفاد أنهم بهذه الأعمال والعقائد لا ينتظرون إلا أن تقبض الملائكة أرواحهم فيموتون وتقوم القيامة فيعذبون وهكذا كانت الأمم قبلهم فأهلكوا (فأصابهم سيئات ما عملوا) أى جزاؤها وأحاط بهم جزاء استهزائهم . ثم ذكر بعض الحجج التى يدلون بها إذ يرجعون الى القضاء والقدر فقال (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شئ) قالوا مستهزئين يا محمد إن الله هو الفاعل المختار فكفروا بمشيئته وكذلك آبائنا وهكذا تحررنا ما أحل الله على زعمك كالسوائب المذكورة في سورة الأنعام . فلو لا مشيئة الله ما فعلنا شئ من ذلك فعلام العقاب والتهديد وهم بهذا أنكروا البعثة وكذبوا الرسل وهم يستهزئون بهم وهذه الحجة من الحجج التى بدلى بها أكثر الناس وقد علموا أن من ترك الطعام اتكالا على الله أو قصد الوقوع في بحر أو شرب السم أو تعرض للأشد أو أنزل نفسه في البحر بلا عوم أو وقطع ذراع به سيفه وهو في كل ذلك يقول هكذا أراد الله فان مثل هذا لا اجابة لكلامه بل يترك وشأنه ويموت غير مبكى عليه . هكذا هنا ذكر الله سبحانه ولم يرد عليهم وأراههم أن هذه حجج الأمم الهالكة وهكذا كل أمة فتحت على نفسها باب القضاء والقدر خسرت وكان ذلك علامة خرابها ودنو أجلها وأقول نجمها فأجابهم الله بمعنى ذلك كله بقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) فهم أدلوا بحجة القضاء والقدر وجهلوا حال هؤلاء الذين يذرون الأعمال النافعة ويحتجون بالقضاء والقدر وليس لهذه الحجج قيمة لأن الأسباب المادية من تعاطى الطعام والشراب وغيرها يلام صاحبها أشد اللوم اذا مات بتركها وهكذا من يتعرض لخطر الموت بلا فائدة أو يعرقون أنفسهم فكل هذه أسباب عادية أخذنا أوتركا . أفليس ابلاغ الرسل من أسباب الهداية . وأى فرق بين تعاطى الطعام ورفع العلم في حصول الشيع والفهم وهذا قوله تعالى (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أى إلا البلاغ الموضح . وليس على من وجبت عليه الزكاة أو أراد الصدقة إلا أن يحضر المال للفقير ويقدمه له فاذا ضرب عن أكل الطعام فليس على المتصدق ملام فقد أخذ بالأسباب . هكذا الأنبياء والعلماء يرشدون الأمم فاذا ضلت فليس عليهم ذم ولا ملام . وهذا هو الذى كان في الأمم السابقة وهذا هو معنى قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) كما بعثنا محمدا ﷺ (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم كل معبود من دون الله

(فمنهم) أى فن الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) أى هداه الله الى الايمان (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى وجبت عليه الضلالة فبات على الكفر على مقتضى الاستعداد السابق الذى تعلق به القدر (فسيروا فى الأرض) مدة جرين متفكرين لتعرفوا كيف أهلكنا الأمم المكذبة قبلكم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من الأمم السابقين . وإذا كان استعداد الكفار غالباً عليهم والقضاء نافذا فيهم فأنه لا يهديهم وإن حرصت على هدايتهم وهذا قوله (إن تحرص على هدايتهم فإن الله لا يهدي من يشاء) أى من يريد اضلاله أى من حقت عليه الضلالة (وما لهم من ناصرين) أى من يدفع عنهم العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على - وقال الذين أشركوا - * يقال حلف الرجل جهد يمينه إذا حلف بالله (لا يبعث الله من يموت بلى) أى يبعثهم وهو أثبات لما بعد النفي (حقاً) هو مصدر مؤكد لما دل عليه - بلى - فقوله - يبعث - وعد منه تعالى ولا جرم أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لجهالتهم بما حولهم من آيات الله تعالى أنه إذا وعد لا يخلف فهو يجعل كل نبات يلد مثله وكل شجر يأتى ثمرة اخلاص به ويجعل الأيام والليالي والشهور والسنين فى مواعييدها التى سنها . ولا جرم أنه بهذا بنى للناس بما عاهدهم عليه بمقتضى جريان عادته بها فهكذا هنا وعد الله على لسان رسوله فهو حق كما كان كل ما حولنا حق فإنه يعد بمقتضى الحال ولا يخلف الميعاد . وإذا كان عدد النيات على وجه الأرض مائتى ألف نوع وبعضهم زاد كثيراً فقد صدق وعده ولم يخاف وعده بحيث أثمر كل نبات ما هو منتظر منه وهل بعد هذا وفاء . هذا وعد الله وهذا وفاؤه وانما يبعثهم (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) وهو الحقائق العلمية ويرون كل ما جهلوه فيفصل بينهم (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون لظهور الحقائق لهم . وكيف ينكرون البعث و (انما قولنا لئن إذا أردناه أن نقول له كن يبيكون) وإذا كان كذلك فلا تعجب على فى أحيائهم وبعثهم فأجازى هؤلاء المنكسرين والمؤمنين المهاجرين بالقسط (والذين هاجروا فى الله من من بعد ما ظالموا) وهم رسول الله ﷺ وأصحابه الذين هاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وقوله - فى الله - أى فى حق الله ولوجهه (لنبؤأنهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة (ولأجر الآخرة أكبر) مما يجعل لهم فى الدنيا . وكان عمر رضى الله عنه إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا وما أذكر لك فى الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) أى لو علم الكفار أن الله يجمع للمهاجرين خيرى الدنيا والآخرة لوافقوهم هم (الذين صبروا) على منارقة الوطن وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون الأمر الى ربهم راضين بما أصابهم فى دين الله . ولما قالت قریش الله أعظم من أن يرسل بشراً قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى اليهم) فان كنتم فى شك من ذلك (فاسألوا أهل الذكر) الذين يعرفون ذلك إما بما ورد فى كتبهم كعلماء اليهود والنصارى وإما بما بحثوا فى الحكمة كعلماء الحكمة وعلماء الأرواح إذ يعلمون أن الروح لا يتجلى للناس إلا فى أحوال خاصة بشروط يستحيل أن تتوافر فى الأحوال التى يكون فيها الأنبياء ولا بد أن يكون الأنبياء من البشر وقد مر تحقيق ذلك فى سورة الأنعام (إن كنتم لاتعلمون) الخطاب لأهل مكة . وهنا يرد سؤال فيقول القائل . بم أرسل الله الرسل . فأجاب الله تعالى (بالبينات والزبر) أى أرسلناهم بالمعجزات والكتب (وأزلنا اليك) يا محمد (الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فى الذكر بواسطة أنزاله عليك فيعرفون المأمور به والمنهى عنه والمقشبه ومعنى تبينه أنه ينص على المقصود تارة ويرشد الى القياس أخرى ويعول على العقل ثالثاً (ولعلمهم يتفكرون) فى تبييناته فيعرفوها أى وإرادة أن يتأملوا فيه فيقفوا على المقاصد الحقة . وهنا أوضح الوعيد الواقع على الذين عاندوا ولم يؤمنوا بالذكر ولم يتفكروا بل مكروا مكراً سيئاً فقال (أفأمن الذين مكروا السيئات) وهم احتالوا هلاك الأنبياء (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون (أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون)

بقته من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم في قلوبهم) أي متقلبين في متاجرهم (فباهم بمهجزين * أو يأخذهم على تخوف) أي على أن ينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم * يقال تخوفته إذا انتقصته * روى أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا المتخوفون التقص * فقال هل تعرف العرب هذا في أشعارها فقال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته

تخوف الرجل منها تملكها قرداً * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعرا جاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم وقال تعالى (فان ربكم لرؤف رحيم) إذ لم يتبلغكم الارض ولم ينزل عليكم من السماء عذاب ولم تأخذوا في متقلبكم ولم ينقصكم شيئاً فشيئاً بل أبقاكم سالمين فلاسماء ترجعكم ولا أرض تبليكم ولا أحوال تعرض بينكما فيها هلاككم لا بل النعمة عليكم أمم والمغن عليكم أعظم . فإنا بدل أن نسلط عليكم عذاباً من فوقكم ومن تحتكم ومن حولكم جعلنا ذلك كله نعمة عليكم حافظاً لكم . ألم تروا الى الأشجار كيف أظلتكم بظلالها الظليل والى الجبال أكتسكم في كنفها من الحر الشديد . فهذه الظلال أرسلناها لكم لتأووا اليها من حر الشمس التي هي من أجل النعم عليكم فكان هذا الظل ملطفاً لنعلمها حارساً لكم من سمومها وهو من المعقبات التي تحيط بكم لسوء الشر عنكم فلم تقتصر في نعمكم وحفظكم على السموات وخيراتهما والأرض ونعمها والسحاب ومطرها بل الظلال التي هي أعراض حالة في أقطارها أرسلناها اليكم فأى راحة أعظم من ذلك وأى سعادة أكمل وليس ذلك بمستعص علينا فالأجسام والأعراض طوع إرادتنا خولناها الى منافعكم ولم نجعلها نقمة عليكم . ألم تروا أن مافي السموات ومافي الأرض خاضعون لنا مسخرون لقدرتنا مطيعون لأمرنا . فتري ظلال الجبال وظلال الأشجار وظلال كل نبات وشجر وشاخص تمتد صباحاً ثم تنقص ثم تمتد مساء وتزيد الى منتهاها وهي ساجدة خاضعة ولاصقة بالأرض لصوق جبهة المصلى بها . ذلك تبع للشمس المسخرة بأمرنا الساجدة لتقهرنا الدائرة هي وأمثالها من الشمس والكواكب الجارات في مداراتها وهن صاغرات خاضعات . وكما خضع وسجد كل ملك حافظ لهم مهيمن على سائرهم . وهكذا كل مخلوق من معدن ونبات وحيوان فوقهم كما ترون في أرضكم مع اختلاف الأحوال فان الكواكب الثوابت شمس لا تساوى شمسكم بالنسبة لها شيئاً وحوطون لا تقل عن ثلثمائة ألف أرض فيها عوالم لا تعلمون أشكالها وأوصافها كل هؤلاء مسخرون صاغرون ساجدون سواء أكانت الأحياء الحيوانية أم الأحياء الملكية وهم الملائكة ولم يكن خلوصهم من المادّة وقربهم من ربهم مانعاً من خوفهم منه بل يشتد الخوف كلما ازداد القرب ولذلك يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا قوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) استفهام إنكار أي الى الذي خلق الله ومن شيء يبان له (يتفيؤ ظلاله) يرجع من موضع الى موضع (عن اليمين) عن الأيمن (والشمال) جمع شمال (سجداً) حال من الظلال (وههم داخرون) صاغرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظلّ وجمع بالواو والنون للتغليب . والداخرون الاستسلام طبعاً أو اختياراً * ويقال سجدت النخلة اذا مالت لسكرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب عليه . ثم قال تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) يبان لما في السموات وما في الأرض (والملائكة) معطوف على مافي السموات عطف العالم المجرد من المادّة على غير المجرد منها فكأنه قال - ولله يسجد - الدواب والملائكة في السموات والأرض فانقسمان في المكانين (وههم لا يستكبرون) * يخافون ربهم من فوقهم هذه الجاية حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وقوله - من فوقهم - أي غالباً لهم قاهراً (ويفعلون ما يؤمرون) فهم مكفون بأعمالهم بين أمر ونهي وخوف ورجاء . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول

﴿ البلاغة ﴾

واذا فرغت من التفسير اللفظي لهذا القسم فهالك موازنة بين أول معلقة طرفة بن العبد وأول سورة النحل من كتابي ﴿ أدبيات اللغة العربية ﴾ صفحة (٤٥) * قال طرفة بن العبد
ان لحولة محبوتي أطلالا جمع طلال أى ماشخص من آثار الديار حتى يرى بأرض ذات حجارة مختلفة
الألوان يعبر عنها ببرقة فكان يقال له ﴿ شهيد ﴾ لبني دارم وتلك الآثار تهرق كأنها الوشم في ظاهر اليد وقد
وقف أصحابي مطاياهم لأجلى وقالوا لانهالك من أجل حزنك عليها وتجلد وكأن الهوادج المخصوصة السمة
بالحدوج تحمل تلك الفتاة من بني مالك في أوائل النهار سفن عظام في مسيل الماء الجارى في المكان المسمى
﴿ دد ﴾ وهذا معنى قوله

لَحْوَلَةٌ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ شَهِيدٍ يَلُوحُ كَبَاكِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

الحدوج جمع حدج مركب من مراكب النساء المالكية من بني سعد بن مالك خلایا جمع خلية السفن
العظام والنواصف جمع ناصفة وهي مسيل الماء المتسع ودد اسم مكان . ثم قال كأن هذه السفينة من سفن
(عدوى) وهي قرية بالبحرين أو من سفن ابن يامن ملاح من أهل البحرين وتلك السفينة يحور بها الملاح
فيضل انصراف السوى نارة ويهتدى أخرى فيسير وأن حيزومها أى صدرها يشق زبد الماء وموجه كما يقسم
التراب الرجل الذى يصنع الفيال بيده . وذلك أن توضع الخبيثة في تراب أورمل ويقسم بيده ففي أيهما
كانت الخبيثة فالحكم تابع في القمار له أو عليه . هذا معنى قوله

عَدْوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي
يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

واذ سمعت ابتداء معلقة طرفة بن العبد فاسمع الآيات في مبدأ سورة النحل وتجب كيف جاء المبدأ
مباينا لما يقرع آذان العرب في أفصح كلامهم قال - أتى أمر الله فلا تستهجلوه - الى قوله - وماتعون -
ألا تتجب كيف ذكر خلق الانسان من ماء مهين ثم تلاه بخلق الحيوان ثم أتبعه بالنبات متديا من
أعلى الى أسفل مع ذكر الماء ثم ترقى في أسباب هذه المواليث الثلاثة فأخذ يشرح عجائب الليل والنهار والشمس
والقمر ثم عجم فذكر بقية الدرارى اللامعات في السماء فقال - والنجوم مسخرات بأمره - ثم تلاها بما
يوازىها في الجمال وهو ما في الأرض من ذوات الألوان الجميلة من كل نابتة ونسمة حية وأعقبه بالبحار الملحة
ذات الزخارف والزينة من المرجان والجواهر انضائية في جلالها ولشاكلتها في حسناتها تلك النوامع والنجوم
المشرقة والأصباغ المبهجة في انبات الناجم والشجر المبهج البديع . أفليس عطف البحر لما فيه من الجمال
والبهاء والزينة على ما فيه الألوان المبهجة من النبات والنجم من أعجب ما سمعه أولو الأبواب . ثم تلاه بالبحال
والسفن والأنهار والسبل والاهتداء . ولا جرم أن السفن تناسب الأنهار لتمخرها وتوافق السبل والاهتداء
بالنجم في البر والبحر وللسفن أشد العلاقات إن في ذلك لآيات . تجب من هذه المعاني
وطف من بعد ما ينه آفاق القصائد في الجاهلية فهل ترى إلا الظعائن والحدوج والنياق وبرقة شهيد التى
تشبه الوشم فكما في قول طرفة بن العبد المتقدم وكما تراه في قول زهير بن أبى سلمى إذ ابتداء قصيدته

بذكر أم أوفى وهي محبوبته إذ يقول * أمن منازل محبوبتي أم أوفى دمنة * أى آثار مسودة بالبحر
والرماد سائتها فلم تتسكك وتلك الدمنة بمكان غليظ أى الحومانة التى بالمكان المسمى بالدراج والمكان المسمى
بالمثلثم ثم قال ولها دار بين روضتين وهما الرقتان احدهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة كأن تلك
الدار إذ عفت آثارها ما على ظاهر اليد من الوشم المكرر فى نواشر المعصم والنواشر أعصاب الذراع واحدها
ناشرة فهذه الدار ترى العين أى البقر الوحشى ذات العيون الواسعة والآرام الظباء الخالصة البيضاء عشرين
ويختلف بعضهن بعضا وانهن ينمن أولادهن وإذا ظن أن أولادها خلت أجوافها صوتين بهن فينهضن من كل
مجم أى أمسكة نومهن فيرضعن وهذا معنى قوله

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ قَالَتْ شَلِّمْ
وَدَارُهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِيَنَّ خَلْفَهَا وَأُطْلَاوُهَا يَنْهَضُنَّ مِنْ كُلِّ مَجْمَمِ

(المعصم) موضع السوار من اليد (العين) جمع عيناء البقر الوحشى لسبعة عينها (الاطلاء) جمع طلا
وهو ولد الظبية والبقرة

وازن هذا المبدأ الذى لا يتعدى بيت أم أوفى والدمنة التى لا تتسكك والأرض الغليظة وبقر الوحش والظباء
يتبع بعضها بعضا وهن يرضعن أولادهن . افهمه وتأمل مقاصده وكيف تقاربت أوائل القصائد فى تلك المعانى
العاكفة على البيداء وأطلالها والبطحاء وبعرها والبقر وأطلالها لتجدها تتعدى دائرة ضاقت فلم توسع نطاق
العقول وعزيت عن أكثر رجال الطبيعة فخدوا عن اتساع نطاق المدنية وظلوا فى البيداء منشاكسين وانظر
أول النحل هنا كما تقدم وما يقاربه من أول سورة الأنعام إذ يقول - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض
وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى
عندهم أنتم تمترون * وهو الله فى السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون -

ابتدأ بالحمد على أنه خلق السموات والأرض وهو العالم العلى والسفلى وما يحيط به من أنوار النهار وظلمات
الليل ومع ذلك ترى الكفار يعدلون بالمبدع لهذا الجلال سواء . وكيف تكفرون به وهو الذى خلقكم من
طين فجعله نباتاً على الأرض فكله الحيوان فصار الطائفتان طعام الإنسان فصار الطعام ماء دافقاً فنشأ منه بشر سوى
له أجل لموته وله أجل آخر لحياته الأخرى . ثم أتى أيها الناس بعد هذه العجائب والحكم تكفرون وكيف
تكفرون به وهو الذى أحاط علمه وشملت قدرته أكناف السموات ونواحي الأرضين . فلا جرم يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تفعلون من خير ومن شر . أليس فى ذكر الظلمات والنور تشويقاً لنفوس الناشئين الى
جمال الأنوار فيعشقون محاسن أنوار النجوم والأقمار وبهاء الشمس وتنطبع على ألواح قلوبهم صور الأنوار
المتلاثلة من النار والشمس المتطائر من الزناد ومن نور الكهرباء وجمال المصابيح وغير ذلك

لن نقوم أمة إلا بالكلام البليغ المملوء بحكمة وصوراً جميلة من المعانى البديعة . أن نقش صور العجائب
السموية والأرضية وإنارة العقول بفهم الجلال فى أكناف العوالم إحياء لها وإخصاباً لمزارعها وانماء لما أجنث
من الفضيلة والحكمة . إن الأمم توابع لما يسمعون وهم أبناء ما يعطون ألا ان الجلال فى الانشاء واختيار
أحسن القول والتطواف بالقارىء فى الأنوار والظلمات والنجوم والبر والسهل والجبل وإيرائه دقائق الأشجار
وبدائع الأزهار وأعاجيب الثمار وتلاؤ الأنوار وبهجة الأصباغ أن ذلك لمحى نفسه وشائق روحه الى التطلع
الى درجات المعانى فيرى الفضيلة خير ما يبتغى ويحيط علماً بأتمه ويتعالى عن السفاسف ويتمياً للحكمة ولقيادة

الأفكار في القرآن والأمصار

اعلم أن هذه السورة أشبه بما قبلها من سورة الحجر وإبراهيم والرعد حافلة بالمجانب غنية بالحكم والبدايع مرصعة بالجواهر الفلكية والآراء الحكمية والسرر الطبيعية فهذه السور المكية التي تليت على الجاهل في مكة ساقط الناموس إلى الإيمان وتشابهت في أسلوبها وهي مقسمة إلى ﴿ثلاثة أقسام﴾ الحكمة • الموعظة • المجادلة فتري في الرعد وفي إبراهيم وفي الحجر وفي هذه السورة الحكمة مفصلة واضحة

﴿ماهى الحكمة وماهى الموعظة الحسنة • وماهى المجادلة﴾

أما الحكمة فهى نظام هذا العالم وسجله في الرعد ذكر البرق والرعد والسحاب والمطر وأرحام النساء وزديادها ونقصها وما أشبه ذلك وفي إبراهيم ترى ذكر الثمرات والأنهار والشمس والقمر الخ وفي الحجر ترى القاح الأشجار والهواء والمخازن المودعة في الطبيعة بأمر خالقها وخلق الإنسان وبعثه وجنته وناره وفي هذه السورة تجد الترتيب بهيئة غير ماني السورة التي قبلها • ففي الحجر ابتداء بذكر المعاش وقفي بخلق الإنسان وانتهى إلى نهايته • فأما في هذه السورة فإنه ابتداء بما انتهى إليه هناك فإنه انتهى في الحجر بالبعث وابتداء هنا به نفسه فقال - أتى أمر الله - وأعقبه بخلق الإنسان ثم الحيوان ثم النبات ثم الماء والهواء والسفن الجارية والبحار • فهناك ابتداء بالمعاش وختم بالإنسان والبعث وهنا ذكر البعث فالإنسان فالمعاش • هكذا كان الأسلوب هناك والأسلوب هنا وهذا تنبيه وإيقاظ كأنه يقول هذه سلسلة متصلة لها أول وآخر وكأنها شخص واحد وإنسان واحد وحيوان واحد وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - فهذه السلسلة المنتظمة عندي كأنها شخص واحد بحيث يفتقر أعلاها لأدناها وينحصر أدناها لأعلاها • والجميع في السجود لي والخضوع لي كأنسان عابد خاضع • وهذه هي العلوم الشائعة اليوم المسماة بمسألة ﴿النشوء والارتقاء﴾ وهى التى درسها المتقدمون وتعلمها المتأخرون وهى تسمى في كتب العرب دائرة الوجود وتسمى في العلم الحديث النشوء والارتقاء فعلماء الفلسفة قديما وعلماء الطبيعة حديثا جميعا يرتبون هذه العلوم كترتيبها في سورة الحجر من أدنى إلى أعلى وذكريت هناك كذلك ليبدل على أسلوب التعليم فإن المبتدئ يجب أن تلقى إليه أبسط المسائل ثم يرتقى لأعلاها فلما أنس المتعلم بهذا النظام وفهمه في سورة الحجر كى راجعا إليه فأعطاه إياه مبتدئا بأعلاه كما يدرس له معلم الحساب بسائط الأعداد ثم مركباتها وبعد ذلك يعطيه المسائل مركبة فيحلها إلى بسائطها ويرجعها إلى أوائلها وهكذا على النحو والصرف وجميع العلوم • وفي هذا المقام سبع لطائف

(١) في دائرة الوجود

(٢) وفي تعريف انبهايم والأنعام وفي قوله - ويخلق ما لا تعلمون -

(٣) وفي النبات

(٤) وفي الخلية المستخرجة من البحر

(٥) وفي التجهم والاهتداء به

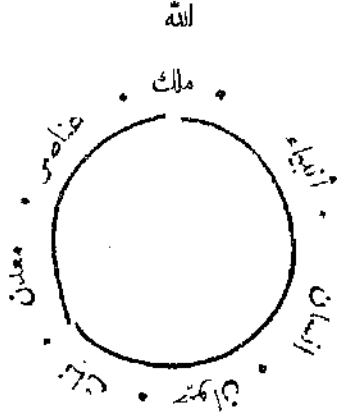
(٦) وفي السفن وجريها بالرياح

(٧) وفي الظلال

﴿الطيفة الأولى • دائرة الوجود المشتملة على مملكة المعدن والنبات والحيوان﴾

است في هذا المقام بذكر ماضى • كلا وإنما أنا الآن أقدم لك وصف هذه الممالك في كتب الطبيعة وكيف رتبوها على النسق الذى في سورة الحجر وجعلوه دائرة أولها صائر إلى آخرها وأخرها راجع لأولها • وذلك انهم يقولون إن العناصر التى تركب منها هذا العالم هى ما شاهد من أجزاء الأرض • وقد امتاز عن هذه الأجزاء المعدن ويليها النبات ويليها الحيوان ويليها الإنسان والإنسان أدناه أقرب إلى البهائم وأعلاه أقرب

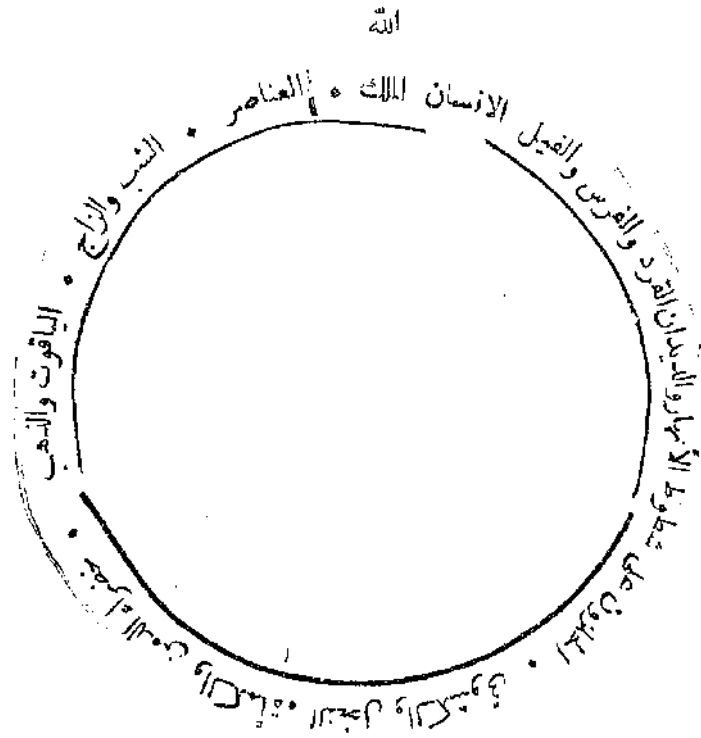
الى الملك والملك قريب من الله والله هو الذى خلق العناصر ومنها تكون المعادن فالنبات الى آخره
أفلمست ترى أن القرآن في سورة الحجر ذكرها على هذا الترتيب من أدنى الى أعلى وهنا كرت عليها من
أعلى الى أدنى . وهذا النظام عينه هو الذى استخرجه الحكماء فى العصور الأولى وفى هذا العصر
أيها المسلمون . حرام عليكم فوالله ما كنت لأعلم قبل هذا اليوم أن هذه الأعاجيب فى القرآن أى أن
تكون الدائرة فى سورة من أدنى الى أعلى ثم فى التى بعدها تكون من أعلى الى أدنى وهذه صورتها



فانظروا كيف ابتداء بهذه الدائرة فى سورة الحجر من الله
ومر بها على العناصر حتى انتهت الى آخرها وهو البعث ورجوع
الأرواح الى عالم أشبه بالعالم المجرّد وهم الملائكة . فلما كانت
سورة النحل ابتدأت من البعث أى النقطة التى وصل اليها فى سورة
الحجر فقال - أتى أمر الله - وذكر الملك ثم الانسان فرتبها من
جهة اليمين على الحيوان والنبات والدرّ والمرجان وهما من المعادن
ثم الجبال وهى من العناصر الأصلية وفيها المعادن أيضا .
فيا معشر المسلمين أئمة هذا كتابها ترجع انقهقرى وتقول إن الله
حرّم على النظر فى علم الطبيعة . وهل علم الطبيعة علم غير هذا

. هذا علم الطبيعة أوله وآخره . وهذا هو عينه المذهب المشهور فى أوروبا وأمريكا الذى يسمونه مذهب
(داروين) والناس أكثرهم لا يعتقدون مقصود هذا المذهب . وكيف يعلمون ما يجهلون . ومعرفة معناه
الوقوف على الحقائق

إن هذه العوالم كأنها شخص واحد آخرها مرتبط بأولها وأولها مرتبط بأآخرها كما أريناك . فهل
تحب أن تقف على بعض التفصيل فى هذا الترتيب . المعدن أدناه الخشب والزاج والشب وأعلاه الياقوت
والذهب . والنبات أدناه خضراء الدمن والكمام . وأعلاه شجرة النخل وأمثالها والكشوتى التى تنبت على
غيرها والحيوان أدناه الحلزون وهى دودة فى جوف أنبوية وتلك الأنبوية تنبت على الصخر فى سواحل البحار
فليس لها إلا حاسة اللمس ومثلها سائر السود وأعلاها أشبه الانسان فى شكله كالقرد أو ذكائه كالقيل أو أدبه
كالفرس ولأعد لك الدائرة ككرة أخرى وهما هى ذه



هذه هي الدائرة المظلمة التي أوضحها الفلاسفة والحكماء وجعلوا أولها مرتبطا بآخرها وذكرها القرآن مرتين من يمين وشمال . إن هذا القرآن نزل إلى أهم أرقى ممن جاؤا في الأعصر الأخيرة . ألم يكن منهم رجل رشيد . ألم يقم فيهم منذرون . نعم جاء فيهم كبار الحكماء كابن رشد والرازي والغزالي وابن سينا والفارابي فكفروا بهم وكفروهم فأهلكتهم أوروبا وطردهم من الأندلس فرجعوا إلى الشرق خائبين ثم أرسل وراءهم الأوروبيين فدخلوا عليهم ديارهم . فهاهم أولاء في ديارنا في مصر وفي شمال أفريقيا وفي الغرب حقا . هكذا فعل الله . لأن أمة ينزل عليها هذا الكتاب وفيه نظام الطبيعة يزعم قوم أنه كفر تستحق هذا . ياسبحان الله . أيكون النظر في فعل الله كفرا . أف يكون هذا النظام الجليل الذي هو عين الترتيب الذي رتبته العلماء كفرا . أفلا نقول إن هذا هو جلال الله وهذه هي معرفة الله وبها حب الله وبها السيادة في الأرض وانتسلط على أهلها ومن قرأ هذه العلوم أحبهم ربهم لأنهم درسوا ماعمل . وإذن يسلمهم قيادة الأمم على شرط أن يريدوا الخير لها فإن لم يريدوا الخير لها سلمهم ملكهم والمسامحون الأولون ساططهم الله على الناس لما كانوا خير أمة أخرجت للناس فلما طغوا وجهلوا وتنعموا أذلهم الله وجعل غيرهم خيرا منهم . والآن ظهر أن الأمم التي ساططها الله من الفرنجة قد طغت وليست خير أمة أخرجت للناس . فهاهوذا يريد إرجاع المجد للمسلمين ويعلمهم سائر العلوم بطريق دينهم وهذا التفسير من الكتب التي أراد الله بها إنقاذ هذا الشعب من جهالة العمياء وضلالته الكتهاء ونومته البلهاء فيصبح سائدا مرتقيا على أكثر الناس إن شاء الله

﴿ ايضاح كلمات مضت في الدائرة ﴾

﴿ خضراء الدمن ﴾ تكون في غبار يتلبد على الأرض والصخور والأشجار ثم تصيبه الأمطار وأنداء الليل فيصبح بالغدوات مخضرا وهو نبت كالزعر والخشائش فإذا أصابه حر الشمس نصف النهار جف ثم يصبح من غد مثل ذلك وهذه والنبات المسمى بالسكامة يكونان أيام الربيع في البقاع المتجاورة ويقال لخضراء الدمن معدن نباتي والسكامة نبات معدني

﴿النخل﴾ أقرب إلى الحيوان فهو نبات حيواني إذا قطع رأسه مات وقوة الذكورة منفصلة عن قوة الانوثة وهاتان الصفتان للحيوان بحسبه نباتي ونفسه حيوانية والكشوتى نبت يتعلق بالأشجار وينتفخ عليها ودلى الزرع والشوك فيمتص ويغتذى من رطوبتها

﴿المزون﴾ دودة تقسم تعريفا قريبا تخرج نصف شخصها من الأنبوبة وتنسبط يمنة ويسرة وتطلب مادة تغتذى بها فتى أحست برطوبة انبسطت وإذا أحست بخشونة انقبضت ودخلت في الأنبوبة وليس لها إلا حاسة للسن

﴿النرد﴾ صورته تقرب من صورة الانسان . والفرس قد بلغ من أدبه أنه لا يبول ولا يروث مادام بحضرة الملك أو حامله . وفي هذا التفسير ذكر (الحصان) الذي جمع وطرح وضرب وعد رف النقود * وقال الشاعر العربي

وإذا شكما مهري إلى جراحه * عند اختلاف الطعن له أقدم

لما رأي لست أقبل عذره * عصف الشكيم على اللجام وهما

هذه هي دائرة الوجود وفيها مجلدات ضخمة تدرس في الشرق والغرب ومنها اشتق مذهب (داروين) الذي جاء فيه الكلام على النشوء والارتقاء وأن العالم يسير إلى الرقي ولا يبقى إلا الأقوى الخ ما هنالك

﴿الطيفة الثانية في البهائم والأنعام وماشاكلها وفي قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون -﴾

الأنعام كل ماله ظلف مشقوق كالبقرة والجاموس والغنم والمعز . والبهائم كل ماله حافر كالخيل والبغال والخيول . والسباع كل ماله أنياب ومخالب . والوحوش ما كان مركبا من ذئب والطيور ما كان لها أجنحة وريش ومنقار والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مرقى ومخالب معقربة وحيوان الماء ما يقيم فيه ويعيش والحشرات ما يطير وليس له ريش والموام ما يدب على رجلين أو أربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه . وفي هذه السورة من هذه الحيوانات الأنعام والبهائم والحشرات كما سيأتي عند الكلام على النحل . وأما الطير في سور أخرى كالنور ويدخل فيه الجوارح

قد ذكرنا في تفسير هذه الآيات المختومة بقوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - . ان الله إنما ذكر هذه الجملة بعد الأنعام وركبها بالعلم أنه سيخلق عاونا بهم يركب الناس في البر والبحر بالادواب وبلاشرع للسفن وقلنا إن قوة البخار قامت مقام الدواب في تسيير القطرات وفي إدارة الآلات النافعة للإنسان فلا وضح هذا المقام بعض الايضاح فأقول

إن الدواب هي التي كانت تحملنا وحدها وهي التي بها نوصل البريد من بلد إلى بلد وندير الآلات الطاحنة والساقية لأرضنا فأرسل الله نورا من عنده على بعض العقول الانسانية فأظهروا للناس بعض الحجاب فكان ما نراه من البخار الضاغط بارتفاعه من الحرارة الواصلة اليه فأجرى المركبات وأدار الآلات وفوق ذلك فتح الله للناس باب الكهرباء . وقد ذكرناها في أول سورة الأنعام مختصا بحيث يكون عمود النحاس مع التوتيا يحدثان تلك الكهرباء بشرط أن يكون هناك سائل منجى . فهذه الكهرباء هي التي أتمت ما ابتدأه البخار فأدارت وحركت وسقت وأغنت . فهذه مما ذكره الله بقوله - ويخلق ما لا تعلمون - بعد مسألة الأنعام . ولقد استبان للناس بعض السر في الطبيعة وكما زادوا علما ازدادوا غنى وسعة وراحة بحسب الظاهر واتصل الناس ببعضهم في أقرب وقت

إن الكهرباء تحملنا كما يحملنا البخار وتوصل لنا الأخبار وذلك بالبرق (التلغراف) وبالسرة (التلفون) فأصبح الانسان يكلم أخاه وأحداهما في الشرق والآخر في الغرب بل انه في هذه السنة أي سنة ١٩٢٦ م قد اخترعوا طريقة في أواخر شهر (يوليو) بها يرى الانسان من يخاطبه حال مخاطبته . وذلك أن صورة

المتكلم يحولونها الى كهرباء تمر في السلك ومنى وصارت تلك الكهرباء الى الآخر وجدت أمامها حاجزا من الفوسفور فتحول بسببه الكهرباء الى لون كما كان أولا فبراه • ومعنى هذا أن وجه المتكلم متى أخذت صورته بالآلة التي أمامه تحوّل الصورة الضوئية الى كهرباء بالخاصية التي في الآلة وتمر في السلك وهناك ترجع بالفوسفور الى حاله الأولى • هذا آخر كشف للناس في عصرنا وهذا من قوله تعالى - ويخلفي ما لا تعلمون - نعم خلق الله ما لا تعلم • ألبس هو اندي علم العالم الذي يسمى (فاطما) الكهرباء بأى المولود سنة ١٧٤٥ المتوفى سنة ١٨٢٧ بإيطاليا كيف يستنتج من الضفدعة الميتة ارتقاء الكهرباء في العالم • رأى هذا العالم ضفدعة معلقة بعد موتها وساقها يقشعجان كلما اتصل بهما شمارة كهربائية أو اتصل بهما معدنان فقال في نفسه هذا سرّ عجيب يرقى صناعات العالم • فإذا حصل • صنع (بطارية) وذلك انه أتى بكؤوس من الزجاج ووضع في كل كأس منها قطعة من الفضة وقطعة من التوتيا ووصل كل قطعة من التوتيا من كأس بالقطعة من الفضة التي في الكأس الثانية ووصل قطعة من التوتيا في الكأس الأخيرة بقطعة الفضة التي في الكأس الأولى وصب سائلا ملحيا فتولد من ذلك مقدار كبير من الكهرباء بآلية وبهذه تنقل الأخبار (بالبرق وبالمسرة) أى التلغراف والتلفون • ثم انه صنع ما يسمى (العمود الفلطاى) وجعل المعدنين بينهما نسيج نخين يمتص السائل الملحي الذى يفعل بالمعدنين وجعله صفيحة من النحاس فوقها بعض من النسيج ثم من التوتيا ثم من النحاس ثم من النسيج وهم جرا الى الصفيحة الأخيرة وهى من التوتيا • ولما وصلها بالصفيحة الأولى وهى من النحاس بسلك معدنى تولد مجرى كهرباء يندوم مادام النسيج رطبا وهذا المجرى قوى جدا يهيج أعصاب الميت ويحرك أعضائه حتى يظهر كأن الحياة عادت اليه كما تقدّم في الضفدعة • فانظر كيف استنتج الانسان من تحريك ضفدعة بسبب معدنين التقيا الى هذه الكهرباء التي تدير آلاتنا وتنقل أمتعتنا وتفسر لنا قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - أى تفسر لنا هذا العطف أى عطف الجلالة على الجلالة التي فيها اتنا نركب الخيل والبغال الخ فهذه هى البلاغة بالبلاغة في الوارء العاطفة تعرف بالبخار وبالعمود الفلطاى اتنا في الأرض نعيش في وسط الجبال ونحن غافلون • كيف نرى أمامنا نحاسا أو فضة أضيف الى أحدهما التوتيا ووضع ملح بينهما فخرج من بينهما كهرباء فالتفاعل بين المعدنين قام مقام الخيل والبغال والخيول

﴿ اشراق النفس الانسانية تمثله الكهرباء والمغناطيس ﴾

عاش الانسان قرونا وقرونا وهو بمشي برجلين ثم اهتدى الى تسخير الحيوان في أعماله ثم زاد الانسان عقلا شيئا فشيئا • الانسانية كلها أشبه بطفل يموّ قليلا قليلا • سخر الله لنا الخيل والبغال والخيول فركبناها ثم (١) أخذ العقل الانسانى يتحرك فقال (طاليس) اليونانى الذى نشأ في القرن السابع قبل الميلاد أن جذب الكهرباء والمغناطيس نشأ من قوة روحية كامنة فيهما وحث تلاميذه على درس ظواهر الطبيعة ليعرفوا أسبابها

(٢) ثم قام (ثيوفراستس) اليونانى المولود سنة ٢٧٣ ق م

(٣) وكذلك (بينيوس) الايطالى المولود سنة (٢٣) ب م للسبح فقالا • إن هناك حجرا آخر يجذب القش اذا فرك كاللكنه كهرباء وأمله منها أومن (الراينج) ولم يزد أحد هذين العالمين على ذلك ولكن الثانى ذكر السمك الكهربائى المعروف بالزجاج

(٤) وقال (لقرينيوس) الشاعر الرومانى في نصف القرن الأول المسيحى ﴿ ان المغناطيس يجذب برادة الحديد ولو كانت في بناء من نحاس ﴾

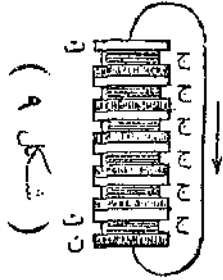
(٥) وقال الصوفى من علماء العرب وهو جابر بن حيان ﴿ ان المغناطيس يفقد قوته أحيانا ﴾

(٦) وقال القزوينى في عجائب المخلوقات ﴿ إن الكهرباء بحجر أصفر مائل الى البياض وربما كان الى

الحجرة (٧) ومعناه جاذب التبن وهو يجذب التبن والحشيش الى نفسه وهو صنف شجر الجوز الرومي
(٧) وأهل الصين تنهبوا لما في المغناطيس من القوة وأنه يتوجه بنفسه الى الشمال والجنوب . وقد
صنع أحد ملوكهم ابرة مغناطيسية سنة ٣٩٣٤ قبل المسيح وبها يهتدون في المفاوز والقفار وفي البحراهمندوا
بها سنة ٣٠٠ بعد الميلاد . ههنا عرف الانسان كيف يستفيد من هذه الخاصية . وانتقلت هذه البوصلة
المفيدة الى العرب في القرون الأولى الإسلامية

(٨) ثم جاء العالم (غلبرت) الانكليزي المولود سنة ١٥٤٠ فعرف ان خاصية الجذب المذكور بطريق
الفرك تكون في الزجاج والكبريت والشمع الأحمر والراتينج والماس الصغير وهكذا كل جسم مثبور وابست
تكون في المعادن ولا الرخام ولا الأبنوس والعاج والصوان والزمرد واللؤلؤ والمرجان . وهذا رأيه ولكن
العلم بعد ذلك اتسع فعرف الناس أن الكهرباء تكون في المعادن أيضا وغيرها
(٩) ثم جاء (كولون) في فرنسا المولود سنة ١٧٣٦ . وابتدع طريقة قياس الكهرباء مثلا ان القوة
اذا كانت تساوي رطلا واحدا على بعد قدم تعبر ربع رطل على بعد قدمين ونسعة أرطال على بعد ثلاثة
أقدام أي عكس مربع البعد في المسافة

(١٠) ثم جاء (كلفاني) من ايطاليا في أواخر القرن الثامن عشر وعمل تجارب سنة ١٧٨٦ واتفق
أنه علق عددا من الضفادع بصنابير من النحاس في درازون فرأها تشنج وظن ان هذه كهربائية حيوانية
(١١) ثم معاصره (فولتا) المتقدم ذكره وأخذ يبحث ٢٧ سنة حتى عرف أن الضفدعة المذكورة هي
والحرة المبللة . تساويتان في تأدية الغرض فاخترع العمود الكهربائي المتقدم ذكره المسمى (رصيف فولتا)
وهو صنف من النحاس (ن) والتوتيا (ت) مرصوف بعضها فوق بعض كما أوضحناه سابقا . والنسيج قد
يكون من الجوخ (ج) وهو مبلل بحامض أو ماء ملح . فإذا بلل الانسان يديه ولمس بأصبع يده الواحدة
الصفحة السفلى من الرصيف وأصبع يده الأخرى الصفحة الأخرى شعر بهزة عنيفة . فهذه الهزة مبدأ
تعرف به قوتها وهي تسمى تسري في أسلاك (البرق والمصرة) التلغراف والتلفون وتدير الآلات وتجرى السيارات
وهذا صورة (رصيف فولتا) شكل ٩



هنا نحن أولاء قد وصلنا من الكهرباء التي تجذب التبن الى
الكهرباء التي تحرك الأجسام العظيمة وتحمل الانسان في البر والبحر
وتقوم مقام الدواب . هذا هو الذي أريد أن أقوله . أقول ان
الله عطف قوله - ويخلق ما لا تعلمون - على خلق البغال والخيول الخ

ليشير الى أن استعمالنا للدواب سيخلفه شيء لا تعلمه . وهنا نحن علمناه . اللهم إنا علمناه . علمنا يارب
ما خزنه في الأجسام من عجائب الكبرياء . خزنه لنا ونحن أطفال فلما ترعرع نوع الانسان كشفت له
عن خزائنه العجيبة وأرسته الكهرباء وحلته عليها في البر والبحر . اللهم إن اخترعين كانوا من الصين
والعرب أولا ومن أوروبا ثانيا والناس كلهم عبادك فانتفع الناس جميعهم مما اخترعه بعضهم . اللهم إن
الانسان اليوم لا يزال طفلا جهولا يخدم بعضهم بعضا وهم لا يشعرون . الانسان ارتقت مدنيته المادية بنمو
عقله فتأخر العقل قامت مقام الدواب . والعقل عرف بهدايتك وهدايتك تأتي بالتدريج . هذا هو الذي
يشير له قولك في التنزيل - وعلى الله قصد السبيل - بعد قولك - ويخلق ما لا تعلمون - فالسبيل العدل
والطريق المستقيم عليك أنت وإن يسلك السبيل المستقيم إلا بالعقل الذي لا يهديه إلا أنت . فإذا قلنا - اهتدنا
الصراط المستقيم - فقد أجبنا الى ذلك بأنك تهدي الى قصد السبيل . خففت عن الدواب بما فتحت على
عقول الناس من خزائلك في الأرض كالقمح الخجري وخزائلك في الأجسام من الكهرباء فاستخرجها الانسان

• وكما استخرج الانسان تلك المنافع من المادة يقدر أن يستخرج نظائرها من روحه ، إن الروح تزاغة الى شرفها ومقامها الرفيع . إن في الناس عاطفة الخير وهم يودون لو يعرفون سر كل شئ ويحبون النظام والحكمة . وهذا الذي ظهر لهم في الطبيعة سيفرهم عما هو أشرف وأكمل وهو استخراج ما كن في النفوس من الجلال والكمال

عجبا . في الأجسام كهربائية قابلت ظهر البسيطة أفلا يكون في نفوسنا ما هو فوق الكهرباء بمعنى ظهر سر الأتفس انقلب نظام النوع الانساني وأصبحوا عالما ملوكيا انسانية وزال ما بينهم من الجهالات والعداوات أنت خلقت ما لانعلم فعرفناه فنفعنا وذلك في الماديات وسيكون بعد ذلك المعنويات والفضائل والقوى النفسية . ذلك كله من قوله - وعلى الله قصد السبيل الخ - بعد ذكر خلق ما لانعلم الذي ظهر سره في الكهرباء التي قامت مقام الدواب من المنافع الانسانية والمسلمون في زماننا مكتشفون بالقشور كأنهم في القبور وكأنهم لم يقرؤا قوله تعالى - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - انتهى الكلام على اللطيفة الثانية ﴿ جمال اللطيفة الثانية ﴾

وذلك في ست فرائد

(١) استخدام الكهرباء في الزراعة

(٢) وفي المرقب الذي لاسلك له

(٣) وفي التلغراف والتلفون المأذون لاسلك لهما

(٤) وفي الفلاح عندنا وعندهم

(٥) وفي سفينة الصحراء

(٦) وفي سفن الهواء والطائرات

ولنبدا بالكلام على ﴿ الفريدة الأولى ﴾ فنقول

﴿ استخدام الكهرباء في الزراعة في مزرعة مستر (ماثيوز) العالم الزراعي الانجليزي ﴾

(١) هو استعمالها سبعة وستين استعمالا في مزرعته

(٢) هو استعمال مسقطا مائيا بعيدا عن المزرعة وهذا المسقط أنتج الكهرباء ويحمل التيار الى المزرعة بواسطة أسلاك حول بناياتها فتي أراد أي عمل أمكنه أن يوصل أسلاك الآلة بالأسلاك العلوية من أي نقطة وكل الآلات التي تستعمل في المزرعة تديرها محركات كهربائية تختلف قوتها باختلاف العمل الذي تؤديه

(٣) مثل حلب البقر

(٤) ومثل درس الغلال ومثل طحن القمح

(٥) ومثل عمل الآريس

(٦) ومثل عمل الزبدة وفصلها من اللبن

(٧) ومثل غسل زجاجات اللبن وملئها باللبن وتغطيتها

(٨) وبهذه الكهرباء أمكنه الحصول على النظافة والسرعة في العمل

(٩) تكاليف استعمال الكهرباء المسماة بالكيلوات تير ما قوته (٤) شموعات مدة (٢٥) ساعة أو

تخرج (٢٦٠) جالونا من اللبن أو تفصل (١٦٥) رطلا من الزبدة أو تطحن مبلغا كبيرا من القمح

(١٠) يربي الدجاج بطريقة الكهرباء فيضئ بيت الدجاج في ليل الشتاء بجهاز كهربائي ويكون نورا ضعيفا يشبه نور الفجر فيستيقظ الدجاج ثم ينيرها نورا كاملا فتأكل الغذاء المعد لها ثم يضعف النور كضوء الغسق فيرجع الدجاج الى اماكنه . ونتيجة هذا أن البيض في زمن الشتاء يكون من الدجاج الواحدة

من ٣٠ بيضة الى ثمانين بيضة . ولا جرم أن الشتاء فيه البيض أغلى منه في زمن الصيف وهذا ربح عظيم (١١) وهناك جهاز كهربائي للتفريخ سعة ٢٢٤ بيضة وبواسطة هذا الجهاز الكهربائي يمكن ضبط درجة الحرارة ويحصل له ٨٣ في المائة من البيض أى انها تفرخ (١٢) لوارم المنزل من بناء الساخن بواسطة الكهرباء (١٣) والتدفئة في كل الغرف بالكهرباء (١٤) والطبخ بها (١٥) والغسيل بها (١٦) وعمل الثلج بها (١٧) وتنظيف الأبسط (١٨) يصل لكل غرفة جهاز لاسلكي به يستمعون النغمات والأخبار (١٩) جهاز لتسوية الحشائش يدار بالكهرباء وقصها كذلك (٢٠) بالكهرباء تنمو الأزهار في بيت زجاجي ففيه كهرباء قوتها ألفا شمعة وهذا يؤثر في الأزهار فتفتح في أربعة أيام بدل أربعة أسابيع (٢١) هناك أوان أغلى الماء وفرن كهربائي (٢٢) اذا طبخت السيدة طعاما فليس عليها إلا أن تسلط الحرارة على ما تطبخه بواسطة الزر الذي تضغط عليه ومعلوم الزمن الذي يتم النضج فيه فتذهب حيث تشاء وترجع فتجد الطعام قد تم نضجه (٢٣) النحل في زمن الشتاء لا يخرج فيضع له نورا خارج بيته فيخرج فيجد شرايا فيتغذى منه فيكثر العسل هذا ملخص ما لاحظته جماعة من اخواننا المصريين زاروا هذه المزرعة . رجعنا الى تفسير الآية . عجائب القرآن وبدائعه . هذه هي الكهرباء وهذه نتائج أعمالها

ههنا لنا الحق أن نبدي عجبتنا من القرآن . وأى عجب أكبر مما ترى . يقول الله في الآيات السابقة - والأنعام خلقها لكم - الخ جعل منها منافع كثيرة كالدفء والأكل والجل الى البلاد البعيدة والزينة . هذا كل ما ذكره القرآن للبهائم والأنعام . فالمنافع في الآية عامة وفصل منها أربعة . أما الخيل والبغال والحمير ففيها الركوب والزينة خصب . أفلا تعجب كيف أعقب هذه الآيات بقوله - ويخلق ما لا تعلمون - . يعنى والذي لا تعلمونه وهو ما سيخلفه جعله لنا كالأكل ومنه ويكون دفاً ويحميكم الى بلاد أخرى وزينة . هذه هي الحكمة في عطف هذه الجملة على ما قبلها والا فلماذا لم يذكر ذلك إلا هنا

يقول الله خلقت هذه الحيوانات للمنافع المذكورة وسأخلق ما يقوم مقامها ونعطيكم نفس هذه المنافع وذلك منه الكهرباء المذكورة . ألم تر أن المزرعة المذكورة قد كانت الكهرباء فيها سبب ظهور الأزهار بسرعة وسبب كثرة البيض بتغذية الدجاج ليلا على ضوء الكهرباء . فاذن الكهرباء زادت في البيض وزادت أيضا في لحوم الدجاج ثم ان نورها مدحش وجيل فهو زينة وهي تسير القطارات الى المسافات البعيدة بدل الخيل والبغال والحمير والابل وهي تدفى كما تقدم وفيها منافع كثيرة غير ما ذكر . فاذا أخذ الناس من جلود الأنعام نعالا مثلا ومن أظلافها غراء . فههنا أنت الكهرباء بمنافع وافرة كالغسل والطبخ وغيرها مما تقدم هذا هو بعض الأمر الذي تضمنه قوله - ويخلق ما لا تعلمون - . علم الله أن العالم سيصبح فيه أعمال غير ما يعرفه الناس سابقا فأتى بهذه الجنة ليعرف المسلمون أن نعم الله ليست خاصة بما كان ظاهرا زمن النبوة بل هناك من أنوار الله ما هو مخزون وسيظهر وقد تم . ولا جرم أن هذا التفسير على هذا الخط لم يقله المتقدمون وذلك لأن الله لم يظهره إلا في هذا الزمان فاما ظهر أظهرناه . وانما أظهرناه لأن الله هو الذي أسس ذلك على قراره يمكن لجاء بهذه الجنة عقب الحيوانات النافعة ليقول لنا ان الذي سيخلق ولا تعادونه يقوم مقام تلك الحيوانات النافعة

﴿ عجائب الأنوار الربانية ﴾

أفلا تعجب معى من المادة كما تعجب من القرآن . المادة التي نعيش في وسطها هي الأرض وما عليها

ظاهرها أنها لاشئ فيها سوى هذه المحسوسات ولكن ظهر بهذه الكهربية أنها متدخلة في جميع أجزاء الأرض والهواء . هي في كل شئ غاية الأمر أنها ضعيفة في شئ قوية في آخر

نحن نعيش في عالم كله جمال . وكيف لا يكون كذلك وقد ثبت عند قوم أن الأرض نفسها وكل ما عليها إن هي إلا كهربية متجمدة أي أن هذه المادة أصلها هي الكهربية ومتى استعملنا عقولنا في استخراجها ظهرت لنا . فهنا نحن أولاء نوصل معدنين ببعضهما كالنحاس والتوتيا ونؤلف بينهما مسائل ملحى فعندئذ تظهر الكهربية التي هي أصل هذه المخلوقات والكهربية المذكورة تنقلب ضوءاً وحرارة ونورا كما هو مشاهد فالضوء يشق من الكهربية وكذا الحرارة وكذا الحركات فكل إلى كل ينقلب . إذا ثبت هذا فالكهربية كامن فيها النور أو هي نور مخبأ عن الأعين يظهره التفاعل

- الله نور السموات والأرض - فهو منورهما بل هو منور كل حجر وكل صخرة وكل جبل من داخله وإن كان في ظاهره مظلمة في حالك الليل المدهم . لماذا هذا . لأن الكهربية متدخلة في أجزاء جميع الأشياء والهواء والكهربية ضوء فالنور في كل شئ وإن كان كامناً

خلق الله الحيوانات فانتفعنا بها ثم قال أنا أريحكم وأريح الحيوان فارجعوا إلى النور الذي دفته في المادة وخزنته فاستخرجوه فانه يقوم مقام هذه الدواب قال تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم -

ولاجرم أن نور الكهربية يكاد يضيء ولولم تمسه نار وهو يوقد من مادة العالم العائمة وهي لاشرقية ولا غربية فإذا أوقدت كانت نوراً على نور . ولاجرم أن نور الكهربية لم يهتد الناس له إلا بهدى الله . هكذا العلم لا يهتدى الناس له إلا بهدى الله وسبأني تفسير الآية تأملوا ولنكتف هنا بما ذكرناه والحمد لله رب العالمين ﴿ الفريضة الثانية . المرقب الذي لاسلك له . أدهش اختراعات هذا العصر ﴾

قلنا إن الكهربية خلقها الله وكان الناس لا يعلمون وأن فيها منافع كثيرة قد علمناها وآخر ما كشفه الناس أن يرى الإنسان أخاه على أبعاد شاسعة أي أنه كما يسمع كلامه يرى وجهه . وهذا مقال جاء في بعض المجلات العلمية سنة ١٩٢٦ ونصه

﴿ أدهش اختراعات هذا العصر . هل وصل العلم إلى آخر درجات رقيه ﴾

﴿ وهل أكمل المخترعون كل ما يدور في مخيلتهم من الاختراعات المدهشة ﴾

نحن الآن لانزال في بدء عصر اللاسلكية واللاسلكي لانزال يفاجئنا كل يوم بامور عجيبة مدهشة . فقد كنا منذ بضع سنوات يوم كل اختراع التلغراف اللاسلكي نعتقد أنه سيكون خاتمة اختراعات البشر فما لبثنا أن رأينا بعده التليفون اللاسلكي ثم الفوتوغرافية اللاسلكية . وهما نحن نشهد اليوم اختراعاً أدهش من كل ما تقدم ونعني به ﴿ المرقب اللاسلكي ﴾

ذكرنا من قبل أن بعض علماء الفرنسيين اخترع مرقباً لاسلكياً لرؤية الأشباح عن بعد وهو ما يعبر القوم عنه بلفظة (تليفزيون) وشرحنا بالايجاز ما بين هذا الاختراع واختراع الفوتوغرافية اللاسلكية من الفرق . وذلك أن الفوتوغرافية اللاسلكية تنقل الصور والأشباح الثابتة عن بعد كأن تنقل مثلاً صورة رئيس الجمهورية الفرنسية وتبرزها على ستار خاص . وأما الاختراع الذي نحن بصدده فهو ينقل الأشباح المتحركة بجميع دقائقها فهو إذن أشبه بسينما توغراف لاسلكي ينقل الحوادث والأشخاص كما هي ويبرزها لعين الناظر بجميع دقائقها

وقد اطلعنا الآن على خبر في إحدى المجلات الأوروبية مؤداه أن شابا انجليزيا يدعى المستر (بيرد) وقد أنجز اختراع (المركب اللاسلكي) بحيث صار في متناول الجميع ولكن المخترع لا يزال يعمل على تحسينه واتقانه وهو يعتقد أنه لن تمر سنة من هذا التاريخ حتى يستطيع كل امرئ أن يقتني مركبا لاسلكيا ثمن لا يزيد على ثلاثين جنيهًا فيستعمله في منزله كما يستعمل التلفون ويمكنه بواسطته أن يرى أشباح الذين يخاطبهم وأشباه غيرهم ولو كانوا في أقصى المعمورة . ولا ريب في أن هذا الاختراع سيحدث انقلابا خطيرا في عالم الاجتماع وسيؤدي استعماله الى تغيير كثير من أنظمة العمران وليس ذلك فقط بل سيقبل القوانين المدنية والجناية والحربية رأسا على عقب . تصور قائدا من قادة الجيوش جالسا في معسكره بمركز القيادة العاتقة فقد كانت خطته الحربية حتى الآن تتوقف على الأنباء التي يتلقاها من مختلف الميادين . أما الآن فبواسطة (المركب اللاسلكي) يستطيع أن يقف على مجرى القتال في كل جهة ويكيف خطته وحركته على مقتضى ذلك

وكذلك الأمر في أصحاب المهن والصناعات المختلفة فانهم يستطيعون وهم جالوس في منازلهم أن يشاهدوا بالمركب اللاسلكي كل ما يرومون مشاهدته وأن يكيفوا أعمالهم بموجب ذلك

ومما يجدر بالذكر أن العلماء قد كانوا يعملون على انجاز الاختراع الذي نحن بصددده منذ عشرين سنة ولكن أعمالهم لم تكمل بالنجاح إلا في الشهر الفائت إذ أتيح للمستر (بيرد) أن يكمل هذا الاختراع . وقد سماه (التليفيزور) أو (المركب اللاسلكي) وسجله ثم عرضه على وزارة المواصلات في إنجلترا فأصدرت مصادحة البريد رخصتين باستعمال هذا الاختراع بقصد مواصلات التجارب . وهاتان الرخصتان هما للمستر بيرد نفسه وللكابتن (هفتستون) مدير شركة التليفيزور أى الرؤية عن بعد . وقد أنشأ هذان محطة للراقبة اللاسلكية وهي أول محطة في العالم من نوعها . ومما يجدر بالذكر أنه ينما كان بعض أصحاب التلفون اللاسلكي واضعين سماعاتهم على آذانهم في (لندن) سمعوا أريزا غريبا يقطع الأصوات التي كانوا ينصتون لها ثم تبين بعد ذلك أن الأريز ناشئ عن مركب المستر (بيرد) اللاسلكي فان هذا المركب يحدث عند نقله الأمواج اللاسلكية أريزا يسمعه الذين ينصتون الى سماعة التلفون اللاسلكي

وقد أجرى المستر (بيرد) عددة تجارب أثبت بها فائدة اختراعه * وشهد الكثيرون من العلماء نتيجة ما قام به من الخدمة للعالم . فهو قد قرب الأبعاد ومزق الحجب التي كانت تستر الناس بعضهم عن بعض والمركب اللاسلكي لا يريك الشبح بشكل صورة فوتوغرافية فقط بل يريك في جميع حركاته وسكناته ويريك أيضا بعض ألوان الشبح الطبيعية ولا سيما الأحمر والأزرق على أن المخترع لا يزال يوالى تحسين اختراعه ليتمكن من اظهار جميع الألوان الطبيعية وظلالها . وهو شديد الثقة بقرب نجاحه بحيث يتمكن الجمهور من استعمال المركب اللاسلكي في خلال العام المقبل

وهذا المركب شبيه جدًا بألة التلفون اللاسلكي ويختلف عنها بكثرة ماله من العدسات وهذه العدسات تتناوب على نقل جزئيات الشبح المراد مراقبته وتناوبها هذا يتم بسرعة تفوق حد التصور وهي تعكس جزئيات الشبح على الآلة القابلة كما تعكس آلة (السينما) جزئيات الأشباح على الستار فتظهر من مجموعها صورة كاملة . والجمال لا يسمح لنا بوصف دقائق هذه الآلة الغريبة ولكن استعمالها على ما يظهر بسيط جدًا . وهناك صعوبة فنية يحاول المخترع تذليلها وهي أنه عند انطباع الشبح المتحرك يحدث ارتجاج يتعب البصر . وقد كان السينماتوغراف أيضا كذلك في أول أمره ثم تمكن مخترعوه من ازالة ذلك النقص والمستر (بيرد) شديد الثقة بأنه سيتغلب على هذه الصعوبة ويعتقد أنه لن تمر بضعة أشهر حتى يتمكن من ازلتها بتاتا . قلنا ان المركب اللاسلكي سيحدث انقلابا عظيما في عالم الاجتماع إذ سيتمكن المرء من رؤية كل ما يجري في هذا العالم من دون أن يحرك ساكنا أو يخرج من منزله . وسيكون هذا الاختراع أكبر مساعد

على مراقبة النصوص وصحتها الجرائم . والعلماء ولا سيما علماء الفلك يرجون منه نقداً خصوصاً لأنه إذا أتبع لهم رؤية الأشباح عن بعد أوف من الأميال فسيتمكنون بلاريب من رؤية ما يقع على أبعاد شاسعة أى في الأجرام السماوية المختلفة (وبعبارة أخرى) أنهم قد يستطيعون بفضل المرقب اللاسلكى رصد الكواكب والأفلاك للتحقق من وجود الخلائق الحية فيها . فإذا تم ذلك فسيكون (المرقب اللاسلكى) أعظم اختراع أتبع للبشر أنقائه

﴿ الفريدة الثالثة . غرائب التلغراف والتلفون اللاسلكى ﴾

أنبا المستر (فردريك كلاوى) مدير شركة (ماركونى) فى خطبة فاه بها فى (تشامسفورد) بالخطوات العظيمة التى يخطونها فى ترقية التلغراف والتلفون اللاسلكى فى العالم فى القريب العاجل . وقال ان النجاح التجارى الذى نجحته محطات (ليم) التى تنقل الرسائل بين الشرق والغرب فاق أعظم ما كان يؤمله لها المؤمنون علاوة على أنه أجريت فى الأربع والعشرين ساعة الماضية تجارب جهاز (ليم) مع استراليا . ومن رأى الثقات فى مصلحة البريد أن عهد شركة (ماركونى) قد نفذ (هتاف)

وأنبا المستر (كلاوى) أيضاً بأن محطات التلغراف اللاسلكية التى ستربط جميع أجزاء العالم بعضها ببعض ستكون على قاعدة نظام (ليم) وعمما قريب سيتناول الواحد منكم سماعه التليفون ويخاطب والده أو أخاه فى ملبورن وأتوى . وقال اننا نقرب من فكرة نقل الرسائل كما هى طبق الأصل فبدلاً من أن ينقل العامل الرسالة اللاسلكية على مفتاح الآلة توضع هذه الرسالة فى الجهاز الذى يرسل الاشارات فتدون بطريقة ميكانيكية و بعملية واحدة فى الطرف الآخر من الدورة فى أى ناحية كانت من أنحاء العالم وهذا عما لا يكاد تقدر فائدته من الوجهة التجارية . انتهى

﴿ الفريدة الرابعة . الفلاحة والكهرباء . الفلاح عندنا وعندهم ﴾

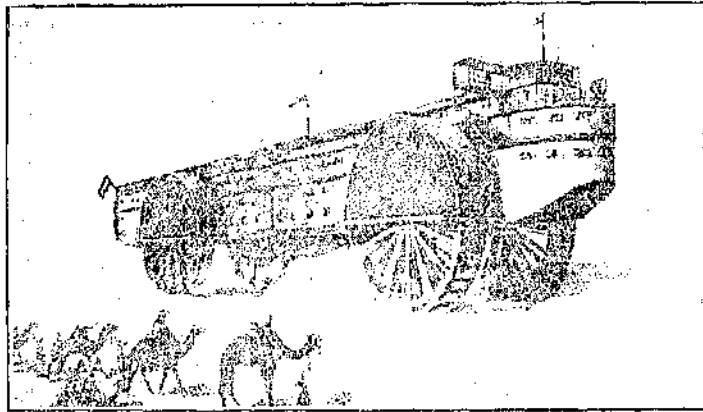
فى هذه الفريدة أعطيتكم أبها الدكى صورة للدلاح عندنا والفلاح فى أوروبا
الفلاح عندنا بمصر يرقى زرعها بالآلات ورثها عن آباءه منذ آلاف السنين مثل الشادوف والساقية والمحراث المعتاد وما أشبه ذلك ولا يحصل ما يحتاج إليه إلا بشق الأنفس . أما الفلاح فى أوروبا فقد فاق أجداده فى الزراعة أربع مرات . ومعنى هذا أن الحقل الذى كان يحتاج الى أربعين رجلاً منذ ثمانين عاماً أصبح اليوم لا يحتاج إلا الى عشرة رجال ومع ذلك تسمع الاوروبيين يقولون إن الفلاح عندهم متأخر . لماذا . لأن صناعة الحديد مثلاً قد تضاعفت عشر مرات عما كانت عليه منذ أربعين عاماً . أما صناعة الورق فقد صارت أضعافاً مضاعفة . فذلك يقولون يجب على علماء الكهرباء أن يسعفوا الفلاحين كما أسعفوا الصناع ويقولون ان الفلاح يحتاج الى ثلاثين فى المئة من أعماله للأعمال الثابتة مثل رفع المياه وحلب البقر والى ٢٠ فى المائة منها لأعمال النقل والحل والى ٥٠ فى المئة للعمل فى الحقل . فأما الأعمال الثابتة المذكورة فإن الكهرباء تقوم بها بدل الدواب والرجال . وأضرب لك مثلاً عندهم مقدار من الكهرباء يقال له (الكيلوات) وهذا المقدار فى الساعة ثمة ما بين مائتين و١٢٠ ملياً فى اليوم الواحد . أتدري ماذا يفيد هذا . إنه يقوم فى الحقل مقام عمل الرجل بالشادوف مثلاً سبع ساعات

واقدر وجد القوم هناك أن المعامل التى تصنع العسدد والآلات الكهربائية فيها (٧٥) فى المئة مما يصنع فيها من الحجم الصغير إنما يكون للأعمال الزراعية . واقدر وجدوا أن للنور تأثيراً فى زيادة عدد بيض الدجاج فاستعملوه فنجحوا . وقد برى الدجاج من أمراض مختلفة بنور الكهرباء وهكذا أثرت الكهرباء فى دودة الحرير فأعطت بواسطتها ألواناً غريبة مذهشة

أما أعمال النقل والحل التى تحتاج كما قلنا الى ٢٠ فى المائة فهذه معروفة فى جميع العالم وقد سعت الكهرباء

سككا حديدية كثيرة في العالم
أما الحسون في المائة الأخيرة فهي تنحصر فيها عمله الفلاح من حوث للأرض وتجهيد الخ ثم جمع المحصول
وحصده أودسه أو تحفيده كما يحصل في البلاد الباردة فإن هذه الأعمال فضلا عن تعذر أدائها بواسطة الثيران
والبقرة في البلاد التي يندر فيها وجود الأرض المستوية مثل سويسرا والسويد والنرويج وأواسط أوروبا
عموما فإن فائدة الآلات الحديثة تظهر جلية واضحة في البلاد المستوية أيضا وذلك لسرعة هذه الآلات وقلة
مصاريفها . ثم لأنه لم يفكر فيها احد من أغنياء فلاحينا مع ان منهم الشباب الذي مضى في أوروبا
سنتين عديدة ويمضي الصيف فيها كل عام حيث يمرّ بشمال إيطاليا وسويسرا وفرنسا وبلجيكا وهولندا
ويرى الآلاف من هذه الآلات في كل مكان

هذا زيادة عما أتت به التجارب العديدة من امكان قتل بعض المكروبات والأمراض التي تفتك
بالزراع بواسطة الكهرباء مما استعصى على التبخير وغيره وهذه منتهى من جهات العمل الفلاح وقد سيجتاه
أن يحرم منها فلاحنا كما حرم غيرها من المميزات . وقد شاع استعمال الأنوار الكهربية المختلفة لاعطاء
الأزهار ألوانا غريبة غير طبيعية أو تخمى بعض الأزهار في غير أوقاتها العادية من السنة وذلك بالتدفئة والمعالجات
المتخلصة . وقد نجحت مسألة التسمية الصناعية في الزهور حتى أن الزهور التي تستلزم لتمام نموها في الطبيعة
ثلاثة أسابيع أو أربعة تموت في هذه الطرق في أربعة أيام الى سبعة فقط مع حفظها لرائحتها وزيوتها انتهى



(شكل ١٠)

(الفريدة الخامسة . سفينة الصحراء)

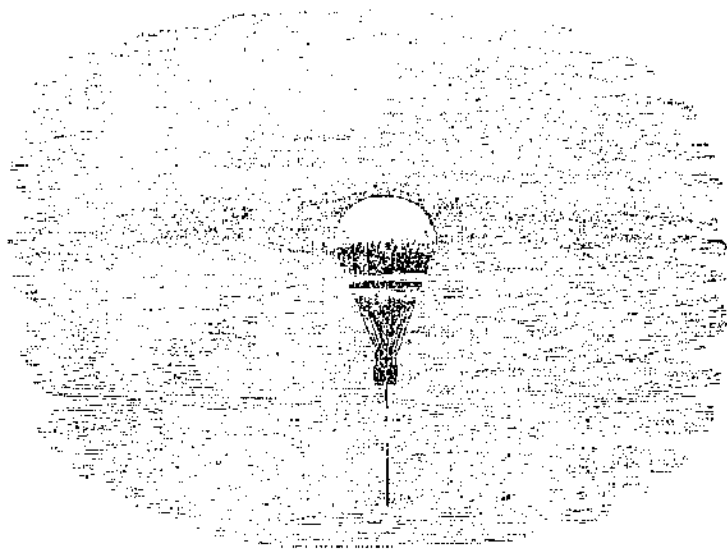
(سيارة هائلة تسع ٣٠٠ مسافرا وفوق ذلك كثير من البضائع)

الكرة الأرضية في تناقص ظاهري مستمر ما بقى الاختراع ومادامت الصناعة تتغلب على المكان والزمان
فتجعل ممكنا شدا ما هو غير محتمل اليوم ثم تحقق هذا الممكن بعد الغد وتلك القاطرات والسفن والسيارات
والطائرات تربط جهات العالم من أقصاها الى أقصاها . غير ان ما لم يكن في متناول تلك الوسائل لبث كما
كان معتمدا على وسائل النقل الأولية فبقيت قوافل الجبال في فلول الرمال التي لانهاية لها وظلت عربة الريف
الروسية العتيقة تسير في قفار كرايا وسيبيريا ومن ثم بقي من الأقاليم القليلة للاستعمار أراض واسعة الأرجاء وبقاع
مجهولة جمعت وفقا على الرحلات العامية الشاقة . لكن الصناعة التي لم تعوزها الحيلة الى التقدم المضطرد
تريد اليوم التوغل في الجهات التي ظلت مجهولة فقد توصل (سترون) لأول مرة بمساعدة عرباته المصنوعة
على طراز (التنكس) الى تذييل مخاوف الصحراء . واليوم يبشر اختراع المائي جسيديس باجتياز طرق البر
التي مارالت مغلقة في وجه الحضارة البشرية وما الى ذلك من وصل طرق الصحراء وصلا اقتصاديا بواسطة

سيارة ضخمة • سفينة الصحراء عبارة عن سيارة هائلة توصل إلى بنائها انضخم بملاونة نهر من المهندسين وأصحاب المصانع مخترع أناني يدعى (بوهان كرسنوف يشوف) في مدينة كيل بعد مجهود سائر عديدة • وبلغ عرض هيكل هذه السيارة (١٢) مترا وطولها لا يقل عن (٦٠) مترا وارتفاعها (١٨) مترا أما المحلات الهائلة فيبلغ قطرها (١٥) مترا وعرض سطحها ٢ متر ويعلو قرار (الشاسي) عن الأرض بمقدار ٤ متر والسيارة معدة في تركيبها بأحدث مبتكرات الصناعة التي تجعلها غير مقيدة بالسير في الطرق المهمة وحدها بل تجعلها في حل من التغلب على وعز الأراضي كما تستطيع أن تسير على الأرض المستوية وعلى التلال الخفيفة الانحدار على السواء بسرعة (٣٠) كيلومترا في ساعة وتصل سرعتها في أوعر المسالك إلى (١٠) كيلومترات في الساعة • وهم مزاي (سفينة الصحراء) انعمية يمكن الارتفاع بحمولها العظيمة بالنسبة حجمها فهي إذا بذت لغرض نقل الأثقل تسع (٢٠٠) طن من البضائع • وإذا بذت لنقل المسافرين فإنها تحمل (٥٠) طنا ونحو ثمانية مسافره معدة لهم جميع وسائل الراحة المتوفرة في السفن البخارية التي تقطع البحر اه

﴿ القريدة السادسة • السفر في الهواء ﴾

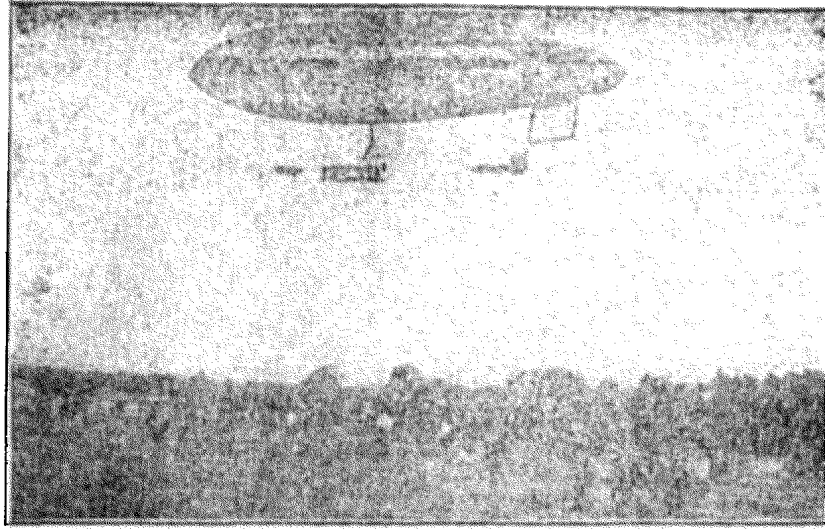
وذلك بالآلات أخف من الهواء أو بأقل منه فالتى هي أخف من الهواء نوعان (البالون) أى المنطاد و (سفينة الهواء) أما المنطاد فهو كيس من الحرير مدهون بالزيت بشكل (الكمرى) مملوء بأحد هذين الغازين (الهيدروجين) وغاز الاستصباح وكلاهما أخف من الهواء • وهذا الكيس الحريرى مغلف بشبكة من الحبال معلق فيها سقف يسع من اثنين إلى (٤) من المسافرين وهو لا يمكن ضبطه في السير فهو يحرق على حسب الريح وقد جرى ألف ميل بلا توقف من (باريس) إلى قرب (موسكو)



(المنطاد • شكل ١١)

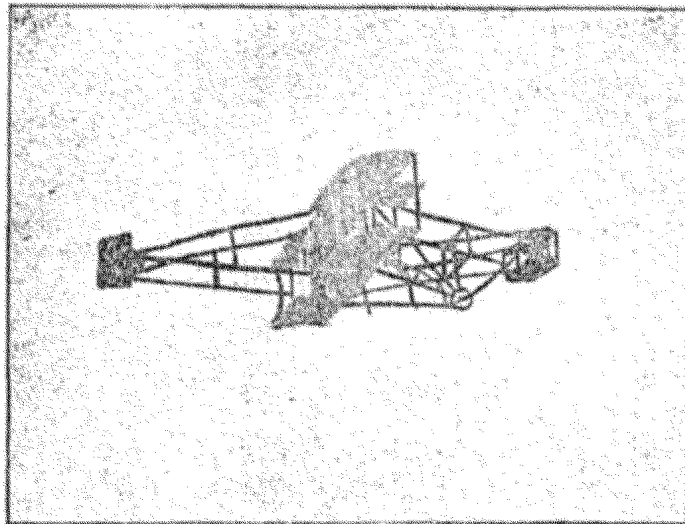
أما (سفينة الهواء) فإنها كيس مملوء بغاز الاستصباح مثل (البالون) ولكنه على شكل إماعة الطباقي (السيجارة) وهي مقسمة إلى جنة أما كن وهي تارة تكون مكوّنة من معدن خفيف هو (الومنيوم) قد بذت فيه عربة طويلة تحمل مسافرين وآلة محركة مثل التى في السيارة (الاوروموبيل) وهذه المركبة لها رافعة تدور بسرعة عظيمة وسفينة الهواء يمكن ضبطها في السير إذا هبأت الرياح ولكنها تكون صعبة المراس إذا غصفت العواصف • إن العاصفة يمكن أن تمزقها تمزقا شديدا • ويمكن أن تحمل من (٢٥) إلى (٣٠) مسافرا في عربتها وترفع (٤٠) طنا وقد أمكن السفر بها (٩٠) ميلا في ساعة واستدرت سائرة (٥٠٠)

ميل بلاتوقف • انتهى الكلام على سفينة الهواء شكل ١٢



(سفينة الهواء - شكل ١٢)

والآلة المحركة التي هي أثقل من الهواء المسماة (ألواح الهواء) ثلاثة أنواع • أما الأولى فهي ليس فيها غاز استصباح وإنما هي مصنوعة من سطحين من القماش الغليظ المتين فوق إطار مصنوع من أنابيب الفولاذ وهذه لها ألواح صغيرة رافعة تديرها إلى الجهات المختلفة وهي تحمل آلة بخارية ومحركا مثل ما تقدم في (سفينة الهواء) ولها عجلات تمشي بها على الأرض قبل استقلالها بالطيران وبعد نزولها إلى الأرض وتحمل من (١) إلى (٤) من الركاب في حجمها الذي يشبه القارب في البحر • وتجري هذه من (٤٠) إلى (٩٥) ميلا في الساعة • ولقد أجراها بعضهم (٤٠٠) ميل بلاتوقف وبلغ سيرها في ثلاثة أيام (١٠٠٠) ميل • وهذه صورة الأولى من ألواح الهواء شكل ١٣



(صورة الأولى من ألواح الهواء - شكل ١٣)

أما الثانية من (ألواح الهواء) فهي كسابقتها ولكنها لها عوامة كعوامة السفينة بدل العجلات فيمكنها أن تنزل فوق البحر وترفع ثانيا وهي تبني على أي حجم بحيث لا يكون ما يضرها بكسر فتكسر

وقد طار بها بعضهم من فوق الدردنيل . وقد جرى فوق البحر وهو أبحج جدا بالعواصف في القتال الانجليزي وطلع منه ثانيا وهو يجري (٦٥) ميلا في الساعة
(الثالث) واحدة السطح هي مثل ما قبلها ولكن لها سطح واحد وحجم هذا النوع أشبه بحجم حشرة تسمى (طائر الشعبان) له آلة بخارية ومحرك مثل الذي في سفينة الهواء وبيولين وعجلات للجرى على الأرض وتحمل من ١ الى ٤ رجال وتجرى ٩٠ ميلا في الساعة وجرى من باريس الى وارسو في يوم واحد وهذه صورته



(صورة ذات السطح الواحد - شكل ١٤)

﴿ هذا اجمال ما تقدم تفسيراً لقوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - ﴾
اعلم أيها الذكي أن هذا بيان لما اخترعه الناس فيما بعد العصر الأول للركوب الذي دخل في قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - قد كان السير قديماً بالأقدام أو بركوب الدواب ثم خلق الله مما لا نعلم عجالات تجرى بالناس
(١) مثل عربات النقل المعتادة كالذي يستعملها الباعة في الطرقات

(٢) وعربات الركوب تجرها الدواب

(٣) وعجلات يركبها الناس بحركونها بأرجلهم تسمى (بسكات) باللسان الافرنجي

(٤) والسيارات التي يسمونها (متركار) وهذه لها آلات محركات بالبنزين

(٥) وعربات الترام التي يجري بالكهرباء

(٦) قطار السكة الحديدية الذي يجري بالبخار وتارة بالكهرباء . هذا فوق الأرض

﴿ السير فوق الماء ﴾

قد كان قديماً بالسفن ونحوها سواء أكانت بالشرع أو بالمجداف ثم حدث البخار فسارت السفن به في البحر كما سارت القطارات في البر ثم السفن الجارية بالآلات المحركات كما تقدم في اليابسة وتسمى بالافرنجية (متربوتس)

﴿ الهواء ﴾

ثم حدث في الهواء النوعان المتقدمان وهما نوع المنطاد ونوع الطائرة وقد تقدم شرحهما . انتهى الكلام على اللطيفة الثانية وفرائدها الست

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

لقد مضى في هذا التفسير ذكر كثير من جلال النبات وبدائعه ولأذكر لك هنا عجائب مدهشة منه تحلية

وتفصيلا وجالا فأقول . قد قرّر العلماء كالعلامة الطبيب النطاسي المسمى (سانكتور بوس) في بلاد البندقية وغيره أن ما يقطر من العرق في جسم الانسان يكون كيولوجيا واحدا في اليوم واليلة . فأما النبات فانه يخرج ماء من أوراقه أكثر من عرق الانسان بالنسبة لجسمه حتى انهم وجدوا نبات عابد الشمس يزيد عن الانسان بالنسبة لجسمه في العرق ١٧ مرة . وقد وضع (كوتارد) غصنا لم يقطع من شجرته في زجاجة وأحكم سدها على الغصن . وتلك الزجاجة من أسفلها قد دنى منها أنبوبا دخل في زجاجة أخرى تحتها وتلك الشجرة يقال لها (القرانيا) فكان مقدار ما يقطر من ذلك الغصن من الماء في اليوم أوقية وثلاثة دراهم أي قدر وزنه مرتين . وهل أريك أعجب من هذا

(١) شجرة الأروم يقطر من أوراقها قطرات ربما بلغ عددها بضع عشرات في الالديقة
(٢) الشجرة الباكية . وهي شجرة في جزائر الكناريا يتساقط منها الماء كالطر فيجتمع عند ساقها ويستقي منه القوم الذين يسكنون حولها ويملئون من مأنها جرارهم
(٣) نبات الأباريق . إن أوراق هذا النبات ترسل من أطرافها زوائد تنتهي بأقداح اسطوانية لها أغشية تفتح وتغلق في أوقات معينة . وفي أثناء الليل ينطبق الغطاء على فم القندح فيسد سدا محكما والماء يتقاطر من جدرانه حتى يملأه فإذا طلع النهار ارتفع الغطاء فشرب الناس منه وخرج الباقي بخارا . وكمن أناس كادوا يموتون عطشا في الصحراء فأنقذهم الله بسبب ذلك النبات

(٤) أشجار في غابات أمريكا . وهناك نباتات في غابات أمريكا الجنوبية مثل هذه يشرب منها المسافرون عند الحاجة . ياسبحان الله . كيف رأينا العرق في الانسان دافعا عنه الأذى وفي النبات قد ارتقى قدرا ومنفعة فأصبح ماء غيرا يشربه الانسان . فهذا نبات (الأباريق) كيف خلق له صحن اسطواني فسد بالليل سدا محكما فإذا طلع النهار زال الغطاء وشرب منه الناس في الصحراء وبه يحيا المسافرون

أفلا تعجب معي من هذه الحكمة . أفلا ترى كيف كانت العناية والحكمة شاملة حتى ان البخار الخارج من النبات كعرق الانسان لم يدعه الله بلامزية لنا بل رقاها في النبات كما رقى الحياة من أدناها الى أعلاها ولما رقاها في النبات جعله شربا للمسافرين وحياة لكل حي . أفلا ترى أن هذا كسألة الكلام فانا نتنفس كما يتنفس النبات والحيوان ولكن نفس النبات لا كلام فيه ونفس الحيوان فيه بعض المقاطع ونفس الانسان كان منه الكلام وليس الكلام إلا حروفا وحروف من تقابل بعض أعضاء الفم فتقطع الصوت والصوت ليس إلا من الهواء الداخل لنصفية الدم فأصل المسألة كلها حياتنا بالهواء النقي ثم أدخل على ذلك تحسين وتحسين حتى صار كلاما عند الحاجة . وهذا وكذلك العرق كان عندنا خراجا لما يضرب بأجسامنا ثم هو في النبات الذي هو أدنى منا يكون ماء في أنوان تغلق وتفتح على مقتضى الحاجة . وهذا في الحقيقة استخدام لكل موارد الطبيعة وانتهاز لكل فرصة سانحة لرق الانسان . ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق - في القرآن ولا يكونوا كمن تقدمهم من أم الاسلام المتأخرين الذين طال عليهم الأمد ففتست قلوبهم وكثير منهم مستعبدون أذلاء للفرجة وآخرون صاغرون . واليوم أن أوان مجدهم ويزوغ شمسهم وظهور دينهم . وها أنا ذا أبشر المسلمين بيومهم المعهود وسعدهم المنشود وزمانهم الذهبي المسعود وانهم سيكونون خيرامة أخرجت للناس ينفعون الأمم ولا يكونون وبالا عليها كما فعلت أوروبا بالظلمة الغادرة بالشرقين إني أوصي كل من اطلع على هذا الكتاب أن ينشر الفكر بين المسلمين ويطلع العامة والخاصة على كنوز الله للمؤمنين وأن يقول لهم هذا يوم الاقبال والنصر للمسلمين

(حكاية مصرية في النبات)

بينما أنا أولف في هذا التفسير إذ خرجت ليلة لأمر أقضيته فجلست على دكان بجوار دارنا فحدثني صاحب الدكان وهو رجل صالح قال ان فلانا أصبح رجلا صالحا جدا وصار يصلي ولا يفتأ يذكر الله ليلا ونهارا

وسبب ذلك انه قال اننى مكلف بأعمال تنعاق بدائرة القصر الملوكى فاقتضت الأعمال أن أسير فى الجبل غربى اهرام الجيزة فأصابنى أنا ومن معى عطش شديد وكان معنا اعرابى فتبسم وقال ستروى بعد قليل فقلت له وأين الماء إن هذه صحراء قاحلة فقال ستروى ثم أخذ ينظر فى الأرض ويتفرس بين الرمال ثم نظر برىقا بين الرمل ضئلا جدا فقال لى هذا هو الشراب فقلت له هذا رمل قال ستروى خفر فى الأرض حفرة فطلع منها نبات مكور فأخرجه وقال كل هذا فقلت أنا أطلب الماء وأنت تعطينى طعاما أتسخر منا ونحن عصبية فقال كل هذا وستروى وهى نباتة أشبه بالبصلة فأكلتها ومامت دقائق حتى رويت وبقيت طول النهار لا أحتاج لماء ولا أشتاق اليه فعرفت أن لهذا العالم إلهيا ومن ذلك الحين صرت أذكره كل حين

﴿ حكاية مصرية أخرى ﴾

أخبرنى رجل من بلاد مديرية الشرقية بالوجه البحرى من بلادنا المصرية قال • بينما أنا فى ليلة واقف فى الماء بنهر يسقى الحقول إذ أنا بالماء قد لمع فيه صور النجوم وكنت إذ ذلك قد وضعت يدي فى الطين لأزخج السد عن مجرى الماء لينزل بحقل أحد أعدائى لأغرق زرعهم • فلما لاحت لى بهجة النجوم فى الماء تذكرت عظمة الله التى تجلت لى فى الماء وقلت هل يجوز أن أعصى الله الذى هذه نجومه وهما ظاهرة صورها فى الماء فرجعت عن ذنبى وتبت لربى

﴿ حكمة ﴾

إن كل قلب من قلوب بنى آدم يقبل صور الجبال الإلهى كما قبل الماء صورة النجم السماوى فلتتجه القلوب الى ذلك الجبال كما قابل الماء نجم السماء • إن فى كل قلب نورا إلهيا كما كان فى كل ماء نور كوكبى

﴿ اللطيفة الرابعة • الدر والمرجان ﴾

أما الدر فقد تقدم فى سورة الفاتحة • وأما المرجان فإنه صنع حيوانات صغيرة تصنعه من مواد كلسية فتجعلها مساكن لها وتبنى تلك المساكن متلاصقة متلاجة فتتكون منها تلك الصخور على اختلاف صورها وأشكالها وهيئة تلك الحيوانات كزهر الاخوان ومؤخر الواحدة منها داخل فى المسكن والمقنم بارز وفى وسطه ثغر صغير وهو فيها يحيط بها غالباً ستة أطراف أو ثمانية كأوراق ذلك الزهر تقبض بها على الفريسة حين تمر بها • ومن هذه الحيوانات ما يجمع لمعاناً شديداً كلعان المصباح * قال بعضهم كنت ليلة فى قارب من قوارب الصيادين فى ارلندا فانفق انهم رفعوا الشبكة من البحر فخرج فى خللها كثير من الحيوانات الصغيرة المرجانية فكانت تتلاصق بوات كثيرة من أنقى حجارة الألماس • وتلك الحيوانات الصغيرة لاتبنى مساكنها فى مكان عمقه أكثر من مائة وعشرين قدماً وكلما كانت أقرب الى وجه الماء كانت أكثر عملاً • ذلك لأنها أقرب الى ضوء الشمس

﴿ جزائر المرجان ﴾

وتلك الصخور المرجانية قد يقترب بعضها من بعض فتتلاحق وتمتد الى مسافة أميال كثيرة ونأتبها الأمواج بالرمال والطين وغشاء ما يصب فى البحر من الأنهار وتحمل اليها الرياح كثيراً من البزور وجراثيم الحياة فتكثر فيها التربة وتنبت فيها البزور وتولد فيها الحيوانات فتمتلئ بالأعشاب والأشجار وغيرها من الأحياء

﴿ حيوان يشبه المرجان وهو أعجب منه وهو (الهيدار) ﴾

الهيدار حيوان يشبه المرجان فى خلقه وكثير من صفاته • يكثر فى حياض الماء العذب والجداول الصغيرة ومن أغرب صفاته وأعجبها أنك اذا قطعته طولاً وعرضاً قطعاً كثيرة صارت كل قطعة من تلك القطع حيواناً كاملاً • فإذا قطع ثلاث قطع عرضاً فى زمن الصيف فلا تترأ أربعة أيام إلا وللة قطعة الوسطى رأس وذنب وللذنب بدن ورأس وللرأس بدن وذنب ويصير الرأس حيواناً كاملاً قبل سائر القطع فهذا هو المسمى (هيدار)

﴿ اشراق النور في المرجان ﴾

إن المرجان من أجل وأبهج وأحسن وأعجب ما نسقته يد القدرة الإلهية ولن يكون نباته الحيواني إلا في البحار الحارة وفي البحر الأحمر منه كما يقال أكثر من مائة نوع مختلفات الصفات وهكذا في البحر الهندي والمحيط (الباسفيكي) آلاف من جزائر المرجان وسلاسل الجزائر المرجانية البديعة الأوصاف الجميلة الأصناف البهجة المناظر المدهشة لكل ناظر . ألا وإن أولئك الذين نظروا إلى المرجان في البحر حيث تسكون أنواع منه مختلفة الألوان والأشكال قد قالوا إن منظره يفوق الوصف بهجة ويسحر الطرف زينة وتسرى النفس برؤيته وتدعو إلى الايقان آيته وتزين العلم حكمته وتعلو المال قيمته وتشوق للدرس رؤيته

﴿ أنبات المرجان أم حيوان ﴾

إذا نحن امتحننا منه قطعة رأينا كأنه جسم حي ووجدنا فيه خاصية النبات وخاصية الحيوان ولذا سميناه (نباتا حيوانيا) وإنما أعطيناه هذا الاسم لأننا نجد له (١) معدة (٢) وفا وجلة من أنابيب تقوم مقام الأيدي لتناول الطعام من ماء البحر الذي تعيش فيه وتدخله في اللحم . هذا من جهة الحيوانية . أما من جهة النباتية فأننا إذا أخذنا قطعة من مرجان حي وغرسناها في شاطئ رملي فأننا نراه ينبت كما ينبت غصن قطعناه من النبات وغرسناه في الأرض

﴿ المرجان ومسكنه ﴾

كان الناس فيما مضى يظنون أن المرجان إنما هو مسكن حشرة تخرج من قاع البحر وتبنى مساكنها حتى تصل إلى سطح الماء وهذا رأى لا يوافق الحقيقة وإنما الحقيقة أن المرجان أشبه بكتلة صغيرة من مادة هلاسية ودم هذا الحيوان يشبه اللبن لأنه من المادة الخيرية التي استخلصها المرجان من ماء البحر لغذائه

﴿ الحياة الفردية والحياة الاجتماعية للمرجان ﴾

إن بعض المرجان يعيش منفردا وبعضه يعيش مجتمعاً ويعتد بالآلاف وكل منها له جسم مستقل وهو يتصل بالباقي اتصال الغصن بالشجرة . وإذا مات المرجان بقيت هيما كاله تتلاصق وتتلاحق وتتراكم وتسكون مهذا وأساسا لجبل جديد من المرجان يتخلق ويعيش فوق ذلك ناعم الببال في عيش صاف وماء واف فيسعو ويتم ككالمه كالتي كانت من قبل . ولقد عرف الناس أن هذا الحيوان لن يعيش البتة في عمق يزيد عن ثلاثين مترا ولن يعيش أيضا متى تعرض لضوء الشمس والهواء الجوى . إذن هو محصور في هذه الثلاثين مترا

﴿ جزائر المرجان ﴾

ثم إن جزائر المرجان لا تبنى إلا على الصخور أو حول أفواه البراكين التي على طول الزمان وتماذى القرون نفوس بالتدرج في ماء البحر فإذا وصل البناء إلى سطح الماء يموت المرجان ثم يتخلق جبل جديد ويتكون بحيرة من الملح ثم إن ماتت من أجسام المرجان الميت بفعل العواصف البحرية أو بأعمال الأمواج فوق سطح البحر تصير رملا مرجانيا . ثم إن ماتت من عالم النبات والحيوان البحري وتغفن تنضم بقاياها إلى ذلك الرمل المرجاني فيعطيه طبقة جديدة خصبة تصلح لنمو النبات . وهناك في البحر جزائر ينبت فيها شجر (النارجيل) وهو الجوز الهندي فيسقط فيه من أقرب الجزائر لهذه الجزيرة الجديدة المرجانية الأصول الصالحة للنبات فلا تزال تنقاد فيها الأمواج حتى تصل إلى هذه الجزيرة الجديدة المرجانية . وهناك تمتد جذور تلك الأصول في الجزيرة القوية الخصبة التربة . وعلى تماذى الأيام تسكون هناك دوحات وأحراش من شجر (النارجيل) وهذه تسكون ملجأ للطيور تبنى بها أعشاشها على أغصان تلك الأشجار وهذه الطيور تحمل بزور النبات وتلقيها في الجزيرة بلا قصد منها فتكسب أرضها بالتدرج جلايب سندسية من راعم النبات البهي الأغصان المزدحم الأفنان وجنى جناته دان وفيها روح وريحان وقد يعتري هذه الجزائر النضرة البهجة

الفناء بغتة - كأن لم تغن بالأمس - . ذلك أن كثيرا منها يبني على الصخور التي تسكون عند أفواه البراكين التي هدأت ثأرتها فتحدث زلزلة أو انفجار بركاني بعد زمن قليل أو كثير فتغوص تلك الجزائر في البحر تحت الماء والله مدبر الأمر ومقلب الليل والنهار (أنظر صورة المرجان شكل ١٥ غير المتقدمة)

فلتعجب أيها النكي من هتفه الدنيا ونظامها ولتأمل فانك ستري أنه لا فرق بين عالم البر وعالم البحر . ألم تر إلى هذه الجزائر المرجانية الحديثة كيف انتقل إليها من أشجار (المانجيل) أصول مما نبت في أقرب جاراتها وكيف نمت تلك الأشجار وصارت مأوى الطيور والطيور أحضرت البذور وكسيت الأرض جلايب سندسية . اليس هذا مثل ما نرى في الأمم فابن رشد في الأندلس نقل علمه تلاميذه من اليهود والنصارى إلى أقرب البلاد إليها كفرنسا وألمانيا ثم انتشر وتفرع في بلاد الغرب على مدى الزمان وانتقل إلى بلادنا وبلاد اليابان والصين وأمريكا . فيعجبنا كل العجب . ماء في البحر يحمل أصول الشجر وهواء في الجو يطير فيه الطير حامل بذور الأشجار والزرع وعاماء ينقلون العلم ويترجوته من اليونانية والسريانية أيام أبي جعفر النصور والمأمون وأمثالهما إلى العربية والعربية يقرؤها الأوروبي وقبل ذلك انتقل العلم من المصريين القدماء إلى اليونان . فعالم النبات والحيوان كعالم العلم والحكمة كل منها يتكاثر وينمو بالاقتران من الأقرب فالأقرب . إن المرجان فعلم مالم يفعل الإنسان . المرجان أبرز جزائر في البحر تعدد بالآلاف وفيها تربي الحيوانات المختلفة والإنسان قطما أحدث أرضا وغاية أمره أنه بنى ونظم . ولكن ميزة الإنسان أنه فعلم بفكرته والمرجان بنى بغيريته - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - . انتهى الكلام على اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وتستخرجون منه حلية تلبسونها - الخ



﴿ اللطيفة الخامسة - وبالنجم هم يهتدون - ﴾
لقد قدّمنا أمثال هذا في التفسير ونقول الآن كلاما اجماليا . إن الناس يهتدون في النهار بالطرق وبالجبال وبالعلامات . فأما بالليل فالأمر عجب فان النجوم مع سرعة جريها في مداراتها كما سبق في هذا التفسير ترى ساكنة وأن المسماة منها بالشوابت أسرع جريا في مداراتها من أرضنا ولكن هذا الجري لا أثر له عندنا بالأرض فهي لشدة بعدها العظيم تعتبر واقفة فهي كأوتاد منصوبة وعلامات نعرف بها طرقنا فنجم القطب وبنات نعش والفرقدان والسمك الراح والسمك الأعزل وغيرها علامات تعرف بها جهات الأرض . وأن علم الفلك وسير النجوم ومعرفة أوضاعها . كل ذلك يدرس اليوم ليهتدى به رباب السفينة في دياجي الظلمات

ولما علم الله أن الناس يحتاجون إلى آلة تقوم مقام النجوم في الظلمات خلق لهم البوصلة التي هي مغنسة

وهي تتجه دائما جهة النجمة القطبية فطرفها الشمالي يدل على الشمال وطرفها الجنوبي يدل على الجنوب وهما ميل يمنة ويسرة وهذا الميل له حساب خاص . فانظر كيف أسر الله هذه الابرة فقامت مقام النجوم في سائر السفن في البحار وفي معرفة القبلة ليلا ونهارا . وتري

البحارة معهم جداول للسكواكب السيارة ليعرفوا بها الجهات التي وصلوا اليها فاذن أهل الأرض لآحية لهم ولا مساعدة إلا بالنجوم فلولاها لضلوا الطريق ولم يسعدوا في هذه الحياة فبحن على الأرض لسفلى عزلة عن العوالم الأخرى . إن العالم جسم واحد

﴿ هذا العالم جسم واحد ﴾

ومعلوم أن معرفة الجسم للطبيب تكون ﴿ بثلاثة أشياء ﴾ النبض والحرارة والبول . هكذا هذا العالم جسم واحد . فركات السكواكب كالنبض في جسم الانسان وحرارتها كحرارته وألوان البول التي يعرفها الطبيب فيستدل على المرض أشبه بألوان الطيف الشمسي فان ألوان الطيف تدل على المعادن التي في السكواكب فان لكل معدن ضوءاً خاصاً عرفوه على الأرض كالحديد والذهب والفضة فاذا رأوه في طيف كوكب عرفوه فأصبح هذا العالم جسماً واحداً والحكماء والعلماء كالأطباء يستدلون على ماغاب بما يشاهدون وهذا معنى قوله في سورة الحجر المتقدمة - إن في ذلك لآيات للتوسمين - فهذا هو التوسم والنفرس من الحكماء والعلماء

﴿ اللطيفة السادسة - وترى الفلك مواخر فيه - ﴾

قد قدمت لك في اللطيفة الخامسة أن هذا العالم جسم واحد وأن الحرارة فيه تشبه بالحرارة في الانسان فاذا فقدت الحرارة من الانسان والحيوان ماتا واذا ارتفعت الحرارة استضر واذا قلت ضعف فالحرارة أشبه بميزان الحياة والطبيب هو القبان وهو يعطى الدواء بقدر الحرارة والبرودة عليهما نظام أجسامنا وجسم هذا العالم واختلاهما . هذه السفن تسير في البحار . بماذا . تسير بالرياح . ومن أين تأتي الرياح . قدمنا في سورة الحجر انها تجري بالحرارة . ونزيد هنا القول بيانا لأن هذا العلم جليل وجليل

﴿ الشمس والرياح ﴾

انظر كيف أحت الشمس بالحرارة على خط الاستواء وماجوره . فاذا جرى . جرى أن الهواء ارتفع الى أعلى . ثم ماذا . خلا مكان الهواء المرتفع وتخلخل . ثم ماذا . تقاطر اليه الهواء من الشمال ومن الجنوب ليحل الهواء منهما محل الهواء المرتفع الى أعلى . ثم ماذا . ثم يسير الهواء الذي ارتفع جنوباً وشمالاً متباعداً عن خط الاستواء حتى يصل الى ٢٥ درجة في الجهتين أى في المنطقة المعتدلة الشمالية والمنطقة المعتدلة الجنوبية . ثم ماذا . ثم ينقسم هناك ﴿ قسمين ﴾ قسم يرجع الى خط الاستواء وقسم يتجه الى الدائرة القطبية الشمالية والدائرة القطبية الجنوبية . ثم ماذا . ثم ان الهواء في جهة القطبين يتجه الى الدائرة القطبية الشمالية والجنوبية . فهذه أنواع من الرياح

(١) الرياح التجارية وهي المتجهة الى خط الاستواء لتحل محل الرياح المرتفعة

(٢) الرياح التجارية الضدية وهي التي ذكرنا انها اتجهت من الشمال والجنوب الى الدائرتين القطبيتين

(٣) الرياح القطبية وهي التي ذكرنا انها تأتي من القطبين الى الدائرتين لتحل محل الرياح التجارية

الضدية التي ترتفع هناك وتحل هذه محلها وهكذا . وهناك ريحان أخريان ﴿ ذاك ﴾ أن الماء من طبيعه أن يكون بطيئاً في تسخينه بطيئاً في تبريده والأرض بالعكس فهي سريعة البرودة سريعة الحرارة وبناء على هذه الطابع المركوزة والجذبات المخلوقة عاش الناس على الأرض . ألم تركيف تسخن الأرض قبل البحر نهارة فيرتفع هواء اليابسة للحرارة الملاقية له على سطح الأرض فيحل محله الهواء المجاور له فوق سطح البحر لأنه أبرد منه والثقل بهيط محل الخفيف المرتفع عن مكانه فاذا أظلم الليل وأرخى سدوله كان أول مايرد هي الأرض والبحر لايزال هوائه حاراً متخلخل فيحل محله الهواء البارد . فاذن تكون الرياح جارية من البحر الى البر نهارة ومن البر الى البحر ليلاً - يقاب الله الليل والنهار -

وهناك رياح في المحيط الهندي تسمى (الرياح الموسمية) تجري ستة أشهر الى جهة وستة أشهر الى جهة

أخرى . وهناك ريح تسمى (الشمس) تهب من الشرق الى الغرب بين المدارين طول الدهر . وهناك رياح مختلفة فتكون الرياح هكذا

(الرياح التجارية . الرياح التجارية الشمالية . الرياح القطبية . الرياح البرية . الرياح البحرية الموسمية . الرياح الدائمة . الرياح المختلفة) وهي التي نشاهدها كثيرا لا قانون لها ولا نظم بحسب مانعها . فهذه ثمان رياح تهب من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال ومن أماكن مختلفة . ومنها ما ينشأ من القطبين . ومنها ما ينشأ من المنطقتين المعتدلين . ومنها ما ينشأ من خط الاستواء . ومنها ما ينشأ من البر . ومنها ما ينشأ من البحر

ألا تعجب مع كيف كانت الحرارة هي الأصل في هذا كله والشمس منبع الحرارة . ألا تعجب من فعل القادر الحكيم . حرارة تنزل على الأرض والأرض مختلفة الطبائع وكذا المياه وكذا تختلف قريبا وبعدا فبهذا اختلفت الرياح فسارت بها السفن بحرا في جميع الأنحاء . انظر كيف كانت الرياح التجارية تجري من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال . ولقد كشفوا أن هناك ريحا فوق هذه الرياح بنيار مخالف لهذا التيار

جرت السفن شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . بماذا جرت . جرت بالرياح . وما هي الرياح . هي حركات في الهواء . ومن أين حركات الهواء . من الحرارة . فالحركة في الجو حركة الحرارة الجسم الانساني ولولا هذه الحرارة لم يجر الهواء ومتى وقف الهواء فلا سحب ولا مطر ولا رعد ولا برق ولا سحابة من تجرى ولا أشجار تسقى ولا تنفخ ولا جمال ولا مدن ولا عسايا ولا أنبياء . يمثل هذا فليعرف القرآن ويمثل هذا فليفهم كلام الله يقول الله في غير هذه السورة - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللان رواكد على ظهره - الى آخر الآية . بماذا يكون اسكان الريح . يكون بمنع الحرارة . وبمنع الحرارة تمنع بانطفاء الشمس . يارب ناهت العقول ومبارك الأفكار في هذا اوجود . يا عجبنا موقوفة على حركات في الهواء لولاها لم يكن وجود الهواء كافيا لحياتنا انما الحياة تتوقف على حركات الهواء لاعلى الهواء وحده فالهواء لاقية له بالحركة . هكذا الانسان لاقية له بالاعلم ولا عمل . اللهم إن نظامك جميل وصنعك بديع وفعالك محكم أحكمت الصنعة وبهرت العقول . اللهم أرنا هذا الجمل وأطلعنا على أسرار هذا الكمال ولقد أرينا بعض ظواهر حكمتك فحسبناها فكيف لو أرينا بقا الظواهر بل كيف يكون شأننا لو اطلعنا على بعض الأسرار . اللهم لاقية لأهل الأرض إلا بالخلق من حكمتك البالغة وآياتك الباهرة وعالمك العالية إنك حكيم عليم

(زيادة ايضا قوله تعالى - وترى الفلك مواخر فيه - الخ)

اعلم أن أكثر الناس يعيشون غافلين (كما ذكرته كثيرا في هذا التفسير) عما يرون من روائع المشاهد في الطبيعة وهي مفعمة بالجمال ممثلة بالدال عروس تتجلى في جماتها وتزدان بعلاها وحلها وتتبختر في أغلالها مع أثرها بهجة الناظرين وأنس العلماء العاملين وجنة المفكرين وسعادة الدنيا والدين وعين اليقين وحياة الأرواح ونماء الأشباح وغذاء العقول وثمرات العقول والمنقول ونور مبين وهداية الصراط المستقيم . فهناك مشاهد الفلك في البحار وكيف كان لها قانون مسنون وكيف كان الناس يعومون ولا يعامون غالبا . لماذا يغرقون اذا كانوا لم يتعلموا طرق العلوم وكيف يطأ الانسان على الصخور في البحر الكثيرة التضاريس وعلى الشوك وقطاع الزجاج فلا تؤذيهم مع انها على البر تدبل الدم من رجليه وتؤذي أذى كثيرا وتهشمه تهشما

وكيف يرون ذوات الأربع كالبحر والغنم لا تفرق ولا تحتاج الى تعليم وكيف كان السمك قد أعطى الحرية

الثمة في أن يرتفع متى شاء وينزل في قاع البحر متى شاء . وكيف كان أنوز والبط والوز العراقي وغيرها تعوم أسهل من الانسان ومن ذوات الأربع . هذه مشاهد تكرر على الناس وهم لا يفكرون فانظر ملائكة الله قلبك جلالا تجد أن الأمر يرجع الى الحكمة والعدل وبهجة النظام والحسن والاتقان وأن هذه الدنيا عروس زينت للناظرين وآية غابت عن الجاهلين ولن يحظى بجمالها إلا الذي بذل مهرها ومأمهرها إلا الدراسة مع الحب والشوق لا لمجرد الشهادة الدراسية مع الغفلة عن أنها جلال وكمال (١) فأما كون الانسان يغرق اذا لم يتعلم العوم فذلك لأنه وان كان جسده أخف من مقدار ما يساويه من الماء كما ستراه في مسألة (أرشميدس) قد نزل رأسه أكثر من أجزائه السفلى فلو وضع الرأس وحده في الماء لغاص فيه وهذا هو السبب في أن من لا يتحسن السباحة يكون عرضة للغرق لأنه لا يستطيع رفع رأسه من الماء وما يزيد ارتباكا أن يرفع ذراعيه ويخطئ في الماء خبطا فيكون ذلك أقرب للغرق وهو من الغافلين فان رفع الرأس الثقيل من الماء أولى من رفع العضو الخفيف (٢) وأما كونه لا يناله الأذى وهو في الماء اذا مشى على التضاريس والشوك فذلك لأن جسمه يخف في البحر بمقدار وزن الماء المساوي حجمه فحجم جسمه فهو أبدا مرفوع عن تلك التضاريس ولو كان في البر لأذته أذى كثيرا

(٣) وأما ذوات الأربع فالرأس فيها أخف من أسافلها فلذلك لا تحتاج الى تعليم العوم (٤) وأما السمك فإنه أعطي منفذا مملوا هواء إن شاء نفخه فعام أو ضغطه فخاص في الماء (٥) وأما الأوز والبط وماشا كلها فإن الله أعطاها زغبا صغيرا ناعما كثيفا على أسافلها لا يتخرقه الماء فيحل محل مقدار من الماء يساوي ثقله فلا يغطس من جسمه إلا القليل وهذه قامت عنده مقام ما يتنطق به الانسان من (الفلين) أو (القرع) اللذين يقويانه على العوم فانظر الحكم في هذا المقام عاش السمك في البحر فخص بهذا المنفخ . ولماذا . لأجل أن يكون حرا في تصرفه وجلب معاشه والهرب من أعدائه فلم يكن هناك بد من أن يحتاج له منفخ يفعل به ما يشاء فهذا المنفخ في البحر يعطيه الحرية ليعيش بسعادة وهو به في حصن حصين

فأما الأوز والبط وما أشبهها فإنها لا تنزل البحر إلا لرياضة والتزه وانعاش القوى فلم تعط هذا الرق بل أعطيت ما يعين على العوم بسهولة تامة . وما كنا عن الخلق غافلين . فلان أعطى البط منفخ السمك لأنه يكون عبثا . وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا . إننا كل شيء خلقناه بقدر . ومن الغفلة أن نحمل البط ما فوق طاقته فنخلق له المنفخ في البحر مع أنه لا يحتاج الى أن يغطس فيه أو أن نحرم السمك منه فلا يتمكن من معاشه بغير زرواحه فيه . وأما ذوات الأربع فأننا جعلنا رأسها خفيفة لئلا تغرق وليس لديها القوة على تعلم العوم فأعطيناها القدرة عليه ولكنها ليست في حاجة الى زغب البط لأنها ليست في حاجة الى طول المكث في الماء مثله ولا الى منفخ السمك من باب أولى . فأما الانسان فأننا جعلنا رأسه ثقila لأنه محتاج الى التفكير والتفكير يعوزد المخ الثقيل . ولا جرم أن هذا التفكير يقوم ألف مرة مقام خفة رأسه فانه يتعلم العوم ويهتدي بنور عقله فأعطيناه أفضل مما منعناه فأخذ يخترع الخيل من قرع يربطه بجسمه أو (فلين) يعينه وهكذا فأما ثقل رأسه فهو رأس ماله وبه اخترع ودبر وضع السفن من عهد سيدنا نوح عليه السلام وهذا الانسان جعلناه من أعاجيب الزمان إن أخطأ كان خطؤه نورا له مينا

فهناك عبدنا (أرخيدس) أيام (هيرو) الطاغية ملك (سرقوسة) إذ أعطى ذلك الملك صائغا مقدارا من الذهب ليصوغه تابعا فلما أنه اشتبه للملك في أمره وظن أنه مغشوش فقوض أمر ذلك التاج الى الفيلسوف (أرخيدس) المذكور وأمره أن لا يغير فيه شيئا وقال له أما وزنه فهو وزن الذهب الذي أعطيناه وأما الذهب

فأشك فيه خاير الفيلسوف في أمره ووجه فكره الى مطلوبه حتى اذا كان يوما يستحم أحسن بحفة جسمه فخطر له أن الماء هو الذي جعل الجسم خفيفا فهرول من منزله فرحا وهو يصفق بيديه في الأرزقة ويقول (وجدتها ووجدتها) ثم امتحن التاج فوجده مغشوشا فكان ذلك مفتاح القاعدة المشهورة . ان الجسم اذا كان أخف من الماء عام فيه أو أثقل غرق فيه . وانه يخف بقدر ثقل الماء الذي حلّ هو محله وشاعت هذه القاعدة وعلى مقتضاها امتحن الناس البيض بوضعه في الماء وأنشأ السفن العظيمة وعرفوا وزنها ونظّموا أمرها وعاشوا مجتدين

هذه هي العجائب التي ظهرت من آية - وترى الفلك مواخر فيه - . مخترت الفلك في البحار على قاعدة (أرشميدس) تلك التي لم تعط لهذا الانسان إلا بعد تجربته لها وقد حرم عليه التمتع بجمال هذه الدنيا إلا اذا درسها وقد حكم الله على الناس وأمرهم أن يكونوا أمة واحدة . هذا (أرشميدس) كشف الله له العلم ومن علمه تعلمنا فهو معلم لنا مع تباعد الزمان والمكان . إذن نحن لسنا كالسمك في البحار ولا كالنواب في الأرض بل نحن قد حكم علينا أن نكون كالنسان واحد لأن علم الغربي يقرّده الشرق وبالعكس يظهر أن هذه الانسانية لا تكمل إلا اذا عرفوا جميعا أنهم كرجل واحد فأما ما داموا يجهلون اتحادهم فانهم معذبون غارقون غافلون . يعلم الأول الآخر والغربي الشرقي والشرقي الغربي ومع ذلك هم لا يعلمون أنهم متعاونون والتعاون يلزمه الاتحاد فليت شعري هل يكملون في عالم الأرواح ثم متى ومتى . ذلك موكول لعلم الله - إن الله بكل شئ عليم -

﴿ البلاغة في مشاهد الطبيعة وفي لسان العرب ﴾

هذه أيها الذكي البلاغة في كلمات الله . إن البر والبحر والانسان وذوات الأربع والسمك والبط كلمات ومارأت من العلم فيها بلاغة . هذا هو علم المعاني والبيان والبديع . هذا هو المجاز والكنائية والجناس والطباق والتورية وحسن السبك . ذلك هو الجلال

لقد أضع أكثر المتأخرين من المسلمين أيامهم بعد الصدر الأول في الشعر وضروب البلاغة ونشروا كتاب (الأغاني) في الشرق والغرب وهام بشعره وخبره وحسن بلاغة شعرائه علماء الأندلس وغيرهم . وسترى في سورة الشعراء ما يقوله النقادة من علماء الفرنجة ان شعراء الأمة العربية إن عددها هم يفوقون شعراء جميع الأمم شرقا وغربا في العدد ولكن هذا الهيام والغرام بفق واحد ألهى القوم عن العلوم والحكمة وأضع مجددهم وضعضع ملكهم وجعل القوم خياليين . فبينما الأسباب يفكرون كان العرب يتخيّلون وبينما الأولون يدبرون الملك كان الآخرون يجرون وراء الخيال حتى قرعت القارعة ووقعت الصاعقة وأزفت الآزفة وجاء اليوم المهود وأخرج العرب من الأندلس صاغرين

أيها الذكي . إن بلاغة اللفظ ترجع الى لباس المعاني واللباس سياج اللابس وحافظه واللفظ طريق المعنى ومن وقف في الطريق وأعجبه ما رآه فيه من شجر وزهر وقصور وصور وتلمهى عن المقصد الذي قصده والبلد الذي أتمه فهو سحري بالخذلان جذير بالحرمان فيرجع صفرا اليدين خاسرا الصفتين . ذلك مثل الذي عكف على بلاغة الألفاظ وحلل الجمل وغفل عن المعاني في هذا الوجود فهو مغبون وسيأتي بعدنا أولو عزم وحزم مواعون بالحقائق عاكفون على درس نظام هذا الوجود فيقرؤون الأشعار صغارا و يقرؤون الحكمة والعلم كبارا وكما يدرسون أبا الطيب والمتنبي وأبا تمام والبحرّي وأبا العلاء المعرّي والناطقة وامرأ القيس وأضرابهم صغارا يهيمون بجمال الأزهر وبهجة النجم والشمس والقمر والبر والبحر وعجائب الوجود كبارا

إن هذا التفسير ستتناوله أيدي الأذكاء من أمم الاسلام وسيقرؤون أمثاله من كتب المعاصرين لنا وسيعلمون عاما ليس بالظن . ان بلاغة الكلام الانساني الذي تصوغه الأفواه ويحمله الهواء وتقبله الأذنان

أقل ألف مرة من بلاغة الكلام الذي هو مركب من كلمات الله التي هي هذا العالم فكل زهرة وورقة وغصن حرف وكل شجرة كلمة ومنفاخ السمكة وماتنفس به كلها حروف والسمكة كلها كلمة وهكذا الأوز المذكور وغيره كلها كلمات وفيها من البلاغة فوق ما يصفه الراسخون

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفتنى الزمان وفيه مالم يوصف

قال تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - الكلمات المنظورة الالهية المجسمة فيها من البلاغة ما لا نسبة بينه وبين الكلمات المملوطة والحمد لله رب العالمين

﴿ العليقة السابعة • الظلال ﴾

قد تقدم الكلام عليها في سورة الرعد مستوفى • انتهى الكلام على الحكمة التي تقدمت في هذه السورة ولها نظائر في باقيها وفيما قبلها من الرعد وإبراهيم والخروج • وقد ذكرنا فيما تقدم أن آخر هذه السورة جاء فيه ذكر الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن

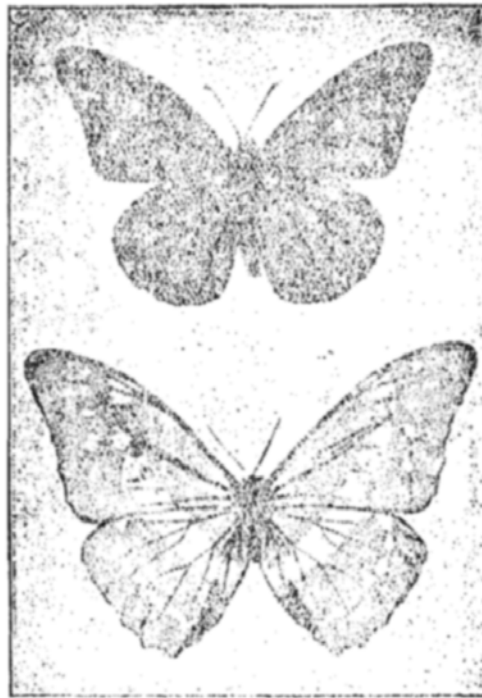
﴿ الموعظة الحسنة ﴾

قال علاماؤنا هي للعامة وهذه كالقصص وكالتشبهات وضرب الأمثال

﴿ المجادلة بالتي هي أحسن ﴾

وأما المجادلة بالتي هي أحسن فهي تكون للمتوسطين في العلم فتقنعهم وفي هذه السورة كثير من ذلك كما سيأتي في قوله تعالى - وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألساء ما يحكمون - فهنا مجادلة بما يعرفون من أحوالهم وأخلاقهم فيقولون إنا نستحي ونخجل إذا بشرنا بالأنثى • فهل الله يرضى بمثل هذا ولكن الحكماء والعلماء لا يقال لهم هذا بل يقال - ليس كمثله شيء - ويؤتى بالبراهين التي تنزه الله عن الولد والوالد

﴿ بهجة الجمال في قوله تعالى - وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه - ﴾



(صورة الفراشة - شكل ١٦)

أقول لقد اهدتني على مقدار طاقتي . وهأنذا أتمتع بنعمة الحكمة من جميع وجوهها وأرى الجبال حيث يرى أكثر الناس أن لا جمال وأمضى قدما في عجائب الحكمة المخبوءة فيما لا يعقل له أكثر الناس معنى لأن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . مثل أن يدرسوا حياة هذه الحشرة وكيف تبيض وكيف يبدونها لتخلي لنا قطننا . نعم هذا واجب ولكن نحن الآن نبحث في خلاصة هذا الوجود وخلاصة هذه الدنيا . اللهم لا معنى لهذه الدنيا إلا الحكمة والنظام فهالك ما جاء في كشف أسرار ألوان هذه الحشرة ﴿ عجائب ألوان حشرة أبي دقيق ﴾

(تعليل العالم الأمريكي (فرن كالج) العالم بعلم (البيولوجي) لألوان حشرة أبي دقيق)
لقد قرأت هذا التعليل في بعض الكتب . وهأنذا أبينه فأقول . إن أجنحة الفراشة الواحدة تبلغ مساحتها (١٥) بوصة وهذه المساحة قد رسمت عليها بيوت صغيرة متجاورة بشكل هندسي منظم . وتلك البيوت تبلغ في البوصة المربعة الواحدة (٩٩) ألف بيت لأنها (١٦٥) صفا وكل صف فيه (٦٠٠) بيت فتكون جميع البيوت المنظمة في أجنحة الفراشة الواحدة (١٥٠٠٠٠) ألف ألف وخمسمائة ألف بيت تلك البيوت عبارة عن مخازن كل مخزن فيه كيس مختم وهو إما ملء هواء وإما ملء مادة ماونة فالمادة المونة متى وقعت عليها الشمس ظهرت لنا بهيئة بديعة تسر الناظرين والهواء المحبوس في الكيس هو الذي يعكس ماواه في الحشرة السفلى من هذا الرسم إذ ترى زرقة وبيضا وصفرة بانتظام ألا تعجب مع أيها الذكي . ألا ترى أن هذه العلوم التي تتجلى في حشرة أبي دقيق قد خباها الله فيها وجعل عملها مهلكا للقطن . نعم خباها الله لأهل الحكمة الذين يخلقون في هذه الدنيا ويكون عددهم قليلا لأن الكرام قليل وهؤلاء هم الأولى بقول المتنب

تسترت من دهرى بظل جناحه * بحيث أرى دهرى وليس يراني

إن الشعراء ليسوا أهلا لتلك المقام وإنما أهله هم عشاق الحكمة فتعال مع أيها الذكي العاشق لها وافرح بنعمة الجبال بدراسة نظام هذه الدنيا مع وتأمل كيف أظهر الله هذه الحشرة بفعالها المهلك وخبا ذلك الجبال الرائع . نعم خباها لأحبابه المصطفين الأخيار ليدروا الناس يتخبطون في السياسة ونظم الحياة مع مشاركتهم فيها ومعاونتهم ثم هم يغفرون أكثر من غيرهم على ما قامهم من السحر الخلال والموسيقى والنظام الجليل ولما وصلت إلى هذا المقام جاء صديق لي حسن الخلق كبير العقل واطلع على ما كتبت فقال ما هذا الاغراق والاطراء في حشرة (أبي دقيق) فقلت هذا ليس خاصا بها بل هو عام في السموات والأرض . إن النظام في هذه البيوت الهندسية المنتظمة المملوءة هواء ومواد ماونة يذكرنا بنظام الكواكب في السماء . قال أما نظام هذه الأجنحة فهو مقبول لأن النظر إليه بالمنظار يحقق ما نقول أما نجوم السموات فلانظام لها لأن الناس نظروها بالمنظار فأروها أكبر وأكبر مما نرى ولكنها لانظام لأوضاعها كأوضاع هذه الحشرة وبيوتها

قف ليلا وانظر النجوم المقدرة بثلاثة آلاف بالعين المجردة هل ترى هناك صفوف منظمة مهندسة كالتى ترى بالمنظار على جناح هذه الحشرة وإذا قال الله تعالى . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فأنى رأيت عدم التفاوت في جناح الحشرة ولكن لم أره في نظام نجوم السموات . فقلت لعلك لم تطلع على ما تقدم في هذا التفسير وكتابتى (نظام العالم والأمم) قال ماذا قلت فيسه . قلت إن النجوم أسرها عظيم وعلمها واسع وليس ادراك نظامها بالسهولة التى بها يدرك جناح الحشرة أدركنا نظام البيوت في جناح الحشرة لأنها أمامنا أما نجوم السموات فانظر ما أقول لك . نحن نكتفى منها بالمجموعة الشمسية والمجموعة الشمسية مركزها الشمس ويدور حولها السيارات (عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون) . هذه سيارات ثمانية وقد وجدوا أن أبعادها عن الشمس بنظام هندسى فكل كوكب يكون أبعد عما قبله ضعف بعده

فاذا كان كوكب منها بعدد (١٢) فالذى بعده (٢٤) والذى بعده (٤٨) وهكذا . فهذا نظام يقال له (متوالية هندسية) فأما نظام بيوت جناح الحشرة فانه يقال له (متوالية عددية) . فاذا كان الناس يرون نجمة الصبح ونجمة المساء ويقول علماء الفلك ان تلك النجمة هي كوكب من تلك الكواكب التي تدور حول الشمس كما تدور أرضنا ويقول الناس اذا رأوها انه لامناسبة بين أبعادها بالنسبة للشمس ثم بعد البحث وجدوا مناسبة كما وجدها هنا في جناح الحشرة فعنه أن هذا العالم نظامه واحد وأن صانعه صنعه بحكمة واحدة وهذا معنى قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

هذه هي الحشرة التي يراها الناس فيزددونها ويهلكونها قد خبا الله فيها حكمته وخصها بالحكمة في هذه الأرض الذين رباهم فيها لينقلوا لعالم أبهج بعد الموت بعد أن يهيجوا الناس بالحكمة الرائعة ويكونون مفرحين للعقول الانسانية كما ان رجال الموسيقى يختصون بهجة الاسماع وأرباب الجبال الظاهري يسرون العيون وفرق بين ابتهاج العقول وابتهاج الاسماع والأبصار . إن فرق ما بين جمال صور الناس وأصواتهم وبين جمال العقول كالفرق بين بقية الناس وبين الحكماء

فهذا فليفرح المفكرون القارئون لهذا التفسير وهذا من أجل فضل الله الذي قال الله فيه - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون -

اللهم إن المسلمين قصروا في زماننا وانك قد جعلت هذا التفسير لايفاظ هم نائمة ونفوس خامدة وعزائم جامدة وسيكون له نبأ - ولكل نبأ مستقر -

اللهم إن المسلمين لن يصلوا لهذا اللب إلا بعد أن يحترقوا القشر وأنى لهم بالقشر واللب ولاقشر ولا لب إلا العلوم التي طارت من بلاد الاسلام وحطت في أوروبا وأمريكا وهناك عششت وباضت وفقسست وازدهرت وأثمرت وأينعت . إن ظواهر العلوم هي مما يجمعون ونفس هؤلاء العلماء في أمريكا وأوروبا يقرؤون هذه العلوم لأجل ظواهر الحياة الدنيا . أما المسلم في مستقبل الدهر فانه سيقروها كما يقرؤها الأوروبي والأمريكي والياباني للحياة الدنيا ويختص هو بأنه يصل الى جمال العالم إذ يجد في نظام هذه العجائب كذلك الثرات التي على جناح الحشرة التي انتظمت واكتملت وأبهجت الناس بظواهرها وخصت الحكماء بعجائبها . هذه النظم في الأجنحة أشبهت نظام النجوم من حيث انتظام الأبعاد كما قدمناه

﴿ مافائدة هذا النظام ﴾

إن فائدة هذا النظام وتلك المواد الملونة وذلك الهواء الذي مامت به تلك الحقايب البالغة ألف ألف ونصف ذلك العدد كل هذا الأمر واحد وهو حفظ الحشرة من أعدائها لأنها اذا رأت عدوا مهاجما ضمت أجنحتها ووقفت على زهرة فصارت تشبهها فتلتبس بها فتحفظ من العدو . لماذا هذا الحفظ . لتعيش على ورق قطننا وتمتع في قصور ونور فيخسر الزارعون وهي الجانية الكاسية . فما أعجب هذا الصنع . هوامحبوس يعكس الضوء ومادة ملونة تظهر بنور الشمس . كل ذلك لحفظ هذه الحشرة الآكلة لقطننا . لجل المتقن وماأجل الاتقان وكما انك ترى البيوت على نوعين ﴿ نوعين ﴾ بيوت فيها مادة ملونة وأخرى هواء يقوم مقام الزجاج هكذا ترى الحشرات على نوعين ﴿ نوعين ﴾ نوع يعيش في بلاد (البرازيل) زاهي اللون بديعه قد أعطى مادة بشعة الطعم والرائحة تفرزها الحشرة على مايهاجها من الطيور والزحافات فيرتدعنها . ونوع آخر لم يعط هذه المادة والأول يسمى (الملك) والثاني يسمى (نائب الملك) لأن الأول تخافه أعداؤه لتلك المادة التي يفرزها والثاني لما أشبه الأول في لونه وشكله وجماله ظنت الطيور والزحافات التي تقصده أنه عنده تلك المادة فحاجته وخافته وهذا هو العجب . كيف لانعجب وقد رأينا الحكمة هنا وانحة أي انه لايتخلق إلا ماله فائدة فاذا كان الملك أعطى سلاح الرائحة الكريهة والطعم السكري فلم يعط ذلك نائب الملك اقتصادا وتعلما لنا كأن الله يقول لنا

افهموا من حشرة (أبي دقيق) أن أعمالها كلها على هذا المنوال فإذا رأيتم الملك قام بأخافة الأعداء واستغنى نائب الملك فذلك مثال لهذا العالم الذي لا تفهمونه وإنما تفهمون على مقدار عقولكم وإنما ملكي كنه كما في هذه الآيات كآية - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وآية - وكل شيء عنده بمقدار - وآية - وما كنا عن الخلق غافلين - وآية - إنا كل شيء خلقناه بقدر -

وإذا كنت أبعدت في صفوف جناح الحشرة ولم أذكر عملا من أعمالها يضيع وهذا في حشرة صغيرة فما بالكم بأعمالكم معكم أنتم وفي سمواتي وأرضي . إن كل أهل السموات والأرض على هذا النظام أسستهم - إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدّهم عددا - وهم جميعا بنظام واحد كما نظمت ألوان حشرة (أبي دقيق) - ما خلقتكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير -

﴿ فوائد الألوان في الطب ﴾

ومن أجل ما يناسب اختلاف الألوان فوائدها في الطب وصحة الأجسام فهل خطر ببالك يوما ما أن لون الزرقه يكون السماء والبحر الملح يقويك إذا كنت في دور النقاها أضعيف الجسم . وهل خطر لك أن اللون البنفسجي يمنع عنك الأرق والسهرة فتنام . وهل قال لك يوما طبيب حاذق أن لون الصفرة منشط منه كما قال تعالى - بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين - وهو يفيد أصحاب (الماليخوليا) ويهدئ الأعصاب ويلطف ثورتها ما لم يكثر استعماله فيحصل العكس . وهل علمت أن لون الحرة بتكرار النظر إليه يحدث تخديرا كما تفعل المواد المخدرة . أما أنا وأنت وكثير من الناس فربما اتفق أن قويت أجسامنا أيام النقاها بلون الزرقه وطرد عنا الأرق باللون البنفسجي ونشطنا بلون الصفرة وتخدرت أعصابنا بالحرة . أقول ربما كان ذلك . ولكننا لانعلم من أين جاء ذلك . وهل علمت أن لون الحرة يزيد المجنون جنونا ويهيجه كما يحصل لثيران إسبانيا في صراعتها . وهل علمت أن المجنون إذا كان في غرفة زرقاء هدأت أعصابه . وهل ظننت أن الرجل في حال يأسه وبؤسه يطرد عنه اليأس والبؤس إذا داوم النظر للون الحرة . وهل خطر لك يوما أن الزكام والشلل وبعض الأمراض المزمنة تخف آلامها بالنظر للون الصفرة وأن الحموم يستضر بذلك اللون والمجنون . وأن اللون البرتقالي منه . وهل جلست يوما في حديقة وأنت متهيج الأعصاب فهدأت أعصابك بنظر لك لون الخضرة

إن ذلك يحصل لنا ولما كنا لا علم لنا بهجائب هذه الدنيا وغرائبها . وإذا أردت البرهان على ذلك فاعلم أن الأطباء في بضع السنين الماضية قاموا بتجارب لا حصر لها لتأثير المعالجة بالألوان وفي سنة ١٩١٦ أنشئت (الكلية الدولية) في لندن للمعالجة بالألوان فأثبتت النتائج التي انتهى إليها أطباؤها وفائدة تلك المعالجة ولا سيما في الأمراض العصبية ونبت للأطباء أن للألوان فائدة في منع الأمراض وفي الشفاء منها . وأول من أشار بمعالجة الألوان الدكتور (أدوين وايت) من أطباء (نيوجرسي) بأمريكا وقد ألف كتابا في ذلك طبع في أواخر القرن التاسع عشر وفيه أن اللون كالأصفر يؤثر في المجموع العصبي تأثيرا عظيما وأن هذا التأثير يظهر جليا في معالجة الصدمات العصبية والنورسنانيا والسوداء . ويظهر أن اللون يحدث تأثيرا في العقل ثم ينشأ عنه رد فعل في المجموع العصبي على سبيل أشبه بالاستهواء أو الإلحاح . والثابت الآن أن اللون الأزرق يفيد في تقوية الضعاف في طور النقاها وأن اللون البنفسجي خاصته الشفاء وهو مفيد جدا في معالجة الأرق . ثم إن للون ثلاث مزايا وهي (١) إنه منه مقو للعصب (٢) إنه منطفئ أو مخفف للألم (٣) إنه مقو في حالة الضعف

فكونه ملطفًا أو مخففًا يظهر من كونه يؤدي إلى التأمل وإعمال الفكرة وعدم الاكتراث والاستسلام وما أشبه . وكونه مقويا يظهر من التغيير الذي يحدثه في الجسم إذ يجعل المرء موزونا سمحا كريما قائما بحاله أما الألوان المنبهة فانها توجد في النفس الرجاء والأمل والطرب والطموع والنشاط والرغبة في العمل .

وفضلاً عن ذلك فإن الطائفة الأخيرة تطابق الفكر من قيوده وتستثير العواطف وتوجد في النفس نشوة وشعوراً بتجديد القوى العاملة . وقد ثبت الآن أن اللون الأصفر هو من الألوان المنبهة وأن اللون الأحمر هو من الألوان المخدرة . ولذلك يجب استعمال الأخير منهما بزيادة الحذر لأنه قد يفعل فعل المورفين والكافور فوراً إن الإفراط في استعمال اللون الأحمر قد يفسد التوازن العقلي إذا كان عقل العليل يستلزم عناية خاصة .

وقد ذكر الدكتور (رابت) أن المجانين والمصابين بأمراض عقلية إذا وضعوا في غرف يسود فيها اللون الأحمر ساءت حالتهم بسرعة وبالعكس إذا وضعوا في غرفة يسود فيها اللون الأزرق فانهم يصبحون هادئين واستعمل الدكتور (بونزا) مدير مستشفى المجاذيب بمدينة (اليسانديا بيدمونت) غرفة حراء لبعض المصابين بحالات يأس فكانت النتيجة مدعاة الى الارتياح

واستعمل اللون الأصفر في معالجة الزكام والشلل وبعض الأمراض المزمنة نجحت الآلام كثيراً . وثبت أن اللون الأصفر مضر بالحيات حتى لقد يؤدي الى الانتهاب والبحران . أما المصابون (بالماليخوليا) فقد أقادهم هذا اللون فائدة عظيمة . ووجد الدكتور (بونزا) أيضاً أن اللون الأصفر يهدئ الأعصاب ويطفئ نورتها واسكن استعماله بكثرة يؤدي الى (الماليخوليا)

أما اللون البرتقالي فإنه من الألوان المنبهة . واللونان انتاني والبنفسجي الفاتح هما من الألوان الملطخة للأعصاب واللون الأخضر مهدئ للاضطرابات العصبية يفعل فعل المخدر

وذكر الدكتور (بونزا) تجارب أجراها بغرف ملونة فقال انه وضع رجلاً مصاباً (بالماليخوليا) والعبوسة وقلة الكلام في غرفة حراء فبعد ثلاث ساعات أصبح الرجل طروباً ضحوكاً . ووضع عيلاً آخر مثله في تلك الغرفة وكان يرفض الأكل وقد نحل جسمه وأصبح أشبه بهيكل عظام فبعد أربع وعشرين ساعة نشأت في الرجل شهوة الطعام فصار يأكل حتى عادت اليه قواه وأصبحت حالته طبيعية

ويؤخذ من تقارير مستشفى (لندن) أن المعالجة بالألوان قد جاءت بفائدة عظيمة في معالجة أمراض الصدات العصبية (وانورستانيا) . وأن الألوان الأصفر والقرنفل والوردي والأزرق السماوي والأخضر والبنفسجي القاتم والبنفسجي الفاتح هي أهم الألوان التي تعالج بها تلك الأمراض

وذكر الدكتور (رابت) أن اللون الأزرق هو أهم الألوان في معالجة اضطراب الأعصاب والاضطراب العقلي وقال إن الألوان عامة تؤثر في الرجال أكثر من تأثيرها في النساء وأن الحيوانات تتأثر كثيراً باللون انقرمزي والأصفر الفاتح والأخضر الطبيعي وأن الطيور تتأثر باللون الأخضر والحيات تتأثر باللون الأصفر حتى إن هذا اللون قد يستهويها ويستقطبها في شبه سبات مشاطيسي . وأن اللونين الأزرق الباهت والأخضر الباهت يلطخان أعصاب الطفل المتهيج وأن تسعة وتسعين في المائة من الناس يحتاجون الى اللون الوردي انتهى

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - الخ ﴾

لا يخفى على من درس هذا التفسير وأمثاله من الكتب أن نعم الله لا تحصى في ذرة واحدة كما جاء في آخر تفسير سورة يوسف فضلاً عن السموات والأرض . وإني أريد أن أريك أيها الذكي الآن عجباً في هذا الانسان . يظهر لي أن هذا الانسان من عالم متأخر جداً التأخر . هو يعيش مع الدواب والحشرات فهو غافل ظالم جهول يقول الله فيه - قتل الانسان ما أكفره - وأي كفر أعظم من كفر الانسان

سرأيها الذكي في أقطار الأرض وسل أكثر هذا النوع الانساني عن نعمة الهواء وحدها فلا أحد يقول أنه نعمة إلا الخسكاء . أما أكثر النوع الانساني فلا يرون نعمة إلا ما اختص بهم وحدهم واستلذوا به وست حاجتهم . تجرى الرياح بالسحب وتلقح الأشجار بالهواء وبه نشم الروائح فنفرق بين خبيثها وطيبها ونرى فيه بخار الماء يتخلله ونحن في بحر لجي منهما . نحن نروح ونغدو ولا نعلم أننا غرق في بحر من احدهما

هواء والآخرة بحارى قدامتجا . وهذان البحران المتدخلان تنفس منهما فيصل الهواء الى رئاتنا فيكون ذلك سببا لحياتنا وحياة حيواننا وحياة نباتنا ولوانقطع الهواء لحظة لمات كل نبات وكل حيوان ولكن الانسان كفور والله يقول لنا - إن الله لغفور رحيم - فهو الذى رحنا وغفر لنا جهلنا بالنعمة التى عليها مدار حياتنا فلان شكره عليها ولكن شكرنا خاص بأمور نافهة حقيرة صغيرة . هذا هو بعض السر فى قوله - إن الله لغفور رحيم - والله يعلم ماتسرون وماتعلنون

البحار والهواء اللذان غرقنا فيهما شفافان وهذه نعمة عظمى ولولم يكونا شفافين كالبحار لخبيا عنا نور الشمس . إن نور الشمس والكواكب يملآن الأقطار ويحيطان بنا وبأرضنا كأن الفضاء لا مخلوق فيه فلا هواء ولا بخار يحجبه وهذه من عجائب اللطف والحكمة . وهذا النور يهدى الينا صور المخلوقات التى نراها وأشكالها وأحجامها وألوانها . فأما الهواء وأما البخار فانهما لاحتساب لهما عند النور ولوانهما ظهرا لنا لخبيا الجبال والأنهار والسماء والنبات وكل شئ وكانت الحياة وبالا

هذا الهواء المحيط بالأرض لولاه لكانت الشمس تشرق وتغرب بغتة فيقتل الحيوان من الظلمة الحالكة الى الضوء الباهر مرة واحدة والعكس بالعكس فلاصبح ولاشفق ولاجمال فى هذين الوقتين وهذه المفاجأة خسارة بالحيوان . لولا الهواء لم تسكن زرقة فى الجوّ بل كنا نراه طلمة حالكة طول النهار . والدليل على ذلك أننا اذا ارتفعنا فوق الجبال الشاخخة رأينا سوادا حالكا . ذلك لخفة الهواء . إن الهواء فى جوّنا جرم كثيف وان كنا نسميه لطيفا . ألم ترالى ما يقوله علماء الفلك انهم يقولون إن المادّة المحيطة بالكواكب ذوات الذنب لطيفة لطفلا لاحت له فهى ألطف من هوائنا ألف مليون مرة . ومعلوم أن هوائنا ألطف من الماء ثمانمائة مرة والبخار ألطف من الماء (١٧٣٨) مرة

فالعجب لعالم نعيش فيه وهو مفعم بالحكمة ودقة الصنع . فاذا قلنا ان جوّ الكواكب ذوات الذنب بهذا المقدار المتقدم فعناء أن اللطف فى المادّة لاحت له ولانهاية ومن ذلك تفهم قوله تعالى - إن الله لغفور رحيم - بعد الكلام على النعم وتعدادها وعدم إحصائها إياها وبيانه أن هذه العقول التى خلقها الله لنا فى الأرض لا تكون إلا مناسبة لعالمنا وعالمنا قد عانت أنه غليظ . واذا كان الهواء عندنا أصبح غليظا ألف مليون مرة بالنسبة لهواء آخر أفليس هذا معناه بطريق قياس التثيل أن هناك عوالم ألطف وألطف مئات آلاف الملايين . وعلى مقدار ذلك تكون هناك عقول ألطف وألطف على هذه النسبة واذن تدرك تلك العقول دقائق النعم فى حين أن عقولنا تجهل كل شئ من النعم إلا النادر الذى لا يؤيد له وبهذا يفتح لنا باب فهم قوله تعالى - والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - واننا سننتقل فى عوالم بعد عوالم ألطف وألطف فيزداد علما وعلما وهو قوله تعالى - وفوق كل ذى علم عليم -

هذا واست أريد أن أذكرك بنعمة الطيارات المتقدّم ذكرها فى هذا المقام وفيما تقدمه وأن الطيارات ﴿قسمان﴾ قسم أخف من الهواء وقسم أثقل من الهواء وقد توسعت فى شرحه فى سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يعث فى الأرض - فهو موضوع متم لمسألة الطيارات هنا فارجع اليه إن شئت . فاعجب ثم اعجب لجمال ونور نعيش فيهما وأكثرنا عن العلم معرضون وسيكون فى المسلمين إن شاء الله بعد انتشار هذا الكتاب حكاء يرقون الأم الإسلامية والله هو الولي الحميد اه

﴿تذكرتان﴾

﴿التذكرة الأولى فى قوله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - وبيان ما فتح الله به على فى مرضى﴾
ههنا أحدثك أيها الذكى حديثا وقع لى أثناء شهر ديسمبر سنة (١٩٢٧) فالى قد اعترانى مرض عليل طبع هذا التفسير نحو خمسة عشر يوما . ذلك المرض أصابنى فجأة وما هو إلا انصباب الدم من الأنف بكثرة

هائلة فهو رعايا موكبر • فماذا جرى • خارت قواي وتعاطيت دواء كما أمر الطبيب • هنالك تجلّت لي هذه الدنيا • هنالك تذكرت أن الموت • قاب قوسين أو أدنى • فقلت علام أحزن على هذه الأرض فكان الجواب في سرّي على ﴿أميرين﴾ تمام طبع هذا التفسير وبعض أمور في أسرتي أرجو أن تتم على يدي فإذا تمّ الأمران فما أحسن الموت • أما الآن فاني إذا مت كانت الحسرة على عدم تمام طبع التفسير وعلى بعض الأمور الخاصة • فالأول من الغرام يرقى الأمة الإسلامية • والثاني من الشفقة على بعض البشرية الضعاف • هذا ما خطر لي إذ تذكرت الموت وأنه مني • قاب قوسين أو أدنى • هنالك قلت لأرجع لكتاب الله تعالى فقرأت

(١) - ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير -

(٢) - قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون -

(٣) - ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون -

(٤) - قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم -

(٥) - كل نفس ذائقة الموت -

(٦) - لتبلون في أموالكم وأنفسكم - الخ

(٧) - وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا - الخ

هنالك قلت إن لهذا العالم صانعا وهذا التفسير قد جمع فيه بين العلوم والدين وكل الدلائل قائمة على علمه بكل صغير وكبير فلم الحزن • ثم أخذت أفكر فيما أحزنني إذا مت فتذكرت التفسير وقلت يا عجبا أنا أكتب هذا التفسير بدافع نفسي وشوق قلبي • أليس هذا الشوق من الله فقلت في سرّي بلى فإنه هو الذي أودع في قلبي حب هذا التفسير كما أودع في قلب المرأة حب ولدها فترضعه والله عز وجل هو المنصرف فهو الذي يتوفى تلك المرأة تارة قبل تمام الارضاع وتارة يتوفى ولدها قبل تمام الارضاع فيكون الالم للولد في الأولى وللأم في الثانية • هذا فعلة وهو أعلم بالمسلمين وأعلم بمرضهم وضعفهم وأعلم بمن ينقدهم على يديه فربما كان هذا التفسير يثقف عند هذا المقام ويرى الله في علمه أن هنالك أمورا أرق وأرق • إذن أنا لست على حق في حزني على تمام التفسير في الطبع إذا مت لأن الله هو رب المسلمين ومتولى أمورهم • ومن أنا حتى أحزن • هنالك ذهب هذا الحزن • ثم قلت في نفسي لماذا أنا في كدر على بعض ذرّيتي فتذكرت أن المصائب علم الله وقوعها قبل خلقها وأنه هو الذي يتولى النورية كما يتولى الآباء • وإذا قال الفلاسفة انه لا مساعدة بحال ولا جلال ولا صيت وإنما هي بالعلم وحسن الخلق • وما عدا ذلك فهو صالح للسعادة والشقاوة والأخلاق في النفس يهبها الله فما عمل أنا • فسكنت هنالك نورة الحزن واطمأنت النفس للموت وتذكرت قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم - وقلت في نفسي لعل هذه الخطرات التي خطرت في قلبي مما يناسب ما تنزل به الملائكة على قلوب المرضى عند دنو أجلهم • لأن آراء الخبير من الملائكة وآراء الشرّ منسوبة للشياطين • هنالك اطمأنت النفس تمام الاطمئنان

﴿ منظر الأشجار والمزارع والشمس والأرض والإنسان ﴾

فلما كانت الليلة الثانية وقد ازداد الضعف وأحست النفس به احساسا أشد خيل لي أنني واقف على جسر

نهر يسمى (أبا الأخضر) بالقرب من قريتنا وفي سفح ذلك الجسر شجر شائك مما كنت أعلمه هناك في نفس هذا المكان وهو شجر (القرطم) النافع في علم الطب وكأني أشاهد ورقة من أوراقه خضراء فيها بقع بيض قليلة كما هو المعتاد فاستوقف نظري ذلك المنظر وصرت في غاية العجب من نفسي . كل ذلك في عالم الخيال وصرت أقول . لم أرني مجباً بورقة من شجرة منسوجة شائكة وهذا الشجر مسلح كله بالشوك المحدد كالخرباب يغشى الشجرة من أعلاها إلى أدناها ودام ذلك العجب مدة ثم خيل لي كأن شبحاً أمامي يخاطبني قائلاً . إني علمت ما في نفسك وانك متعجب من نظرك لهذه الورقة وتعجبك منها ومن عادة الناس أن يبهروهم صور الأزهار الجميلة لأشجر شائك كهذه . فقلت حقاً قد أصبت ما في نفسي . فقال إن هذا التعجب أمر علمي وسأبينه لك . انظر إلى ضوء الشمس المشرق على الورقة لقد أتى لها من الشمس وسار مسافة تبلغ بسير المدفع ١٢ سنة و بسير القطار نحو ٣٦٠ سنة . قلت نعم . قال هذا النور يخاطب هذه الورقة قائلاً لقد أرسلتني الشمس اليك وقد أثارت الحرارة التي تصاحبني وتلازمني بخار الماء من البحار والفيض والرطوبات فصار سحابة مطراً ولا يتحمل إلا الهواء الذي أثرته بقوتي فأنا ما وصلت اليك إلا بعد ما أرويت أرضك فسقيتك من الماء الذي أثرته بخاراً تحمله الرياح الجاريات . ثم قال لي ذلك الشيخ أنظر أيضاً إلى نوع هذه الشجرة وتأمل فانها بشوكها قد حفظت بعض الحيوان كالجمال فاجلأ عادة تأكله وكأن الشوك القائم على جوانب تلك الفروع الشائكة يقول للانسان والحيوان ماعدا نحو الجمل إياك أن تقربني والا مزقت جلديك وآذيتك أذى شديداً وما ايلاي لك بشوكي لعداوة بيني وبينك وإنما ذلك لنظام سنه مبدع هذا الوجود حفظني لنوع من الحيوان نافع لك فاذاؤلك بشوكي منفعة لك في الحقيقة لأنني اختصت بحيوان هوسفينة الصحراء وهو الجمل وهو لك نافع . فقلت له هذا حسن وجيل . فقال اسمع ما هو أجل . فقلت وما هو قال

﴿ الحشائش المؤذية في الأرض كالأخلاق التي لم تهذب ﴾

اعلم أن تعجبك من هذه الورقة وغرامك بها في حال مرضاك هذا مبني على أمر عام فليس المقام خاصاً بالشجرات الشائكة بل إن في الأرض من النبات ما يخرج بالفطرة بلا حرث ولا بذر ولا زرع بل بدون عمل ما من الانسان وهذه النباتات مؤذيات للانسان فاننا نرى الفول والقمح والشعير والذرة تحتاج الى حرث الأرض وسقيها وإقيام عليها والجري على نظام مسنون . فأما الحشائش فانها تخرج بالانسداد ولا يرى ولا حرث ونراها تنف قبحكم وذرتكم وشعيركم وقطنكم وبذورها المبتوثة في الأرض تبقى فيها إلى العام القابل فتنبت في مواعيدها وهذه كلها حرب عوان على كل ما يستنبته الانسان وهذه كلها كشجرة (القرطم) التي نظرت ورقة منها فكأنها تخرج بلا عمل عامل . هذا هو الذي تعجبك منه وإنما كان ذلك منك لما يأتي إن هذه الحشائش في الأرض لها فوائد جزئية لا كلية فمنها ما يفيد في طب الانسان ومنها ما ينفع لبعض الدواب فتأكله فلم يخلق الله ذلك تعذيباً للانسان بل إن الله قال لكم إن تركتم أرضكم فأنا أتولاها لتعيش حيواناً على ما أنبته فيها وهكذا الحشرات التي ملأت بها أرضكم . كل هذا وأنا أتولاها فأنت لها ذلك السكاد والحشائش . وأنا الذي أعطيت تلك النباتات قوة بها تصادم الجو وتقابل العواصف والحر والبرد وأنا الذي أعطيت بزورها قوة الانبات في حينها بلا تقديم ولا تأخير . فأما قطنكم وقمحكم وشعيركم وذرتكم فاني لا أنبتهم عنكم إلا بشروط فتجرتون الأرض وتسمدون بها وتقلعون منها حشائشها وتحفظون بذورها في مخازنكم ولا تتركونها في الأرض والا فسدت وهكذا وليس ذلك مني تعذيباً لكم . كلا وإنما أنا خلقتكم على صورتي فأحببت أن تقلدوني في عملي وتنظموا كنظامي . هذا هو الذي أردته ومن تخلق بأخلاق جاورني في العوالم العالية فأنا أنصبتكم وأتعبتكم على مقدار ما وهبتكم لترتقوا لا لتعذبوا

﴿ أخلاق الناس ﴾

فأما أخلاقكم الأولى التي فطرتها على الحرص والشهوة وحب الاختصاص بالمنفعة فبفسده أخلاق نافعات
منافع جزئية كمنافع تلك الحشائش • فكم كما أن الحشائش تنفع منافع جزئية هكذا الأخلاق الأولية في الإنسان
تنفع حياته والمحافظة عليها ولكن تهذيب الأخلاق يجعل المرء نافعاً للمجتمع • إن زرع الدرة والقمح
يستفيد منه الإنسان والحيوان لا الحيوان وحده وتهذيب أخلاق الأفراد نافع لهم وللهيئة الاجتماعية فأنما قد
كلقتكم أيها الناس بتنظيف حقولكم بقلع حشائشها وتهذيب نفوسكم بترك رذائلها والاتصاف بفضائلها
إن هذا هو الذي كان كامناً في نفسك حين نظرت ورقة شجرة القرطم انتهى

﴿ جال العلم واشراح صدرى في مرضى رمظر الشمس والأرض وأسنان نوع الإنسان في عالم الخيال ﴾
ثم تجلى لى منظر بهيج جيل بديع • تجلت لى الشمس بهيئتها والأرض أمامها ففكرت في أمر الشمس
وأنا أشاهدها وقلت أنها أكبر من الأرض ألف مرة ونحو ذلك هذا العدد فلو فرضنا أن أرضنا حصة
وكانت الشمس هذه الحصة مكررة بالتقدير لتقدم لأصغر شمس مائة ألف مرة عظيمة والأرض
بجانها حصة مرملة ثم خيل لى جسم إنسان فوق الأرض والشمس أمامى أشاهدها وقد قل لى قائل انظر
ماذا ترى • فقلت ماذا • قال انظر أسنان هذا الإنسان • فلماذا لم تكن فى رأسه أو فى رقبته أو صدره
أو فى بطنه أو عني نخذه أو ركبته أو على قدمه • أليس ترى أن وضع هذه الأسنان فى موضع مضغ الطعام بعم
فهل هذا الوضع بلا عقل أم هو يدل على أن واضعه تجنب كل موضع فى الجسم من المواضع التى تزيد على
مائة وخصصها بالمضغ الطعام • فهل هذه الأعمال بلا عقل ولا علم • قلت بل هى بعلم وحكمة • قال
أمامك الآن الشمس وأسنان الإنسان وما الإنسان إلا ذرة على الأرض وما الأرض إلا ذرة بالنسبة للشمس
فهنا أمران

﴿ العظمة والحكمة ﴾

فأما العظمة فى هذه الشمس العظيمة فإن من يخلق هذه لابد أن يكون عظيماً ولكن ليس يلزم من
خلق الأمور العظيمة إحكامها فلذلك أتى لك بأسنان الإنسان ووضعها وتبين لك الحكمة فى وضعها ونظامها
فعرفت أنت حقاً عظمة الصانع وحكمته فهو كما خلق العظيم لم ينس أصغر الأشياء وهى أسنان الإنسان فرتبها
ونظمها وأحكمها • فبارك الله أحسن الخالقين • وهذا هو معنى ما مثل لك الليلة

﴿ مغزى هذا المثال ﴾

ثم قال أندري ما مغزى هذا المثال • فقلت أريد أن أعرفه منك • فقال أنت كنت فى الليلة الفائتة
تقرأ الآيات تثبت قلبك للوت • فقلت نعم • فقال فقرأت • قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا • الخ
وأردت بذلك أنك إذا مت وتركت هذا التفسير فإله هو الذى أراد عدم اعتماده وأن ذريتك الضعيفة الباقين
بعذك أراد الله لهم ذلك • فى هذه الليلة جئ لك بهذه المناظر ليقال لك هل تشك فى أن أسنان الإنسان
موضوعة وضعها متقناً وأنت طبعا لا تشك • ويقال لك أليس الإنسان على الأرض كثرة والأرض بالنسبة
للشمس كذرة • وإذا كان العظيم الذى خلق الشمس العظيمة لم يذر أسنان الإنسان (الذى هو ليس شيئاً
مذكوراً بالنسبة لجرم الأرض التى هى ضئيلة بالنسبة للشمس) بل سواها وأحكمها فهو إذن ينظر لصغريات
الأمور كما ينظر لكبيراتها وما يحصل لك كتابك بعد موتك ولا هلاك • كل هذا لا يمله الله كما لم يهمل نظام شئ
صغير جداً هو أسنان الإنسان وكل ما يعمله فى أهناك وفى آثار كتبك موزون عنده معاروم وهو المنظم لكل
شئ وهذا باب من أبواب عين اليقين انتهى

ثم لى بعد ذلك شفيت من المرض فعلمت أن هذه الخواطر إنما ألهمتها لأكتبها فتكون ذخيرة لى إذا

دنا أجلى وذخيرة لأخ مثلى وتذكيرة لقوم يقولون والحمد لله رب العالمين

﴿ ذكرى مرضى أيام الشباب ﴾

اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة وانك قد ألتيتني جيل ما أريد . لقد كنت أيام الشباب إذ تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) موظفا بمهنة التدريس بمدرسة دمنهور الأميرية ولم ألبث إلا ثلاثة أشهر حتى انتابني (حى التيفوس) تلك الحى المندرة بالموت فلما رأي طيب المدرسة أيقن بموتى فأشار أن أسافر إلى بلدى لموت عند أقاربى فكان ذلك وشفانى الله فى أسبوعين بجاء أحد أقاربى ومشى بى وسط المزارع بغلسنا بجانب حقل مزروع ذرة وقد برزت ثمراته وأنا فى دور النقطة ضعيف لا أقوى على المشى إلا قليلا فتفكرت فى أمر الموت وقلت فى نفسى إذا مات الآن فعنائه أنى تربيت وتعلمت على قدر طاقتى ولم تستفد منى هذه الحقول ومزارعها شيئا فأين شكر النعمة . إذن كان أسفى راجعا إلى انى أموت ولم يستفد منى أهل الأرض شيئا فى معاشهم انى ربونى بها . أما الآن فاني أجد الله جدا كثيرا

إن مما يشلج صدرى انى قد أقدرنى الله على ما طلبت . ومن ذلك ما ذكرته آنفا من مسألة الكهرباء ونفعها فى الحقول وتربية دودة الحرير والدجاج وما أشبه ذلك وفى هذا التفسير كثير مما يحض على رقى الأمم الاسلامية وغيرها والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ الكلام على كتاب التفاحة المنسوب لأرسطو ﴾

(وآيات الجنة مثل ما هنا إذ يقول تعالى - يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة - الخ ومثل قوله تعالى فى سورة البقرة - كلوا رزقوا منها من ثمرة رزقا فأنوا هذا الذى رزقنا من قبل -)

لقد تقدم تفسير هذه المماثلة أى مماثلة الثواب فى الآخرة لمقدمته من الأعمال فى الدنيا ولكن الذى يحق لى بل يجب على تبيان اليوم أن مشابهة عالم الآخرة لعالم الدنيا كان من موضوع المحاور بين (أرسطو) فى (كتاب التفاحة) عند موته وبين تلاميذه قبل الهجرة بنحو تسعة قرون . ولا جرم أن هذا الأمر لم يعرفه أحد إذ ذاك من الأمم بل كان مخبوا فى خزائن الكتب فظهره فى القرآن من معجزات النبوة العلية إذ كيف تكون المشابهة التى فى سورة البقرة مبرهنا عليها فى الحكمة والناس لا يعلمون . وكتاب التفاحة هذا قد نشر فى مجلة انجليزية سنة ١٨٩٢ نشره الدكتور (مرغليوت) ترجمة فارسية وهو موجود أيضا باللغة العبرية منقولة عن العربية ويشك القوم فى نسبتها لى (أرسطاطاليس) وهذا لا يمنع انها ملوثة بحكمة وهو محاور بين (أرسطاطاليس) وتلاميذه عند موته كالمحاور بين (سقراط) وتلاميذه المسماة (بالفيدون) وقد كان (أرسطاطاليس) فى مرض موته قد اشتد ضعفه فأخذ يشم التفاحة ليقوى بها . وهذه المحاور ترجع إلى أمر بقاء النفس بعد الموت . والمهم لنا فى هذا المقام أن نذكر ما يناسب آية الجنة فى سورة البقرة لمناسبة ذكرها هنا ولقوله هنا - بما كنتم تعملون -

سأل (اقريطون) الفيلسوف (أرسطو) قائلا ما الدليل على أن العالم الغائب مثل العالم الحاضر فقال (أرسطو) فهل تعلم أنه لا شئ سوى المعرفة ونقيضها قال (اقريطون) نعم قال (أرسطو) هل تعلم أن الشئ لا يكون صالحا إلا بما يشبهه ولا تكون مضرته إلا بما يخالفه . قال (اقريطون) لاشك فى ذلك . قال (أرسطو) فإذا لم يكن جزاء الحكمة على مثل ما هو فإنه يجب أن يكون على خلافها فإذا كان كذلك فقد يكون جزاء الحكيم الجهل وجزاء البصير العمى وجزاء العمل الصالح العمل الطالح فهذا لا يكون ثوابا وإنما يكون عقوبة وعلى ذلك فمن تحمل مشقة الحكمة لا يكون له ثواب وهذا غير صحيح فلا بد أن يصح خلافه فجزاء الابصار تكون البصيرة وجزاء صالح الأعمال يكون الخير وجزاء طلب الحكمة وجدان الحكمة . قال (اقريطون) لا يسعنى إلا الاعتراف بأن الحكمة يكون لها جزاء مثلها وأن الجهل يعاقب عليه . قال (أرسطو)

فقد اعترفت بأن جزء الجاهل يكون على خلاف جزء الحكيم والجزاء العمى يكون الابصار وجزاء بغض الحكمة نيل الحكمة وهذا غير صحيح فلزم صحة نقيضه

ثم تلا ذلك بقية الموضوع وماخصه أن (أقريطون) قال إذا أنا أنكرت أن للحكمة منوبة وللجهل عقوبة فبماذا تجيب فأجاب (أرسطو) قائلاً ألفتأدة أم لمضرة سؤالك لى . فقال بل لفائدة العلم وللقرار من الجهل . قال (أرسطو) فقد اعترفت أن العلم نافع والجهل مضر . فقال (أقريطون) سلمت بفائدة الحكمة فى الحياة لابعء الموت . فقال (أرسطو) هل فائدة الحكمة اللتأذا بالمعيشة أم اللزدياء فى الحكمة فقال (أقريطون) أنا قد سلمت أن للحكمة فائدة وقد كنت من قبل سلمت أن الحكمة مضرة بلأذا الحياة فلزمنى الآن أن تكون فائدتها فى عالم الآخرة . قال (أرسطو) لو أنك أنكرت فائدتها فى عالم الغيب وقد كنت سلمت بأنها ضارة بلأذا الحياة الدنيا فتكون إذن نفيت منفعتها فى الدارين وهذا يناقض ما سلمت به من فائدتها . إذن أقررت بأن للحكمة جزء فى الآخرة انتهى الكلام على التذكرة الأولى

﴿ التذكرة الثانية فى قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - ﴾

يقول الله تعالى فاسألوا يا أهل مكة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليعبروكم أن الله لم يعث الى الأمم السالفة إلا بشراً لأن الملائكة لا يظهرن للناس ولو ظهرن لكانوا بشراً فيلتبس الأمر على الناس وانما أمرناكم بهذا لأنهم علماء بما أنزل على موسى وعيسى وغيرهما وقد أوجبنا على الجهال أن يسألوا العلماء فيما يجهلون وقوله - بالبينات - الخ متعلق بتعلمون والبينات المعجزات والزبر الكتب . ولما وصلت الى هذا المقام حضر صدق العالم الذى اعتاد أن يجاذبنى أطراف الحديث فى المسائل العظيمة فى هذا التفسير فقال فى نفسى شئ أريد أن أذكره الآن فى هذه الآية . فقلت قل ما تشاء . قال ها أنا ذا من أبناء العرب وأنا لست فى حاجة الى سؤال اليهود والنصارى على الرسالة بل أنا الحامل للدين والنصارى يرسلون المبشرين ليردوا المسلمين عن دينهم ونحن أبناء العرب الذين حملنا هذا الدين الى الهند والصين وجزائر الهند الشرقية وأفريقيا وأوروبا واليابان وأمريكا وذلك إما بنا أو بواسطة الأمم التى أسلمت على يد آبائنا فما فائدة هذه الآية إذن لنا . فقلت اعلم أن العلوم على ﴿ قسمين ﴾ علوم يعرفها الناس بالبرهان بأن تستبين بنفسها أو بالاستدلال عليها عقلاً . وعلوم يقرؤها الناس فى كتب الأولين فتوقظهم . فالتقسيم الأول نظير المعجزات المذكورة . والتقسيم الثانى نظير الكتب السماوية واذن نحن الآن معاشر المسلمين ملزمون أن نقرأ العلوم الطبيعية والرياضية بأقسامهما ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ كل علم نعقله ونفهمه فى المدارس كتشريح الأجسام وفهم نظام النبات والحيوان فان هذا كله بين بنفسه يدرسه الناس ويفهمونه وهم يشاهدونه فهذه هى البينات كاستبانة المعجزات فالمعجزات لأجل انعوام وهذه لأجل الخواص . فعلم النبات بينات وعلم الحيوان بينات وعلم خواص الأعداد بينات وعلم الطبيعة وتعداد النجوم وأقدارها بينات لأنها قام عليها البرهان . فبراهين هذه العلوم حية يشاهدها الناس بأعينهم وانظر الى علم السيمياء ذلك العلم الذى يدرسه الناس اليوم ويحللون المواد فى معاملهم ويشاهدون جمال الله ظاهراً واضحاً فيه ويعقلون به نظام الذرات فيجدونها داخلية فى الأجسام بحساب دقيق تقدم بعضه فى سورة البقرة عند قوله تعالى - وانظر الى حمارك الخ - وفى مواضع أخرى من هذا التفسير وسيأتى فى سورة العنكبوت جدول منظم أبدع نظام ليعلم الناس أن الله لما خلقها جعل لها قوانين منظمة وهكذا ما تقدم فى أوراق النبات فى سورة الحجر قرىبا . هذه هى البينات التى أشبهت معجزات الأنبياء فى كونها واضحة ظاهرة للخواص كالأولى للعوام والخواص مما . فأما صكتب الأمم فان هذا الدين يطلبها كلها . فانظر الى أننا الاسلامية السابقة كيف قرؤا كتب اليونان ومن تبعهم من علماء الاسكندرية الذين لحصوا كتب أسانئتهم . ولما لك تذكري مسألة انزله الذى لا يتجزأ الذى يقول به علماء الأشاعرة وهو من أتهات مسائلهم فانه رأى

(ديموقراطيس) الحكميون اليوناني وهكذا ترى مذهب المعتزلة قد استند في كثير من مسائله الى تافاه (الوراق) من اليونان وهم تابعون في آرائهم (سقراط الحكميون) وهكذا نرى ابن سينا والفارابي وحكام الأشراف من أممنا الاسلامية قد اقتبسوا فلسفة اليونان من حكماء الاسكندرية وهم الذين لخصوا مذاهب اليونان منهم ورئيسهم رجل يقال له (أفلوطين) عاشوا بعد الميلاد في القرون الأولى وعرفوا زبدة آراء الفلاسفة (سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس) ووقعت كتبهم في أيدي حكماء الاسلام فلم يعرف الناس (أفلوطين) هذا وشيعته وإنما عرفوا (سقراط) ومن عطف عليه لعدم شيوخ علم تاريخ الفلاسفة بيننا . فقال صاحبي أنا الآن أسألك في تفسير القرآن وأنت أخذت تشرح مذاهب الفلاسفة وتأخذني في مجاهل يضل فيها السارى مالنا وأفلاطون وأفلوطين وسقراط حدثنا عن ديننا وعلمنا ودع التطويل فيما لا يفيد . قلت أيها العزيز هذا يعلمنا أن آباءنا قرؤا علوم الأمم التي تقدمتهم . وإذا كان الله يقول لأهل مكة أسألو أهل الكتاب عن (أمرين) فلهجرات والكتب حتى تعرفوا الحقائق التي تطلبونها . أفلا يقول لنا اقرؤوا العلوم المشاهدة في المدارس والعلوم الغائبة في الكتب وقد تيقظ آباؤنا فدرسوا علوم الأمم وأيقظوا الشعوب كما تراه واضحا في سورة التوبة من التاريخ وضوحا تاما فوالا ذاك اظلت الدنيا في نومها العميق . وإذا كانت المدينة الحاضرة في الغرب والشرق ثمرة اطلاع آباءنا على علوم الأمم فإن الأمر عظيم وواجبنا نحن أعظم . فقال وما هو واجبنا . قلت واجبنا قراءة تاريخ الفلسفة القديم والحديث ومعرفة نفس الفلسفة أي تقرأ الفلاسفة وتاريخها والعلوم بدون تاريخها تكون بترأ ناقصة لأن العلوم الحاضرة مرتبطة بالعلوم السابقة وما العلوم إلا شجرة تنبت وتتفرع . فليكن في أممنا اليوم أناس يدرسون تلك العلوم قديمها وحديثها مع تاريخها . وإذا جهلنا القديم من العلوم لم نفهم الحديث وعلماء أوروبا لم يرقوا عن علماء اليونان وعلماء الاسلام إلا في العلوم الجزئية . أما المسائل العظيمة كالكلام في الله وفي اليوم الآخر والنفس والروح وما أشبه ذلك فالعلم بها قديما هو العلم حديثا . والناس اليوم لا يزالون كما كانوا منذ آلاف السنين يتقدمون خطوة ويتأخرون خطوات . فقال إن هذا القول منك عجب كأنك تقول إن أمثال (سبنسر) و (داروين) و (لامارك) و (شوبنهاور) وأمثالهم ليسوا أعلم من الأولين . فقلت نعم لا فهم أعلم منهم بالعلوم الجزئية وهم مثلهم أو أقل منهم في العلوم الكلية . فقال أريد أن يكون لقولك دليل من كلامهم . فقلت فاسمع ما ذكره السلامة (سنتلانه الطلياني) الذي كان مدرسا بالجامعة المصرية وقد اختاره ملك مصر وملك إيطاليا لذلك فهناك نص ما قاله

كأنني بقاتل يقول ما الفائدة في كسبك هذه التواريخ البالية والرسوم الفانية إن هي في نفس الأمر إلا أساطير الأولين وأوهام الأقدمين مالنا وأفلاطون وأرسطو وأصحاب الرواق وبقية القوم وقد اندثر أثرهم وتنوسى ذكرهم . مالك لا تذكرنا أقوال المعاصرين من العلماء ورأيهم في النفس وحوالها وتعلقها بالبدن الذي هو موضوع العلم المعروف عندهم (بيسيكولوجي) ولهذا لا تأخذ في تفسير قول الفلاسفة المعاصرين لنا مثل (هربرت سبنسر) وغيره (بالفلسفة إلا الفلسفة الراهنة) هذا هو العلم النافع الذي نحتاجه في مثل وقتنا ما هذا إلا خرافات الأقدمين التي لا تجدى نفعا ولا تشفي غايلا . فأقول إن الفلسفة التي ذكرتها لا يتكرفأندتها إلا جاهل أو معاند أو كلاهما إلا أنك إذا أردت أن تفهمها حقاً تفهم فلا بد لك من معرفة آراء الأقدمين إذ الفلسفة وسائر العلوم كالمرء يكون طفلا ثم يشب ثم يصير كهلا وهو شخص واحد وكالأسئلة كل حلقة منها ارتبطت بالأخرى حتى لا يمكن حلها من غير أن يفسد الجميع فمن لم يقف على أقوال القدماء حق الوقوف لا يمكن من استنباط آراء المعاصرين ولا من سبب اتخاذهم رأيا دون رأي ولا ما آلت اليه الفلسفة في حالها الراهنة . قال (باكون) الفيلسوف الانجليزي (إن التاريخ للعلوم كالبحر لجسد الإنسان به يعبر ما تقدم وما بين يديه لكي يسلم الناحية التي ينبغي له أن يقصدها) اهـ

ثم إنه لا يخفى أن المسائل الفلسفية لا تتغير بتغير الزمان وهي الآن على ما كانت عليه في القرون الماضية من البحث عن ماهية الوجود ووجود الآله وجوهر النفس وكيفية اتصالها بالبدن وإدراكها بالحس وماهى حق المعرفة والميزان الذى به تقاس حقيقتها فهذه المسائل وأمثالها التى اشتهت عليها الفلسفة لم تختلف باختلاف الأجيال . أتظن أنا تحسن الجواب أكثر مما كان يحسنه أفلاطون وأرسطو ولا والله إنا لو قدرنا على ذلك لقدردنا على الاتصاف بصفات الالهية وشتان ما بين البعوضة والفيل فلوراجعت (هربرت سبنسر) مثلا الذى ذكرته آنفا لوجدته يعترف في كتابه الموسوم بالاصول الأولية بأن الأوليات في الفلسفة ما لا طاقة للبشر عليها وأن لا سابقة لنا على الأقدمين إلا في المسائل الجزئية والمباحث الفرعية دون ما يهمننا حله من المشكلات في الاصول فالمسألة باقية والجواب يختلف وكل جيل أخذ سبب من تقدمه بخطو ثلاث خطوات ويؤخر أخرى وبيننا وبين الغاية المقصودة بون بعيد كاد لا يتصوره عقل البشر فضلا عن أن يتخطاه . ذلك سر الله لا يحيط به إلا هو فلا يغرنك أيها الحبيب شقشة المتفلسفين وانصت الى الفلاسفة تجد كلا منهم راكنا الى من تقدمه يوافقه تارة ويخالفه أخرى الى أن ينتهي النسق الى فلاسفة اليونان ولهم حق السبق وفضيلة التمهيد . فاذا لم يكن من السائغ لدى أدب من الافرنج أن يجهل ما كان عليه حكماء اليونان كيف يسع ذلك مصر يا مسلمانا والعلوم الاسلامية منذ بدء نشأتها مؤسسة على علوم اليونان وأفكار اليونان بل وعلى أوهام اليونان حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الاسلام ولا مذاهب قدماء المتكلمين ولا بدع المبتدعين من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة شافية لا مجرد الامام وهذا لا يحتاج الى برهان بل نقول فيه على البيان فصار هذا التاريخ والحالة هذه كالمقدمة الضرورية لتاريخ المدنية الاسلامية لا يسع أحدا من هذه الأمة اهماله ولا طالب الحكمة جهله فأرجو أيها السادة من محبتكم للوطن الاعتناء بهذا التاريخ الجليل الذى به أحرز الاسلام قصب السبق في القرون المتوسطة ونال به غراياله من غرغا من أمة أخذت في الترقى إلا وأقبلت على طلب أخبارها واحياء ما ندرس من آثارها فاذا أهملتها كان ذلك أظهر شمار على التلاشي والادبار وفيما قلناه كناية لأولى الأبصار . نعم إن هذا التاريخ يستدعى من طالبه مزيد العناية وطول الاجتهاد وذلك من شروط كل علم * قال الحكميم اليوناني (العلم في موطنه كالذهب في معدنه لا يستنبط إلا باللبأ والتعب والكثرة والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار) اهـ

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد استفدت الآن فوائد لم تكن في الحسبان

(١) الأولى . ان تاريخ العلوم تجب قراءته

(٢) الثانية . أن علماء الاسلام الآن عليهم أن يقوموا دراسة مذاهب الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة

بقراءة كتب اليونان من استطاع لذلك سبيلا

(٣) الثالثة . أن تلك الثروة التي نسميها في مصر وغيرها من قولهم إن فلانا ملحد لأنه قرأ علوم

أوروبا باطية وقبضهم الریح لاسي في المبرولافي النفي لأنهم هم أنفسهم يقولون ان أهم ما يقصد من الفلسفة

وهي الحقائق العامة لم تزل على ماهي عليه من القديم الى الحديث فاذن لاحق لأهل العلم في بلاد الشرق أن

تنتزع قلوبهم ويهلعوا ويحببوا حينما يسمعون الألقاب الضخمة للفلاسفة المعاصرين وينقل الناس عنهم

الكفر فيزول العقائد . فالعقل الانساني قديما وحديثا لا يزال في دائرة واحدة والآراء القديمة هي نفس

الحديثة في مسألة الله والنفس والعقل والعلم الذى نعيش فيه . وأنا الآن قد عثرت على كنز ثمين من العلم بهذا

المقال الممتع الذى نقلته عن الفيلسوف النلياني

(٤) الرابعة . ان قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر - الخ قد فتح لنا أبواب العلوم على مصراعها وهو

الذى به ازهرت المدنية الاسلامية وتبعها المدنية الحاضرة . كل ذلك بامر القرآن

(٥) الخامسة • ان فكرة الاتحاد المنقشرة بين بعض المتعلمين في مصر وغيرها من بلاد الشرق • انما يريد هؤلاء المدعون أن يظهروا للناس انهم أعلم من جميع المسلمين • والدليل على ذلك انهم يبدوا علوم المسلمين وعلوم دينهم وذلك يتخذونه سترًا لجهلهم والشعوب الشرقية الآن في مبدأ التطور • فهذه الثروة قد يفتت بها بعض الرؤساء لجهلهم بتلك العلوم ولكن الشرق آخذ في الاستيقاظ * قال الشاعر

وكاذب انفعج يبدو قبل صادقه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وهؤلاء المدعون سيعرفهم الناس عاجلاً أو آجلاً وتقرض هذه الطائفة ويحل محلها الفلاسفة الحقيقيون والحكماء كما كان المسلمون في عصر الاسلام الزاهرة • فقلت ان هذا الاستنتاج هو الذي في نفسى وهذه الآراء التي في هذا المقال هي من سرّ قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -

فحن في الأرض وجميع علمائها قديما وحديثا لا يزالون أطفالا في أصل العالم والحقائق والنفس التي ذكرها القرآن والحمد لله رب العالمين • انتهى الكلام على تفسير القسم الأول من السورة

﴿ الْقِسْمُ الثَّانِي ﴾

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ فَنَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَتَسْأَلُوا النَّاسَ أَنْ يَمْلِكُوا لَهُمْ أَمْ يُسَبِّحُوا بِمَا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلُّفَ لِّقَسَالٍ * ثُمَّ كُنْهُمْ تَقْصُرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْآثُلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ * تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فُزِّيَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَزَلْنَا عَنْكَ الْكِتَابَ إِلَّا تَتَبَيَّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَمِزْرَةً نَسْقِيكُمْ مِنْهَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيْهِمْ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
يُتُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا
يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ * وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى
رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَحَدَّوْنَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْنَا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْتَمًا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَايِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَايِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ

كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَمَا كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ * وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا
يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا
الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ
يَوْمَ تَمُذِ السَّلَامَ وُضِلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ
عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ * وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) إلهين واله دل كل منهما على الجسدية وعلى
العدد المخصوص فإذا أريد الدلالة على أن المتصور منهما هو العدد أتى بما يؤكده ليبدل به على القصد إليه
والعناية به ولوقلت إنما هو إله بلا تأكيد خيل أنك تثبت الألوهية لا الوجدانية (فارهبون) نغافون (وله
الدين واصبا) له الطاعة لازمة أوله الجواز دائما فلا ينقطع ثوابه ولا عقابه (وما بكم من نعمة) عافية وغنى
وخصب فهو من الله (الضر) المرض والفقر والجذب وأمثاله (تجأرون) تتضرعون والجوار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة ومنه جوار البقر (ثم إذا كشف الضر عنكم) أزال الشدة والبلاء (فريق) طائفة وجاعة
(برهم يشركون) فيضيفون كشف الضر إلى العوائد والأسباب ولا يسندونه لله (ليكفروا بما آتيناهم)
أى لأجل أن يجعلوا نعمة الله عليهم في كشف الضر أن عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء
وكشفنا عنهم الضر والبلاء فاللام إما لام كي أو لام العاقبة (فتمتعوا) أمر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة
أمركم إلى ماذا تصيرون وهو نزول العذاب بكم (ويجعلون لما يعلمون) أى ويجعلون لأهلهم التى لا يعلمونها
فيعتقدون فيها الأكاذيب فيقولون أنها تشفع لهم وتنفعهم فواو يعلمون راجعة للمشركين (نصيبا مما رزقناهم)
جعلوا لتلك الأصنام نصيبا فى أنعامهم وزرعهم تقربا إليها (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) إنها آلهة وانها
أهل للتقرب إليها (ويجعلون لله البنات) * كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله لأنهم مستترون
كالنساء ولدخول التأنيت فى التسمية (سبحانه) نزه نفسه عن قولهم (ولهم ما يشتهون) معطوف على البنات
وسبحانه اعتراض أى وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور (ظل وجهه مسودا) أى فصار وجهه متغيرا
من الغم والحزن والغيط والكراهة الحاصلة من هذه البشارة (وهو كظيم) ممتلى غما وحزنا (يتوارى من
القوم من سوء ما بشره) يخفى من ذلك القول الذى بشره وذلك أن العرب كانوا فى الجاهلية إذا قربت
ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم إلى أن يعلم مولد له فإن كان ولدا ابتهج وظهر وإن كانت أنثى حزن ولم
يظهر أيلما حتى يفكر ما يصنع (أيمسكه على هون) أيمسكه ما بشره على هوان (أم يدسه فى التراب) أم
يحفيه فيه وذلك بالوآد (الأساء ما يحكمون) إذ يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم (مثل السوء)

صفة للسوء من احتياجهن الى الولد الذكر وكراهتهن الاناث وقتنهن بوأدهن خوف الفقر (ولله المثل الأعلى) الصفة العليا المقدسة وهو أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا إله إلا هو وله جميع صفات الجلال والكمال من القدرة والعلم الخ (وهو العزيز) المنيع تكبرا وجلالا (الحكيم) في جميع أفعاله (بما ظاهروا) أى بسبب ظاههم فيعاجلهم بالعتوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم (ماترك عليها) على الأرض (من دابة) أى دابة ظالمة وهم الكفار وأمثالهم قال تعالى - إن شر الدواب عند الله الذين كفروا - (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) ساء لأعمارهم (ويجعلون لله ما يكرهون) أى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف بالرسول ومن أراذل أموالهم ويجعلون أكرمها لأصنامهم (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة كما في سورة السجدة ولئن رجعت الى ربي ان الى عنده للحسنى (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مقدمون الى النار مجبولون اليها * يقال أفرطت فلانا في طلب الماء اذا قدّمته (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب (فهو وليهم اليوم) أى ولي أمثالهم اليوم من مشركى العرب وغيرهم والولى القرين والناصر ومن كان الشيطان نصيره فما نصيره (ولهم عذاب أليم) يوم القيامة (إلا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد وأمر الدين والاحكام فتعرفهم الهدى والحق والحلال ونصرفهم عن الضلال والباطل والحرام (وعدى ورجة) أى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورجة (لقوم يؤمنون) فينتفعون به (والله أنزل من السماء ماء) مطرا (فأحياه الأرض) يعنى بالنبات والزرع (بعد موتها) ينسبها (لآية) دلالة واضحة ترقى العقول وتوقظ الأسم وتدل على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف وتفكر ولا عبرة بسمع الآذان إلا كما يسمع الحيوان (لعبارة) اذا تفكرتم فيها عرفتم فتمت عقولكم وبها تعرفون عظم قدرتنا وكما لها (مما فى بطونه) أى نسقيكم مما فى بطون ما ذكرنا من الأنعام (من بين قرث ودم لنا خالصا سائغا للشاربين) * القرث مافى الكرش من الفل فل متى خرج لا يسمى قرثا وقوله - خالصا - أى صافيا لا يستصحب لون الدم الذى هو أصله وكون منه ولا رائحة القرث الذى فصل الدم عنه بواسطة الكبد الذى ورد اليه خلاصة المواد المأكولة فاستحات الى دم واستحال الدم الى لبن فهو خالص من أصله وهو الدم وما استخلص الدم منه وانفصل عنه وهو القرث - سائغا للشاربين - سهل المرور فى حلقهم (ومن ثمرات النخيل والأعناب) ثمر (تتخذون منه سكرا) وهو ماسد الجوع من قولهم ﴿سكرت النهر﴾ أى سدته • ولاجرم أن التمر والزبيب مما يستد الجوع وهذا معنى قول أبى عبيدة إن السكر الطعم • يقال هذا سكر لك أى طعم لك * قال الشاعر

* جعلت أعراض السكرام سكرا * أى ثقلت بأعراضهم وقوله (ورزقا حسنا) الرزق الحسن سائرا ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب كالدبس والتمر والزبيب والخل (لآية لقوم يعقلون) أى دلالة ترفع عقولهم هى وأمثالها فيعرفون خالقهم وقدرته (وأوحى ربك الى النحل) ألهمها وقذف فى قلوبها (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) عبر من التى لتبعيض لأنها لا تبني إلا فى بعض الجبال والشجر وبعض ما يعرش الناس أى يبنون من البيوت والسقوف والكورات (ثم كلين من كل الثمرات) أى من كل ثمرة تشتهيها (فاسلكي سبل ربك) فادخلى الطرق التى أطمك وأفهمك فى عمل العسل والطرق التى ترجعين فيها من المواضع البعيدة عن بيوتك (ذلالا) جمع ذلول وهى حال من السبل فان الله ذللها وسهلها فذل طرق عمل العسل الصناعية وطرق رجوع النحل من المحال البعيدة الى بيوتها (ينخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلف ألوانه) أبيض وأصفر وأحمر واسود بحسب اختلاف المراعى (فيه شفاء للناس) لأنه من الأدوية النافعة وقيل من معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل فهو شفاء للناس من الأمراض التى خلق دواء لها فان لكل داء دواء وقد أكثر الله الأدوية كما أكثر الأمراض (لئن فى ذلك

لآية لقوم يتفكرون) فيعرفون كيف اتصف النحل بتلك الصناعات الدقيقة والأفعال الحكيمة كما ستره عند الكلام على صنع الشمع وتربية الذرية قريبا . فمن تفكر في هذا وأمثاله ازداد عقله وارتقت مدنيته ثم عرف الله (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بالتجل مختلفه (من يرد) يعاد (إلى أرض العمر) أخسه وأضعفه وهو الهرم الذي يشابه الطفولية في النسيان وسوء الفهم (إن الله عليم) بمقادير الأعمار (قدير) يميز الشاب النشط ويبقى الهرم الفاني (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فذلكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون أرزاقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك (برادى رزقهم) يعطى رزقهم (على ماملكت أيماهم) على ممالكهم حتى يستووا فيسه لهم وعبيدهم (فهم فيه سواء) متساوون . والمعنى أن الله جعل الناس متفاوتين في الرزق كالموالي والعبيد وقد جرت العادة أن المولى لا يجعل عبده مساويا له في الرزق بل هو أبقي السلطان لنفسه والاعتلاء . وإذا كان هذا طبعكم مع عبيدكم وأنتم مخلوقون فكيف ترضون أن يكون لى شركاء فى ملكى . فلقد رضيت لى بأخص الأميين البنات وشركة العبيد فى الألوهية مى وأنتم لابنات ترضون ولا شركاء تبغون (أفبنة الله يمجدون) الاستفهام انكارى أنكروا عليهم أن يمجدوا نعمة الله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم لتأنسوا بها وليكون أولادكم مثلكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه ما فى القنوت ﴿ نسئ ونخفد ﴾

ولما كان كل من البنات وأزواج البنات وذرية الزوجة من غير الرجل المعبر عنهم بالربائب وأبناء أبناء الرجل وأبناء بنات الرجل . لما كان كل من هذه الأنواع الخمسة يخدمون الرجل ويعينونه عادة فى مصالحه دخلوا جميعا فى معنى الحفدة فجعل الله الزوجة سببا لهؤلاء الخمسة (ورزقكم من الطيبات) من النعم التى أنعم الله بها عليكم من الثمار والحبوب والحيوان والمستلزمات من ذلك كله (أفالباطل يؤمنون) أى بالأصنام وبالشيطان (وبنعمة الله هم يكفرون) فيضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره (مالايملك لهم رزقا) هى الأصنام (شيأ) بدل من - رزقا - والرزق بمعنى المرزوق وهو نفس المطاعم والملابس وغيرها ولفظ - شيأ - المبدلة منه يدل على القلة ومن السموات والأرض صفة لرزقا . فهذه الأصنام لا تملك قليلا من الرزق الكائن فى السموات والأرض (ولا يستطيعون) أن يملكوه وعبر بالواو هنا على معنى الآلهة وقال أولا - لا يملك - على اللفظ (فلا تضر بوا لله الأمثال) فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له أى فلا تجعلوا له شركاء (إن الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأنتم لاتعلمون) ذلك أو يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون كيف تضربونها وضرب المثل تشبيه حال بحال ثم ضرب مثلين فقال فى أولهما (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر على شئ) ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى مثلكم فى اشراككم بالله الأوثنان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قدر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء . ولما كان العبد يشمل الرقيق والحر لأنهم عبيد الله قيده بالمملوك (هل يستوون) أى لا يستوى القليلان (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) أن الحمد لله لا لهذه الأصنام وقال فى ثانيهما (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الى قوله - وهو على صراط مستقيم - أى بين الله صفة رجلين الأبكم الذى لا يحسن الكلام وهذا البكم إما ناشئ عن صمم خاقى وأما لعله غير الصمم مع أنه لعله له فى أذنيه فهو يسمع ولكن لسانه معتل وعليه فكل من ولد غير سميع أبكم لأن الكلام بعد السماع ولا سماع له وليس كل أبكم يكون أصم صمما طبيعيا فبعض البكم لا يكونون صما هذا تحقيق المقام (وهو كل على مولاه) أى ثقيل على من يلى أمره ويعوله (أينا يوجهه لآيات بحير) حينما يرسله ويصرفه فى طلب حاجة أو كفاية مهم لآيات بنجح لأنه عاجز لا يفهم ولا يفهم (هل يستوى هو) أى من هذه صفته الذميمة (ومن يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الخواص عاقل ينفع نفسه وينفع غيره يأمر الناس بالعدل (وهو) نفسه (على

صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وليس يتمكن من الأمر بالعدل إلا السقيم السيرة وهذا المثل الثاني ضربه الله لنفسه وللأصنام لابطال المشاركة بينها وبينه (ولله غيب السموات والأرض) يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد ومنه يوم القيامة (وما أمر) قيام الساعة في سرعتيه وسهولته (الإكلج البصر) إلا كرجع الطرف من أعلى الخدقة إلى أسفلها (أوهو أقرب) أي وأمرها أقرب منه فيكون في زمان ربع أو ثمن تلك الحركة أو أقل تحريكها لانه بكلمة كن (إن الله على كل شيء قدير) فكما قدر على إحياء الخلائق دفعة قدر على إحيائهم متبرجا ثم أخذ يصف ذلك فقال (والله أخرجكم من بطون أمماتكم لاتعلمون شيئا) أي غير عالمين شيئا (وجعل لكم السمع والأبصار والأنف) أي القلوب تعقلون بها (لعلكم تشكرون) أي أنعم عليكم بهذه الخواص لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (مسخرات) مذللات (في جوف السماء) الجوف الفضاء الواسع بين السماء والأرض (ما يسكنهن إلا الله) في حال قبضها أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء (إن في ذلك آيات لقوم يعقلون) وذلك الآيات كدسخير الطير للطيران وخلق الجوق الذي تطير فيه وامساكها في الهواء (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه في الإقامة كالبيوت المتخذة من الخبز والمدر (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم ومن الوبر ومن الصوف والشعر فهي نابتة على الجلود (تستخفونها) تجلدونها خفيفة (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) أي وتخف عليكم في اقامتكم وحضركم فهي لاتثقل عليكم في الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الضمير للأنعام أي ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثانا) الأثان متاع البيت الكبير من فرش وأغطية وأكسية من أث اذا كثرت وكثافت ويقال للذل أثان اذا كثر (ومتاعا) أي ماتمتعون به (إلى حين) إلى حين أن يبلى أو تقضوا أو طارككم منه أو إلى مماتكم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والأبنية وغيرها (ظلالا) تستظلون بها من حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة جمع كن (وجعل لكم سرايل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وما أشبه ذلك (تقيكم الحر) أي والبرد وخص الأول بالذكر لأن وقاية الحر كانت ألزم لهم (وسرايل تقيكم بأسكم) أي الدروع والسرايل يعم كل لباس (كذلك يتم نعمته عليكم) أي كاتمام هذه النعمة التي تقمتم (لعلكم تاسموا) أي تنظرون في نعمه فتؤمنون وتقادون لحكمه (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يقبلوا منك (فإنما عليك البلاغ المبين) أي فلا يضرك فأنما عليك البلاغ فأقام السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) أي يعرف المشركون نعمة الله كالثي عتدها ويعترفون بأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم وقولهم ان الأصنام تشفع لهم (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا ومن النعم هذا القرآن ونبوة محمد ﷺ (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) وهو نبيا يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار إذ لا عذر لهم (ولاهم يستعجبون) يسترضون من العتي وهي الرضا (واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم) (فلا يخفف عنهم) أي العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أو ثنائهم التي سموها شركاء أو الشياطين الذين أغروهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) نعبدهم وهو اعتراف بأنهم كانوا في ضلال (فألقوا إليهم القول انكم لا كاذبون) أي أجبائهم الأوثان بالكذب وأنهم ما عبدوهم حقيقة وما عبدوا إلا أهواءهم (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي ألقى الذين ظلموا الاستسلام لحكم الله بعد الاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) ضاع وبطل (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصتوا عن سبيل الله) بالذبح عن الاسلام والحل على الكفر (زدناهم عذابا) لصتوهم عن سبيل الله (فوق العذاب) بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أي بكونهم مفسدين بصتوهم واذكر (يوم نبعث من كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم فان نبي كل

أمة يبعث منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيذا على هؤلاء) على أمتك . ثم استأنف فقال (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً) بيانا بليغا (لكل شيء) من أمور الدين تفصيلا تارة واجبالا أخرى (وهدي ورحمة) لجميع الناس وبحرم منه اقصرون (وبشرى للمسلمين) خاصة . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني ﴿التفسير المعنوي﴾

تبين في آخر القسم الأول تفسير قوله تعالى - أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن النعيم والشمائل سجدا لله وهم داخرون * والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة - إلى قوله - ويقعون ماثورون - فلهذا القول فيه ليكون توطئة وصلة لما سذكه بعده من تفسير هذا القسم حتى تكون المناسبة ظاهرة فأقول

ذكر الله سجود الأجسام لله وتسخيرها بإرادته وقهره طوعا أو كرها وجاء في آية أخرى ما أفاد أن الله قال للسموات والأرض - إئتيا طوعا أو كرها قالت أئتنا طائعين - فالعالم من أعلاه إلى أدناه مطيع لله مقهور حتى إن الكافر به مسخر مقهور كما سخر الشمس والقمر والنجوم والجبال فكل ساجد ومطيع طاعة تسخير فإذا كانت الأجسام خاضعة ساجدة تبعها ظلالها فتراها ساجدة سجود التسخير تبع الأجسام وهي لاصقة بالأرض لصوق جهة المصلى بها بل هي أكثر التصاقا وأطول سجودا وأدوم عملا ولذلك نص على الظلال وأكثر من ذكر سجودها في القرآن وقد وضح ذلك في سورة الرعد أيما إيضاح . ولما أن ذكر سجود الظلال أتبعها بذكر الدواب في السموات والأرض . وقد بينا غير مرة أن الأراضي قد تبلغ ٣٠٠ مليون وقد تكون أكثر على ما يظن في العلم الحديث والنظام الإلهي . ومن المظنون أن يكون فيها دواب فهذه الدواب وهي كل ما يدب تشمل ما كان من العقلاء فيها كالإنسان على الأرض . فكل هؤلاء ساجدون مطيعون لله تسخيرا كالجماد وعبادة أي من كان منها عاقلا كالإنسان . ولا جرم أن الحيوانات قد اتجهت رؤسها إلى الأمام فتراها ذاهبة آية ورؤسها ممتدة فهي أشبه بالراكعة والركوع يقرب من السجود بحسب شكله وهو خضوع بحسب معناه . فأما النبات فإن رؤسها ساجدة لأنها مغروسة فرؤس النبات منها يستمد قوته وغذائه وهي التي تجذبه إلى الساق والورق والأغصان . ولا جرم أن الإنسان نبات مقلوب فرأس النبات أسفل ورأس الإنسان أعلى فالنبات ساجد بحسب جهته كما أن الملائكة جميعا ساجدون مطيعون بحسب لاهتهم . ولما كانت رؤس الإنسان قد رفعت من الطين واستوت إلى أعلى أمر بالسجود ليخضع كما خضع الحيوان والنبات وليذكر أنه ليس مستغنيا ولا مستقلا عن هذا النظام العام بل هو متصل به مستمد منه فيقول في السجود ﴿خضع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين﴾

وكما ذكر الدواب بعد الظلال ذكر الملائكة بعد الدواب ففيه ارتقاء من أدنى إلى أعلى . هكذا الأجسام التي لها ظلال فالظلال والدواب فالملائكة أي ما لا روح له من الأجسام ثم ما له روح وجسم ثم ما كان روحا صرفة صافية خالية من أحوال المادة ثم أردف الملائكة بقوله - وهم لا يستكبرون - أي ليس خلوصهم من المادة يعطيهم عظمة . كلا بل هم لقربهم من الله يعرفون جلاله وجلاله فهم منه خائفون ومن قرب من الملك كان أخوف الناس منه ومن عشق الجبال خاف من صدها وهجران بل ربما قتل نفسه إذا منع الجبل ابتسامته أو غص عنه الطرف فقد ذكرنا في هذا التفسير في سورة البقرة أن هناك جنلا قد استمدت منه كل جمال كما أن تلك العظمة تستمد منها كل عظمة . إلى هنا قد انتهى الترقى في المعارج من أجسام وظلال إلى دواب إلى ملائكة . ثم جاء بعدها

﴿ وقال الله لاتخذوا إلهين اثنين - ﴾

هنالك استوى على العرش فهذا هو العرش والملك وأخذ يخاطب من تحته ويلقي الأوامر إلى من هم

أسفل من الثقلين وخضعت الأجسام وظلالها والذباب فالملائكة واستوى الله على العرش وخطب قائلا إياكم أن تتخذوا إلهين . وكيف تكون الاثنية وقد رأيتم التسخير واحدا فالمسخر واحد والنظام متكامل .
 وإذا وجدتم الحيوان والجماد والنبات وكل ما يروونه ساجدا خاضعا فكيف لا تسجدون وإذا سجد الملائكة الذين لم تروهم وانما رأيتم سجود آثارهم على الأرض من المخلوقات التي هم عاملون فيها فكيف لا تسجدون فليبرهكم ذلك ولتكونوا وجدين خائفين كما خافوا هم

﴿ - وله مافى السموات والأرض - ﴾

ثم أخذ يذكركم ملكه فأبان أن له مافى السموات والأرض والطاعة له دائمة . ولما كان وجود مافى السموات والأرض لا يكتفى للدلالة على وصول الآثار لنا أعقبه بأن كل نعمة واصلها إليكم فهي منه فهو بعد أن ذكر النعم العاقمة أتبعها بالخاصة والخاصة ﴿ قسما ﴾ قسم إيجابى وقسم سلبى . فالإيجابى ما يسدى اليك من الأقوات والملابس وبقية النعم . والسلبى ما يسلب عنا عن الضر والمرض والمثم فذكر الأول قائلا - وما بكم من نعمة فمن الله - وذكر الثانى قائلا - ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون - ثم أتبعه بالتوبيخ على نكران النعمة بعد حصولها كأنه يقول ﴿ دولام النعمة ينسيكم المنعم ﴾ فهذا إذا أعطيت المرض والشفاء والفقر والغنى والعز والذل والموت والحياة وكنت قادرا أن تجعلكم أغنياء أكفكم من أول خلقكم كما كانت الملائكة ولكن لم أفعل ذلك لأنى لو بسطت الرزق لكم لبغيتم فى الأرض ونسيتم نعمتى عليكم فلذلك أتيت كل نعمة بنقمة وكل صحة بمرض . وهكذا جعلت جهلا وعاميا وصغرا وكبرا . كل ذلك لتعرفوا ولتعلموا وبغير هذا مستحيل أن تدركوا شأنا لأن الطباع فى أرضكم هذه هكذا خلقت ومع ذلك أراكم إذا مسكم الضر ودعوتكم وأجبتكم ترجعون بعد الصحة والغنى والقوة تنكرون نعمتى عليكم وهذا قوله - ثم إذا مسكم - الى قوله - إذا فريق منكم يشركون -

وهذه الخصلة عامة فى نوع الانسان لأن الانسان يرجع بعد الفقر و بعد المرض (وقد جاء الغنى والصحة) الى ما كان عليه من أخلاقه وأطواره فاذن يجب اصلاحه بطرق تهذيبية علمية . وهذا وان كان واردا فى الكفار فان كل ما يرد فيهم له نظير فى المؤمن . وهذا القول تبيان لطباع الناس والا فأتى فائدة لقراءته اذا لم يكن هناك لنا به علاقة فالخلق ان من الناس من هم كالمحبولين على النسيان ونكران النعمة التى سبقها نقمة فليس نسيان النعمة خاصا بالكافر . كلا . أفلا ترى أن المريض الذى حل به المرض بسبب تعاطى ﴿ التبغ ﴾ وهو يدخله كل صباح وكل مساء اذا شفاه الله منه بدواء وقال له الطبيب احذر تعاطيه مرة أخرى فانه كثيرا ما يرجع الى تعاطيه . أليس هذا ككفرنا بالنعمة أى نعمة الشفاء بعد المرض بل المرض نفسه نعمة لقد أثبت الأطباء فى (ألمانيا) و (فرنسا) وهم أكابر أطباء العصر الحاضر أن الرجل الذى يتعاطى اللحم أو البيض أو ثابن وقد أكل منها سكاها أو بعضها يمتلئ جسمه قوة ومتانة وهو أحر الوجه قوى متين . فكل هذا الكثرة التغذية يفاجئه أجله بغنة وهو لا يشعر . وشكوا ذلك بأن هذه أغذية تامة التركيب فالاكثر منها يملأ الأنسجة غذاء بحيث لا يكون لتلك الأنسجة راحة . أما الأطعمة المتخذة من النبات فانها تكون لينة على الأنسجة سهلة عليها لا ترهقها بأغذية كثيرة فلا تغلى استلاء قتالا يرهق الجسم فينخر ضعفا فى يوم أو بعض يوم ويقولون إياك أن تقول لى رأيت كثيرا من الناس يعيشون وهم أقوياء البنية كرجال الانجليز الذين يكثرون من هذا وهم أقوياء قالوا لأنك اذا رأيت هؤلاء فانما هم من بقايا أولئك الذين ذهبت أرواحهم سدى وأصبحوا ضحايا كثرة الأغذية فلا تحتاج بالأحياء فان أضعافهم من أمثالهم أموات . وقالوا أيضا ان الذين لا يمرضون هم الضعفاء والذين يمرضون هم الأقوياء لأن القوى الجسم الذى لا يمرض جسمه لم يقدر أن يخرج مافيه من الزوائد الضارة . أما الذى تعتره الأمراض وهو ضعيف البنية فهو أقوى من مفتول الساقين

أحرا الخدين قوئ^١ اليدين فان الأخير يخر^٢ صغقا بقية . أما الأول فيسببه انضعيف ظاهرها قوئ^٣ باطنها لقدرته على اخراج الأمراض . فالقوئ^٤ ظاهرها الذي لا يعرض وهو يأكل تلك المسالك كل أشبهه بمن أصابه إمساك فهلاكه قريب . أما ذاك الضعيف ظاهرها فقد نجا من الامساك الضار^٥ . وان أردت الزيادة ففليك بكتاب صديقنا الفاضل محمد بك فريد وجدى نسبي في دستور التغذية . فقد ترجم فيه آراء أولئك الأطباء

أفلاست ترى أن المرض قد يكون نعمة باطنا نعمة ظاهرا فإذا كشفه الله أصبح الإنسان في نعمة ظاهرة وابطنا . فإذا لم يحفظ النعمتين ولم يرجع عما كان عليه من التخليط في الطعام والشراب والتمادي في الشهوات والمذات كاستعاطي (التبغ) وقهوة البن والتجمل والشأى وما أشبه ذلك فإنه قد كفر النعمة لأن الله كشف عنه الضر ولم يفهم حكمة المرض ولم يعرف نعمة الله وأنكرها . ألا لا فرق بين كفر وكفر من حيث النتيجة فتنتيجة كفر نعمة الشفاء في الأمور الجسمية ضارة بالأجسام . ونتيجة كفر النعمة في الأمور العلمية العقلية ضارة بالنفوس بعد الموت . وكأن الله جعل هذا داعيا أن تتذكر في هذه الحياة بل هذه الحياة أقرب لنا ومن عجز عن فهم منابه من الضراء في الدنيا فلم يحترس عما يضره في جسمه فهو عن فهم ما أصابه من الشر في اعتقاده أعجز . وإذا كان المسامون اليوم قد أصيبوا بضائهاد أورو باوظائنها لهم وقد مسنا الضر فإذا لم نفكر جميعا ونفهم اندرس الملقى علينا من ربحا فإن الله يعتد بنا في الدنيا دائما جزاء كفرنا نعمته وهي التذكير لنا باحتلال الأمم الأجنبية بلادنا كما ذكر المرض أن تخليطه في الطعام أضر به

وإذا كنا أثبتنا أن بعض من يعرض قد اتجهت عناية الله له أكثر من لا يعرض وأن الأول غالباً تطول حياته أكثر من الثاني فلتقل هنا أن الأمم الإسلامية قد اتجهت عناية الله لهم لأن أوروبا قد كثرت لهم عن نابها وأذلّتهم كما تعرض الأجسام . فهذه نعمة ولو أن أوروبا عاملتهم بالهسي لسكان ذلك أشبه بصحة أجسام الذين في باطنهم داء دفين فأصبح اذلال أوروبا نعمة علينا لأنه يذكرنا بأن لم يذكرنا تمت النعمة وحقت كلمة ربك . وإياك أن تظن أن هذا خارج عن الآية فإن الضرر عام في الأجساد وفي الأمم فلتقل هذا وليعثرس الناس في جميع أحوالهم . وليعثرس المساكين مما أحاط بهم من السوء ليكونوا - خير أمة أخرجت للناس - ههنا قال الله تعالى - ليكفروا بما آتيناكم فتمتعوا فسوف تعلمون - . يقول الله للكفار نسيتم الله وقد ذكرناكم بالبأساء وجبوتكم النعماء فلتأكلوا كما تأكل الأنعام نعمتوا وتأنكولون . هكذا أيها الصحيح الذي شقي من مرضه لا ترجع للتخليط والافتتاع فهلاك قريب . وإيا أمة الاسلام التي أصابها احتلال بلادها هاهوذا القرآن يذكركم بجميع العالوم فادرسوها وقوّوا أجسامكم وددنكم والافتمتعوا بالحياة الحيوانية فسوف تعلمون مايجوز بكم من تأليب الأمم عليكم

﴿فصل في قوله تعالى - ويحيون لما لا يأمون نصيبا مما رزقناهم - الى قوله - ما ترك

على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى -- ﴿

قد علمت أن الملائكة يفعلون ما يؤمرون طوعا لا كرها لأنهم مطبوعون على النظام مجبولون على حب الخير . وبعد أن ذكر الملائكة شرع يصف أحوال الناس فذكرهم بالنعمة التي تصل اليهم منه ثم زجرهم على جهلهم بما يتوارد عليهم من الضراء والسراء فيرجعون الى ما كانوا عليه مع أن ذلك لم يقصد منه إلا تربيتهم فهى دروس طبيعية كالدروس الدينية فى الحقيقة فلم عملى . فهى تأخذ يكمل الدروس فذكر درس النبات وذلك من ﴿ وجهين ﴾ الأول ﴿ ان الناس نسبوا النبات لله ﴾ والثانى ﴿ انهم هم يكرهون من وفى هذا المقام أدمج المجادلة بالثبوتى أحسن فى الحكمة لأنك قد علمت أن المجادلة للتوسطيين والحكمة للعقلاء فهى أدمج هذا وذلك وجعلها فى هذا النمط وبيانه أنه تعالى يقول لهم اذا كنتم من الاناث تبغون ومن ولادتم تبزعون وأنتم محاقون . أفما كان من حقه ومن رأيكم أن تروا أنى أعطى نفسى أفضل مما أعطى

غيري كما تفعلون أتم إذ تفعلون أنفسكم على مواليتكم ولا تصدقون إلا بما فضل عن حاجتكم بل في دينكم ﴿إبدأ بنفسك ثم بمن تعول﴾ وإذا كان هذا من أوامري أفأنا كان من حق أن أعطى لنفسى الذكور أنتى أحبها على مقتضى حجاتكم فكيف عكستم القضية واختصصتم بالذكور استبشارا وخصصتموني بالاناث ولادة . هذه المجادلة مقبولة معقولة في الاقتناع والحكم الخصم وهذا هو قوله ... وجادلهم بالتى هى أحسن - ثم ساق قصة اسوداد وجوههم اذ بشروا بالأنثى وهم يفتنون الخ

أما الحكمة في هذا الخط فاسمع وافرح بما أنعم الله من علم وما أنزل من حكمة بل أقول أعجب من الحكمة والبيان . لما ذكر الله تقصير الناس في الاعتبار بالنعماء بعد الضراء أخذ يجادلهم بما تقدم ويريهم أنه أحق بالذكور ان اذا كان الأمر دائرا بين الجنسين والحقيقة أنه منزّه عن ذلك كله فلا نبات ولا أنباء كما هو معلوم وينطوى في هذا المقام مسألة حكمية جليلة

﴿الذكورة والانوثة﴾

اذا كان الناس يأنفون من النبات ولم يحبوا إلا الذكور وجب أن يكون على مقتضى نظامهم الجاهلى ورأيهم الظاهرى وشبهوتهم الحاضرة وهمتهم الفائرة ألا يخلق من الناس إلا الذكور . ولما كان الله تعالى يقول - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وجب أن يكون العالم كله على هذا الخط فيخلق النبات والحيوان الذكور دون الاناث ولو تم هذا النظام المعكوس لم يبق على وجه الأرض من دابة لأن نظامهم متى جرى العمل عليه فسدت هذه الأرض كما قال تعالى - ولواتبع الحق أهواءهم - لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أنشأه بذكرهم فبه عن ذكرهم معرضون - لذلك أعقب حديث النبات والبيان بآية - ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبو ما ترك على ظهرها من دابة - بعد أن أبان مثل الذين لا يؤمنون بالآخرة وجعله مثل السوء وذكر أن الله المثل الأعلى لأن الذين لا يؤمنون بالآخرة يريدون عدم النبات فيفتنى الانسان ومثله الحيوان والنبات ليبقى النظام واحدا - ولله المثل الأعلى - لأنه يريد النظام وبقاء الأنواع فلذلك أوضح هذا بعد ذلك بآية - ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبو الخ -

والمراد بالكسب هنا ما يشمل الذنوب والجبهالات . أما الذنوب فهي ما تقدم من الكفر بعد زوال النعمة ومن الرجوع الى العادات في الطعام والشراب بعد زوال المرض فمن قال له الطبيب ان مرضك بعدم مضغ الطعام جيدا يزول ففعل ثم لم يمتضغ جيدا فعولده المرض والنزى زال فقره بالاقتصاد يرجع فيسرف فيقع في الفقر كما يفعل الكافر بالله الذى ذهب عنه المرض فيقع فيه كما كان . ويشمل الكسب أيضا الاعتقاد فهؤلاء اعتقدوا أن تربية الولد هى المطالبة وتبرموا من الاتى وهذا الاعتقاد تبعه العمل فوآدوا النبات وفهموا أنهم فضيحة فلو يؤاخذ الله الناس على اعتمادهم الكفرية والصحية والاسرافية في المال لأهلكهم بما فعلوه ولم ينعشهم بدواء ولم ينلهم شفاء ولم يرسل هداة وأنبياء ولم يغنهم بالمال . ولو أنه عاملهم باعتقادهم في النبات لعمم الأمر في كل حيوان لأنه ليس هناك تفاوت فالنظام شامل حينئذ لا يخلق من العوالم الثلاثة إلا الذكور ولا يمضى سنون معدودة حتى تقعه جميع الدواب بل جميع الحيوانات

هذا هو المعنى الحكيمى من هذه الآية - ولو يؤاخذ الله الناس الخ - وهذا هو الحكمة في أنها جاءت عقب حديث النبات والتبرم منه . فهنا يقول الله - ولو يؤاخذ الله الناس - فذكر المؤاخذة وفي آية أخرى يقول - ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن -

فأما هنا فيراد بالمؤاخذة مما يعم الأهواء وهى الغرام بتربية الذكور وحدهم فتجب من القرآن وتأمل في تعبيره أيضا هناك بقوله - ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت الخ - فجعل الفساد شاملا للسموات والأرض جميعا متى اتبع الحق أهواءهم وكانت الآلهة متعددة لأن تعدد الآلهة ليس الفساد منه قاصرا على الحيوان

والنبات والانسان بل يتعداهما الى السموات والأرض لأن الالهية حاكمة على كل شئ فالفساد فيها باختلاف الشركاء يفسدهما فسادا عاما . فأما هنا فانه قال . ما ترك على ظهرك دابة . بفعل الموت خاصا بالجنس الذى يلد وحده وهو البواب وقد أتبعناه بالنبات كما هو معلوم . وعندى أن هذا التعبير هنا والتعبير هناك واحكام الأمر فيهما مجزأة وحده . فما هذا الرمز وحسب المعانى وادخالها فى تضاعيف الكلام ومنعها عن النوع البشرى حتى يقرأها قوم فيفهمونها . وما مثل هذا القرآن فى أحكامه إلا كمثل ما خلقه الله وصنعه بحكمته فانك ترى فى العوالم عجائب أخفاها ثم أظهر للناس فى حينها

ولقد علمت أن الملائكة مطيعون فهم يفعلون ما يؤمرون فأما بنو آدم فان شهواتهم تخالف النظام فكما قال فى الملائكة . ويفعلون ما يؤمرون . قال هنا فى الناس ان آراءهم لو اتبعت لهلك كل حى

﴿ خوى الكلام من حيث العمل ﴾

وخوى هذا القول من حيث العمل أن السكالم فى هذا الوجود انما يكون لمن كملت نفوسهم فألقوا النظام ولو أن الناس كانوا أرقى مما هم عليه لاطلعوا على الحقائق وساعدوا على حسن النظام وفرحوا بالآتى كما فرحوا بالذكر لأن الجنسين يتمان بعضهما وهذا العالم نظام واحد فلجهدهم النظام حولوه الى أغراضهم وهذه منقصة عظيمة فى الانسانية . فليكن هذا الانسان أرقى عتلا من كل شئ فليفرح بالموت كما فرح بالحياة وبالمرض كما فرح بالصحة كما مرّ مع معالجة كل حالة بما يناسبها بحيث يكافح المرض ويدافع الفقر بالسكسب وهكذا إذ لافرق بين كراهة النبات وكراهة غيرهن فان النظام يقتضى ذلك كله

واذا كان الملائكة يفعلون ما يؤمرون طوعا فالانسان يفعل ما يؤمر به طوعا وكرها فانه مأجور بحسب السنن الطبيعية أن يربى النبات فكبرهت ومع ذلك سطا عليه الشفقة والقانون الممنون فى الحكومات ونظام البلدان والقضاء أن يحافظ عليهم ويربيهم ويختار لهم الأكفأ فهذا قهر من الله للناس فقد نفذ الأمر كرها كما نفذوه فى الأبناء طوعا وهذا نقص فى الانسانية بل يجب أن تكون القلوب تابعة ومشايعة للنظام العام . أما الشهوات الوقتية فيقال لصاحبها . فتمتعوا فسوف تعامون . فيكون المخلص لآية . ولو يؤاخذ الله الناس - الخ

إن الله يقول أيها الناس انا لا أؤاخذكم بما تصنعون . فالسكافر أبقيته الى أمد معلوم ثم أحاسبه بعد الموت ولا أعجل بهلاكه والمسررف فى صحته وماله أو أهمل العمل فأتى تحت له الفرض بالانذار بعد الانذار عسى أن يرجع الى الصواب . والذين يكرهون الاناث لم أجازهم على آرائهم لأنى لا أتبع الأهواء فى نظامى ولذلك قهرتهم فربوا النبات ولم أمتنع ولادتهم . ومنى حلّ الأجل لآى واحد من هؤلاء لم يؤخر ساعة ولم يقدم . إذن الله منزلة والملائكة مطيعون والناس يضلون والله حلیم غفور . وأما آية . ويجعلون لله ما يكرهون . الى قوله . وانهم مفرطون - فواضحة . وقوله . تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك . الى قوله . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . فانه يقول أنزلت الى الأمم السابقة أنبياءهم فزى الشيطان الى اتباعهم الباطل وتولى قوما اليوم كما تولى من قبلهم من الأمم فأصبح ولهم وانما أنزلنا عليك الكتاب لتبين لهم المواعظ والأحكام كالذى تقدم وغيره

ولما كان القول السابق فيه الموعظة الحسنة وفيه الحكمة كما قدمناه والحكمة تليق لأولى الألباب أخذ يصف عجائب السماء والأرض وهى الحكمة الحقيقية المرقية للعقول فقال . والله أنزل من السماء ماء . الى قوله . فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين . ولنفصل القول فى هذا المقام من وجوه

﴿ الوجه الاول ﴾ فى قوله تعالى . من بين فرث ودم لبنا خالصا - الخ

﴿ الوجه الثانى ﴾ فى وصف الحيوان

﴿ الوجه الثالث ﴾ في اختلاف الحيوان في الحركات وغير ذلك
 ﴿ الوجه الرابع ﴾ في قوله تعالى ... وانظر الى حمارك - ووجوب علم التشریح . وفي وصف فقرة واحدة
 من فقرات الظهر

﴿ الوجه الخامس ﴾ في وصف أعضاء الحيوان وأن منها الخادم والمخدوم

﴿ الوجه السادس ﴾ في الطير

﴿ الوجه السابع ﴾ في أن الطير مختصر من حيوانات البر كالانعام وفي تربية الطيور لأولادها

﴿ الوجه الثامن ﴾ في تقسيم الحيوان الى ﴿ قسمين ﴾ مستقل وغير مستقل وان هذا كتاب كتبه
 الله بيده وانه حجة عن أكثر الناس

﴿ الوجه التاسع ﴾ في الحشرات كالنحل والعنكبوت

﴿ الوجه العاشر ﴾ في الظلال وما عطف عليها

﴿ الوجه الأول في قوله تعالى ... من بين فرت ودم لبنا خالصا - الخ وفي بعض الوجه السابع

وهو أن الطيور مختصرة من الحيوانات البرية كالانعام

اعلم أن الحيوانات منها ما هي تامة الخلقة ومنها مختصرة من التامة ومنها ناقصة . فالانعام والبهائم والنباتات
 والوحوش أكل بنية وأتم نظاما من الطيور والجوارح وكأن هذين قد جمعا مختصرين من الأربعة الأول
 ولو أنك نظرت الى الطير صافات في جوف السماء تحيل لك انها صورة مصغرة من البقر والجاموس اذا كنت
 من الناظرين في علم الطبيعة بعقولهم لامتصين على حواسهم . فاذا رأيت (أبقردان) وهو بأكل النود
 في الأرض المصرية أيام فيضان النيل والجاموس يزعم في مرعاها لرأيت للجاموس أسنانا وآذانه ظاهرة ومعدة
 وكرشا ومثانة وخزرات ظهر وجلدا مخينا وشعرا كما كان لانغم صوف ولابل وبر . وهو يتزوج ويحمل ويلد
 ويرضع أولاده ويربها . أما (أبقردان) مثلا وسائر الطيور فانها مختصرة من الحيوان البري المذكور
 فليس للطير أسنان ولا آذان بيضاء ولا معدة ولا كرش ولا مثانة ولا خزرات ظهر ولا جلد مخين ولا على أبدانها
 شعر ولا صوف ولا وبر

حيوان البر . المبدل منه	الطير المبدل
(١) الأسنان	المنقار
(٢) المعدة	الحوصلة
(٣) الكرش	القائمة
(٤) الجلد المخين والشعر وما أشبهه	الريش

فهذا الريش يجعل لباسا لها ودثارا يقيها الحر والبرد وهو غطاء ووظائفه من الآفات العارضة وهو
 فوق ذلك يعينها على النهوض والطيران

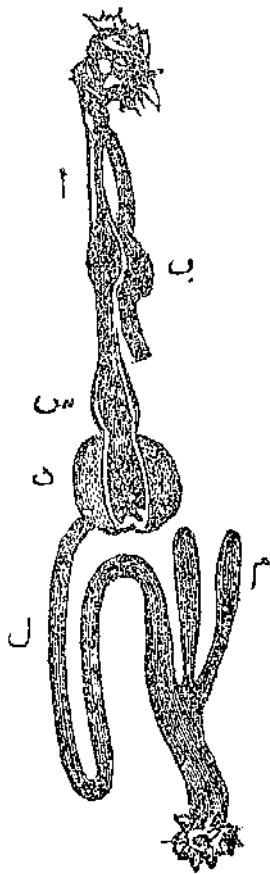
(٥) الحبل والولادة والارضاع البيض والحض وتربية الأفراخ

فانظر كيف جعلت متاثيرها مادية بخلاف حيوان البر عريض الوجه فيسهل على الطير اختراق الهواء في
 طيرانه كما يجعل مقدم السفينة حاداً فتشق الماء بحيزومها شقا فلا كان مقدم الطيور عريضا لعرضها الهواء في
 سرعة طيرانها فاساقها عن سبلها . وجعل للطير بدل الولادة والارضاع أن تبيض وتربي أفراخها في أعشاشها
 لأن الحبل يعوقها عن الطيران في سبلها ولا تكلف فوق طاقتها من الارضاع الذي يوجب أن يحال الطعام
 في أجسامها الى دم فلين وهذا مما يتقل عليها وهي في جوفها . فهذا معنى قول العلماء ان الطيور مختصرة
 من حيوان البر . فأنت ترى أن الجاموس الذي يأكل العشب له فم واسع به تمسك من القبض على

الحشيش والكلاء في المرعى وأسنانه الحادة يقطع بها وأصنارسه الصلاب يطحن بها ما صلب من العشب والحب والورق والقشر والنوى ولها مرى واسع تزدرد به ما تمضغه وكروش واسعة تملؤها وتحمّل فيها زادها كالزكائب والحقائب للإنسان . فإذا رجع الى أماكنه استراح واجتر واسترجع ما بلعه ثم طعنه ثانياً وبلعه وازدردته في مواضع أخرى من كروشه فالكروش الأولى مهيئة للحمل والثانية مهيئة لطبخ الطعام بالحرارة الفريزية فتتضججه حتى تستمره الطبيعة ويميز ثقيله من خفيفه ثم يدفع الثقل الى الامعاء والمصارين ويخرج من المواضع المعدة للإخراج فأما اللطيف الصافي فإنه يذهب للكبد فيطبخ ثانياً هناك ويصفي ويذهب عكسه في الطحال وتأخذ المرارة ماخف منه والكليتان الماء والعروق تجذب الدم الصافي فتوصله الى أقاصى الجسم لتعطيه بدل ما تحلل منه فان أبدان الحيوان كلها دائماً في السيالان والدوبان من أسباب داخلية وأخرى خارجة

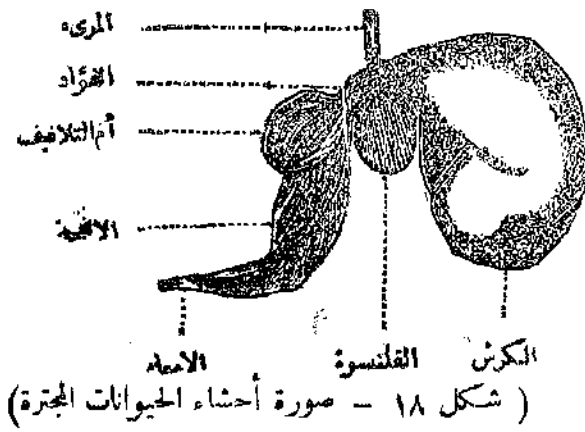
﴿ صورة أحشاء الطيور ﴾

هاك صورة أحشاء الطيور وأحشاء الحيوانات المجترّة كالغزال والبقر والجاموس والمعز وأحشاء الانسان فترى أمامك في الصورة الأولى التي هي القناة الهضمية لأمثال الدجاج الجزء المشار له بحرف (أ) يصور لك المرى الذى يمر فيه الطعام ثم ينزل منه الى الحوصلة . حرف (ب) ويمزج الحب بماء مفرز فيعطن ويلين ثم ينتقل الى حرف (س) في تجويف يفرز سائلاً حامضاً يؤثر في المأكول . ثم يتجه الى كيس ميتين قوى غليظه غشاء يشبه القرن في قوامه وهو القانصة (د) فيؤثر في الحب ويطعنه طعناً ويعينه على ذلك ما لتقطعه الطير من الرمال والحصى فيصير الطعام قطعة واحدة لجة ثم ينتهى الى الامعاء وهى المصارين وهناك تقابله العصارة المعوية وهى التى تفرز القصول وتعاون على امتصاص المواد المغذية (انظر شكل القناة الهضمية للطيور شكل ١٧)



(شكل ١٧)

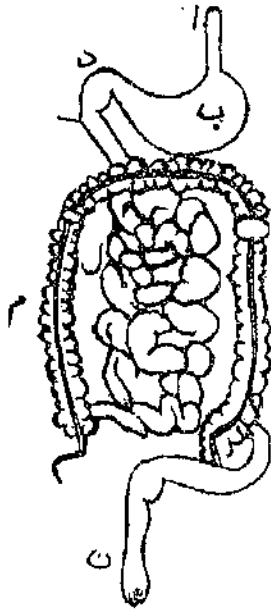
أما في أمثال الجبال والغزلان والبقر والمعز فانها لها أربع معدات مسميات بالأسماء المختلفة وقد شرحناها في سورة الأنعام ونعيد رسمها هنا تكميلاً للمقام . فهذه المعدات الأربع التى تراها أمامك جعلت هكذا . منها واحدة لتخزن الطعام لأن الحيوان اذا أخذ يرعى فإنه لا محالة إما أن يسابق غيره فى الرعى وأما أن يخاف من السباع المفترسة فاذن يحتاج الى مخزن يخزن فيه حتى اذا استراح فى مريضه أخذ يجتره ثانياً ويمضغه جيداً بعد أن يكون قد عطن بالعصارة فى المخزن الأول . فإذا مضغه جيداً أنزله الى المعدة الثانية وهناك يقابل الماء الذى يشربه ثم يمرّ بالثالثة فالرابعة فتلقاه عصارة قوية شديدة الفعل فتؤثر تأثيراً شديداً . ثم ينتقل الطعام الى الامعاء . ثم ان الغذاء تصطفي منه القوى النفسية العناصر المغذية فى المعدة والامعاء لتسير مع الدم لمنفعة الجسم ومابقى يفرز الى الخارج وهذه صورة أحشاء الحيوانات المجترّة (شكل ١٨)



ان طعام الانسان يمر في المريء (أ) وهو المتصل من الفم الى المعدة ثم المعدة حرف (ب) ثم المعى الدقاق حرف (ج) وهو (ثلاثة أقسام) الاثنا عشرى والصائم والفائى والأول قصير جداً والثانى نحو (٨) أقسام والثالث (١٢) قدماً ثم المعى الغليظ حرف (م) وهو (ثلاثة أقسام) الأعور والقولون والمستقيم والقولون المذكور صاعد ومستعرض ونازل والقولون بأقسامه الثلاثة هو أكبر أقسام المعى الغليظ

نظام الهضم في المعدة والأمعاء

يخيل للانسان أول وهلة أن هضم الطعام أمر عاى لا سر له ولا مساعد وكأنه المطبوخ في القدور يؤثر فيه الحرارة فينتضج وليس كذلك . إن الطعام يعضغ أولاً ثم يمر في المريء ثم المعدة ثم الأمعاء فهناك يقابله عصارات تحلله تحليلاً كيميائياً . فإذا رأينا الإنسان تمزقه وتطحنه فليس ذلك كافياً . كلا بل هناك عصارة في الفم تتدخل في أجزائه وعلى مقدار جودة المضغ يكون تدخل تلك العصارة ثم تقابله في المعدة العصارة المعدية ثم الصفراء التي تصب في رأس المعى ثم عصارة البنكرياس وهي تصب بقرب مصب الصفراء ثم العصارة المعوية وهي عصارة الأمعاء . فهذه العصارات الخمس تؤثر في الطعام تأثيراً قوياً ويساعدها حركات المعدة والأمعاء العضلية ومضغ الانسان (انظر شكل ١٩ القناة الهضمية للانسان) نظرة عامة في القنوات الهضمية وهي الدائرة الغذائية في هذه الأنواع الثلاثة وفي سير أغذيتها



ألا تتعجب من التنوع والحكمة والقدرة . غذاء يسير لتغذية الحيوان نراد يتنوع تنوعاً بحكمة ويعطى كل حيوان بقدره . انظر الأسنان في الانسان قد حرمتها الطيور . لا أسنان للطيور . إن للطيور مناقير وهذه المناكير عجيبة . لماذا . لتخترق الهواء الجوى إذ لو كانت مناقير عريضة كوجه الانسان وذوات الأربع لعارضه الهواء في طيرانه فعاقه عن المسير . إذن فم الطائر لا يصلح للأسنان فكيف بهضم طعامه . فانظر ماذا جرى . جعل الله أسنانه في القوفاة ولكن أين الأسنان هناك . هناك حبوب الرمل والحصى هذه الحصوات القوية التي لودخات معدة الانسان لأضرت بها . ههنا تكون أقوى مساعد على تمزيق الطعام . فانظر كيف أعطى الانسان أسنانياً فهو أدب طبعه وجاذبته عوضاً عنها رملاً لتلقطه فيساعد على الهضم وجعلت

القناة قوية متينة لذلك . ثم تنظر فترى الحيوانات المجترة اعطيت (بدل الأسنان في الانسان والحصوات في قانصات الطير) أربع معدات تساعد في الهضم فالمعدات السكبيرة أعطيت لذوات الأربع لتؤدي وظيفة الهضم لأن طعامها عسر الهضم فهذه المعدات قامت مقام الطحن والخبز والعجن وما أشبه ذلك . فالانسان بطحنه وخبزه وشبهه وطيبه والمجترات بمعدات الأربع كل أعطى ما هو أهل له . أنا أرى الآن أنك

وقفت على مظهر من حكمة هذه النظم المختلفة . أفلا ترى أن النتيجة واحدة وإنما اختلفت الطرق .
 النتيجة حياة الحيوان والطرق تنوعت بتنوع الحيوان . فهذا بحصاه ورماله . وهذا بطبيعته وعجته . وهذا
 بمعداته المختلفة . عجب هذا الوجود تراه كله بقدر . ترى الوحدة ظاهرة فيه . اختلاف في المقدمات
 واتفاق في النتائج بل اتفاق أيضا في المبدأ أيضا فان الحيوانات كلها من خلايا متجانسة ثم تنوعت في أشكالها حين
 تركبت . أفلاست ترى أن هذا هو علم التوحيد . إن هذه المسألة لا تفارق غيرها من مسائل هذه الدنيا
 في الفلك وفي المعادن وفي النبات وفي الحيوان وفي الانسان ترى هذا النظام سائدا . اختلاف فاتفاق
 أليس هذا هو علم التوحيد بعينه . هذا هو دين الاسلام . دين الاسلام هو ما بينه في هذا التفسير .
 يمثل هذا فليدرس المسلمون علوم التوحيد . إن علوم التوحيد هي علوم النبات والحيوان والمعادن والفلك
 والعلوم الرياضية . هذه العلوم تدرس في المدارس الاسلامية فتقوم بها المدنية ويرتقى الشعب وفي الوقت
 نفسه يكونون قد درسوا علم معرفة الله تعالى . فينبأهم يقومون بنظام مدنيهم اذاهم قد عرفوا ربهم
 وشكروه شكرا عاميا كالذي ذكرناه وشكروا عمليا بما يستنبطون من الأعمال النافعة في الحياة ويخدمون
 نوع الانسان لا المسلمين وحدهم . إن المسلم جاء الى الأرض ليكون نورا يستضاء به لا أن يكون عالة على
 الفرنجة . المسلمون الآن عالة جدا على الفرنجة . اللهم إني أبرأ إليك من التقصير . اللهم إني أعلم أنك
 ستسألني وستسأل كل قارئ لهذا الكتاب . أما أنا فإذا أفسل . كتبت ما أقدرتني عليه وسبقوه من
 يقدر أن يتوسع في النشر والتعليم وهو مسؤول كما انا مسؤول . اللهم إنك أنت المعين فأعن المجتهد من
 المسلمين على العلم والعمل كما أعنتني على نشر هذا الكتاب . وأن الله لمع المحسنين .

﴿ التناسل ﴾

ثم إن تلك المواد التي في أبدان الذكور والاناث اذا فضل منها شيء لم يترك عشا كما لم يترك الروث والفضلات
 عشا . فالفضلات تكون سمادا للزرع فإما كل منه الانسان والحيوان وفضلات الدم الغريزي في الحيوان
 ذكرانه وانثاه جعلت لها أوعية ومجار في أبدانها فيجري من الأصاب الى الأرحام وينضاف اليه ما يفصل
 من أبدان الاناث من الرطوبات المشاككة لها وتجتمع ويخلق منها مثل أحد الزوجين . وهكذا يتكون من
 الدم العظام والعضلات والأوتار والأعصاب . فشكل هذه تتغير منه . ومن الدم أيضا تكون السوائل التي
 تفرز كالريق في الفم والبنكرياس في المعدة هضم الغذاء هضمًا ثانيًا فان هناك غددا في الجسم تفرز هذه
 السوائل ومن أهم هذه السوائل

﴿ اللبن ﴾

وهو ما يتكون بحال مخصوصة من الدم الجاري في العروق ويرسل من محل تكونه الى الضرع والثدي
 فيرضعه الولد . ولما كان اللبن بين الفخذين في الأنعام وكان الدم في سائر البدن جاريا في الأوراد والشرابين
 وكان القرث في الامعاء قد دفعته المعدة اليها بعد جذب العروق خلاصة الطعام فكانت دما
 جاء في الآية - من بين قرث ودم لبنا خالصا - فالبنية باعتبار المكان أما كون الدم محيطا به فظاهر
 وأما كون القرث في جانب منه فهذا مفهوم لأن الامعاء في مؤخر الجسم والدم في سائر البدن فهو بينهما من
 حيث المكان وكل في وعائه . فلا القرث يختلط باللبن لأن لكل مكانه الذي خلق فيه ولا الدم بداخل في
 الضرع بل اللبن لأن شرايينه وأورده المحيط بالضرع لا يلتصق منها فهذا معنى آخر للآية . وبهذا انتهى الكلام
 على الحيوانات الناقصة الخلقة والمختصرة منها فليتكلم على الحيوانات الناقصة الخلقة ومنها البعوضة التي ذكرناها في
 مثال الجاموسة وأبي قردان والدود وهو

﴿ الحشرات ونحوها ﴾

هذا القسم لا يعيش سنة كاملة لأن الحرّ والبرد المفرطين يهلكانه وأجسامه متخلخلة المسام وليس له جلد ثخين ولا صدف ولا عظام ولا ضحال ولا مرارة ولا كلى ولا مثانة ولا استنشاق أهواء لترويج الحرارة الفريزية لأنها غارقة في النسيم يتخللها من خروق جسمها ويصل إلى سائر بدنها لأن جثتها صغيرة ومسامها مفتوحة . فاما الحيوانات الكبيرة في القسم الأول وما ألحق بها فإن جلودها ولحومها وغشاواتها وعروقها وأعصابها وعظامها المصمتة والمجوفة وأضلاعها ومصارينها وأمعائها وطحليها وكروشها ومعدتها وقلوبها ورئاتها وكلاها ومثانئها وخوف رؤسها وأشعارها وأوبارها وأصوافها وریشها وصدفها . كل ذلك يمنع وصول الهواء إلى عمق أبدانها وترويج الحرارة الفريزية فيها فجعل لبعضها رئة وحلقوم ومجار للنفس حتى يصل نسيم الهواء إلى عمق أبدانها ومحابس قعر أبدانها وروح الحرارة الفريزية فيها ويحفظ الحياة عليها . هذا إذا كانت في الهواء فأما إذا كانت في الماء فانها ركبت أبدانها تركيما بحيث يصل برد الماء ورطوبته إلى قعر أبدانها وهذا ما قاله القدماء . وقال علماء العصر الحاضر . ان الهواء يتخلل الماء وهو الذي يتنفس منه السمك وعلاوا ذلك بأن وضعوا السمك في ماء مغلي ثم برد وقد تخلص من الهواء فبات السمك فيه لأنه فقد الهواء ولم يترك زمانا كافيا ليحركه النسيم ويتخلل أجزائه وطبقته فيعيش فيه السمك وجعل لكل نوع منها أعضاء مشاكلة لبده ومفاصل مناسبة لجثته وجعل على أبدانه من أنواع الصدف والقشور لباس ودثارا ليقية البرد وغطاء ووطاء ورقاية لها من الآفات العارضة وجعل لبعضه أجنحة وأذنان تسبح بها في الماء مثل الطيور في الهواء اه . تم الكلام على الوجه الأول والسابع للتاسب بينهما

ولما كانت هذه الآيات السابقة شاملة الأنعام والطيور والحشرات وقد تكلمنا على كل بكلام موجز أجبناه بما هو أوضح في التسلالة للدلالة على جلال الله وحسن تديره . واعلم أن الحكماء جعلوا معرفة الاهيات بعد علم الطبيعة والطبيعة بعد علم الرياضيات وهذا التبيين في كتب الحكماء . هكذا أراد الله في القرآن قراءة الطبيعة المسبوقة بعلم الرياضة وهذا هو الذي نطيل الكلام فيه في هذا التفسير

﴿ الوجه الثاني في وصف الحيوان ﴾

ولاسمك كلاما كلياً من كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وهاهوذا اعلموا أيها المسمون أن الله خالق لنا الأنعام والبهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وحيوان الماء والحشرات . كل ذلك ليتم خلقه وتربيته على أتم كمال وأحسن حال . فالأنعام كل ماله ظنق مشقوق كالبقرة والجاموس والغنم والماعز . والبهائم ما كان لها حافر كالنيل والبغال . والسباع ما لها أنياب ومخالب . والوحوش ما كان مركبا من ذلك . والطيور ما كان لها أجنحة وریش ومنقار . والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوس ومخالب معقربة . وحيوان الماء ما يقيم فيه ويعيش . والحشرات ما يطير وليس له ریش . والهوام ما يدب على رجلين أو أربع أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه . ولقد يحب الناس من خلقه (الفيل) أكثر من خلقه (البقة) وهي أعجب خلقه وأظرف صورة فإن الفيل مع كبر جسمه له أربعة أرجل وخرطوم ونابان خارجان والبقعة مع صغر جسمها لها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وأمعاء وأعضاء أخرى لا يدركها البصر ولا يعرفها الفكر . وهي مع صغر جثتها مسطرة على الفيل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يتمتع بالتحرز منها . ثم ان من الحيوان ماله حاسة واحدة وهي اللمس كالأصداق وأجناس الديدان التي تعيش في التراب أو في الماء أو في الخلل أو في الثلج أو في آب النهر أو في الحب أو في لب النبات والشجر أو في أجواف الحيوانات الكبرى وليس له ذوق ولاشم ولاسمع ولابصر وليس له إلا اللمس فيمتص المادة بجميع بنه بالقوة الجاذبة ويحسن باللمس لاغير . ومنها ماله ذوق وليس

وليس له سمع ولا بصر ولا شم وهي كل دودة تتكوّن وتذبّ على ورق الأشجار والنبات ونورها وزهرها .
ومنها ماله لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهي الحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواقع
المظلمة . ومنها ماله الحواس ماعدا البصر وهي الهوام والحشرات التي تدب في المواضع المظلمة ولم يجعل له
البصر لأنه يعيش في المواضع المظلمة

﴿ الوجه الثالث في اختلاف الحيوان في الحركات ﴾

من الحيوانات ما يتدحرج كدودة الثلج . ومنها ما يزحف كدودة الصدف . ومنها ما ينساب كالحية .
ومنها ما يدب كالقنارب . ومنها ما يعدو كالفار . ومنها ما يطير كالذباب والبق . ومما يدب ويمشي ماله
رجلان . ومنها ماله أربع أرجل . ومنها ماله ست أرجل . ومنها ماله أكثر . ومما يطير من الحشرات
ماله جناحان . ومنها ماله أربعة أجنحة . ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون
كالجراد . ومنها ماله خرطوم كالبق والذباب . ومنها ماله مشفر وجمّة (بضم الحاء وفتح الهم) كالزنابير . ومن
الهوام والحشرات ماله فكر وروية وتميز وتدير وسياسة كما قدّمنا . وإلى هذا الاختلاف أشار الله فقال - والله
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله
ما يشاء إن الله على كل شيء قدير -

واعلم أن هذه الغرائب لا تشجب منها الناس لأنهم ألقوها . أما العلماء فانفتحت أبصارهم وكشفت
بصائرهم فראوا هذه العجائب فأعظموها وأيقنوا أنهم مبصرون والناس حولهم غافلون فعليهم أن يفتحوا
أبصارهم حولهم قال تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -
فالعجائب تحيط بنا من كل جانب ونحن مغمضون الأعين عنها كأننا لم نخلق على هذه الكرة وكأن غيرنا
هم المختصون بنعم الله وعجائبه وبدائع - أله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين - ولا يظلم ربك أحدا -
- وكل شيء عنده بمقدار -

ومن الحشرات ما لها أعين . ومنها ما كل عين من عينيها مركبة من مائتي (٢٠٠) عين فيكون لها
(٤٠٠) أربعمائة عين تبصر بها وكل عين مركبة من أعضاء وطبقات خاصة بها كما نقلناه عن علماء الألمان
والنمساويين في رسالتنا الموسومة ﴿ بعين الثمالة ﴾ ومنها ماله أكثر من ذلك كالذباب ومنها ما لها (٢٧٠٠٠) سبع
وعشرون ألف عين وهي حشرة كبيرة أكبر من أبي دقيق تعيش على العليق وغيره . وهذه العجائب
البديعة الحسنة لا تعرف إلا بالعلوم التي عرفها العالم الغربي اليوم . وعندهم مناظر معظمة تريك هذه العين والعيون
التي تركبت منها كما رأيتها أنا بعيني رأسي تحت المنظار العظيم . هذه عجائب الحيوان الظاهرة وهناك عجائب
باطنة أدق من هذه لا يدركها إلا علماء التشريح الناظرون في ملكوت السموات والأرض المبصرون المطلعون
على خفايا البدائع وعجائب الحكمة - إن ربك حكيم عليم -

ولقد رأى العلماء قديما وحديثا أن للعين سبع طبقات وثلاث رطوبات لا تظيل بذكرها واحدى طبقاتها
وهي الشبكية التي لا تزيد عن ثخن ورقة تتألف من سبع طبقات مختلفة أبعدها تتألف من ثلاثة ملايين مخروط
ونحو ثلاثين مليون اسطوانة وقد رأوا أن في المادة السنجابية التي في الدماغ نحو ستمائة مليون خلية تتألف
كل منها من آلاف من البقائى الظاهرة وكل دقيقة تتكوّن من ملايين الجواهر كما في كتاب ﴿ مسرات
الحياة ﴾ لاورد (أفبري) وذلك من مطالب قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وقوله - وفي خلقكم
ومايث من دابة آيات لقوم يوقنون - وقوله - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين -
وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم -
وقوله - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها -

يا عجباً لهذه الدنيا ونظامها ويا غفلة أكثر المسلمين . عجباً لهذه البنية الانسانية وكيف ركب الدماغ بأشكال منظمة بديعة وكيف جعل في العين مادة تشبه الزجاج وأخرى تشبه بياض البيض وكيف كانت الطبقة المقدمة فيها المسماة بالقرنية أعنى التي تشبه القرن نراها شفافة والنور يأتي من الكواكب والنيران ماراً بالهواء وهو شفاف وبالقرنية وهي شفافة وبالمواد الزجاجية والبيضية في العين وهي شفافة ويرسم هناك على قطعة تسمى (الجليدية) وتسمى (العنسية والبالورية) أيضاً فهي كالبور وتنتقل الصورة منها الى المخ فيراها الانسان والعين لا ترى وإنما هي آلة الابصار

أيها المسلمون . عليكم أن تتغلغلوا في العلوم كما أمركم الله وكيف يقول - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أيها المسلمون . هذا كلام ربكم وهذا صنع ربكم فأين المفر؟ ولا مفر؟ هارب فاما أن تعلموا واما أن تتأهبوا للرحيل من العالم ولكن أبشركم قد جاء دوركم وأقبل يوم عاتكم - وذلك الأيام نداهنا بين الناس - ولعمري لقد أقبلتم اليوم على العلوم اقبالاً وأنا بتمام أمركم من المؤمنين

﴿ الوجه الرابع في قوله تعالى - وانظر الى حمارك - ووجوب علم التشريع ﴾

أوليس مذكورة في عين الانسان من عجائب علم التشريع التي تهش العقول وكيف حث الله عليه في القرآن والمسلمون عنه نائمون . نعم قد يقرؤه الأطباء وأما بقية الأمة فانها تجهله . يا أسفا على أمة الاسلام الطبيب يقرأ علم التشريع ولا يعنيه إلا الأعمال الطبية وكثير منهم غافلون عن الحكمة والنظام والجمال التشريع من عجائب العلم ومن مطالب القرآن كيف لا . انظروا أيها المسلمون . ألم يقل الله في قصة العزيز إذ مر على بيت المقدس الذي هو مسقط رأسه بعد أن خربه بختنصر وأخذ يقول - أتى يحيى هذه الله بعد موتها - أي كيف يحيى هذه القرية الله بعد خرابها - فأما الله مائة عام - أي فأما الله فلبث مائة عام - ثم بعثه - أحياء - قال - له الملك - كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال - الملك له - بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك - وهو النين - وشرابك - وهو العنبر وأوابين - لم يتسنه - لم يتغير - وانظر الى حمارك - كيف تفرقت عظامه - و - فعانا ذلك - لنجعلك آية للناس وانظر الى العظام - أي عظام الحمار المفرقة - كيف نشزها - نحبيها ونرفع بعضها الى بعض - ثم نكسوها لحافاً لم تبين له - قدرة الله على هذه الأشياء وأنه حفظ الشراب والطعام وأحيا عظام الحمار فرفعها وركب بعضها على بعض وخلق عليها اللحم - قال أعلم أن الله على كل شيء قدير -

يأليت شعري لم ذكر هذه القصة في القرآن . أألنبي عليه السلام وحده . كلا فهو من مرسل لنا . أهي اليوم تقرأ لأبائنا الذين ماتوا . كلا وإنما تقرأ لأجلنا الآن . فقصة العزيز يقصد بها تعليمنا نحن وإذا طلب من العزيز أن ينظر في عظام الحمار فالنظر في تشريح الانسان أولى بل هو أتم تركباً من الحمار وانظروا أيها المسلمون كيف يقول بعد أن عرف التشريح - أعلم أن الله على كل شيء قدير - يعني انه أصبح عالماً ولم يكتف بالايمان . فليذكر المسلمون في هذا القول ولينظروا يطلب الخليل من الله قائلاً - كيف يحيى النوتي - فيقول الله له - أألم تؤمن - فيقول - بلى - أي آمنت - ولكن ليطمئن قلبي - فهنا يقول العزيز - أعلم أن الله على كل شيء قدير - ويقول الخليل - ولكن ليطمئن قلبي - فياقوم كيف يكون هذا في القرآن والناس ساهون . وكيف نجعل التشريح والكتاب بأمرنا به . يظن كثير من الغافلين في الأمة الاسلامية انهم متى ظنوا أنهم عرفوا الله ولوثقلدا فقد أتموا كل شيء ولكن الله يريد رقى عقولنا باتساع علومنا ومعارفنا فلذلك أكثر من هذه القصص وقال لنا إن الأنبياء يدرسون كل شيء ويقول لرسوله - وقل رب زدني علماً - فكان المسلم الغافل يجهله يظن انه أعلم من الأنبياء فيعيش غافلاً ساهياً لا هياً . أولم يعير الله اليهود بالغفلة عما في التوراة فقال - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أفلا يكون

المسلم الذي يقرأ مثل هذه القصة في القرآن يكررها بلا عمل ولا علم ولا حكمة ولا تشرح كالحمار يحمل أسفارا
المسامون يكررون القرآن صباحا ومساء وهم لا يفكرون إلا قليلا

﴿ فصل في وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر لتعرف أيها الذكي جمال علم التشرريح ﴾

(١) لقد جعل الله الظهر خزائن كثيرة ولو كانت قطعة واحدة لم يمكن الانحناء بها
(٢) ولو كانت قطعة أصغر من هذه لكان الانحناء أسهل ولكن النخاع في وسطها لا يكون مصونا
لذلك جعلت على هذا الوضع ليتيم ﴿ الأمران ﴾ إمكان الانحناء وحفظ النخاع ليوصل الاحساس الى المخ
وقد جعل على كل فقرة أربعة أشياء (١) غشاء غضروفي يغشيها وشوكة (٢) نابذة من خلفها وجناحان
(٣) و (٤) من يمينها ويسارها . أما الغشاء الغضروفي فلئلا تنكسر بسهولة عند مصادمتها . وأما الشوكة
من خلفها فلتكون وقاية بارزة لها تتلقى الصدمات فلا تصل بالفقرات ويقال لهذه الشوكة سناسن جمع سنسنة
وهذه السناسن قد ربطت بعضها ببعض برباطات عصبية عراض متينة فتصير كأنها قطعة واحدة فأما الأجنحة
فإنها مدخل لرؤس الأضلاع ووقاية للفقرات من جوانبها كما أن السناسن وقاية لها من ورأها
ولما كان الدماغ هو محل الاحساس والفكر . وكان لابد من ربط جميع أعضاء الجسم به ولم يمكن أن تغرز
جميع الأعصاب فيه جعلت الفقرات محوطة وفيها النخاع المتصل بالمخ لتصل به الأعصاب الحساسة والأعصاب
التي للحركة . فإذا أصاب الجسم حر أو برد أو ألم ظاهر وصله عصب الحس الى النخاع فاقطع بالمخ فيأمر
الأعضاء الظاهرة بالدفاع بواسطة أعصاب الحركة في أقل من لمح البصر ومن الصلب من أعلاه الى العنق
(٢٩) زوجا من أعصاب الحس وأعصاب الحركة عند كل خزانة زوجان أحدهما يمنة والآخر يسرة . فانظر
كيف كان للفقرة الواحدة غشاء يحفظها وشوكة تحميها وجناحان يحفظانها من جانبيها وينفعان في ربط الأضلاع
وكيف كان باطنها أشبه بالبطارية السكهربائية ترسل الكهر باء من الأسلاك . وكيف كان عصب الحس يوصل
إليها الأخبار من ظاهر الجسم . وكيف تقبلها وتوصل في لمح البصر الى عصب الحركة والأوامر بالبطش باليد
أو المشي بالرجل وما أشبه ذلك من أوامر الدماغ . أليس هنا أسلاك برقية (تلفرافية) . أليست الأوامر
صادرة واردة غادية رائحة . أليس هذا كله يكون في كل فقرة من الفقرات . فهل الذين خلقوا على هذا
النظام الجليل البديع ويأمرهم الله بالنظر الى عجائب عظم الخمار أجدر أن ينظروا في عظام جميع البهائم وعظامهم
أيها المسلمون قد آن أوان أن يظهر جيل جديد أعلم من السابقين وأحكم من الأولين بعد العصور الأولى
التي كان نور النبوة يشرق عليها فالجد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

﴿ الوجه الخامس ﴾

إنه ما من عضو من أعضاء الحيوان صغيرا كان أو كبيرا إلا وهو خادم لعضو آخر ومعين له إما في بقاءه
وتتيمه أو في أفعاله ومنافعه . مثال ذلك الدماغ في بدن الانسان فان القلب خادم له ومعينه على أفعاله والقلب
يخدمه (ثلاثة أعضاء) وهي السكبد والعروق الضواري والرئة . وهكذا حكم السكبد يخدمه (خمسة أعضاء)
وهي المعدة والأوردة والطحال والمرارة والكليتان . وهكذا أيضا حكم الرئة يخدمها (أربعة أعضاء) وهي
المصدر والحلقوم والحجاب الحاجز والمنخران . وذلك أنه من المنخرين يدخل الهواء المستنشق الى الحلقوم
ويتبدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويصفي فيها ثم يدخل الى القلب فيجعل الدم الذي يتشبع بالكربون
المنجذب من نواحي الجسم مصفى منه بما فيه من الأكسوجين ثم يخرج ذلك الهواء مع الكربون في النفس
ويترك الأكسوجين للدم متقيا له سائرا الى الجسم لتغذيته وهكذا . ذلك أن القلب فيه تجويفان علويان
وتجويفان سفليان وهما البطينان والأذنيان والدم يجري بينهما بطريقة الآلة المصاصة الكاسية ولذلك شرح
يطول في علم التشرريح للذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا

سبحانك فقنا عذاب النار - التي تطلع على أفئدتنا يوم القيامة بجهلنا صنعك . و بعدنا عن ربحك . وغنم شكرنا لك لما أنعمت به علينا إنك أنت أوهاب . وهكذا سائر الأعضاء فلا تطيل به ثلاثا تخرج عما شرطنا في كتابنا أن يكون نموذجاً سهلاً يعرفه العامة والمتوسطون ولا يشذ المتفكرون عن سماعه

﴿ الوجه السادس في الطير ﴾

قال تعالى - ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون * والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير - وإذا اعتبر الإنسان الطيور والحشرات وجدها كلها مبرزة الجانبين طولاً وعرضاً وخفة وثقلاً بمنتهى وسرعة وخلفاً وقداماً . ومن أجل هذا إذا نتف من إحدى جناحيه طاقات ريش اضطرب في طيرانه كرجل أعرج في مشيته إذا كانت إحدى رجليه أطول والأخرى أقصر . ومن أجل ذلك أيضاً متى نتف من ذنبه طاقات ريش اضطرب في طيرانه مكبواً على رأسه كمثل زورق في الماء وسفينة في ثقل صدرها وخفة مؤخرها . ومن أجل ذلك صار بعض الطيور إذا مَدَّ رقبته إلى قدام مَدَّ رجليه إلى خلف ليتوازن ثقل رجليه بثقل رقبته كالسكرانكي . ومن الطير ما يطوى رقبته إلى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه في طيرانه كالك الحزين . وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات في طيرانها . والكلام على الطيور يطول شرحه . إنما الذي يدعش العقلاء ويحير المفكرين مسألة توازن الذنب والرقبة وتوازن الجناحين وأن ذلك بميزان عدل لا نقص فيه ولا خطأ . وهذا أشبه بما ذكره العلماء في الجمل ورقبته فإن رأسه كرمانة (القبان) وعنقه كالذراع الطويل وظهره كالذراع القصير والجل الذي يحمله كالنسي يزنه الناس فيه فإذا جل جلا وأراد القيام مَدَّ رقبته كما يجعل (القبان) الزمانة في آخر الذراع الطويل لتعادل الجمل الثقيل في الذراع القصير . ولذلك عند علماء الطبيعة حساب عجيب وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله - والله سريع الحساب - فهذا من أعجب الحساب وأتقنه وأبدعه . فحساب جسم الطائر والحيوان وحساب الفلك في دورانه حساب لا ترى فيه عوجاً ولا تفاوتاً فالنظام عام في كل شيء

﴿ الوجه السابع ﴾

قد تقدم بعضه فلنذكر الباقي وهو الكلام على تربية الطيور لأولادها لمناسبة آية - أولم يروا إلى الطير الخ - (١) النعامة مركبة من طائر وبهيمة تبيض من ٣٠ بيضة إلى ٤٠ وتجعلها ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تدفن قسمها في التراب وتترك قسمها في الشمس وتحضن قسمها . فإذا خرجت أولادها أخذت هي تسكر ما كان في الشمس وسقتها حتى إذا قويت تلك الدربة أخرجت المدفون وثبتته ثقباً لمجتمع الذباب فيه والبق والحشرات والهوام فتأخذها وتطعمها لهن . فانظر كيف ألهمت النعامة أن تلك المخنوقات الضعيفة لا تقوى حواصلها أن تهضم إلا مارق من الطعام أولاً وانها إذا اشتدت قليلاً تستأهل لأزدراد تلك الحشرات التي هي أمتن وأقوى في الهضم وانها إذا كبرت انطلقت إلى العشب وقويت واستقلت وذلك بغير تعليم الاستاذين ولا تدريب المعلمين ولا مدارس البنات والبنين . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة وما أحسن هذا الصنع أيها المسامون . نعامة جاهلة موصوفة بالحنق حتى انها إذا فاجأها عدوها عمسدت إلى صخرة فأخفت أعينها تحتها حتى لا ترى الخطر الذي هم والعندوا لها جبه فبأخذها وهي ساكنة . تلك الجماء تعطي علوماً بالقطرة يجهلها الأتباع من نوع الإنسان وليس يدركن أمثال هذه لأبنائهن إلا بالتعليم والتدريب

(٢) الدراج والساج وأمثالها والحمام وأمثالها

انظر إلى فراريج الساج وكيف تسكر قشر البيض وتخرج وتلقط الحب . هكذا العنكبوت تخرج من بطنها نسيج كما تخرج أمها . هكذا البط يخرج من البيض فيقوم كأحد درس ذلك في أيام سابقة وذلك بلا

تعليم ولا تأديب . ولتجيب النافل كيف نرى الحمام في بيوتنا ونرى أن الذكور من الدجاج لاتساعد الأنثى في تربيتها لأولادها ونرى الحمام بعكس ذلك . وهكذا العصفور فإن الذكور من هذين النوعين تساعد الاناث فما الفرق بينهما مع ان السجاجة أحوج الى المساعدة إن أبنائها كثيرة فأما ذرية الحمام فهي قليلة فكان الأجدر بالمساعدة من كثرت أولادها . فاعلم أنه إنما اختص الحمام بتعاون الزوجين لأن أفراده تخرج ضعيفة لا ريش لها ولا تقدر على الحركة كما يولد أبناء الانسان فلذلك ألهم الحمام والانسان مساعدة الذكر لأنثى في التربية . أما الديك فلما علم الله أن السجاجة لاتحتاج الى مشاركته في التربية اقوة الفراخ على العدو ولما عليها من الريش حين ولادتها لم يلهم مساعدتها بل أبقاه مجبياً يرشها نفوراً بحمالة موفراً كل قواه لدجاجاته الكثيرات عاطفاً عليهن مساعداً لهن في بعض أمورهن . وإنما جعل الله هذا في بيوتنا ليرينا أن المقصد من وجودنا إنما هي الحكم والعلم . فكم من آكل حراماً ودجالاً وهو غافل عن أسرار خلقهما . وكم من قوم عاشوا وماتوا وهم لم يمتازوا عن الحيوان . فكم تحت التراب من عظام نخرة كانت فوق الأرض لا نعي ماذا يراد بها وتأكل الطير والأعنام وتهضمها في أجوافها ولا يعرفون تفصيل خفيها ولا عجائب صنعها كأنهم خلقوا ليأكلوا وماتوا وهم لم يتزودوا من هذه الأرض البديعة إلا للجبال والندامة والحسرة والغفلة أو ما عاصوا أن لهم عقولاً تطالبهم بتغذيتها بالصورة الحكيمة كما ان معداتهم تطالبهم بالقطع اللحمية فوفوا للعدوات بميثاقها ونقضوا ميثاق العقول . فليقرأ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها نظام هذه العوالم وليتفكروا في عجائب ما يلبسون ويأكلون ويشربون فقد سبقهم الفرنجة وهم نائمون
ليس من مات فاستراح يميت * إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كثيراً * كاسفاً باله قليل الرجاء

﴿ الوجه الثامن ﴾

(الحيوانات على قسمين) قسم يعيش في الحلات مستقلاً . وقسم داجن يعيش تحت ارادة الانسان (فالأول كالغزالان والجمار الوحشى والبقر الوحشى والفيلة والآساد . والثاني كالغز والغنم والبقر والكلاب أفلس ترى أن القسم الأول أقوى بدناً وأذكى نفساً وأقدر على الحيلة والعمل والاستقلال كالغزال والبقر الوحشى أما الثاني فإنه خاضع للانسان أسير ذليل قد ضاعت قواه الفكرية وذهبت مواهبه الادراكية . فبعيشك قل لي أيها أصفي لونا وأصبح بدناً وأكثر ادراكاً وأعظم استقلالاً الغزال أم الغنم . الغزالة تعيش في الحلات بالعيش الهني وتدبر أمر معيشتها بنفسها . أما الثانية فإنها قد فقدت قوة الادراك ذليلة الحال معرضة للأمراض الويلة . والحكمة في ذلك أن كل ما أهمل استعماله من القوى يسلب من صاحبه ولا يعطى إلا ما ينفعه . الحيوانات الأهلية لما دبر أمرها الانسان وأطعمها خدعت قوتها الادراكية ونامت غريزتها الفطرية فسلبت ما أعطيه الغزالان وشرف به الآساد في غاباتها والحيات في أوكارها من التدبير المحجب . هكذا الانسان ﴿ قسمان ﴾ قسم خضع للغاصيين وخضع للظالمين فدبروا أعماله ونظموا أحواله فلا جرم تسلب من هؤلاء قواه وتعطى لساداتهم المستعمرين ويسلبون عقولهم السامية كما سلبت حيواناتهم الداجنة . فهل يعطى الله السيف لغير الضاربين أو يعطى العقل لغير المفكرين . كلا . ثم كلا والمسلمون اذا استسلموا للفرنجة المستعمرين وأخذوا منسوجاتهم صاغرين وسلموا اليهم ثروتهم لمصنوعاتهم وهم لا يصنعون خقت عليهم كثرة ربك لأنهم لا يعقلون وأخذتهم صاعقة الطيارات وهم ينظرون وخسفت بهم الأرض وهم غافلون . وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . وظلم المسلمين هنا أهملهم لعقولهم وتركهم لشؤونهم ونومهم خاضعين خاشعين بحيلهم . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

﴿ هذا كتاب كتبه الله بحروف بارزة لا يعقله إلا الحكماء والأصفياء ﴾

الكتاب ﴿ كتابان ﴾ كتاب بالحروف الصغيرة والآخر بالحروف الكبيرة . فأما الذي بالحروف الصغيرة فهو ما كتبه نحن بأقلامنا ونسود به وجوه الطروس . وأما الذي بالحروف الكبيرة فهو الذي كتبه الله بيده وأبرزه بصور وأشباح وقال انظروا . ولعمرك إن أكثر الناس لا يعقلون إلا بالحروف الصغيرة . فأما الحروف الكبيرة التي كتبها الله بيده فهي محجوبة عن العقول مكشوفة للأبصار فاجب لمبرقع مكشوف وظاهر مستور وجيلة زينت للناظرين وهم لا يبصرون وبهجة المنظر ومن حولها لا يشاهدون ما هي . هي تلك المشاهد التي نراها صباحا ومساء ونحن عنها غافلون . فهناك ما ذكرته لك من السجاج والحمام وأشباهاها كيف برزت علومها وهي مستورة . ألم تركب سلب فراخ السجاج عطف الديك وقد وهب نعمة الريش والقوة والادراك كما ذكرناه . وهكذا سلب فراخ الحمام الريش وأعطيت عطف ذكر الحمام على أشاء كما بيناه فالغنى بالقرم . أليس هذا معناه أن الله يخاطب المسلمين بالقول الفصيح المبين . أيها المسلمون ساعد ذكر الحمام أنثاه في تربية صغارها فسلبت في الحال ريشها لأن كل شيء عندي بمقدار ولم أخلق شيئا عبثا وكل شيء عندي بميزان فوزنت أمر الحمام وهو ضعيف فأريت أن أعده عطف الآباء وعكست القضية في السجاج فنالت القوة وعلمت مساعدة الأب . هكذا أفعل في سياسة الإنسان . انكم أيها المسلمون لما غلبكم أعداؤكم وملكوا زمانكم صرتم كالحمام لا كالحمام فأنتم لم تزرعوا سلاحكم كما زرعت سلاح الطيراني من صغار الحمام . ومن جاهد لحفظ بلاده منكم واستقل أعطيته السلاح ومنعت عنه العاصيين فأنا لا أسلط الأقوياء إلا على الأمة التي استحكمت المساعدة . إنا كل شيء خلقناه بقدر . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فاذا قلت في كتب السماوية كالقرآن . وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون . ومعناه أن الإصلاح العام في الأمة يورث بقاءها وإن كانت كافرة . فإصلاح البلاد هو الذي يؤهلها للبقاء . فلقد أريت الأمثال للناس عيانا ومشاهدة وهم غافلون فطابق قولي فعلى فلا قولي سمعتموه ولا عملى تدبرتموه فأين المفر والمفر طار بين . وقد مر بعض هذا القتال في سورة (آل عمران)

﴿ كيف حجب الله هذا الجمال عن أكثر الناس ﴾

اسلك تقول كأن في كل ما تراه جمالا وحكما والناس يرونه وكأنهم لا ينظرون ويسبرون في الأرض وكأنهم ميتون ويسمعون القول وكأنهم لا يعقلون . فأى حكمة إذن في هذا الجمال . وأى معنى لذلك السكال وإذا لم يكن للجمال مبصرون ولأن الحكمة فاهمون فهل خلقت للغير من يعقلها ووجدت لمن لا يفهمها . إن ذلك مما يورث الارتباب ويوقع الشك عند ذوي الألباب . أقول لا عجب في ذلك . لقد خلق الله أعما إسلامية وغير إسلامية وبرقع عن بعضهم وجوه هذا الجمال لا يبخل في العطية ولا لالحاقهم بأذية ولكنه يعطى من يستحقون ويمنع من لا يستأهلون . أفلا تراه منع الأطفال أن يتصرفوا في أموالهم وصرف القردة والنؤبان عن الحكم العلمية لأن الحيوان والأطفال لا قدرة لهم على إدارة الشؤون ولا على ادراك الصناعات والعلوم فإذا رأيت الأمم الإسلامية القرية العهد مشته الممالك واقعة في المهالك فما ذلك من منع الحضرة العلمية ولا بخل من الذات الربانية وإنما كانوا عن الممالي قاصرين وعن ادراك المعاني غافلين ففرقت دولهم وشتت شملهم ومنعهم الماوك والأمراء من درس العلوم وصرفهم علماء السوء عن فهم الكتاب بقشور فقهية وأحكام شرعية وقالوا لهم ﴿ ليس في الامكان ابداع مما كان ﴾ وصرفوهم عن حب الأوطان والمدافعة عن الأهل والأموال مع انهم يقرؤن صباحا ومساء . وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . ويقرؤن أيضا . وما نكم لاتقاتلون في سبيل الله و . في سبيل . المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . ومعنى ذلك أن

الله يقول للمسلمين قاطبة أي عذر لكم في ترك الجهاد لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدي الكفار وقد بلغ حال المستضعفين ما يبلغ من الضعف والأذى وقد كانوا بمكة لا يقدرُونَ على الهجرة وهم يدعون الله ويقولون - ربنا أخرجنا - وقد استجاب الله دعاءهم ففتح المسلمون مكة والنبي ﷺ كان مبشرا بذلك . أما الأمم الإسلامية القريبة العهد وبعض الأمم الحاضرة فانهم ظالمون جاهلون قد حقت عليهم كلمة العذاب . ألا ترى انهم في شمال أفريقيا يلتجئون نارة الى فرنسا وطورا الى اسبانيا . وهذه الأمم الفرنجية يغسبون على مصر وتونس والجزائر مرا كس وكثير من عطاء تلك البلاد يهشون للفاتحين ويأنسون بالمفتسين ولقد قال لي احد أبناء مرا كس إن الفرنجة لن يقدرُوا أن يبقوا يوما واحدا إلا بمساعدة المسلمين وهكذا كان المسلمون أيام الحروب الصليبية لا يعبأون باخوانهم ولا يبالون بأوطان غير أوطانهم وجرت الحال على هذا المنوال ولكن اليوم قد تنبه بعض المسلمين كأهل الأفغان والترك والفرس فقد طردوا الفاتحين . وهكذا قد تنبه أهل الهند وقاموا قومة الشجعان وقالوا للفرنجة دعوا الشرق للشرقيين . وهكذا أهل بلادى المصريون قد رفع الغطاء عن أعينهم فانتبهوا لأمرهم ونالوا بعض مطالبهم . أولم يقرأ بقية المسلمين في الشرق والغرب القرآن . أولم يعلموا أن غزوة أحد كانت للدفاع عن المدينة وفتح مكة لاستخلاص الضعفاء بمكة من أيدي الكفار والعيب كل العيب على العلماء والملوك أولئك الذين على الإهمال يلامون وعلى اضرارهم بالمسلمين يعتذرون وكل عن ذنبه مسؤول - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال -

﴿ الوجه التاسع في الحشرات ومنها النمل والعنكبوت ﴾

قال الله تعالى - وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون - فانظر كيف جعل النحل تبنى من الجبال بيوتا وفي الشجر وفي الخلأ التي يصنعها الناس لها وتجمع العسل من الزهر مما ذكرناه في هذا الكتاب وأوضحناه في ﴿ كتاب الزهرة ﴾ وكتبنا الأخرى ثم جعل هذا الشراب مختلف الألوان ويشفي به الأمراض . عجب لهذه الدنيا ونظمها انها جنة للعلاء ليتفكر المسلمون وليعقلوا كيف كانت النحلة الصغيرة التي لا قدر لها سببا في القاح النبات ذكرانه لانائه ثم هي جمعت من الأزهار مالد وطاب فأحاطه عسلا وكان العسل ألد ما يأكل الناس وأشفي ما به يستشفون . فبالت شعري كيف كان الزهر وعسله والقاح إنائه من ذكرانه ثم شفاء الناس بعسله . إني لفي عجب من نظام هذا الوجود المحكم البديع وكيف كانت النحلة وسطا بيننا وبين عسل الزهر وكيف طبخته وكيف كانت شفاءنا وهي لاعلم لها بالقاح في الأزهار ولا بالعسل الذي عنها ورثناه ومن خلأها وبيوتها الجبابة اشتراها . إن في ذلك لعبرة للمسلمين

أما أن لهم أن ينظروا في عجائب الدنيا وثمراتها وغرائبها وبدائعها ويتفكروا فيعلموا أن ألد الطعوم من حشرة صغيرة وهي النحلة وأرقى اللبوسات وأشرفها وأجلها ما كان من دودة وهو الحرير وأحسنها وأبهجها ما كان من صدقة في البحر وهو الدر . فيا عجبا حشرة ودودة وصدقة كانت أعمالها محل إعجابنا وزينتنا وشفائنا وتفاخرنا . بهذا العلم فليرق المسلمون . وبهذا العلم فليفيقوا من غفلتهم . فإذا أضاعوا هذه العلوم فقد أضاعوا كل شيء وجهلوا ربهم وضعوه ونسوا نعمته كما قال تعالى - نسوا الله فانساهم إن المنافقين هم الفاسقون - نسوا نعمه فلم يدركوها فانساهم وأخرهم في مصاف الأمم . العذاب واقع على ذوى العقول الكبيرة من المسلمين . واقع على الأغنياء والامراء والعلاء والعلماء . فعلى العالم أن يذكر الأغنياء وعلى الأغنياء أن يحضوا العساء والا فانهم جميعا آثمون . هذا ما نقلته من كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾

١ - تفصيل الكلام على النحل

ويحسن هنا أن أذكر ما كتبه في كتابي ﴿جواهر المم﴾ وفي كتابي ﴿جمال العالم﴾ فأما الذي في جواهر العلو فهو على هيئة محاوراة بين فتاة ونبي قال له ما معنى العجب فقال اعلمني أن العجب حيرة تعرض للإنسان لتصوره عن معرفة الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فإن الإنسان إذا رأى خلية نحل ولم يكن شاهداً من قبل ورأى تلك الأشكال المستدسة المنتظمة تحير لعدم معرفة فاعله فإن قيل له إن فاعله هو النحل تحيراً أيضاً من حيث أن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المستدسات المتساوية الأضلاع المجيزة لمهرة للمهندسين مع ما لديهم من العدد والآلات والادراك والتجرب وطول المدة . وكيف احتدت إلى تغطية تلك البيوت بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطاً بالعسل من جميع جوانبه فلا يفسده الهواء ولا يصيبه الفار ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب وكل ما في العالم بهذه المثابة إلا أن الإنسان يدرسه في زمن صباه عند فقد التجربة ثم يبدو فيه غريزة العقل شيئاً فشيئاً وهو مستغرق الهمة في قضاء حوائجه وتحصيل شهوته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط من نظره لطول الانس بها فإذا رأى حيواناً غريباً أو فعلاً خارقاً للعادة انطلق لسانه بالتسبيح فقال سبحان الله وهو يرى طول عمره أشياء تتعجب فيها عقول العقلاء . وكأين من آية في السموات والأرض يرمون عليها وهم عنها معرضون . فسألته الفتاة قائلة ومن أين هذا الشمع ولم اختار الشكل المستدس ومن أي شيء يجمع العسل . فقال لها أما الشمع فإن النحل يجده على كثير من النباتات مادة بيضاء كالدقيق ونشأه بكثرة على قصب السكر وأما تلك الخلايا وتسديسها فإنها اختارت من جملة الأشكال الشكل المستدس وذلك أن أوسع الأشكال وأحسنها المستديرة وما يقرب منها فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيق الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا تشكل من الأشكال ذات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تراص الجلة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المستدس فهذه خاصية هذا الشكل وما أشبه هذا النظام الصغير بالنظام الكبير نظام السموات والأرض فإنه كله بحسب ما تقتضيه . إلى أن قال . وأما العسل فإنه وضع في آية . وأوحى ربك إلى النحل - والخطاب للنبي ﷺ أولئك فرد بمن له عقل يستدل به على كمال الحكمة الإلهية وتنسج به مداركه وتقوى همته فينظر كيف ألهم الله هذا الحيوان الضعيف أن يجعل له ملكة مسلطة عليه وقد قسمت عليهم الأعمال فجعلت على نفسها وضع البيض فتبيض في كل ثلاثة أسابيع من ستة آلاف إلى اثني عشرة بيضة وجعلت على الشغالة التي عنده جميع الأشغال (والشغالة عندها خزانة النحل أي التي ليست إنانا ولا ذكوراً) وعندما يكون من الخلية من عشرين إلى ثلثين ألفاً فمنها البواب الذي لا يسمح لأحد من غير أصحاب الخلية أن يدخلها ومنها ما هو منوط بخدمة البيض ومنها ما هو منوط بتربية صغار النحل ومنها ما يبنى الخلايا ومنها ما يجني مواد الشمع التي تبنى منها الخلايا ومنها ما يجني رحيق الأزهار التي يستحيل في بطونها عسلاً تخرجه من فمها لتتغذى به صغار النحل متى خرجت من البيض وينتفع به الناس . وكل من هذه الطوائف تؤدي ما عهد إليها بنشاط وهمة على مقتضى أوامر الملكة المسماة (بالعسوبة) أو (الخشرم) وتسميها العامة (أم النحل) وهي أعظمها جثة وأكبرها خلقة . ومن عجيب أمر تلك الملكة أنها تقتل كل ما وقع على نجاسة من رعاياها . ومن سياستها أنها إذا أرادت الحل ارتفعت في الهواء واختارت ذكراً من غير خليتها رفعا عما تحت إدارتها فإن عندها ذكوراً لا تشغل لها عددها من خمسة إلى ألف في الخلية وتبني فيها إلى أن تحمل الملكة وتحمل . ومتى ظهر جملها قتلت الخنثى هؤلاء الذكور لئلا يضيق المسكان ويفنى العسل . فسبحان من ألهم تلك الحشرة الضعيفة فعل أعظم الملوك من قداماء المصريين الذين كانوا يحكمون على من لا صنع لهم بالقتل وألهم تلك الملكة أن تحفظ رياستها وشرف

ملكها لا يتم إلا بالترفع على من تحت إمرتها ولم ترض لنفسها أن يملوها أحد رعاياها ولعمري إن في قتل خنائي النحل لذكورها عبرة وتبصرة تشير إلى أنه لم يخلق في هذا العالم مخلوق إلا لحكمة - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - فبالت شعري كيف يرى الإنسان هذه العجائب في الحيوان الضعيف ثم يترك أعضائه ومواهبه الشريفة هملاً فضلاً عن استعمالها في أنواع المفاسد ثم إن النحل ﴿قسمان﴾ وحشية تسكن الجبال والأشجار والكهوف وأهلية تأوى إلى البيوت فيبنى لها الناس أبنية . وهنا جاء في الكتاب ذكر اللقاح وأن النبات له فيه ذكر وأنثى وأنه مختلف الألوان . وهذا المقام تقدم مشروحاً في سورة الحجر إذ اقتضى المقام هناك عند قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - أن نبين في علاقة النحل والحشرات الأخرى بالنبات واللقاح وثمراته وما أشبه ذلك والكلام هناك مستوفى فليرجع إليه من أراد . هذا ما أردت نقله من كتابي ﴿جواهر العلوم﴾ وكأن الله ألهمني تأليف هذه الكتب لتكون مرجعاً إلى هذا التفسير الآن . وجاء في كتابي ﴿جمال العالم﴾ ما يأتي

قد ذكرنا في كتابنا ﴿جواهر العلوم﴾ النحل وعجائبه وأوسعنا المجال فيه وأوردنا شواهد وآيات ونحن الآن نذكر ما عثرنا عليه بعد من العجائب والحكم ليكون لكل كتاب منزلة ليست في الآخر من النحل ما أوتي شعراً (يرى بالسكركسكوب) أسود أو أحمر أو أصفر اختلف ألوانه كما اختلفت طرقه في طلب الأزهار والنحل الكبير الذي يعيش في السكلا والحقول يموت في الشتاء إلا قليلاً يتوارى في أماكن تدفى جثته حتى إذا جاء فصل الربيع وانتشرت الحرارة نفخ الله فيه الأرواح وأيقظها من رقدتها بعد نومها وبعثها من مرقدتها في برزخها فما أشبهها إذ ذاك ببعث الإنسان بعد موته وبعث جميع الحشرات من نومها العميق في نسيجها المسمى (شرقة) في أول نشأتها وقيامها من سباتها العميق - فبارك الله أحسن الخالقين - يظهر أن قدماء المصريين ظنوا أن بعثنا على هذا المنوال فخطوا الأجسام مشاكاة لهذه الحيوانات كما تراه في البرابي والأهرام والمقابر والحفائر القديمة وهيئات هيات . وانما بعثنا أرفع وأجل من ذلك . فهذا يتسلى به العوام . وأما خواصهم فكانوا يملكون أنهم يرتقون في عالم الجبال والكمال . فإذا قامت النحل أخذت تطير في الحقول لتبحث عن أما كن تبني فيها أعشاشها . فبها ما يتخذ حشائش يصنعها مسكن ذات منافذ من أعلى ليدخل النور وتقلعها عند مسيس الحاجة إليها إذا أقبل الليل أو نزل المطر أو الندى ثم تضع على حيطانها أقراصاً وقاية من الرطوبة . ومنها ما يبحث عن شقوق ومغاور في الأرض أو في الجبل فيضع أقراصه فيها . وهذان النوعان من البناء هما اللذان اتخذهما النحل فوق الأرض وتحتها وبمد ذلك تضع النحل بيوضها في البيوت التي تتكون منها الأقراص وتسير سير كل حشرة في القانون العام كما سنذكره في سورة (النحل) فتكون دودة فتنام في كرة نسيجها كما ينسج دود القز في حريره وإن كان هنا نسيجها ضعيفاً لا قيمة له ثم تقوم وقد اكمل الله خلقها وخلق أجنتها وخرجت من مهدها باحثة عن غذائها فتذهب إلى الأزهار وتجنبي منها العسل الذي في أسافلها وتحمل تلك المادة الصفراء في سبط (القطف) على أرجلها الخفيفة ككون من شعري يحفظ تلك المادة ثم يجعل جزءاً منها (شمعاً) يبنى منه الأقراص يملؤه عسلاً مما شربه من أسفل الزهرة وجزءاً آخر يصنعه خبزاً لصغار النحل . فتأمل كيف كانت الزهرة تحوي الشمع وخبز صغار النحل في مادتها الصفراء المعدة لللقاح وانظر كيف كان العسل في أسفلها وامتد النحل إليها . فما الشمع وما العسل إلا تلك الزهرة التي نشاهد كل يوم ونحن غافلون عن حسن الصنع والانتقان الذي قام به النحل فيها . وإذا كان النحل له قدرة على هذا فإن للإنسان قدرة لا تنهاى وقد ارتقى في الصناعات الآن وأخذ من المادة ما لا يحصر له من العجائب حتى استخدم الهواء في اصطناع المواد الأوزوتية فنفقته في حربه وفي تسميد

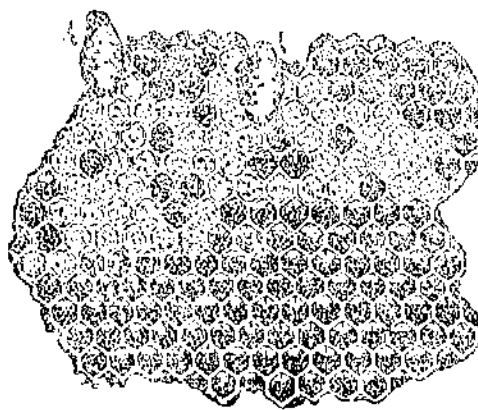
أرضه كما يعرفه من قرأ أخبار أهل ألمانيا وكان المسلمون أولى بذلك . ولترجع الى مافى كتاب (جبال العالم) ومن العجيب أن النحلة قد تسير ميلا للبحث عن غذائها ولا تنزل طريقها وترجع الى أماكنها وانها تعرف طرق الخيل والدهاء

﴿ حكاية ﴾

ذكروا أن قوة أخذت طريقها الى خلية نحل فلما رآها ازدحم عليها واسكن عرف أنه لاسبيل الى ارجاعها فتربصها حتى اذا احتلت المكان وشربت من العسل تعاون الجميع على إلصاق رأسها في الشمع ففارت تلك المسكينة الحياة . هذا أكثره منقول من كتب الفرنجة مترجما . وهالك ماجاء في ﴿ اخوان الصفاء ﴾ لتقف على مختصر بليغ من ثمرات العقول النافذة في النحل . جاء في بيان فضيلة النحل وعجائب أموره وذلك من رسالة الحيوان مانصه

﴿ يعسوب النحل ﴾

أيها الملك . مما خص الله به وأنعم به على وأبائي وأجدادي أن آتانا الملك والوحي إذ لم تكن من بعدنا الحيوانات أخر وجعلها وراثه من آباءنا وأجدادنا ويصير ذخيرة لأولادنا وذرياتنا يتوارثونها خلفا عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان مغبون فيهما أغلب الخلائق . ومما خصنا به الله أنه علمنا دقة الصنائع الهندسية ومعرفة الأشكال الهندسية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجعل النخار فيها . وما خصنا به أيضا من أنه حلل لنا الأكل من الثمرات من جميع أزهار النبات وجعل في مكاسينا ما يخرج من بطوننا شرابا حاوا فيه شفاء للناس كما قال تعالى - وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كفى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - ومما خصنا به الله أن جعل خلقنا خلقة لطيفة فجعل بنية جسدنا ثلاثة مفاصل محزوزة فوسط جسدنا مربع مكعب ومؤخر جسدنا مخروط ورأسنا مدور مبسوط وركب في وسط أبداننا أربعة أرجل ویدین متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المستدس المستعين بها على القيام والقعود والوقوف والنهوض وتقدر على أساس بناء منازلنا وبيوتنا مستدسات مكشوفات يحجز عن اتقانها المهندسون الذين يحجزون عن موضوعات أشكالنا وتسديسات منازلنا (رسم بيوت النحل . شكل ٢٠)



(شكل ٢٠)

وانعرض من مساوية الأضلاع والزوايا المكشوفات كيلا يتداخلها الهواء فيفسد بأولادنا ويفسد شرابنا الذى هو قوتنا وذخائرنا . وبهذه الأربعة الأرجل واليدين نجتمع من ورق الأشجار وزهر الأثمار الرطوبات الدهنية التى نبني بها منازلنا وبيوتنا وجعل الله على كنفى أربعة أجنحة حريرية النسج آله لى فى الطيران فى جو الهواء مستقلا بها وجعل مؤخر بدننا مخروط الشكل محزوا مدرجا مملوا بالهواء ليكون موازنا للثقل

رأسنا في الطيران وجعل لي حجة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحا لي أخوف بها أعدائي وأرجبها من يتعرض ليؤذيني وجعل رقبتى خفيفة ليسهل بها عليّ تحريك رأسي يمنة ويسرة وجعل رأسي مدورا عرضا وجعل في جنبي عينيّن براقتين كأنهما صرّأتان مجلّوتان وجعلهما آلة لنا لادراك المراتب المبصرات من الألوان والأشكال في الأنوار والظلمات وأثبت عليّ رأسنا شبيه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لنا لاحساس الملموسات واللين من الخشونات والصلابة والرخاوة وفتح لنا منخريّن لاحساس الشمومات الطيبة وجعل لنا فمًا مفتوحا فيه قوّة ذائقة نتعرف بها قوّة الطعوم وخلق لنا مشفرين حاذّين نجتمع بهما من ثمرة الأشجار رطوبات لطيفة

ولقد عجز الطبيعويون والأطباء من اليونان أن يعرفوا طبائع النبات ومنافعها ونحن عرفنا هذا منه وخلق في جوفنا قوّة جاذبة وماسكة وهاضمة وطابخة منضجة تصير تلك الرطوبات عسلا حلوا لذيذا شرابا صافيا غذاء لنا ولأولادنا وذخائر للشتاء كما جعل في ضروع الأنعام قوّة هاضمة تصير السم لنا خالصا سائغا للشاربين وجعل فضلاتنا وفضلات أولادنا سببا وشفاء لأخص خلق الله تعالى إذ في تشكيلنا وتخطيطنا المستدسات وترتيب الزوايا المتساويات جعل شفاء للأرواح الانسانية وفي فضلاتنا وبراقنا ولعابنا جعل شفاء للجسد الانساني وجعل فضالة فضلاتنا وهو الشمع سببا للضياء في ظلم الليالي عوضا عن الضياء النوراني الحاصل من الشمس

فمن أجل هذه النعم والمواهب صرنا مجتهدين في شكرها بالعمل ثم اننا نأوى في رؤس الجبال والتلال وبين الأشجار والدحال ومنا من يجاور بني آدم في منازلهم فأما من بعد منا فانه يسلم من أذاهم في الأكثر ولكن ربما يجيئون إلينا في طلبنا ويتعرضون لنا بالأذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا ولم يبالوا بأن يقتلوا أولادنا ويأخذوا مساكننا وذخائرنا ويتقاسموا عليها ويستأثروا بها دوننا ونحن نصبر صبرا مضطرا نارة مكرهين ونارة راضين مسلمين إن غضبنا وهر بنا وتباعدنا من ديارهم جاؤا خلفنا يطلبوننا ويرضونا بالهدايا من العطر وأنواع الحيل من أصوات الطبول والدفوف والمزامير والهدايا المزروجة المزخرفة من الدبس والتمر ويأخذون منا عسلا صافيا لذيذا جعله الله سببا لشفائهم . فنحن من حسن أخلاقنا نصالحهم إذ الصلح خير والخصومة تؤدى الى هلاك الحيوان وخراب البلاد فنحن نراجعهم ونصالحهم لما في طباعتنا من السلامة وقلة الحسد قلبنا صار موضع إلهام الله تعالى لا يجوز أن يكون موضع الحقد والحسد إذ هما ضدان لا يجتمعان . إن الله ألقى الوحي علينا فلا يليق أن نكون فاسقين . ومع هذا كله لا يرضى الانس منا إلا أن يدعوا أننا لهم عبيد وهم لنا سادات وذلك زور وبهتان إذ نحن غير محتاجين إليهم كما يحتاج العبيد لمولايهم بل هم محتاجون إلينا مثل ما يحتاج الخدم الى السيد . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . انتهى (أخوان الصفا)

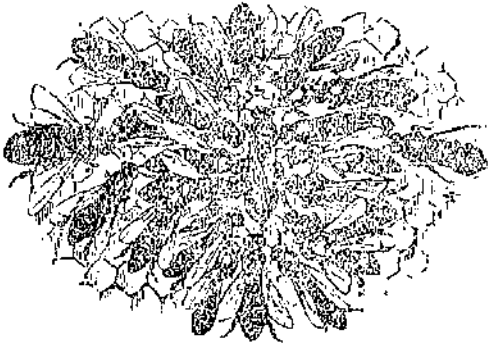
﴿ المملكتان المتشابهتان . مملكة النحل ومملكة الأرضة وهي دابة الأرض ﴾
أما مملكة النحل فقد أسهت الكلام عليها وأريتكم صورة بيوتها المستدسات . وبقى أن ترى صورة الذكر وصورة اليعسوب وصورة النحلة العاملة

(شكل ٣١ - صورة ذكر النحل واليعسوب والعاملة)



وهاك أوصافها . اليعسوب مؤخرها طويل يصلح لحفظ البيض أجنحتها قصيرة لأن حياتها لا تتعدى السكّورة ويقوم بخدمتها طائفة من النحل وهاك صورتها وهم حولها

(شكل ٢٢ صورة ملكة النحل وهو اليسوب وحولها خدمها نحو ٢٠)



(شكل ٢٢)

(النحلة وخدمها)

الذكر . منظره ضخم ومتى جات الملكة يقتله

النحل لأنه أصبح لأعمل له

العمال . هي أصغرها جثة وكل له عمل (١)

سقاء (٢) صربي التربة (٣) راع (٤) بناء (٥)

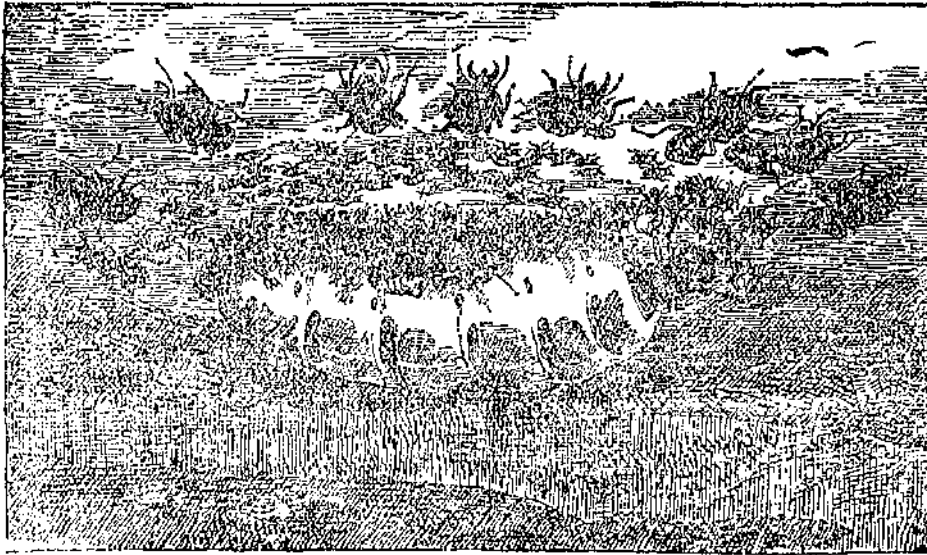
معماري (٦) مهندس (٧) جندي (٨) زبال

(٩) خدام

فالسقاء يمد السقارة بالماء والمربي يربي الصغار والراعي يجمع غبار الأزهار وعسلها والبناء وما بعده لبناء بيوت العسل والأمر ظاهر في البقية . فهذه الراعيات تمتص العسل بأسانها الطويل وتدخله كيس الشهد فيتحول الى عسل فتتغذى ببعضه وتخزن ما بقي الى وقت الشتاء اه

وأما ملكة (الأرضة) فان أمرها عجب وقد تقدم وصفها في سورة هود فقد أبت لك هناك انها على وزن بقرة وتسمى النمل الأعشى وليست بالبيضاء بل هو (أغبس) أي كلون الأرض التي يقيم فيها أي لايباض فيه . ولا أطيل في وصفها فقد تقدم هناك وسيأتى زيادة شرح لها في سورة (سبا) ولكن الذي يهم في هذا المقام أن تطلع على صورتها وحولها العمال

(شكل ٢٣)



(شكل ٢٣)

(صورة الأرضة المالكة وأتباعها وهي السكتة البيضاء الضخمة وهي الملكة والى جانبها الملك ومن حولها

العمال يقبلونها ويلحسونها فالقائمون بتغذيتها يتألبون عندها ويبقى في الطرف الآخر من وكل اليهم النقاط البيض ومن العمال جند من الشرطة صغير الحجم وفي الصف الأول في شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراسها لمنع هجمات عدو مفاجئ . وهذه هي التي تسمى عندنا (البوسة) و (العثة) التي تلحس

الصوف والشياب . وهذا الرسم للعالم الألماني (ازريك) كما نظرها نقلته من كتاب (ملكة الظلام) المترجم حديثا للعلامة (موريس مترلك) بلجيكي المنشأ فاعنكى الأصل مؤلف في النحل وفي الارضة)

فهاتان مملكتان احدهما في افواء فوق الأرض وتانيتهما تحت الأرض في الظلام والنظامان يرجعان
لناموس واحد ملكة تبيض وتلد وعمال تقسم الأعمال عليهم . غير أن العجب أن تكون الأرض تدبر
ملكها وهي عمياء وتحكم عشرات الالوف من رعاياها المنفردات الثلاث بنى مباني ضخمة تملأ فوق
الأرض بضعة أمتار وتمتد مسافات عظيمة . فكيف حكمت العمياء التي لا حركة لها هذه الجوع كلها وكيف
كانت هذه كلها قائمت بالاعمال ولا أعين لها . أما النحل فأمره معلوم مما تقدم فاقراً - ما ترى في خلق
الرجل من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - واقراً - قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم
هدى - . والى هنا انتهى الكلام على النحل

أما النمل فقد أفرده العلماء في عصرنا التأليف ولقد رأوا عجائب ذكروها وآيات يبنوها وغرائب صنفوها
فن ذلك أن فيها ما يبنى مساكنه كما يبنى الناس ويهين قرى صغيرة وكيرة ولها أطوار يربى أولادهم
الصغار وطقن شجرات مخفورات أو مبنيات فوق الأرض لكل جبل من أجيال الذرية كما أنها مدارس ذات
فصول وطقن من نظام الجند وصفوف الحرب وتربية الناشئة الخاصة بهم ما تحوله عقول العلماء سجداً
ويقولون سبحان مبدعها الحكيم . ولا يظن القارئ أن في ذكر الجند طعن مباعدة أو أن في الحرب عجا
فان لها من أنفسها ملاح كبيراً يشاهدونه محافظاً عليها في غدوها ورواحها ثم هي تحارب ملاحاً آخر وتأتى بالأسرى
وهؤلاء الأسرى يحضرون الطعام لآدائهم الأسرات طعن وطقن حيوان صغير يسمى (افد) سماه علماء هذا
القرن جاموس النمل فانه يريه ويسمنه ويمص منه مادة يتفدى بها كلبن البقر والجاموس عندنا ورأوا له
مزارع يحافظ عليها وهي نباتات صغيرة لها نظام هندسى وطرق نملة عجيبة بديعة منقطة قد اطلعت على رسمها
ولها ملكة تقوم بأمرها وتحافظ على مجموعها والى يولى النمل وجهه في غدوه ورواحه ويستروح لرؤيتها
ويهش لاقبالها ويفرح لطاعتها ويسعى لخدمة القرية الخلية ارضاء لها - ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب
العالمين - وقد قص القرآن قصص النمل فقال - حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكاً من قولها - وسترى أن شاء الله
في سورة النمل مساكنها مصورة بالتصوير الشمسى من الكتب الفرنجية . وهناك تشاهد الحشرات
والحيطان وأعمدة تنسج عليها السقوف والطرق والدهاليز والمخارج والمخازن . وترى فوق ذلك مزارع الارز
التي يزرعها النمل وطرقها الهندسية التي رسمها النمل ونظامها الجميل منقولاً بالتصوير الشمسى من الطبيعة بحيث
نقر بأن الفلاحين في مصر لم يصلوا هذا النظام . واذا ذلك تقرأ - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير
بحجابه إلا أتم أمثالكم - وتقرأ أيضاً - وما كنا عن الخلق غافلين -

﴿ العنكبوت . من كتابي (القرآن والسلم العصرية) ﴾

ومن الحشرات العنكبوت ذات النسيج الجميل والفزل الرقيق والريق الذى اذا تعرض للهواء انقلب الى
مادة أشبه بالقطن أو الحرير فيغزلها خيطاً دقيقاً وينسج تلك الخيوط نسيجاً محكماتقناً حتى قال علماء الحشرات
ان هندستها التي رسمتها في نسيجها ونظامها البديع الذي توخه في عملها أدق ما صنعه المهندسون وأبرع
ما نظمه البارعون حتى انها لم تخطئ يوماً في نظامها ولم تغلط يوماً في نسيجها . وان أبرع المهندسين وأعظم
المحكمين الذين درسوا في المدارس العالية وتخرجوا على أعلم علماء الهندسة يخطئون في تقديرهم ويشذون في
عملهم ويحيدون عن سواء السبيل وهذه الحشرات لا تخطئ في نظامها ولا تخطئ في هندستها ولا تخيب في أحكامها
ذلك لأن معلم المهندسين من المخلوقين ومعلم العنكبوت خالق المهندسين فتلميذ الله لن يخطئ وتلميذ المخلوق
قد يضل مع الضالين . ولقد شاهد الناس صغارها وصغار الحيوانات تخرج عالة بفنونها محكمة لعملها

تقدم الكلام عليها فانها فضلا عما فيها من بدائع الصنعة الالهية والحكمة الصمدانية دلالة على حكمة الخالق واتقانه وإفهامه وعجيب صنعه فان لها أثرا عظيما في الزراعة . إن تربية النحل في البساتين الضرورة موجب ثمرة بالعسل الكثير الذي يربو اذا كانت الخلايا في وسط الأزهار ويقل بل يموت النحل اذا كانت الأرض المحيطة به متفرقة ولها فوق ذلك شروط وأحوال خاصة يعرفها المارسون لمستقراتها ومستودعها من علماء الزراعة الساهرين على مصالح الأمم . الناظرين فيما حدث به يد الخالق من العجائب والبدائع ولما كانت هذه الحشرات الضعيفة ربما غفل الناس عن أمرها وصغروا من شأنها وجهلوا صنعها سمي الله عز وجل سوراً من القرآن باسمها فسمى النمل والنحل والعنكبوت . أفليس ذلك نبأ ساهى تهدي به المسلمون فيرقون صناعاتهم ويننون مجدهم ويدرسون كل مذهب وكل ماطر وكل حيوان ونبات . إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار كما قرئناه . انتهى من كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وسيأتي في سورة (العنكبوت) زيادة على هذا

﴿ الوجه العاشر في قوله تعالى -- والله جعل لكم مما خلق ظلالا * وجعل لكم من الجبال أكنانا -- الى قوله -- لعلكم تسلمون -- مع ملخص ما تقدم ﴾
هأنت ذا قد اطلعت على الطيور في أوكارها والحشرات في أعماقها والأنعام في حقولها وعلمت درتها ونسلها ثم قرأت ما في آية -- والله أخرجكم من بطون أمماتكم لانهامون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون --

قرأت ذلك من قبل وهأنت ذا تقرأ أن الظلال مسخرات لنا والجبال أكنان لنا وسرايل من القطن والكتان والحرير والتيل لنا وختم ذلك بالسرائيل التي تقيتنا السلاح الذي يقذفه العدو لقتلنا . وههنا قد تمت النعمة فانه بعد تسخير الطيور والأنعام والحشرات لحياتنا وتسخير كل الثمرات والظلال والجبال ونبات القطن والكتان وأمثالها . بعد هذا كله لم يبق إلا الدروع السابغات في الحرب لتتقي العدو بها وههنا تمت النعمة فقال -- كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون -- والاسلام هنا الانقياد والاخلاص وأن ننهج النهج الذي يرق عقولنا ونستخدمها فيما خلقت له ونستفيد الامور العقلية والمادية معا لانه قال في أثناء ذلك انه خلق السمع والأبصار والأفئدة لعلنا نشكره

﴿ ايضاح مقام الشكر ﴾

انظر أيها الذكي في هذه السورة وتفكر في نظم الآيات . لقد قرأت الآيات التي في أول السورة وقد ابتدأ فيها بالانسان وختمها بالموات العنصرية أو ما هو أقرب اليها من الماء ونعمة الهواء الذي تجري به السفن فابتدأ هناك من أعلى الى أدنى وقد ابتدأ في سورة الحجر قبلها من أدنى الى أعلى وقد بينا سبب ذلك هناك فلانعيسه . انما الأمر الغريب انه هنا لم يكن الأمر على نسق الاول ولا الثاني بل هو نسق يخالفهما فانه ابتدأ بانزال الماء ثم السماء فالأنعام والنحل ثم الانسان ثم الطير فجعل الانسان في هذا في وسط الجميع . فما حكمة هذا . إن الحكمة التي طويت في هذا انه صرح بأنه خلق السمع والبصر والأفئدة لنا وقال إني خلقتها عسى أن تشكروني ولا معنى للشكر إلا قبول النعمة والعامل بها وصرفها فيما خلقت له فهو هنا يقول أي عبادي أنتم مركز الدائرة فالأنعام على الأرض والحشرات والزرع والطير من فوقكم وأنتم بينهما ولكم السمع والأبصار . واذا كان كذلك فلاحق لكم أن تناموا عن قراءة هذه . أنتم على الأرض والطير فوقكم والأنعام والحشرات على الأرض وأنتم بينهما أي بين الدواب والطير هذا في العالم الكوني الذي أنتم فيه فكما فعلت في العالم فعلت هنا فلم أراع في هذه الآيات السلسلة المنظمة لامن أعلاها كما فعلت في أول هذه السورة ولا من أسفها كما فعلت في سورة الحجر بل راعيت ما شاهدونه بأبصاركم فأنتم تشاهدون الأنعام والحشرات وهي أقرب اليكم

ثم تشاهدون الطير وقد قلت لكم إني خلقت لكم السمع والأبصار والافتقده وأنتم بين هؤلاء وهؤلاء أى بين الأنعام وما هو مختصر منها وهي الطيور فأنتم بحسب وضعكم في الأرض بين هؤلاء وهؤلاء والعقول فيكم والحواس فكان عليكم أن تدرسوا وتعلموا وإن لم ينزل لكم كتاب لأن العقل والحواس يوجبان ذلك فلما علمت ضعفكم وغفلتكم ونومة عقولكم نهتكم إلى ذلك بهذا القول وقلت لتكن عقولكم مسيطرة على هذه العوالم فتدرسوها فأقسم بالطير وقدرتها والحشرات ونظامها والأنعام ونفعها إني ما خلقتكم إلا لتعلموا وما وضعتكم في الأرض إلا لتدرسوا

﴿ أعجب ماذا ذكر في هذه الآية وبعض رموزها ﴾

لقد تقدمت كيفية دراسة هذه العوالم . ولكن أذكر هنا ما هو أعجب . ذلك أن الحيوان ﴿ ثمانية أقسام ﴾ كما قدمناه في هذه الآيات أربعة منها وأربعة لم تذكر فذكر الأنعام والحشرات وقد جاءت البهائم في أول السورة وذكر الحشرات النافعة والطيور ولم يصرح بذكر الوحوش ولا السباع على الأرض ولا الهوام كالحيات وكذا لم يذكر الجوارح من الطير بنصها وإن كانت داخلية فيها . فهذه أربعة غير مصرح بها وهنا أربعة مذكورة وهي جملة الحيوانات . واعلم أن جميع هذه نعم علينا فالوحوش والسباع لازالة الرمم وإزاحة الغمم وأن تكون أجوافها مقبرة للحيوانات البرية . هكذا الهوام نافعة لنا كالحيات والعقارب كما قدمنا في سورة (آل عمران) لأنها تنظف لنا الأرض من قاذوراتها فتحييها إلى أجسامها . وهكذا كواسر الطير ومثلها بعض حيوانات البحر الكاسرة القوية فانها تكون منقطة للماء من الحيوانات الميتة فيعفن الماء وإنما لم يذكر الله ذلك صريحا لأن أكثر الناس جهال لا يعقلون إلا ما عسى شهواتهم كما تقدمت في مسألة النبات وهي ظاهرة واضحة ولكن الانسان لجهله وغفلته المستحكمة لا يعقل ذلك ولا يفهم حكمه عليه حكما قاطعا أن يربى النبات شاء أم أبى . فاذا كان هذا في نوع الانسان وهو جاهل به فما بالك بما هو أبعد عن فهمه من الحيات والسباع والوحوش والجوارح من الطير . إن أكثر الناس لا يفهمون ذلك ولذلك ضرب عنها الذكر صفحا واكتفى بذكر العقل والسمع والبصر وقال اشكروا واذكروا . هذا هو العجب في هذه الآيات

﴿ جوهرة ثان ﴾

(الأولى) في قوله تعالى - سراييل تقيم الحز - (والثانية) في قوله تعالى - وسراييل تقيم بأسيكم كذلك يتم نعمته عليكم اعلكم تسامون -

﴿ الجوهرة الأولى ﴾

اعلم أنه تقدم في سورة (الأعراف) على علم الصحة عند قوله - وكأوا واشربوا الخ - وفي سورة النساء عند قوله تعالى - ما يفعل الله بعذابكم الخ - أقول تقدم في هذين المقامين الكلام على أن صوف الغنم ووبر الجبال وشعر المعز لها ﴿ خاصيتان ﴾ الأولى ﴿ انها تحفظ حرارة الجسم ﴾ والثانية ﴿ انها تكشف العرق ﴾ . والحرير أقل والتيل والقطن أقل من سابقهما وأن المواد كلها مختلفات في توصيل الحرارة فحلموا الفضة مائة (١٠٠) وغيرها أقل منها وهكذا إلى الخارصين (١٩) والحديد (١١٩) والبرزمويت (١٨٨) فهذه المعادن موصلة جيدة للحرارة بهذه النسب . ومعنى هذا أنك لو وضعت ملاعق من الحديد والفضة والخارصين في ماء حار وأمسكتها من الخارج وصبرت زمنا ما لم تقدر على أن تمسك ملاعقة الفضة من خارج الماء لشدة الحرارة ثم بعد ذلك تلاحظها ملاعقة الخارصين فالحديد

أما غير المعادن كالخشب والزجاج والفحم والصوف والحرير والوبر وجميع الاجسام العضوية فانها رديئة في توصيل الحرارة . هذا بعض ما ذكرته هناك فاقراءه إن شئت . وإنما الذي أدهشني اختصاص الدواب بالصوف والشعر والوبر . أريد أن أحدثك حديثا عن الانسان . إن المولود يخرج من بطن أمه عارى

الجسد من الصوف والوبر والشعر والجلد المتين . عارى العقل من العلوم والمعارف . يدرج ويهوى ويكبر فيرى طيوراً فوقه ذات ريش لطيف وبقراً وجاموساً وغنماً وأبلاً ذات شعر وصوف ووبر . ثم يرى أن الناس يتخذون من الصوف ومن الوبر ومن الشعر ملابس ومساكن يحملونها من مكان إلى مكان ويراهم فوق ذلك يزرعون القطن والتيل والكتان ويستخرجون الحرير ويلبسون من ذلك كله ويراهم يجتدون تعصيل ذلك كله فيستخذون الأنعام ويربونها ويكتدون في جمع المال لما يأكلون من ذلك ويلبسون ثم يتوتون ولاهم يذكرون . هذا تاريخ الإنسان العادى الذى خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً ثم لم يرتفع نظره إلى ما فوق الماء كل والمشارب والملابس . ولكن الله يقول له - وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون - ولا جرم أن مبدأ الشكر العلم ولا علم إلا بالتعلم . ومتى أخذت البصائر فتفتح بالعلم صارت أشبه بالزهرة في أشجاره والورد في أكمامه والكهرباء في قناديلها والكواكب في سماها . هنالك تضىء له أركان هذه الطبيعة التي استعبدته . ينظر فإذا يرى . يرى أنه

(١) خلق عارياً والدواب من حوله مكسوة فيقول ما السبب فيجواب إنك منحت ومنعت وما منحت أفضل مما منعت . منعت شعراً وريشاً ووبراً ومنحت عقلاً وحكمة وبهذا العقل شاركت الدواب في أشعارها وأوبارها الخ وزرعت القطن والكتان الخ . فيقول ولماذا أعطيت فوق ما أتخذ من الدواب قدرة على ما أتخذ من غيرها مع أن ماعداً الشعر والصوف والوبر أقل منها لحفظ الحرارة . فيجواب إنك أعطيت عقلاً والعقل حر فوجب أن يعطى الحرية فيتخذ ما يشاء ويختار قطناً أو تيلاً أو صوفاً على حسب الزمان والمكان فيلبس الجلود في الأقطار الباردة ويلبس أخف الثياب في الأقطار الحارة . فيقال ولم يجعل على الحيوان قطناً أو تيلاً ولم يختص بالصوف والوبر الخ . فيجواب أن الريش والوبر والصوف فيها (خاصتان * الأولى) أنها تحفظ ما تحتها فلا تدخل عليه حرارة من الخارج كما في (الثلى) المغلف باللبد فإن ما أحاط به قد منع الحرارة الخارجية أن تصل إليه فيبقى ثلجاً وهكذا الإنسان يتقي الحرارة بالكساء وقت الظهيرة في حجارة القيط

(الخاصة الثانية) أنها تحفظ حرارة ما تحيط به فلا تنقل إلى الخارج . ألا ترى إلى الإنسان كيف كان في كثير من الأزمنة والأمكنة يحتاج إلى حرارة أعلى من حرارة أجو المحيط به وهكذا الحيوان فلذلك أعطى الحيوان تلك الأشعار والأوبار لتحتفظ حرارته الداخلية ولو كانت الأشعار وأحوالها موصلة جيدة للحرارة كما يوصل المعدن كالحديد والنحاس الخ لتسربت الحرارة إلى الخارج ومات الحيوان فمن حكمة الله أنه لم يجعل طبع الأصواف والأوبار والأشعار كطبع الذهب والفضة والبلاطين وسائر المعادن بل جعلها موصلة رديئة للحرارة فخفظت للحيوان حرارته فعاش إلى حين ولم تعط بالحيوان الحرية في اتخاذ ما يشاء كالإنسان لأنه لاروية عنده مثله بل أعطى الكساء الحافظ له مرة واحدة فالزينة تعطى للأعلى وهو الإنسان لأنه يستمد الحرية من الملاء الأعلى وقد قلده الإنسان ربه . انظر إلى ما ذكرته في سورة النساء عند الآية التي أشرت لها آتفا وهذا نصه

(وترى الناس يغلفون أنابيب المياه الحارة وأنابيب البخار وجميع الأجزاء التي قد تكون معرضة للهواء من مراحل بعض الآلات البخارية بغلف من الفلين أو خليط من طين بتيين أو طين يشعر أنواع من طوب قد صنع من قش الفلين . كل ذلك لأن هذه موصلة رديئة للحرارة أى الطين المخلو بالطين والطين المخلو بالشعر مثلاً يمنعان ويحبسان الحرارة في المراحل فلا تنبعثر في الخارج . فهذه الأجسام الرديئة التوصيل للحرارة أشبه برعاة الغنم والامراء والحكام والوعاظ الذين يحافظون على الأثم) . انتهى

هذا هو الذى قلته هناك وأقول هنا نحن في الأرض اصطفيينا هذه الاجسام التي لاتوصل الحرارة بجعلناها محيطاً بالإنسان . ولما نظرنا في الحيوان وجدناه قد فعل به ما فعلنا نحن في أعمالنا . هنالك يأخذ الإنسان كل الحب ويقول ما بالنا نعيش ونموت ولا ندري هذه الظاهرة العجيبة . صوف ووبر وشعر تتحالف كلها

على حفظ الحرارة في داخلها ثم لا يحمى من خطأ البتة . ولماذا لم تر هذه الخليفة أخطأت في هذا التركيب ينظر الانسان فيراه يدرك جمال الوجوه وجمال النغمات ويهجه حفيف الأوراق وتمایل الأغصان وتجواب الرياح . الانسان يعرف هذا لأول وهلة ولكنه قط لا يفتن لمثل هذه الظاهرة الشعرية والوبرية والصوفية ولئن أدرك الحجر في سقوطه بالتربيع المذكور في أول سورة (آل عمران) وأشياء أخرى عجيبة في سور غيرها كالرعد وذلك بالبراعة في العلوم الرياضية إنه مع ذلك لا يشعر بالتعجب من هذه الظاهرة الحيوانية إلا بعد دراسة العلوم الطبيعية . تلك العلوم التي تفتح للعقول بابا كان مغلقا وترينا جمال الله وأنه ليس خاصا بجمال الزهر والنهر والبحر والوجوه الجميلة بل الجمال الأوفى هو الذي اخفى عن أعين الجاهلين . هناك حساب دقيق في خلق الحيوان . هناك ابداع واحسان وجمال واسكن ذلك الجمال لا يراه العامة ولا أكثر المتعالمين . يعلمون ظاهرا من الفرح بتملك الأنعام وهم عن عجائبها معرضون . ثم يتأمل الانسان في نفسه ويقول اذا كان كساء الحيوان قد بنى على علم وحكمة والناس يعيشون ولا يعقلون وقليل منهم الذين أدركوا هذا الجمال أى التناسب والتوافق . فعلام يدل هذا . فيقال له إن هذه الطائفة التي أدركت ذلك الجمال وفرحت به أرقى من بقية نوع الانسان وهؤلاء هم الذين يربون في الأرض مع عاثة الناس وتموت قوتهم العاقلة ويزيدون جالا في نفوسهم ويشعرون بأن الناس حولهم عصى صم بك من ذلك الجمال وهذه الطائفة القليلة قد أعدت في الأرض لعوالم أرقى . ومن جهة أخرى ذلك يدل أن هناك عوالم ونفوسا مشرقة فوق أهل الأرض غايتها في حياتها ادراك هذا الوجود على ما هو عليه . فاذا كانت هذه الأرض أكثر أهلها من الناس غافلون عن عجائب الذرة والقمح مثلا المذكور بعضها في تفسير الفاتحة وعجائب الأشعار والأوبار المذكورة هنا وفيهم أناس عرفوا وفروا فعناه أن أكثر الناس مع الحيوان يعقوبهم وأخلاقهم وأقلهم بل النادر فيهم هم القادة وهم السادة وهم الذين يشبهون نفوسا أعلى دأبها أن تفرح بهذه العلوم . ذلك لأن العقل يقتضى أن يكون الحيوان إما أن يكون صاحب شهوة وحدها وإما صاحب عقل وحده وإما جامعا بين الخصلتين . فالأول الحيوان والثاني الملك والثالث الانسان . ولكن هذا الانسان إن غلبت عليه الشهوات كأكثر الناس في الأرض جهلاء ومتعالمين فهو إلى الحيوان أقرب وإن غلب عليه العقل فهو إلى الملك أقرب . وقد وصلنا إلى المطلوب الآن وهو أن أولئك الذين يشعرون بجمال هذه الخليفة ويدرسون سر وجودها هم أقرب إلى الملائكة والناس حولهم جميعا كالحيوان . ذلك هو معنى قوله تعالى - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم - وذكر الطير والمساكن والجبال والسرابيل وتنام النعمة . ولا جرم أن الطير قد تقم في أول سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض - والجبال ستأني في سورة (الغاشية) وتقدمت اجالا في سورة (الرعد) عند ذكر القطع المتجاورات وفي سورة البقرة عند ضرب موسى الحجر بعصاه فتفجر الماء فان ذلك الصنع حاصل في الجبل فاقرأ هناك وبقية الآية قد ذكرته هنا

إن الله كتابا قد كتبه بيده وهذا الكتاب هو سمواته وأرضه . هذا الكتاب أنزله قبل خلق الناس ولما خلقهم أعطاهم عقولا . فهذه العقول غشت عليها المادّة فجعلت بينها وبين جمال العالم الذي نحن فيه سدا حصينا فأرسل الأنبياء فأخذوا يرشدون الناس إلى دراسة هذا الكتاب الذي كتبه الله بيده الذي حروفه كبيرة ففعل أكثر قادة الديانات واكتفوا بحفظ أوفهم ألفاظ الدين وغرهم في دينهم ما حفظوه وما فهموه فرجعت الانسانية التهقرى . فاذا يفعل الله في عوالم منحطة كهذه . يرسل عليهم البلاء ويخلق في الأرض من يشعلون نار الحرب فتظهر علوم وصناعات تدهش أولئك المتدينين الغافلين فان ظهر فيهم مصلحون بعد ارسال العذاب عليهم ومحاربتهم وسمعوا لقولهم فازوا وإن لم يقم مصلحون أو قاموا ولكن الأمم لم تسمع لقولهم أهلكت تلك الأمم ولات حين مناص

فيا ليت شعري كيف نعرف قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - إلا بمثل هذا المقال ولوسئل صوف الغنم ووبر الجبل وشعر العز عن عمله وهي قادرة على النطق لقات بلسان فصيح إن الله منحني قوة حفظ الحرارة لنفع هذا الحيوان فهو تعالى منزله عن العبث مقدس عن اللهو واللعب ووضع الشئ في غير موضعه . هذا هو التسبيح العملي وكيف نعرف معنى بسم الله الرحمن الرحيم أو - ورحمتي وسعت كل شئ - أو - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إلا بمثل ما بيناه . وكيف نعرف - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام إلا بنحو ذلك وهكذا - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - بكسر اللام . ثم كيف نفهم الأثر المشهور ﴿ ما رأيت شياً إلا وجدت الله قبله ﴾ وفي رواية (بعده) وفي رواية (معه) . كيف نعرف هذا إلا بمثل هذه المباحث والمعلوم . وهكذا قوله تعالى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم الخ -

إن فهم عجائب الحيوان بالعلوم الطبيعية يجعل للانسان قوة أن يفهم نفسه لأن السمع والأبصار والأفئدة التي أعدت فيه للشكر (وأسّ الشكر المعرفة) تقوى بدراسة الطبيعة المحيطة بنا على فهم تركيب أجسامنا المذكور في أول سورة (آل عمران)

هذا الهيكل المنسوب الحبيب هو الذي سكن الملك وجنوده في الطبقة العليا منه وهي العقل والحس المشترك والخيال والذاكرة والمفكرة ثم السمع والبصر وبقية الحواس . كل هؤلاء كانت سكنهم في الغرفة العليا وهي الطبقة الثالثة في الجسم فلم نرى هؤلاء النواب ورئيس جهور يتهم في باطن السماغ ولا بينه وبين حكام الأقاليم الذين اختصوا بها كالسمع لاقليم المسموعات والبصر لاقليم البصيرات وهكذا . أقول لم نرى بينهم أحدا من سكان الغرفة الوسطى كالقلب وكالرئة اللذين كان شأنهما اصلاح الدم وتوزيعه الى سائر الطبقات بعدل ونظام مبين فهذان تأدبا باداب الله الذي حكم عليهما ألا يجلسا في مجلس نواب هذه المدينة الذين هم أولى أن يكونوا في أعلى المكان ليشرفوا على الجسم كله وليحصلوا منافعه من تلك الأقاليم . وهكذا لم نرى الطبقة العليا ولا في الطبقة الوسطى أحدا من سكان الطبقة الدنيا فلم نر المعدة المعدة لهضم الطعام . وكذلك الامعاء الدقاق والغلاظ ولا السكبد لمساعدة الدم في تقويمه ولا الطحال ولا السكيتان اللذان لهن عمل في الدم إما بحفظ السكرات البيضاء وإما بجذب الماء من الدم . أقول لم نر أحدا من هذه كلها خرج من الطبقة الدنيا فعاش مع القلب والرئة أولى الطبقة العليا فجلس رئيس الجمهورية أو أعوانه الذين هم داخل القصر ولا أعوانه الذين يحكمون الأقاليم كالسكبد والشمس والشمس كالنور للموسات والمشمومات والمأكولات . فهؤلاء جميعا مؤدبون في أماكنهم قائمون بأعمالهم كالملائكة الموكلين بهذا العالم - وما لنا إلا له مقام معلوم -

هذا هو الذي يفهم هو ونظيره من قوله تعالى - وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون - ومن قوله - كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون -

اللهم لا شكر إلا بالعلم وأجل العلم ما به عرفنا أنفسنا . فإذا وجدنا سكان الطبقات السفلى لم يتكبروا فيجلسوا في الطبقات العليا . فهكذا سكان الطبقات العليا لم يتنزلوا الى سكنى الطبقات السفلى لئلا تعطل أعمالهم فلم يكن العقل وهو الرئيس المذكور ولانائب من النواب معه كقوة الذاكرة ولا حاكم من حكام الأقاليم كالصبر تنزل في الصدر أو أمامه ولا في المعدة والامعاء أو أمامهن ذلك لئلا يحصل الاختلاط بالمواد الغليظة فلا يمتن بأعمالهن . كذلك لم نر القلب ولا الرئة تنزلا الى وضعهما بجانب السكبد أو المعدة أو الطحال أو الامعاء لئلا يستضر ابتلاك المواد الغليظة فيفسد سيرهما

ثم ان الانسان يرى أن هناك شرطين لا يفتان يلهبان هذا الانسان والجوف بسوطهما ﴿ أحدهما ﴾

هو الجوع فكما كان أحد سيفاً وأقوى عصا كان الإنسان أقدر على حفظ حياته بالطعام . وكلما ضعفت عصاه
أوفل سيفه ضعف الغذاء فضعف الإنسان ﴿ وثانيهما ﴾ الشبح الذي يأمره بالكف والأضر به بسوط السامة
والسكرانة للطعام . وهناك عضوان آخران ﴿ أحدهما ﴾ جالس أمام الرئيس والنواب قريباً من حكام
الأقاليم والعضو الآخر جالس أسفل الطبقات كلها . فالأول هو سفير الدولة يبلغ الدول كلها ما يريد من نواب
الأمة أو يفعله حكام الأقاليم عند الاقتضاء . وهذا هو اللسان والثاني وهو الذي جلس في أسفل الطبقات هو
عضو التناسل لأنه إنما جعل ليكون لهذا الإنسان نظيره يبقى بعده وإنما وضع هذا في الأسفل لأن عمله فردي
والأعمال الفردية قيمتها أرخص القيم . أما ترجمان الدولة وحامل علمها وسفيرها المعبر عن آراء عظمائها
فهو أعلى مقاماً وأكبر سلطاناً ولذلك كان في الطبقة العليا ونظير ذلك العلماء والحكماء في نوع الإنسان الذين
هم ممدوحون في كل كتاب وعلى كل لسان بخلاف الاعتكاف على اشباع البطن أو عضو التناسل امتثالاً لسوق
الشرطين القويين الجوع والشبق . فالاعتكاف على ذلك تنزل عن الإنسانية إلى درجة البهيمية
إن هذين الشرطين قد وضعاً في أسفل الطبقات للإشارة إلى أن هذه منزلتهما فهما مأموران لا آمران
والمأموران إذا أصبح أمراً فسدت المدينة ولو كان المدار على حفظ الشخص وحده لكن الدود في الفاكهة أعز
وأبعد لأنه محفوف لا يحتاج إلى شيء آخر . ولو كان المدار على التناسل لسكانت الحيوانات البهيمية التي تتكاثر
بطرق شتى كالانقسام وكالانزاع التي تنبت على ظاهر جسم الحيوان وتصور بصورته تدريجاً ثم تنفصل عنه
وتكون حيواناً مثله . أقول لو كان المدار على التناسل لسكانت هذه الحيوانات أشرف من الإنسان ألف
ألف مرة فإن العلامة (لرنبرج) حسب أن الحيوان الواحد منها يصير ٢٦٨ ألف ألف حيوان في مدة شهر
واحد . إذن عملية التناسل أقل الأعمال الحيوانية ولذلك وضع عضوها أسفل من غيره . فأما الترجمان
وسفير الدولة فقد جلس في الطبقة العليا كما قدّمناه لشرف مكانته . ولا جرم أن سفراء الدولة يجب أن يكونوا
على اتصال تام بالهيئة الحاكمة فلذلك لم ينزل اللسان إلى الطبقتين الأخريين فلم يجلس مع القبل والرئين ولا
عند المعدة والامعاء لأن هؤلاء عمال ولا علم عندهم وإنما العلم عند الرئيس والنواب وحكام الأقاليم
ولما كانت الدولة لا بد لها من صحافة وكتاب لدواوينها لتدوين أعمالها وجب أن يكون بجانب هذا
الترجمان (الذي كثيراً ما يعطى لقب سفير بل سفراء لعظم مقامه) كاتباً يكتب كل ما يلزم فوق الاختيار على اليد
وقربت إليه جداً بحيث كانت في أعلى الطبقة الوسطى فهى قريبة من اللسان وهي التي تكتب آثاره وتسطر
أعماله . ذلك هو الإنسان . ذلك هو الكتاب المسطور الذي سطره الله لقرأه ومتى قرأناه استعدنا للقاء
الحضرة الربانية لأنه لا يرى الله إلا من أحبه . وكيف يكون الحب للمجهول والعلم العام لا يعطى محبة
واعلم أن هذا القول ليس يذوقه كل من قرأه فإن أحببته وفرحت به فاعلم أنك رجل مفتوح عليك وإن
رأيت قلبك غير فرح به فادع الله واعبده فيشرح صدرك

ففز بعلم تعش حياً به أبداً * للناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

﴿ جمال الجوهرة ﴾

أيها الذكي القارئ لهذا الكتاب اعلم أن هذا المتقدم هو الذي فتح به الله على في هذه الليلة (١٦) نوفمبر
سنة (١٩٢٧) فهذا أنا أقول صباحاً في نفس التاريخ ماله انشرح الصدر في المنام واليقظة معاً وهما ﴿ حكمتان ﴾
موضحتان لهذا المقام

﴿ الحكمة الأولى ﴾

إننا قد فهمنا أن لهذا الإنسان ما يشبه الجمهورية ورئيسها وأن هناك نواباً عن الأمة كالذاكرة والخيلة الخ

وأن هؤلاء النواب هم المعبرون عن حاجات مجموع الجسم وأن لهم ترجائنا ونفس هذا الترجان هو السفير للخارج وأن هناك رجال الصحافة والمؤلفين لهذا السفير ولهذا المجلس من نواب ورئيس الخ وهذه الأعمال قد اجتمعت في اليد فهي الكتابة لهذا كله . وأقول الآن فوق ما تقدم أن لكل دولة كأممتنا المصرية مصالح من زراعة ومعارف ووزارة لداخل البلاد وأخرى لخارجها ووزارة للأشغال ووزارة للحرية ومصلحة المساحة ومصلحة المواصلات . وهذه كلها موفورة في الإنسان . فاليد تزرع كالأولى وتساعد العقل واللسان في الثانية وتحافظ على الجسم من الدرن ومن الحشرات المؤذية كالبراغيث وذلك كوزارة الداخلية وأما وزارة الخارجية فهي اللسان واليد واليد تحضر الأنهار بالنفاس وهذه هي الأشغال وتمسح الأرض وهذه هي المساحة والرجل تقوم بالسير في الأرض بدل وزارة المواصلات واليد تدافع العدو تارة والرجل تهرب به أخرى وكلاهما بدل وزارة الحربية . انتهت الحكمة الأولى

الحكمة الثانية

(محاورات بين السود والغزاة والإنسان والملك في السعادة والشقاوة)

كأني الآن في نفس صباح هذا اليوم في عالم الخيال وكأني أرى (١) دودة (٢) وغزاة (٣) وإنسانا (٤) وملكاً والثلاثة الأولون يتحاورون والملك يستمعهم

قالت الغزاة للدودة في بطن التفاحة إذ عثرت عليها وهي تعالج أكل التفاحة . أيتها الدودة لقد عشت هنا في حصن حصين ونعيم . إن الله أعد الجنة للمتقين فهأنت ذه في جنة عرضها التفاحة وماؤها حلو ولذيذ وسماؤها وأرضها روح وريحان وجنة نعيم لا تعب ولا نصب وأنت في عز مقبم أما أنا ففي نصب وتعب أفر من الآساد والذئاب ومن هو أظلم منهما وهو الإنسان كلهم يطاردوني فأنت في نعيم وأنا في حجييم فأنا لا أدري أين العدل في هذا التقسيم . نعيم لقوم وحجييم لآخرين ولا فضل لك ولا ذنب علي . فقالت الدودة قد أخطأت يا أختي المرمي وجهت قدر النعمة . كيف تكفرين بنعمة الإدراك والجلد والشعر والحواس والقوة . منعك الأدنى وأعطاك الأعلى وأنا فهمت نعمتي ورضيت سعادتي وأنت لم تفهمي . منعك الراحة ولكنه أعطاك القوة وهذه الأعضاء والحواس وسهل لك سبل المعاش فزرع لك الأرض وملاها بالكلاء وقال كلوا واشربوا وما السعي إلا ترقية لكم وذلك فتح لباب الحرية والاستقلال وأنت اليوم فتح لك بابهما بهذا السعي فأنا في سجن مع تمام اللذات وأنت في شبه حرية مع السعي . - فأى الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون - فجاء دور الإنسان فقال . لئن شكوت أيتها الغزاة لأنا أحق بالشكوى منك . قد أظلمت الدنيا في وجهي وفتحت لك أبواب السماء وأكناف الأرض فأنت موفاة الغذاء والماء تأوين كل مكان وتشربين من كل نهر والكلاء قد ملا السهل والوعر وقد أعطيت كساء دافئا من ولادتك الى موتك . أما أنا فاني قد حكم علي أن لا أكل إلا ما صعب الحصول عليه من حب وفاكهة ولحم . كل ذلك لأناله إلا بشقة عظيمة وعرق جبين وأعمال ونصب وتعب وحكومات وعللوات مما يطول شرحه ولا مطمع في استقصائه . فقالت الغزاة انما مثلي ومثلك كمثل الدودة معي . لقد أعطيت أنت العقل واليدين فأما أنا ففي أربعة أرجل ولا يدلي أقلب بها الأرض فأستخرج زرعها وأحصل الشعر والوبر والصوف من غيري لذلك وفر الغذاء لي وأمرني بالسعي اليه برجلي وأنت لما أعطاك اليدين والعقل وغيرهما أمرت أن تعمل بهما فتستخرج الغذاء والكساء اللذين أكثرهما عندي ولوائه منهحك الغذاء والكساء موفرين لأصبح عقلك ويداك بلا عمل فتصرفهما في الشر وهذا قوله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - والمطالب لانهاية لها ومنافع المادة لانفني ووراء كل كشف سر - وفوق كل ذي علم عليم - . انما فعل ذلك معي ومعك لأنه عدل فأعطاك حيث منعك ومنعني حيث أعطاني . فهناك غم وغرم وأنت أعلى مني لأن هذا النصب فتح لباب اتمام الحرية

والله ليس بخيلا وإنما هو حكيم والحكيم يفعل على قدر المصلحة فلوأمرني أن آكل كما تأكل أنت وألبس كما تلبس أنت بحيث لا آكل إلا البر واللحم ولا ألبس إلا الخبز والديباج لكان ظالما . ولوسهل لك الملابس والمساكن كل مثل ما سهل لي لكان ظالما لأنه أقعدك عن المعالي وهي الحرية والعلم فكل حركة من حركات العقلية والجسمية مفتاح من مفاتيح أبواب الجنة والخروج من أسر هذه المادة والقرب من ربك الذي تنزه وتقدس عن المادة . فهذا كله جهاد علم الانسان أم جهل شاء أم أبى . - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم . - إن الله عليم قدير . وكل من منحه علما وقدرة من مخلوقاته كان أقرب إليه وازداد العلم يزداد القرب والعلم بالسعي والاكتساب قال تعالى - وزاده بسطة في العلم والجسم - الخ وإن لك عبرة بالجنين منكم فإنه لما منع القوة العقلية والجسمية أعطى غذاء من أمه فثله كمثل الدودة ولما ولد وأخذت أمه ترضعه فإنه يكون أشبه به في موثر الرزق ولكن عنده بعض السعي إذ يبكي لأمه ويضحك ويمسك الثدي ويمتص اللبن وكل ذلك عمل أشبه بعملنا نحن الغزلان في طلب القوت الموفر في الأقطار فإذا كبر هذا الطفل واستغنى عن لبن أمه سعى بنفسه وجد في طلب الرزق فارتقى عن هاتين الحالين فهل تقولون إن حال الطفولة أفضل من حال الرضاغة أم تقولون إن هاتين أفضل من حال البلوغ في السن . هذا معنى قوله تعالى - قتل الانسان ما أكفره - فهذا هو الكفر المذكور في هذه الآية من القرآن . فاما سمع ذلك الملك قال (وأنا أسمع) أن هذا القول هو تفسير قوله تعالى - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا - إلى قوله - فله الحجة البالغة - فهذه الحجج من حجج الله البالغة فحجج الدودة وحجج الغزالة فتجيب باب لفهمكم حجة الله البالغة

واعلموا أيها الناس انكم مادتم لم تتقوا على الحقائق بحيث تفهمونها كما فهمتم أمر الدودة والغزالة والانسان فانكم لاتصاون رؤية ربكم . وكيف يجالس الملوك من هو مملوك ذليل وضع . إن هذه الآراء تعطى الناس رضا بما يمر عليهم من عز وذل وغنى وفقير . ومتى ارتقت عقول الناس أدركوا أن الذليل منهم والعزيز والفقير والغنى الخ لم يكن هذا لهم إلا الحكم مخفية على الناس كهذه الحكم التي ظهرت في الدودة والغزالة والانسان فالحكم في تفاضل الأنواع كالحكم في تفاضل الأفراد والأول قد فهمتموه والثاني يجب عليكم أن تصبروا عليه حتى تفهموه وهذا أيضا معنى قول نبيكم ﷺ ﴿ وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله ﴾ فلا شر إلا مثل ما ادعته الغزالة بالنسبة للدودة وما ادعاه الانسان بالنسبة للغزالة . كلاهما ظن أن نصبه شر وما هو بشر بل هو خير . فاذن لا شر وإنما تلك مراتب وضع الله الخلوقات فيها فلم يفهموا وهذا معنى جد الله على السراء والضراء لأن الحمد لا يكون إلا على نعمة فإذا كان قول المسلم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ﴾ يشمل القضاء بالخير وبالشرفان لم يكن الشر المذكور خيرا في الواقع كان الحمد رياء فيحمد المؤمن ربه على الشر والخير وسياق يوم يفهم فيه أن الشر خير في الواقع كما فهمت الغزالة في هذا المثال

وهذا في دين الاسلام هو نفس المحاور التي بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام . فالسفينة التي لمساكين يعملون في البحر قد عابها الخضر خوفا من الملك أن يأخذها . فهل هذا شر . وهل موت الغلام الذي كان شر على والديه شر . وهل إقامة الجدار الذي يحفظه يحفظ مال الأيتام شر إلا إذا قال الانسان إن كدحه لولده الذي سيموت وتأليفه العلم شر ونفعه الناس شر وانفاقه على المساكين شر لأنه لم يأخذ عوضا كلا بل إقامة الجدار وما بعده كلها خير كبير لأنها وإن لم تقابل بفائدة مجيلة فإن النفس ارتقت بهذا العمل ولا علم لها به وهذا المقام يعرفكم السر في الأمر بالرضا بالقضاء والقدر . فهذا الصبر الذي أمرتم به على مثل ما نصبر الغزالة وما يصبر الانسان بالنسبة للغزالة يكون اليوم تكلفا فإذا ارتقيتم إلى عوالم أعلى بعد الموت وقفتم على سر ما جهلتم الآن وأدركتم سر كل ما صبرتم عليه وعامتم حكمته كما علمت الغزالة وعلم الانسان كل

منها سرّ نصبه وتعبه بالنسبة للآخر
فما من عزّ أودلّ أو استعبد أوحرة أو فقر أو غنى أو جهل أو علم أو إيمان أو كفر إلا لحكم استتارت على
الناس والناس مأمورون أن يصبروا وحرم عليهم أن يعلموا الحقائق وسيأتى يوم يعلم الناس أن حقائق الديانات
هى نفسها علوم هذه الطبيعيات فى الأرض والسموات . فلما سمعت ذلك انقبت من الخيال وكتبت هذا
المقال . انتهت الجوهرة الأولى
﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون - ﴾
قد جعل الله خاتمة النعم السراييل وهى الدروع التى تقينا بأسنا تقينا الحرب والضرب والقتال . يا عجبا
لهذا الانسان وحياته

﴿ عجائب الانسان وحربه وقاتله ﴾

هل يدور بخلد الناس أنهم لاسعادة فهم إلا بالقتال . هل يعلمون أن الحرب نعمة عليهم . يا عجبا إن
السباع والوحوش نعمة كما ذكر والحيات والعقارب آية باهرة كما ذكرناه وجوارح الطير خير من عند الله
وقد أصبح الانسان يرى بعقله أن كل ما هو موجود نعمة من عند الله . هذا هو الذى قضاه العقل الذى ذكر
فى الآية وأنه انما خلق لشكر الله ولكن هل يعلم الانسان أن حرب الدول والممالك كالخرب الكبرى العاقبة
التي ابتدئت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ هل يعلم أنها هى وأمثالها نعمة كنسمة تلك الحيوانات واصطياد
كبارها لصناعاتها واجتياح أقواها أضعفها فان لم يعلم الناس ذلك فليقرؤا - سراييل تقيكم الحر - وسراييل
تقيكم بأسكم - وجعل هذه خاتمة النعمة . جعل الله الحماية من الحرب نعمة . وبأيت شعري أى فرق
بين الغازات المسممة والخانقة والطائرات الجوية والقنابل اليدوية والديناميت . أى فرق بين هذه وبين
الدروع . لا فرق بل هذه أبعد منلا وأشرف وأرقى مثالا . يجعل الله ذلك نعمة علينا ويأمرنا بشكرها
ويقول هذه العتول خلقتها لشكرونى بالتفكر والعمل . وأى نعمة فى هذه . إن فى ذلك نعماء عظيمة
يجدد نشاط الأمم ويحيى قوتها ويرقى آمالها ويبعث فيها فكرة التجديد وتموت الأمم الخاملة وتحيا العاملة
لأن هذا العالم عالم نشاط والله خلاق فلا يحب إلا العاملين لاسيما فى مستقبل الزمان إذ تكون أمم ودول قويات
عالمات نشطات . فأما زمن الكسل والتواكل والاستعارة فقد مات وفات وطفن الناس وسيرتقون
ولقد أوحى الله لسكل أمة وحيا إلهاميا أن تحافظ على كيانها وتلم شعنها وتسابق جيرانها فجعل الأمم
أشبه بأنواع الحيوان تهجم فرقة على فرقة وبث فى قلوبهم الحمية سواء أكانت جاهلية أم دينية أم وطنية
أم جنسية أم غير ذلك وجعلهم يقتتلون . وهذا الاقتتال هو الذى يبعث اليهم النشاط ويقوى الآمال . فأما
الموت الذى تكون الحرب سببه فانه مقصود من مقاصد هذا الوجود فهو أشبه بموت الرباء أو قلة الغذاء أو منع
المطر أو غير ذلك . هذا بعض من قوله تعالى - وسراييل تقيكم بأسكم - فهو يأمر المسلمين والناس أجمعين
بشكره على هذه السراييل الحربية والأدوات القاتلة للأمم لأنه هكذا خلقت وهكذا يريد ترقيةنا فإذا لم نقدر
فى ذلك ولم نعمل به أرسل أممنا لينا فقتلتنا بهذه الآلات والمدمرات . تم الكلام على القسم الثانى من السورة

(القسم الثالث)

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي

تَقَضَّتْ عَنْهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَارَاتِ تَخْذِيلِ أَيْمَانِكُمْ دَخَلَ يَنْتَكُمُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ
 أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ *
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلَ يَنْتَكُمُ قَتْلَ قَدَمٍ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا
 السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ
 اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ
 صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْهَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَلَنُجْزِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
 يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً
 مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
 الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ
 يَقُولُونَ إِنَّمَا يُهْلِكُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * إِنْ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ
 أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ
 * لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنَّهُمْ
 جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
 وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
 يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنَّهُمْ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ *
 فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا
 حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا
 حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ
 قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
 ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ
 يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَأَتَيْنَاهُ فِي
 الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَتَحَكَّمُ
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
 الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ *
 وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (العدل) في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلوة ولا نقصان فيه ولا تقصير
 فاذن هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر (والاحسان) أن تقابل الخير بأكثر منه والشر
 بأن تعفو عنه (وإيتاء ذى القربى) إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيصهم بالتعظيم للعناية بهم
 (والفحشاء) الإفراط في متابعة القوة الشهوية كلزنا وشرب الخمر والحرق والطمع والسرقة (والمنكر) هو
 ما تنكره العقول من دواعي القوة الغضبية كالضرب الشنيع والقتل والتناول على الناس (والبنى) هو ما كان
 من مجموع القسمين السابقين كأن يسرق ويقتل معا وكان يرتقى ويحكم بالباطل فالبنى يجمع الفحشاء والمنكر
 معا وهو وصفة الشياطين (يعظكم) أى أمركم بثلاثة منها كم عن ثلاثة لئلا تعظوا فتعزلوا بما فيه رضا الله
 تعالى (اعلمكم تذكرون) تعظون (وأوفوا بعهدهم) هو كل ما يلزمه الان ان باختياره ويدخل
 فيه الوعد أيضا لأن الوعد من العهد (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ولا تنقضوا الأيمان فتعزلوا فيها

ومنها إيمان البيعة بعد توليها وتشديدها (كفيلاً) شبيهاً بالوفاء بالعهد (إن الله يعلم ما تفعلون) من وفاء بالعهد ونقضه . ثم أخذ هنا يضرب مثلاً لنقض العهد بأن امرأة من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو من بني تميم كانت حواء بها وسوسة ففزل هي وجوارها غزلاً ثم تأمر بنقضه (من بعد قوة) إبرام وإحكام (أمكنها) طاقات جمع نكث وهو ما ينكث قتله مفعول ثان لنقضت أى صبرت والمراد تشبيهه بنقض العهد بهذه المرأة الحواء أو من هذا شأنه من كل من يفزل وينقض غزله حواءة أى ولا تسكونوا متشبهين بهذه المرأة حال كونكم (تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم) والدخل ما يدخل الشيء وليس منه فيكون ذلك دغلاً وخيانة وخديعة فيظهر الرجل الرفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون أمة هي أربى من أمة) لأن تكون جماعة أوفر عدداً من جماعة . وقد كانوا يحالفون فذا وجدوا قوماً أكثر عدداً منهم نقضوا حلفاً لأولين وحالفوا الآخرين (إنما يياؤكم الله به) أى إنما يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أتمسكون بعهد رسول الله ﷺ مع قلة المؤمنين وفترهم وكثرة قريش وثروتهم (وليدين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين يجازيكم على أعمالكم ثواباً وعقاباً (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) متفقة في الإسلام ولكنه لم يشأ ذلك لاختلاف الأمزجة والأخلاق والقابليات كما يختلف كل شيء في العالم (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان على مقتضى استعداده (ويهدى من يشاء) بما استعد له هداية وقوله (ولا تتخذوا إيمانكم دخلاً بينكم) كرر للتأكيد (فتزل أقدامكم) عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها ووحدت القدم ونكرت للدلالة على أن زلزل أى قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة (السوء) العذاب في الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) بسبب صدوقكم عن الوفاء وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا إيمان البيعة وارتدوا لآخذ غيرهم بنقضهم سنة يستنون بها (ولكن عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) أى ولا تطلبوا بنقض عهودكم عوضاً من الدنيا قليلاً ولكن أوفوا بها (إن ما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) من عاجل الدنيا (إن كنتم تعلمون) أفضل العوضين ثم بينه فقال (ما عندكم يتفد وما عند الله باق) وهو ثواب الآخرة (ولنجزي الذين صبروا) على الوفاء بالعهد على السراء والضراء وعلى جميع الأمور العظيمة كالأساء والضراء وحين البأس (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) بجزاء أحسن من أعمالهم (فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا يعيش عيشاً طيباً سواء أكان موسراً أو معسراً فالمراد بصرف عنه الطمع المؤدى إلى الفقر الحقيقي والمعسر يتصف بالقناعة والرضا وتوقع الأجر العظيم . فأما الكافر فالحرص وخوف الفوات يكثران عيشه معسراً كان أو موسراً لأن النفس لا تكون مطمئنة البتة (بأحسن ما كانوا يعملون) فهم سعداء في الدنيا بما تقدم وفي الآخرة بالثواب كقوله - فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة - (فإذا قرأت القرآن) فإذا أردت قراءته (فاستمعوا له من الشيطان الرجيم) فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوس لك في القراءة وذلك للاستحباب وصورة الاستعاذة ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾

ولما كان أولياء الله المتوكلون ليس لهم عليهم سلطان واستعاضتهم إنما هي لما يبتغونهم به في أوقات غفلانهم أفاد ذلك بقوله تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) كما تقدم في قوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه كميلهم إلى الشهوات واتباع الأهواء (والذين هم به مشركون) أى بسببه . ثم أتى بذهب من ذنوب هؤلاء الذين يتولون الشيطان فقال (وإذا بدلنا آية مكان آية) أى بالنسخ فجعلنا الآية النسخة مكان المنسوخة لفظاً أو حكماً (والله أعلم بما ينزل) فهو أعلم بالمصلحة فما كان مصلحة في زمن سيكون مفسدة في آخر فيثبت ما كان مصلحة وينسخ ما لا يكون كذلك (قالوا) يا ساء الشيطان عليهم واطاعتهم له (إنما أنت مفتر) منقول على الله تأمر بشئ اليوم وتنهى عنه غداً وجلة - قالوا - جواب الشرط وجلة - والله أعلم بما ينزل - اعتراضية لتوبيخ المعارضين بأنهم

لا يسلون المصلحة والمفسدة فكلموا بما لا يعلمون ولذلك أوضحه بقوله (بل أكثرهم لا يعلمون) ذلك المصالح والمفاسد فلا يميزون الخطأ والصواب (قل) يا محمد (نزله روح القدس) هو جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطاهر أى الروح المقدس أى المظهر من الماسم (من ربك) من عنده حال كونه ملتبسا (بالحق) بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان متى عرفوا المصلحة في الناسخ وبذلك يرسخ الايمان (وهدى وبشرى للمسلمين) معطوفان على - ليثبت - أى للتثبيت والهدى والبشرى للنقادين لحكمه تعالى . ثم انه ﷺ كان يجلس مع سلمان الفارسي ومع عبد الحويط بن عبد العزى وكان نصرانيا أعجميا قد أسلم وحسن اسلامه يسمى عائشا أو يعيش فقال مشركو مكة إنما يعلمه هذان الأعجميان وهذا قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كهاتش وسلمان فرد عليهم الله قائلا (لسان الذي يلحدون اليه) يملون ويشيرون اليه (أعجمي) أى لسان الرجل الذي يملون قلوبهم عن الاستقامة اليه أعجمي اللغة (وهذا) أى القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة وهل الأعجمي الذى لا يبين يعلم الفصحى البليغ في البيان وهل ما يسمعه من غلام سوقى في بعض أوقات ضروره من كلمات أعجمية يصعب فهمها تكون سببا لهذه العاوم الكثيرة في القرآن الذى أعجزكم (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهتديهم الله) الى الحق (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه (وأولئك) أى الذين كفروا (هم الكاذبون) الكامون في الكذب ثم استأنف فقال (من كفر بالله من بعد إيمانه) فعليه غضب الله (إلا من أكره) على الافتراء وكلمة الكفر (وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به كهار بن ياسر إذ أخذه المشركون هو وأباه ياسر وأمه سمية وصهيبا وبلا وبلا وخبابا وسلمنا فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فهؤلاء السبعة ليس لهم عشيرة كأبى بكر إذ منعه قومه ورسول الله ﷺ منعه عمه أبو طالب . فهؤلاء لما كانوا أول من أظهر الاسلام ألبسوهم أدرع الحديد وعذبوهم إذ أجلسوهم في حر الشمس بمكة . فبلال كان يقول أحد أحد فاشتره أبو بكر فأعتقه وياسر قنن وسمية كذلك وهما أول قتيلين في الاسلام وخاب أوقدوا له نارا فأطفأها وذلك أى دهن ظهره وأما عمار فان بنى المغيرة غطوه في بر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد ﷺ فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله ﷺ أن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ ما وراءك قال شربا رسول الله نلت منك وذكرتك فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل ﷺ يمسح عينيه ويقول إن عاودوا لك فقد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية . وحكم هذه الآية ما قاله العلماء (إن من عذب عذابا شديدا لا يطاق كالتخويف بالقتل والضرب الشديد أو الاحراق جازله التلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان) ويقولون (إن الأفضل الصبر حتى يموت كما فعات سمية أم عمار وياسر أبوه وصبر بلال على العذاب ولم يلم على ذلك ولا يقع طلاق باكره خلافا لأبى حنيفة)

ثم أتى بما يقابل المسكره فقال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره هو ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) في الآخرة (ذلك) بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أى ذلك الوعيد بسبب استحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة أى إشارتهم إياها عليها (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون في الغفلة (الاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) إذ ضيعوا ثمار أعمارهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أى عذبوا كعاب (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد (إن ربك من بعدها) أى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) متجاوز عن ذنوبهم (رحيم) بهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الظرف متعلق برحيم أى تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها فكل امرئ يقول نفسى وقر

المرء من أخيه وأمه وأبيه الخ (وتوفي كل نفس ما عملت) جزاء ما عملت (وهي لا يظلمون) لا ينقصون أجرهم (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبي (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أي أهلها (بأنعم الله) جمع نعمته (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أي فعاقب الله أهلها بالجوع والخوف من العدو بما كانوا يقتربون من الذنوب قولا وفعلا . والقرية المضروبة مثلا غير معينة وتعيينها ليس ضروريا للمعنى . يقول بين الله صفة ثم أبدل منها قرية أي صفة قرية وتلك القرية لها ﴿ صفتان ﴾ الأولى ﴿ الامن والاطمئنان من الأعداء ﴾ والثانية ﴿ سعة الرزق آتيا من سائر البلدان فكفروا فعمهم الجوع والخوف وذاقوا مرارتها بعد سعة العيش والأمن والطمأنينة . فهذا المثل ضربه الله لسكل قوم أنعم عليهم فبطروا النعمة فكفروا وتولوا فأزل الله بهم نعمته . وهذا المثل مضروب لأهل مكة ولنا وسلك الناس في الأرض * وقد قيل إن أهل مكة أصابهم ما أصاب أصحاب هذه القرية فجاءوا سبع سنين بقطع المطر عنهم فأكلوا العظام المحرقة وجيف الكلاب والميتة . وأما الخوف فهو من سرايا النبي ﷺ وبعوثه التي كانت تغير على من حولهم من العرب وذلك يخيفهم

إن في هذا المقام ﴿ استعارتين ﴾ في الاذاقة والالباس ومؤلف التفسير لا ينبغي له أن يصرف العقول عما أنزل له القرآن الى أمور صناعية بعد ما استبان المعنى وفهمه العقلاء فان ذلك للبتدئين . ثم أخذ يبين ماهي النعمة التي كفر بها أهل مكة ليكونوا كأصحاب تلك القرية المضروب بها المثل فقال (ولقد جاءهم رسول منهم) وهو محمد ﷺ (فكذبوه فأخذهم المذاب) وهو الجذب الشديد (وهي ظالمون * فكأول ما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله) لأنكم إن كفرتموها كنتم كأصحاب تلك القرية وضرب المثل إنما يراد ليصبر به فلتكن النعمة مشكورة (إن كنتم إياه تعبدون) إن كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والأنعام فاستحلوا فان عبادة الله في تحليلها . ثم أخذ يبين المحرم ومتى علموه عاهدوا الحلال المذكور فقال (إنما حرم عليكم الميتة) التي أمر بذبحها (والدم) المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وما ذبح بغير اسم الله عمدا أو الأضنام (فمن اضطر) أجهد الى ما حرم الله عليه (غير باغ) على المسامين أو غير مستحل لأكل الميتة (ولاعاد) متعمدا للأكل بغير ضرورة أو لاقطع طريق (فإن الله غفور) متجاوز بأكل الميتة عند الضرورة (رحيم) إذ رخص له أكل الميتة . هذا هو تحريم الله فكيف يقولون هذا حلال وهذا حرام من عند أنفسكم (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أي ولا تقولوا الكذب لأجل الذي تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول ولما تصف متعلق بقولوا . وهذا حلال الخ - مقول قول مخدوف تقولون ذلك (تفتخروا على الله الكذب) لتختلقوا والمفتري الكذب يقصد به تحصيل مطوب وهؤلاء ليسوا كذلك (إن الذين يفتخرون على الله الكذب لا يفلحون) منعفتهم (متاع قليل) ينقطع عن قريب (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما نقصنا عليك من قبل) في سورة الأنعام في قوله تعالى - وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر - (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ فعلوا ما عوقبوا عليه (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) متلبسين بجهالة كالجهل بالله وعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والافتراء على الله وغير ذلك من كل سوء (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) إن ربك من بعد الهداهم من بعد التوبة (الغفور) لتلك السوء (رحيم) يثيب على الآباة . ولما كان هؤلاء أشبه بمن كفروا بإبراهيم الخليل من عمرو وقومه وقام فيهم يوبخهم ويكسر أضنانهم فقد فارق دين قومه وحدهم وعالم الناس الخير وجميع الناس يشهدون به ثم أخذ يذكر إبراهيم ثم أتبعه بأن نبينا محمدا ﷺ قد أوحى الله إليه أن يتبعه وهذا قوله تعالى (إن إبراهيم كان أمية) مستحجها ففائل لا توجد إلا في أشخاص

كثيرة فهو رئيس الموحدين كسر الأصنام وجادل الكفار ونظر في النجوم ودرس الطبيعة ليظهر قلبه بالاسلام وهكذا من الصفات الأربعين المتقدمة في سورة البقرة في هذا التفسير (قاتل الله) مطيعا له (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يكن من المشركين) كما تزعم قریش أنهم على ملة ابراهيم (شاكر الانعم) بخلاف قریش إذ كفروا بنعمة ارسال محمد ﷺ منهم كما تقدم في قوله ... ولقد جاءهم رسول منهم - وقد حرموا ما أحل الله فحل بهم العذاب (اجتباها) اختصه واصطفاه للنبوة (وهدها الى صراط مستقيم) ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) فأحببه الناس وأثنوا عليه من جميع الملل ورزقه ذرية طيبة وعمر طويلا في سعة وطاعة وليس كهؤلاء الذين يدعون اتباعه من أهل مكة فهم يعادون المؤمنين فلائنا عليهم منهم وليسوا مهتدين الى الاسلام (وانه في الآخرة لمن الصالحين) ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فأنت متبع له وعلى قدمه وعم ليسوا كذلك لأنهم يخللون ويحرمون من عند أنفسهم فسيكون وبال ذلك عليهم كما أن وبال الاختلاف في السبت على الذين اختلفوا فيه بالخيلة فان بعض اليهود استعمادوا الخيلة بأن وضعوا السبت على المكان الذي فيه السمك يوم السبت ثم اصطادوه في يوم آخر بفتوى أفنى بها شيوخهم كما يفنى شيوخ المسلمين فتاوى متناقضة لجلب الدرهم والدينار . فهذا الاختلاف وبال على أولئك اليهود كما ان وبال الاختلاف في التحريم والتحليل على هؤلاء المشركين وهذا قوله تعالى (لما جعل السبت) أي وباله (على الذين اختلفوا فيه) فسخطوا (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) كما حكم في الدنيا بمسحهم . كذلك أهل مكة يا محمد أحكم عليهم أيضا في الدنيا بالجرع وبالقتل على يديك وفي الآخرة بجحهم فاما أنت فستنال مزايأ جدك الخليل فتكسر الأصنام وتكون لك الغلبة عليهم . ولما كانت هذه السورة قد ظهر فيها أنواع الحكمة والمجادلة والموعظة الحسنة أشار الى ذلك فقال (ادع الى سبيل ربك) الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة الخواص (والموعظة الحسنة) الخطابات المقتنة للعوام (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هي أحسن) بالطريقة التى هي أحسن مثال الاول - خلق الانسان من نطفة - الى آخر الآيات وآيات الأنعام والنحل والطير كما قدمناه في وسط السورة . ومثال الثانى - ثلاثين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - . ومثال الثالث الآيات الواردة في النبات وكرهه العرب لولادتهم وما أشبه ذلك (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) انما عليك البلاغ والدعوة . أما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فذلك لنا . ولما كان ما تقدم هو طريق الدعوة بأنواعها وكان لابد من أعداء لهم يخاصمونهم ويجادلونهم في دينهم أشار عليهم كيف يعاملونهم وبين لهم ذلك بحالين (الاولى) أن يكون العقاب على مقدار الذنب (الثانية) أن يتجاوز الانسان ويصفح وهذا الثانى مفضل على الأول * ومن ذاك أنه ﷺ لما رأى حزة وقد مثل به قال والله انى أظفرنى الله بهم لأقتل سبعين مكانك فترلت فكفر عن يمينه وهذه هي الآية (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم هوى) أى الصبر (خير للنابرين) من الانتقام للمستقمين (واصبر) فأنت قدوة تقتدى بك أمة كابرهم الخليل الذى أمرتك أن تتبع ملته (وما صبرك إلا بالله) بتوفيقه وتثبته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار (ولا تذك في ضيق) ولا يضيق صدرك يا محمد (مما يمتكرون) بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم (إن الله مع الذين اتقوا) المصابى (والذين هم محسنون) فى أعمالهم ومحسنون للناس فهم فى أنفسهم مهذبون والناس نافعون وهذا تخلى بأخلاق الله والله يساعد من تخلى بخلقها والتجربة تثبت ذلك بشرط استعداد الانسان له . فمن هذب نفسه ونصبها لنفع الناس فهو خليفة الله فى الأرض ملحق بالأنبياء تابع لهم والله معكم كما هو معهم . انتهى التفسير اللفظي

جاء في آخر القسم الثاني من السورة - ورتبنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - فهذه الأوصاف الأربع للقرآن جاءت بعد ما أفاض في هذه السورة بأفاسة تامة ، فلقد تبين فيها من العجائب الحكيمية والنظم الطبيعية ما تحضر له العقول سجدا من بدائع النبات ونظام الحيوان وانطير والعل ولم يتفق ذلك في سورة غيرها فإنه قرر ذلك فيها كرتين وأعاد التعليم مرتين فهو هدى للسائلين ورحمة للمتسللين وبيان لهم وبشرى دينوية وأخروية فإن الاطلاع على هذه العجائب يدعو الى الهداية الناشئة من البيان والهداية للعالم تتبعها الرحمة بأفاسة الخير في الدنيا من العزة والنصر وحوز العلم وذلك بشرى أن المسلم ينال في الآخرة السعادة - وأتينا في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين - وبهذا المقال انتهى الكلام على باب الحكمة في السورة ومعها غيرها ثم شرع يفيض القول في الموعظة الحسنة فقال

﴿ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ الْخ - ﴾

أما العدل فأنت تعلم من هذا التفسير وغيره أن هذا العالم لا نظام له إلا بالعدل فلا كوكب ولا شمس ولا قر ولا نبات ولا حيوان ولا شيء مما تراه أو تسمعه من نفثات الموسيقى وجمال الوجوه وحسنها ، كل ذلك مستحيل وجوده إلا بالحساب البديع والنظام التام . وفي هذا التفسير وفي كتابنا في الفلسفة العربية وغيرها شرح هذه الأمور . ومتى زال العدل زال هذا الوجود وتحطمت الكواكب والأقمار والارضون وتبدد هذا العالم بل متى ذهب العدل ذهب العالم . لذلك ابتداء الله به والعدل هو المذكور في آية الرحمن - ووضع الميزان ألا تظفوا في الميزان - أي إن الله وزن العالم بحسبه بدقة لأجل أن تتعلموا نظامه فتسيرا على نهجه وتنظموا كما نظم وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى . فإذا كان هذا شأن العدل في نظام العالم فليكن هذا شأنه في حياة الأمم والأفراد فويل للأمم لا تقيم العدل في المناصب والأحكام والقوانين والأعمال فلا حكومات باقية مالم يكن العدل عمادها . ولقد ضرب أفلاطون لذلك مثلا في جمهوريته بجماعة الصوص إذا سرقوا مالا فانهم لا يقوم لهم قائمة مالم يقيم العدل بينهم . فإذا كان الصوص لجامعة لهم إلا بالعدل في قسمة ما سرقوه فما تكون حال الأمم . إنها لأحياة لها بغير العدل . ولقد ردت عليه بعض تلاميذه بأن الإنسان الظالم كثيرا ما نراه كبير الخط وله أعوان يدافعون عنه كلما كذب أو ظلم فأجابهم قائلا إذا لم تعش جماعة الصوص بمثل هذا الفاجر فكيف تعيش أمة طويلة لا بأهله . إن النظام الذي أدخر أمم ولا كثيرة يحسن بألم في نفسه إذا رأى الناس حوله في عذاب وشقاء فالنفس الإنسانية تحسن بما أجرت فيعذبها ذلك الاحساس في الدنيا مهما تظاهر بالنعمة . وقد أوجب (أفلاطون) على إنسان أستاذ (سقراط) أن يفتح لحكام المدينة باب العلم وعشق الحكمة والقيام بعلم الطبيعة والأدب والفلك وجمال هذه الدنيا لتفتح بصائرهم فإن لم تفعل ذلك الحكومات بموظفيها أصبحوا شهوانيين يشاركون الناس في أموالهم وأعراضهم بالرشوة والهدايا والفجور والجري وراء الفانيات في الأمة . وهذا هو الذي كان حاصله في بلاد مصر وفي بلاد الشرق فتدخلت أوروبا في شؤونهم . إن القرآن الذي هو كتاب ديني أشار الى ذلك بذكر العدل بعد قصة هذه الكائنات فكانته يقول لا عدل عند حكامكم إلا إذا أغرموا بما تقدم من العلوم فدرسوا هذا الوجود وعشقوا حكمه حتى يقوموا في الأرض بالعدل لأنهم يكونون خلقا قد نظروا في أعمالهم فعرفوا نظامي فقلدوه وهم لا يشعرون ويكون العدل إذ ذاك كالعريزة

﴿ العدل بين الناس ﴾

ومن العدل بين الناس ما ذكره الله في سورة النساء من شهادة الإنسان على نفسه وعلى والديه وعلى الأقربين وعلى الفقراء وعلى الأغنياء لا يبالى بنفس ولا بأهل ولا بقر ولا بعن بل يكون الحق هو مقصوده

وفيما جاء في قصة سيدنا عمر رضي الله عنه مع الحار (بتشديد الميم) الذي سار معه من المدينة الى الشام فكانا يتراوحان على الحار هذا يمشي مرحلة وذلك مرحلة مع أن الحار له أجرة

﴿ جمهورية أفلاطون والعدل ﴾

إن جمهورية (أفلاطون) كلها قد بنيت على هذه السكامة . وذلك كان قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون والكتاب من الكتب القيمة وليس العدل من الامور الهيئية بل هو أمر عظيم فقد جعل هذا الكتاب عشرة أبواب و بين العدل وكيف يكون وهل نعطي المجنون ماله ونعطي السيف لمن به يقتل الصبيان وان كان ذلك ملكهم وهكذا من المباحث وقد انتهت في آخرها الى أن العدل إنما يكون بما تقره الجماعة المجتمعة وهو ما يسمى بالاجماع عندنا في شريعتنا الاسلامية لأن الرجل كان في العصر الأولي وشرط في لقائهم به شروطا كثيرة وأوجب على رجال الجيش أن يكونوا مرتاضين رياضه جسمية ورياضة علمية في الحساب والهندسة سنين عديدة . فأما الحكم فلمهم أن يزيدوا في ذلك وأن يعرفوا صانع هذا العالم ويتوغلوا في المعرفة حتى يصلوا الى منتهى ما تصل اليه الأفهام

﴿ ايضاح لهذا المقام في نظام الدولة ﴾

إن العدل في الجمهورية لا يتم إلا ﴿ بثلاثة أمور ﴾ تنقده وهي

﴿ أولا ﴾ أن يكون العامة مطيعين للجند المسيطرين عليهم وللحكم القائمين بأمر الدولة فهؤلاء العامة من التجار ومن المزارعين ورجل الصناعة ليس لهم على رأيه إلا الطاعة لرؤسائهم والقيام بما يؤمرون به فيدفعون الضرائب ويتركون المقامد ويتباعدون عن الأعمال الضارة وهناك يحاكمون ويقضى بينهم بالقضاة العاديين وهؤلاء هم القائمون بأمر القوة الشهوية للأمة لأن شهوة الطعام واللباس والزينة لا تتم إلا بهؤلاء فهم عمل أشبه بالمعدة والامعاء في جسم الانسان . فكما كان الرراع يعملون في الدولة هكذا المعدة والامعاء يعملان فيما يمثل أولئك أي في أعمال جثمانية

﴿ ثانيا ﴾ الجند الذين تربوا ومرتنوا للحرب والضرب والدفاع عن الدولة فهؤلاء يقومون مقام القوة الغضبية في الانسان ويحافظون على الثغور ويقومون بطرد العدو منها ودفعه عنها . فعلى هؤلاء أن ينقادوا لرجال السياسة كما تنقاد قواتنا الشهوية لقواتنا العقلية فان لم يكبح المرء جراح غضبه بالقوة العاقلة أصبح أضحوكة ومثلا يضربه الناس للذين هم لاثبات لهم . فهكذا الدولة اذا استبدت العسكر بالأمر ولم يراجعوا أولياء الامور فسدت أمور الدولة واحتلها الأجانب وبئس المصير

﴿ ثالثا ﴾ رجال السياسة وهؤلاء يجب أن يكونوا على بصيرة وعلم كما هو مسطر في هذا المقام على وجه الاختصار وهؤلاء هم الذين يدبرون الملك

فان تكون الدولة مركبة من هذه الثلاثة سؤاس وعسكرو عامة في مقابلة العقل والغضب والشهوة . ثم ان انتظام هؤلاء وقيام كل بما عهد اليه يسمى عدلا فهنا هو العدل المذكور في الآية . واياك أن تظن أن انتخاب الأمم للتواب ينافي هذا فان هؤلاء التواب هم الذين ينظمون أمرا الحكومة فالحكومة لهم والحكومة تسيطر على الأمة كلها فلا بد من طاعتها لتجند عند الاقتضاء والجند يكون تحت أمره الحكومة التي انتخبها الشعب

﴿ العدل في الأخلاق الشخصية ﴾

لقد فاس هذا الحكيم أخلاق الانسان على أخلاق الأمة فجعل قوة الشهوة خاضعة للقوة الغضبية فان الانسان إن لم يكن عنده حية وشهامة لم يحافظ على عرض ولم يترك نقية وود لو يأكل أموال اليتامى فان لم يقهر نفسه بالقوة الغضبية وباتوا يبيع في سره افترض أمره كما تخرب الأمة إن لم يقم الجند بكبح جراح الثأرين

وحبس المعتدين وما أشبه ذلك . ثم إن القوّة الغضبية يجب أن تخضع للعقل فلا يفعل إلا على مقتضى المصلحة أقداما واحتجاما كما لا يفعل الجند في الدولة شيئا إلا بأمر رجال السياسة والا هلكت البلاد وتشتت أمرها ثم إن القوّة العقلية يجب أن تتحلّى بالعلوم كما أوضحناه في هذا المقام فإن لم تتحل بالعلوم كانت كرجال السياسة الذين لا علم عندهم ولا رأى لهم وهم غافلون . ثم إن اجتماع هذه الامور الثلاثة وانتظامها هو المسمى بالعدل كما إن اجتماعها في المدينة يسمى عدلا . فانظر كيف كان العدل نظام كل شيء . وكيف كان هذا القول في الآية جامعا لهذه العلوم ولذلك سلبت هذه الآية ألباب العرب لما سمعوها كالغبرة بن شعبة حتى إن أباجهل أعجب بها كما ستره والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ثم إن أفلاطون يقول (١) إن الأمتة متى كانت على هذا المنوال فأحكامها عادلة وهي المدينة الفاضلة وقد تمت فيها الامور الأربع وهي العفة للعامة والشجاعة للجند والحكمة للسوّاس والعدل بين الجميع . وهكذا الانسان يكون عفيفا في قوّة الشهوية شجاعا في قوّة الغضبية حكيما في قوّة العقلية عادلا اذا انتظمت الثلاثة (٢) ثم إن الدولة متى زال منها السوّاس من الحكماء المذكورين ترجع الى حكومة عسكرية فيتولى الجند سياسة الأمتة ويستبدّون بها وهذه الحكومة أنقص درجة مما قبلها فان العقل أرقى من القوّة الغضبية التي لا يعرف الجند سواها (٣) فاذا تمادت هذه وطال عليها الأمد خرج أبناء هؤلاء ولاهم لهم إلا جمع المال فتغلب القوّة الشهوية وهذه أدنى مما قبلها لأن الشهوة البهيمة هي التي تسلطت فيها كبلادنا المصرية أيام الغز والاقطاعات فلذلك كانت البلاد في حالة محزنة (٤) وهؤلاء الأغنياء متى جعوا المال أصبحت الأمتة كلها فقراء فسدوهم فيشورون عليهم فيها كونههم . وهذه هي الفوضى لارئيس ولامرؤس وقد تمّ هذا في بلاد روسيا فقتلوا القيصر . وهكذا في (الدولة العثمانية) فقد استبدّوا فخلعوا وهذه هي حكومة الشعب (ديموقراطية) ثم يأتي بعد ذلك رجل واحد يحكمهم بالتهر وهذه أنقص الحكومات وكل حكومة أقلّ مما قبلها وخير مما بعدها . ومثال ذلك (ماسولينى) في ايطاليا ومصطفى كمال في تركيا ولكن هذان حكما بمعونة الشعب ثم إن رجال السياسة في (المدينة الفاضلة) لا يتولون الحكم إلا اذا كملوا عقلا وسنا وقرؤا علوما شتى من طبيعية ورياضية واهلية

وهنا ﴿ ثلاث نظرات * النظرة الأولى ﴾ في موازنة نظام المدينة الفاضلة عند أفلاطون بنظام هذا العالم الذى نعيش فيه ﴿ النظرة الثانية ﴾ فيما لاحظته على الانسانية العامة في أيامنا هذه في القرن العشرين ﴿ النظرة الثالثة ﴾ في نقل ما ترجم من آراء أفلاطون المتقدمة بتوسع في المقالة الأولى والثانية لأنه شئ مافى صدرى من جهة الأخلاق العامة لهذا الانسان وقد شرحها شرحا كأنه كان في زماننا فلا شرع في النظرة الأولى فاقول ﴿ النظرة الأولى ﴾

لقد رأيت تلخيص جمهورية أفلاطون ووجدت أن قوّة الانسان الشهوية والغضبية والعقلية وانتظامها موافق لطبقات العمال والزراع ثم الجند ثم الحكماء الذين يدبرون الدولة . فهذه الشهوة يردعها غضب يسيطر عليهما عقل . وهذه الثلاث تظهر أولاها في البهايم والثانية في الآساد والثالثة في الانسان . فالجند كالآساد وبقية الشعب كسائر الدواب على الأرض وحكام الشعب أشبه بالانسان . فيا عجباً قلت القوى العاقلة في هذا النظام الأرضى . انما مثل القوى العاقلة في هذه الكرة كمثل الحواس الخمس الظاهرة والباطنة والمخ وأعصاب الحس والحركة . فهذه كلها بالنسبة للعظام والعضلات وسائر أجزاء الجسم شئ قليل كقلة الانسانية بالنسبة لسائر النبات والحيوان وقلة الحكماء بالنسبة لنوع الانسان وقلة حكام المدينة بالنسبة لسائر أفرادها ﴿ نظرتنى اليوم في شارع زين العابدين ﴾

في هذا اليوم (الخميس) الثانى من شهر فبراير سنة ١٩٢٨ وقفت وقت العصر موجها وجهى جهة الغرب

ورأيت الناس غادين رائحين وفكرت في الهواء الجوى والبخار الساج فيه والسحاب الذى فى الجو والكواكب والشموس والأقمار وقلت هذه العوالم كلها تخدم هذا الانسان . فهذه الشمس وسياراتها وقر الأرض والهواء والسحاب كل أولئك نافعات لهذا الانسان ونفس جسم الانسان منظم تنظيما مدهشا إذ فيه (٢٤٨) عضوا كل منها ضرورى لحياتنا وكلها موزونات منظفات . مثلا أصابع اليدين لو كانت كل أصبع منها عظما واحدا لم يكن للناس عمل فى الأرض بل كانوا يعيشون كالبهايم فلولاً مفاصل الأصابع ماحرثنا الأرض ولا عملنا صناعة ولا حفرنا نهرا ولا عملنا فى الأرض عملا . فلا كتابة ولا صناعة ولا علم ولا عمل . فهذه مسألة واحدة من آلاف الآلاف وهؤلاء الناس كلهم عنها غافلون إلا قليلا . فيا ليت شعري أيشئ النور للعريان . أم يغنى الموسيقى للصم . أم تزين الغادات لمن لا يبصرون . فلم إذن هذا الجمال . فما كان الجواب على هذا إلا كما بيناه آنفا . فكما أن المدينة يقل فيها حكماء وعالم النبات والحيوان يقل فيهما الانسان وحواس الانسان قليلة بالنسبة الى جسمه . فكذلك الأنفس العالية التى أرسلت لهذه الأرض وقدزنت لها هذه الدنيا بهذا النظام العجيب فنسبتها الى الأنفس الأرضية كنسبة نوع الانسان الى الحيوان والنبات ونسبة حواس الانسان الى سائر جسمه . واذن يكون فى كل أمة من أمة الأرض فى كل زمان أناس عددهم قليل هم الذين يدركون نظام هذا الوجود ويفرحون به وهؤلاء هم الذين قصدتهم العناية الإلهية فى ترتيب هذه الأرض وترقيتها فما مثلهم فى هذه الأرض إلا كمثل الملوك تقام لهم الزينات فى المدن وبقية الرعية تابعون لامقصودون بل هم كالشموس والكواكب المشرقات على الناس . هم المقصودون من هذا الوجود

ولعل بقية أفراد الشعوب وان كانوا لا يدركون الجمال قد أخذوا يستعقون لهذا فى الأرض بحياتهم هذه فهى أشبه بمدرسة صغرى لتعليم الصبيان الذين سيرتقون فى عالم بعد عالم فأما الحكماء والمفكرون فهم حشروا معهم فى الأرض لتعليمهم وتنظيمهم . هذا ما خطر لى اليوم . وهذا شرح لناحية من نواحي ماقاله أفلاطون من تقسيم رجال المدينة كما تقسم أصناف النحل فى القفير بأمر اليعسوب وهى ملكة النحل من العمال والذكور الذين لا عمل لهم والحراس والمربات للذرية والجامعات للعسل والصانعات للشمع الخ فأما النظر للنظام العام والعدل انتم فى المدينة بتعادل القوى الذى ذكره فهو أشبه بهذا النظام العام . ومن تتبع هذا التفسير رأى فى كل سورة من السور مسائل مستوفاة من نظام العوالم وأدرك يقينا أن سير الكواكب منظم بعادل ومثلها كل حيوان وكل نبات فلا تظلم به . وكل هذا يشابه ماقاله أفلاطون ولكن لابد من ذكر مسألة واحدة هنا لتكون أنسا للفكرين وهى وذكرى للعاقلين

انظر الى بنى آدم يغدون ويروحون ويظنون انهم فى الخلاء أوفى الفراغ وهم ليسوا فى خلاء ولا فى فراغ بل مكبلون محبوسون فى محبس عظيم وهو الهواء وبخار الماء الذائب فيه فنحن غرقى فى بحر لجى من الهواء وبخار الماء ونحن نشاهد النور يتخللهما وينقل صور الأجسام وألوانها وأشكالها وأحجامها فتصرف ونعش ولا علم لنا بالهواء ولا ببخار الماء إلا بعد التعليم ولو كان هذان الجسمان ليسا شفافين لمجباعنا ضوء الكواكب فجعلنا ماعلى الأرض من كل قائم وحصيد . ثم اننا لما عرفنا وجود الهواء واننا غرقى فيه ظننا أنه خفيف لا ثقل فيه وهذا خطأ فالهواء ثقيل يضغط علينا من جميع جوانبنا وكل منا يحمل ثقلا يزن (٦١) قنطارا

والدليل على ذلك أن مساحة جسد الانسان المتوسط القامة (١٦) قدما مربعة أى (٢٣٠٤) قراريط مربعة وضغط الهواء (١٥) ليبرا على القيراط المربع . والانسان فى العادة لا يعقل ما تقول الآن ولا يفقه أن للهواء ضغطا ولكن الذين يقرؤن العلوم الطبيعية يدرسون ذلك عملا . مثلا اذا طاروا فى الطيارات الى أعلى فأعلى قابلوا هناك هواء لطيفا جدا فينزل الدم من مسام أجسامهم وهكذا اذا ارتفعوا فى الجبال العالية فانهم يرون الدم يرشح من مسامهم والموت يكون منهم قاب قوسين أو أدنى وانما ظهر الدم لأنه محفوظ فى أجسامنا

بالتدليل الذي وضعه الله في الأرض . فهذا الهواء بضغطة على أجسامنا من جميع الجهات قد منع الدم من الخروج فالضغطة على الدم هو ثقل الهواء ومتى خفت خرج الدم فبات الانسان . ولقد انتهز هذه الفرصة الانسان ففرغ الهواء من المحجم بحيث يمتص الحجام ذلك الهواء فيخف فتري الدم ينبع حالا . وهذا مشاهد معروف فاذا ارتفع الناس فوق أعلى الجبال صار الهواء أشبه بما في المحجم من الهواء الخفيف فنزل الدم من سائر الجسم . أليس هذا هو العدل عدل الله في نظام الأجسام فجعل الهواء من سائر الجهات فاتزن الجسم وذلك كالعدل في المدن بانتظام القوى فيها من الجنسية ورجال الحكومة والعامة بحيث يطيع الجند أوامر الرؤساء ويخضع العامة لمن فوقهم

فالوزن والنظام في المدينة هو عين الوزن والنظام في نظام الهواء وضغطة على سطح أجسامنا لحفظها كما تحفظ المدينة بنظام أصنافها . ولا جرم أن في الجسم عظاما وعضلات ومواد مائية وأخرى غازية كالهواء وضغطة الهواء من الخارج على الجسم يوازنه من الداخل الهواء هناك . والمواد السائلة لا تقبل الضغط إلا يسيرا جدا . والمواد الجامدة تحمل أثقالا أعظم جدا والغازية تقبل الضغط كثيرا ولكنها تزداد مرونة كلما ضغطت فتقاوم الهواء الخارج وضغطة . ولذلك اذا خرج الهواء من الصدر بالتنفس يشعر الانسان بضيق في صدره من ثقل الهواء الخارج عليه . وللعلماء في مسألة ضغط الهواء تجارب مثل ما فعله (اطوفن كركي المكديرجي) الذي صنع كأسين ساهما الناس باسم بلدته ففعل (كأسا مكديرج) وهما نصفا كرتين أشبه بشكل (القبعتين) اثنتين يلبسهما الفرنجة . فاذا ركبت إحدى الكأسين على الأخرى وبقى الهواء فيهما يفكان بسهولة . فأما اذا فرغ الهواء منهما بخنفيه موضوعة في أحدهما ثم سدت الخنفيه فاذن لا يدخلها هواء فلا يفسد كهما إلا عصبه أولوا قوة من الرجال يشدون معا من ضغط الهواء الخارج لهما . ويقال ان (اطوفن كركي) المذكور صنع كأسين كل منهما نظره قدمان ثم ركبهما وفرغ الهواء منهما فلم تفك الواحدة عن الأخرى حتى ربط الى كل منهما ستا من الخيل وجعلها تشد الى جهتين متضادتين . ولسنا الآن أيها الذكي في مقام علم الطبيعة بحيث نشرح الهواء والماء والضوء والكهرباء والحرارة والمغناطيس وما تفرع عنها ولكن شرحنا هذه المسألة لتفسر بها العدل . فهنا عدل قام بين المواد الغازية في جسم الانسان وفي خارجه كالعدل الذي يحصل بين قوى الانسان من شهوة وغضب وعقل وكالعدل بين رجال المدينة من عامة وحكام وجند وهكذا

أفلا ترى من ذلك أن العالم نظام واحد . ألا ترى أن الناس على الأرض أشبه بجسم واحد فلا جرم أن كل الأمم كأمة واحدة والأمة الواحدة كشخص واحد والكرة الأرضية يحيط بها الهواء والناس فيه يعيشون فلهم وحدة الهواء والنور والماء والأرض فهذه وحدة عامة . إن نظام أجسامهم كنظام مدنياتهم كنظامهم مع النبات والحيوان الخ . إذن النظام عام في هذا الوجود وكأن هذه العقول في الأرض إنما اختلفت ليعول هذا الاختلاف في عوالم أخرى الى اختلاف كما نرى اختلاف أعضائنا سببا لسعادتنا في الحياة . ولو كان جسم الانسان عظاما واحدا متصلا لمكان أشبه بالخجر لاعمل له . فلعل أهل الأرض سيكونون بعد عالمنا هذا أشبه بنفس واحدة كبيرة كل نفس من النفوس الصغار أشبه بعضو من أعضائها مع استقلال كل نفس جزئية كما نرى في نظام النحل والنمل فهناك نظام تام وكل واحد له حرية وتصرف على قدر طاقته

(١) وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

(٢) واذا قال الله لنا - إن الله يأمر بالعدل - فانه ما أمر إلا بما فعل هو وعرفه الحكماء والأنبياء

(٣) إن الله في عدله إنما يعتمد الى نظام العموم ويجعل الأفراد على مقتضى المصلحة ولا يجعل الحكم

للعواطف التي خلت لأعمال جزئية بل الحكم للعقل . انتهى الكلام على النظرة الأولى

﴿ النظرة الثانية ملاحظته على الانسانية العامة في هذا القرن العشرين ﴾

اعلم أنى ولدت فى قرية من قرى الفلاحين بالشرقية بالبلاد المصرية وهى (كفر عوض الله حجازى) وكنت ألاحظ انهم يحقرون الصادق ويعظمون الرجل الخبيث الماكر فلما خالطت أهل العلم كنت أظن انهم يخالفون هذه الطبقة فرأيت الآخرة كالأولى ثم لما صرت معلما فى المدارس صرت ألاحظ بعض ما كنت أراه فى القرى حتى ان أحد المدرسين معى بالمدرسة (الحديوية) كذب على كذبة لاتصرت فى ولا نفعه فحجبت كل العجب كيف يكون الذين معهم شهادات عالية يكذبون كذبا لا ينفع حبيبا ولا يضر عموما . ثم ولدت وجهى شطر الاورو بين لاسيا الطبقة الراقية منهم فوجدتهم أشبه بمن عندنا . ولما حضر (روزفلت) رئيس الممالك المتحدة الى مصر بعد أن انقضت أيام حكمه وتوجه الى بلاد (السودان المصرى) ليصطاد الاسود والنمور هناك بحماية الانجليز ورجع الى مصر التى تحت حماية الانجليز هى والسودان . أقول لما حصل ذلك كله وقف خطيبا وقال . أيها الانجليز ﴿ إما أن تحكموا واما أن تخرجوا يريد بذلك انكم مهملون فى حكم المصريين ﴾ امسكوا البلاد ولا تعطوا حكمها للمصريين لأنهم ليسوا أهلا لذلك ﴾ فهذا القول دلنى على أن أعظم المتعلمين فى أوروبا وأمريكا يحكمون بالهوى لا بالعدل لذلك ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ لأنى رأيت هذا الانسان المنظم جسمه الذى قد اترن بضغط الهواء من جوانبه ومن داخله وانتظمت حركات الكواكب المحيطة به وانتظم له كل شئ من نبات وحيوان خرج هو على النظام فهو اذن طفل وليس فيه إلا قليل من المفكرين العظماء مغلوبون على أمرهم والباقي همج سذج رعاى أتباع كل ناعق . ثم انى رأيت أن كثيرا من المخلصين مغلوبون على أمرهم ورأيت كثيرا من الذين تصدروا لقيادة الشعوب ليسوا مخلصين فيضلون الأفراد بالسكذب والبهتان وبمؤالات الجرائد وامدادها بالمال فيمدحونهم . كل ذلك معلوم ظاهر مكشوف فى زماننا . أفلا تعجب اذا حدثتك عما قاله (أفلاطون) فى جمهوريته أى اننى أذكر لك ما ذكره فى المقالة الأولى والثانية بأوضح مما تقدم لتعجب كما عجبنا أنا من العقول الانسانية وأن هذا العقل الكبير الذى مضى له نحو أكثر من ٢٣٠٠ سنة كأنه فى زماننا ويقرأ أحوالنا ويعبر عنها ويصف الدواء لسقامها فيشفى القلوب بالعلم ويحفظ الأمم بالحكام الحكماء . ولما أتممت هذا المقام ابتسرنى صاحبي . فقال هذا نظام الله فى العوالم المادية من الهواء وأجسام الحيوان ولكنى الآن أريد أن توازن ما بين نظام الحيوان فى هذه الدنيا ونظام قدماء المصريين وجمهورية (أفلاطون) المتقدمة وما ألقاه (الفارابى) من علماء الاسلام فى كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) وما ألقته أنت فى كتاب (أين الانسان) وماذا يقول الله تعالى فى تلك النظم أو أيها أفضل وفوق ذلك كله نريد أن نعرف نظام الجنة والنار من نظام الدنيا أى نعرف عدل الله فى الآخرة كما عرفناه فى الدنيا فهذه ﴿ثمانية فصول﴾ أرجو ايضاحها وذلك قبل ما تذكره من كلام أفلاطون فقلت

﴿ الفصل الأول نظام الحيوان فى هذا العالم ﴾

اللهم إنك أنت الحمود على نعمة العلم والحكمة . أنت كتبت بيدك كتابا مفتوحا مجسما وجعلتنا نحن كلمات من ذلك الكتاب أحروفا . أنا الآن أكتب وأنا نفسى كلمة من كتابك المفتوح . خلقت بيدك هذه الدنيا التى نعيش فيها وهى نفسها كتاب يقرأ واصعب شئ على الحى أن يقرأ نفسه . لهذا قل من يفقه هذه المخلوقات التى عاش معها . وقل من يقرأ جسمه ونظامه . وأندر من ذلك من يفقه علم روحه الذى هو بحر لحي يشاه موج الطبيعة من فوقه موج الشهوات من فوقه سحب الهموم والنظم الأرضية وتكاليف الحياة وأنا الآن أجدك إذ شرحت صدرى لأذكر ما ألهمتنى من بركات الحكمة والهائمات الجليل فى غلى مقدار استعدادى وأنا فى هذا العالم الأرضى المتأخر فى درجات النظم . فما أرضنا وما شمسنا وما سيارتنا وتوابعها وأقمارها وذوات أذنانها التى لاحصر لعددها إلا قطرة من بحر الوجود فما أعرفه وأكتبه الآن بنسبته الى بواطن الامور والحقائق الصادقة كنسبة قطرة الى بحر لحي ولا تسكلف نفس إلا وسعها لذلك أقول

أناهم إنك جعلت هذه العوالم المذكورة فيما تقدم من سمك في البحار وهوام في التراب وحشرات وطيور في الهواء وذوات اللبن والدم في الفلوات كتابا يقرؤه العقلاء . وضعت في كل طبقة من طبقات هذه العوالم سكنا . ومن عجب إنك خصصت كلا بوظائف وطبائع وهي جميعها فرحة مسرورة فالطير يزق أولاده ويربها وهو فرح غفور محبوب مغن في نسائم الهواء والحشرات اللاتي حرمت الجلد والاحشاء الباطنة والعظام مغنيات راقصات فرحات مهنات وذوات الأربع راتعة في خلواتها سارحة غادية رائحة فلاتير السماء بحاسد حيوان الفلاة ولا الحشرات ولا سمك البحار بمزديرات مقامهن في تلك الأفطار فكلهن راضيات فرحات منعيات هذه جمهورية الله . فجمهورية الله هذه التي نراها بأعيننا فكل أمة أمكنها أن تجعل نظامها يقرب من هذا النظام فهي التي أعطيت مقاليد السياسة ونظام المدينة وهي من المفلحين الفائزين

﴿ الفصل الثاني في قدماء المصريين ﴾

إن قدماء المصريين جعلوا نظامهم أشبه بهذا النظام الإلهي من بعض الوجوه فانهم جعلوا للكهنة وللملك وللعاقة درجات لا يجوز تخطئها وأحوال يحرم تعتيها . فابن النجار والحطاد والزارع والكاهن والملك لا بد أن يحذو حذو أبيه ويحمرى على وتيرته في نظام معاشه وصناعته وسيره في الحياة . هذا هو النظام الذي ارتضوه ولذلك دامت الأمة المصرية آلاف وآلاف من السنين . ولكن هذا النظام جاف قاس ليس يناسب الإنسانية من كل الوجوه . ألم ترأنهم جعلوا نظام الإنسان كنظام الحيوان أى أنهم قلدوا فعل الله في هذا الوجود . فكما كان الطير في الهواء والهوام في التراب وحيوان البر في الفلوات والسمك في البحار . هكذا جعلوا الملوك والعلماء والصناع كل في مرتبته كما أن ذرية الطير طير وذرية الحشرات حشرات وهكذا فأين امتياز الإنسان والحق أن هذه الإنسانية أمرها مشكل . ألم ترأن أصحاب العقول الراجحة والأموال العالية وأرباب النفوس الغبية . كل هؤلاء يخلقون في الأمم بلا قيد ولا شرط فليس لهم قانون خاص ولا طبقة معروفة فهو هؤلاء يكونون في ابن الزارع وابن التاجر وابن الفقير والغنى والملك والصعلوك . فهذا النظام المصرى القديم حسن من وجه وناقص من وجه

﴿ الفصل الثالث في جمهورية أفلاطون المتقدم ﴾

وهذا النظام هو الذى قرأه (أفلاطون) . فإذا فعل . رجع إلى الحقيقة فقرر أن يكون حراس المدينة والقوامون مصطفىين من الشبان اصطفا بطريق الامتحان والاختبار كما تقدم فليس ذلك بالنسب بل بالاستعداد إلى آخر ما تقدم . فهذا تعديل في نظام قدماء المصريين الذى اتحد مع نظام البراهمة في الهند الذين جعلوا الأمة أشبه بجسم واحد له رأس هم علماء البراهمة وقلب وأحشاء ورجلان تشابه درجات الشعب وكل له مقام معلوم . كل ذلك بالنسب فهذه الجمهورية قد أخرجت الإنسانية من ذلك النظام العتيق نظام النسب الذى فتح باب الاستبداد فأحسن من وجه وأساء من وجه . وشبه نظام الأمة الانجليزية نظام قدماء الهند والمصريين من وجه . نعم يعلمون جميع الأمة تعليما ابتدائيا ولكن التعليم العالى والوظائف الكبيرة خاصة بالوردات وأصحاب الثروة الطائلة لارتفاع قيم التعليم في المدارس . والنظام الأوفى أن يكون التعليم كله عاما وبصطفى طلاب المدارس العالية بالاستعداد لا بالمال

﴿ الفصل الرابع ﴾

فما قاله الفارابى في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ الذى لخصته في كتابي ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ ونشر في أوائل القرن العشرين الذى نحن فيه إذ لخصت الكتاب تلخيصا وجعلته على مقتضى ما يناسب عصرنا وذلك في مبدأ نهضة بلادنا المصرية إذ كانوا يطلبون الاستقلال أو الدستور . وملخص رأيه أن الأمم كلها أشبه بنفس واحدة وكل أمة على الأرض لها استعداد كاستعداد عضو من أعضاء الجسم فيجب أن تأخذ قسطها

من الحياة وأعمالها لتساعد المجموع . وهكذا أفراد الأمة الواحدة لكل منهم مقام معلوم وكأنه يقول ما تقول الملائكة - ومامننا إلا له مقام معلوم - فأعضاء القلب والرئتين والكبد والمعدة والأمعاء والكليتين والحالبين والسماع والحواس الخمس في جسيم الانسان يقابلها أفراد في الأمة فليس الصالح لرئاسة الجمهور المشبه للعقل في الدماغ بمفيد اذا وضع موضع المعدة لمضم الطعام ولا القلب الذي يوزع الدم على الجسم بمحسن لتصريف الامور كما يصرفها العقل بل لكل عضو عمله اذا تركه اختل . هكذا لكل فرد من أفراد الشعب استعداد اذا تخطاه ضاع من الأمة من المنافع على نسبه . فهذه هي المدينة الفاضلة وسواها مدينة فاسقة . إذن جميع النظم الأرضية اليوم فاسقة عند تطبيقها على آراء الفارابي . ولقد بينت في كتابي ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ أن النواب ينتخبون من هيئات الأمة بحسب أعمالها لا بحسب أمانتها فيؤخذ من كل طائفة نائب أو أكثر ليعبر عن شعورها ومطوبها فلصانع وللزراع وللعلماء ولكل ذي حرفة نواب يعبرون عنهم كما ان لكل عضو من أعضاء الجسم أعصابا توصل الى المخ . ولما نشر هذا قبيل استقلال بلادنا الجزئي الذي نالوه أخبرني بعضهم أن هذا النظام لم يوجد إلا في أمة واحدة من أوروبا لا أنذكرها الآن ولعلها (باجيكا)

﴿ الفصل الخامس . كتابي أين الانسان ﴾

هذا الكتاب ذكرته في هذا التفسير مرارا لمناسبات وهو يبحث في نظام الأمم الحاضرة ومجاسمها وحكوماتها ونسبة أهل الأرض الى استعداد الأرض نفسه فلا تطيل به وهو يرجع الى أن تستخرج جميع القوى والقدر في الناس كما تستخرج جميع المنافع من الماء والأرض والهواء والأمم كلها متعاونات والا فهن جميعا فاسقات!

﴿ الفصل السادس في نظام القرآن ﴾

أما نظام القرآن فانه هو الذي كتبته في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ يقول الله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - ويقول - لا تكلف نفس إلا وسعها - ويقول - لا تكلف نفسا إلا وسعها - فتارة يقول - لا يكلف الله - فذكر الاسم الظاهر وتارة يذكر بضمير المتكلم مع العظمة والجلال . وتارة يطوى الفاعل ويذكر الفعل مبنيًا للجهول فهو يشير بالأولين الى أنه هو وضع كل شيء موضعه وأحكم الوجود . فكما جعل طير الهواء وأنعام الفلوات وسمك البحار كلا في مقره . هكذا أوجب على الأمم أن تضع كلا في مقامه بحسب استعداداته لأنه قال - إلا وسعها - ولم يقل لا تكلف نفس إلا بحسب نسبه . كلا بل ذكر الوسع وهذا عينه هو الذي شرحته في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ . حينئذ يكون الناس جارين على النظام الالهي والحكمة الطبيعية التي سبقتها مبدعها . فاذا جعل المسلمون كل امرئ فيما خلق له من الاستعداد أصبح أبناء الأمة جميعا في رغد من العيش والسعادة ويكونون في أعمالهم فرحين كما نرى الطير فرحات والحشرات مغرورات والسمك جاريات والأنعام راتعات مهتات كل في نعمة ربه جار على سننه لم يتعد طوره ولم يشارك غيره في نظامه فلم نر القيلة تشارك الطير في الهواء ولا السمك جرى في الفلوات مع الأنعام . تقسيم عادل ونظام شامل وحكمة نسجت بيد حكمت وابتهج بها المبتهجون

هذا هو نظام الله وهذا نظام القرآن . رجع القرآن الذي قاله الله الى نظام الوجود الذي خلقه الله فكلامه وافق فعله - ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه - والأمم المسامة وغير المسامة كلها متعديت حدوده لأنهم لم يدرسوا نظام الطبيعة دراسة تامة بحيث يقيسون عليها نظام الانسان بل درسوها للثناف المادية وهم عن آياتها العلمية معرضون

أيتها الأمم الاسلامية . اسمعي اسمعي . أيتها الأمم الاسلامية . اقبلوا نظم بلادكم رأسا على عقب ولن يكون هذا إلا أن تبتدئوا بالتعليم العام ابتدائيا وثانويا وعاليا وصناعيا وتجاريا وسياسيا وتطفوا للتلاميذ لما خلقوا له بحسب أميائهم وأميائهم تعرف بدرجات العلوم في الامتحان فن كان في الابتدائي عييل الى الصناعة

أو التجارة أو نحوهما حول إلى ما نال إليه . ومن كان أميل إلى علم من العلوم خص به وهكذا فيوضع التجار والمزارعون وأهل الصناعة والسياسة كل فيما استعد له ثم يوزع هؤلاء الأفراد على الأعمال ومن أهمها استخراج ما في الأرض من كنوزها ومعادنها وآثارها . هناك يخرج جيل جديد . هذا الجيل هو الذي يعرف معنى - لانكاف نفسا إلا وسعها - وهذا الجيل هو الذي يعيش على مقتضى نظام الطبيعة الذي جعله الله كتابا لنا - هذا الكتاب الذي أنزله الله للناس قبل أن يرسل الرسل . وما علم الله قبل أن يخلق للناس أنهم ناسون للتصالح مهملون لعقولهم أرسل الأنبياء لينذروهم

﴿ الفصل السابع في ديانات الأمم ﴾

سأتي في سورة الأنبياء عند قصة إبراهيم عليه السلام إذ يقول لأبيه وقومه - ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون - وعند قوله تعالى قبل هذه القصة - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه الخ - ذكر ملخص ديانات الأمم السابقة كديانة قدماء المصريين وكتاب الفيدا في الهند والبراهمة وأتباع (خريستا) وأتباع (بودا) وهكذا ديانات أهل الصين وآخرها دين (كونفوشيوس) وهكذا دين الجوس ودين (زردشت) الذي قال أنه مرسل للآريانيين وكيف اختلط هذان الدينان في آخر الأمر بدين البابليين والآشوريين سأذكر تلك الديانات هناك فما كان مذكورا من قبل أشيرنا إليه وما لم يكن مذكورا من قبل وضعناه أيما إيضاح . والغرض من ذكر هذا هنا أن تلك الديانات كلها مذكورات بنظام هذا الوجود في أول أمرها وذات خرافات في آخر أمرها ثم يكون الاقتراض من الوجود . واتما الذي يسم الآن أن الفطرة الانسانية كلها معتقة بالدين والذي عرف الأمم الآن هذه الآثار التي كشفوها فقد تطابقت الآثار في القارات كلها وفي الجرائر انسانية أن جميع الأمم لها اتجاه ديني وكلها تؤمن باليوم الآخر . وهذا الاجماع من تلك الأمم برهان قاطع على وجود مدبر للعالم وبقاء الأرواح بعد الموت لأننا لم نر هذه النفوس الحيوانية أجمعت على ضلال هاهنا ذهغريزة الطعام والشراب والاستئناس من الحر والبرد والسعي على الرزق وحب الحياة والذرية وتقابل الذكر والأنثى . كل ذلك فطرة صادقة ومسألة الدين إحدى تلك الفطر وليس ينافي هذه الفطرة أن يخرج عن الدين وينكره بعض المتعلمين في المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين الخ أقول ان هذا الخروج من هؤلاء لاينافي أن الدين فطرة كفطرة الغذاء كما لاينافي غريزة تحاب الذكر والأنثى شنود الرهبان ولاغريزة التغذية انقطاع بعض العباد عن الأكل تعبدا فالفطرة غالبة - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون -

﴿ الفصل الثامن عدل الله بين الناس في اليوم الآخر ﴾

انك أيها الذكي حين قرأت الفصول الست الأولى وجدتها متناسقة ولكن الفصل السابع يظهر بادي بدء أنه أجنبي عنها غريب بعيد فأين الديانات ودرسها وأين مسألة النظام وتوزيع الأعمال . أقول ان الفصل السابع مقدمة لابد منها لتذكر العادل في اليوم الآخر . لقد علمت أيها الأخ نظام الله في الحيوان وعلمت نظام الهند ومصر قديما وعلمت آراء أفلاطون والفارابي وما كتبه أنا وما أريد من المسلمين في نظامهم في أنفسهم وفيهم هم مع الأمم التي يعيشون معها . فهذا أناذ الساعة أحدثك في أمر عظيم كما قال تعالى - عم يتساءلون عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون - فنبأ الحياة بعد الموت ونبأ الجنة والنار هو الأمر الذي حير العقول . جميع العقلاء في الأرض يسألون هذا السؤال ﴿ إذا كان الله هو الذي خلقنا فلماذا هذا العذاب المؤبد وأي رحمة فيه . وإذا خلق الله بعض الناس للعذاب فخلقهم إذن لتعذيبهم فعدم خلقهم يكون أوفق للرحمة ﴾

أقول إن الجواب على هذا السؤال عسير وصعب . ذلك لأننا خلقنا في هذه الأرض وهي عالم متأخر كما

قدّمنا فليس من المعقول أن نكون عقولنا كعقول سكان كوكب أكبر من شمسنا كالسماك الرامح الذي يبعد عن شمسنا مائتي سنة سير النور فعلينا أن نقرّ في الأرض بأن هذه العقول الانسانية بالنسبة لعوالم أخرى كنسبة عقل الناموسة الى عقل الانسان كما تقسم في هذا التفسير نظيره عن العلامة (أوليفر لودج) الانجليزى فقلنا اذا تكلم عن عدل الله ليس له الا أن يذكر ما ينفع عقله الذي يناسب أرضه . أما الحقائق الجيلة فنحن بعيدون عنها في هذه الأرض . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . فتارة أقول لك اقرأ ما كتبنا في آخر سورة هود فهناك نقلنا عن أكابر الحكماء الاسلاميين ولكن لم نتقيد برأيهم كبعض الصحابة وكان تبعية أن النار ستفنى وتارة نقول لك اقرأ كتاب (فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) للغزالي فهناك تراه يجعل أكثر الناس ناجين لأن الدعوة الصحيحة للدين لم تبلغهم وبرهن على ذلك وأطال . ولكن نحن لم نتقيد به وتركنا المسألة لمن بعدنا يفكرون فيها . فأما هنا فأقول . إن الله وضع نظاما في أرضنا وأراه لنا وألهم العلماء فآلفوا فهم ما بين مقرب من نظام ربه ومبتعد عنه وأقربهم الى نظام الله من يفعل ما ذكرناه ونظام الله أن يضع كلا في مقامه الخاص به فهو رحيم وحكيم . ومماثل أهل الجنة وأهل النار المذكورين في الديات إلا كمثل نظام الحيوان على الأرض . اللهم إنا نحمدك على الفهم وعلى العلم وعلى السعادة الفكرية العقلية بالنور الهى والحكمة التى رأينا بصيصها في هذا الوجود . أنت قلت للطير اخترق الجو ولأنعام سيرى في الأرض وللسمك كن في البحر ولم نر حيوانا من هذه تحسر على ما فاتته عند سواه فلم يتحسر الطير على أنه لم يستقرّ في قرار مكين كالأنعام ولم تحسر الأنعام على أنها لم تطر في جو السماء . فقال صاحبي . هذا منك عجب من أين جاء لك هذا . فقلت سل الرجال من نوع الانسان وسل النساء وقل للرجل هل تحب أن تكون امرأة فانه يرى هذه منك سبة وإهانة وسل المرأة وقل لها هل تحبين أن تكونى رجلا فانها تقول لك لا لا وكيف تزيل بهجة وجهى بشعر خشن وتقبح وجهها نصر الله خلقه وحسنه . فتبارك الله أحسن الخالقين . إذن بالقياس على الرجل والمرأة يكون كل حيوان راضيا بقسمته مسرورا بمقامه . فالسؤال المشهور الذى يوجهه الجمهور في كل حين هو (لم كان هذا فاضلا وهذا مفضولا يصبح لاقيمة له) أن النظر لهذه العوالم التى حولنا يرينا أننا نرى الأمر ليس قاصرا على ما ذكرناه من الحيوان في الوضع بل هناك هوام لاتعيش إلا في التراب وهناك الحيوانات الذرية وهى لاتظهر للناس . فاذا قلنا الطير في السماء نقول الحيوانات الذرية في ظلمات الطبيعة بأرضنا . ماذا فعل بها الله . وضعها في مستقرّها الذى يوافقها . إذن كل حيوان وضع فيما يوافق مزاجه . ومماثل هذا النظام إلا كمثل النظام في ممالك أهل الأرض إذ يجعلون من لا يصلحون لخدمة المجموع من القتلة والسراق وقطاع الطرق في سجون فهم أشبه بالحيات والعقارب تعيش في ظلمات التراب والشقوق والجحور . ولكن الفرق أن فعل الله جار على سنن الطبيعة وفعل الناس جار بطريق القانون المدنى أفلا يقال إن أهل النار أشبه بالحيات والعقارب بالنسبة للصالحين . هاتحن أولاء نشاهد حيوانا مختفيا لا يظهر محترقا منبوزا كالعقارب وحيوانا يطير مفردا في جوّنا ولم نر في هذا خروجا عن النظام بل رأيناه عدلا لأن لكل من الحيوانات وظيفة يقوم بها واذن نظام الجنة والنار يشبه بعض المشابهة عالمنا . وكما قلنا هنا حيات وعقارب وطير نقول هناك أهل نار وأهل جنة . فقال صاحبي هل هذا مجرد رأى طرا لك أم لك دليل على أو تقلى . فقلت ألم أقدم لك أننا هنا على الأرض في مثل هذا نكتفى بنور ضئيل من العلم واننا لم نؤت من العلم إلا قليلا . وهذه المسائل أعجزت أكابر الحكماء والعلماء ولكن يظهر لى أن زماننا وما بعده ستظهر فيه هذه الحقائق بقدر ما نتحمّل عقولنا على هذه الأرض . فقال كيف هذا . فقلت ها هوذا علم الأرواح قد جرى في هذه المسألة شوطا بعيدا . فقال هذا العلم غير موثوق به . قلت نعم ولكن اذا رأيناه ينحون نحو الدين ذكرناه على سبيل أنه يكون موضع بحث وتنقيب لمن بعدنا . فقال هات ما وقفت عليه . فقلت يقولون

ان هذه الحياة الدنيا لا تتم إلا بنظام أدبي ومدنى مع الناس وجميع الناس متساوون في الظاهر صالحهم وطالحهم فهم جميعا يتعاملون ببشاشة ومودة . ولكن تختلف قلوبهم فمن كان عنده قوة روحانية أى انه يصنع المعروف من أجل الله الذى خلق السموات والأرض ولأجل حب الناس كما يفعل الأبوان مع الأبناء . فهذا من أهل الجنة . ومن يكون صالحا ظاهرا ولولا القانون أو الصلح والذكر الحسن ومراعاتهما لاستحوذ على مال غيره أوزنا أو سرق الخ فهذا من أهل جهنم وهم درجات بعضها فوق بعض . ويقولون انهم شاهدوا أن الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الناس درجاتهم في عالم الأرواح منسحطة متأخرة لأنهم لم ينفعوا الناس ولم يظهروا ما كن في نفوسهم من القوى والقدر والعواطف التى جعلت الدنيا لظواهرها وهى أجنحة يطير بها الناس في عالم الأرواح فللأرواح هناك أعمال وإدارات في نظام ثابت ولكل امرئ من العمل على مقدار ما استعد له في الدنيا فهم يقومون بأمر ربهم في إدارة عوالم يحفلها أهل الأرض ولن يكون هناك أحد في عمل إلا ما استعد له في الدنيا وعلى مقدار العلم وحب الخير والصدق والاخلاص يكون الارتقاء . وليس المعنى أن ذلك أعمال تكليف . كلا وإنما هى أعمال تكون سليقة في النفس لذيذة كما في الحديث ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أنتم النفس ﴾ ولذلك تكون النفوس المنسحطة في الدنيا التى لا تعمل لها إلا الغيبة والنميمة أو السرقة أو إيذاء الناس في أعمال أشبه بما كانت عليه في الدنيا وذلك في جهنم فهم دائماً في تشاجر ومقاتلة وعذاب واصب و بعضهم يلحق بالجن فيلقى الوسواس في صدورهم من استعدوا لذلك من الناس في الأرض . فهم هناك أشبه بالحيوانات الدورية في أرضنا لهم وظائف إذ لا معطل في الوجود حتى قال بعض علماء الأرواح وهو الاستاذ (سودنبرج) في صفحة (١٥٨) مملخصه

﴿ إن الغم والكدر الذى يحس به الانسان إنما يحصل غالباً من أرواح شريرة كانت في الدنيا وصارت بعد الموت ملحقه بالجن فهذه الأرواح مغرمة بالقاء الغم في النفس عند استعدادها لذلك بقساد الطعام في المعدة وفساد الطعام فيها وعدم هضمه عند تلك الأرواح أشبه بقنطرة العين عند الذباب فكما يقع الذباب على العين لقذارتها تقع هذه الأرواح الشريرة على النفوس التى لم يهضم طعامها فتلقى الغم فيها ﴾ انتهى ملخصاً وهكذا قال في موضع آخر من الكتاب ﴿ إن تلك الأرواح تشتم روائح الشر والاستعداد له كما تشتم السكالب رائحة الرم في الأرض ﴾

وأيضاً قال ﴿ إن بعضها يجلس في مؤخر الرأس ويوسوس للإنسان ﴾ أقول ومن عجب انه ورد في بعض الأحاديث ما يفيد أن الشيطان هو الذى يغري الانسان بعدم الاستيقاظ من النوم وذلك مذكور في كتب الشافعية في كتاب الطهارة فراجع ان شئت . وفيه أن الشيطان يقعد على رأس أحدكم الخ

ويقولون انهم شاهدوا أرواحاً لما ماتت طلبت من الملائكة وهم استأذنوا من الله أن يدخلهم الجنة فأجبت تلك الأرواح ان الله لا يمنع أحداً من دخول الجنة لاطأعاً ولا عاصياً والمانع هو الاستعداد فانطلقت الى باب الجنة فضاقت صدورهم ولم تقدر أن تنفس في ذلك الجو اللطيف فرجعت حالاً

فقال صاحبى إنك بما قدمت من أن كلام الأرواح المذكور يكون محل بحث قد خرجت من عهدته وولت الأمر الى النظر العام ولكن أسألك سؤالاً واحداً . هل ما ذكرته عنهم من أن الانقطاع عن العمل الى العبادة مؤخر للناس بعد الموت حق . أنا أسأل هذا السؤال لأن الناس حينما يقرؤن هذا القول يؤثر في نفوسهم بعض الأثر فيظنون أن الانقطاع للعبادة محرّم وهذا لا يقول به أحد من المسلمين . إن المنقطعين للعبادة هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فقات اعلم أن الأمم الاسلامية المتأخرة كثير منها قد حجب عن حقيقة الدين الاسلامى الذى كان عليه الصحابة والتابعون فافقروا كتاب (بداية الهداية)

للإمام الغزالي فإنه يقول في أوله ماملخصه

﴿ على الطالب أن يجد في العبادة في أول أمره حتى يصير له سجية سهلة وملكة راسخة وحينئذ يطلب العلم وليقتصر من العبادة على ما هو المعتاد المعروف فيها فإن عجز عن العلم فليساعد الناس بالأعمال العامة والخاصة كالأهل والأقارب والوطن فإن عجز عن هذا وذلك فليلزم العبادة فما تقوله تلك الأرواح هو ما سمعته عنه لأنهم يقولون إن ارتقاء الروح بوجدانها لا يتم في محراب الصلاة إلا بانضمام عمل الخير وفهم الحقائق إلى العبادة فأما إرادة الخير للناس بلا عمل فلا نتيجة له فخب الخير للناس والعمل له ومعرفة الحقائق الإلهية كل ذلك هو المعراج بعد الموت ويوم القيامة ﴾ انتهى

قال قد اكتفيت بهذا فأرجو أن تتم ما تقوله عن الأرواح . فقلت إن تلك الأرواح كما قلت لك التي لم تقدر على دخول الجنة هوت حالا إلى جهنم ورجلاها أعلاها ورؤسها أسفل . فقال وهل ورد في ديننا هذا . فقلت قال تعالى . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا . وقال . فكبكبا فيها هم والغاؤون * وجنود إبليس أجمعون . وآيات كثيرة في ذلك . ثم قلت ويقولون طلبت أرواح أخرى من الأشرار أن تدخل الجنة فلم تقدر فسألت عن المانع لها فقيل هو استعدادك وأخلاقك وعوائدك وأحوالك فقالت انتزعوها مني فانتزعوها فأصبحت تلك الأرواح كالغشي عليه من الموت فهي في الجنة ولا تحس ولا تاتي فاضطرت الملائكة باذن ربها أن ترجع لها أخلاقها فاستيقظت وطرحت نفسها حالا في جهنم بدون اعتراض منها لأنها علمت أن هذا في حيز الذي لا يمكن

يقولون أيضا كم من أرواح جاءت إلى الجنة ودخلت وضاق نفسها فرجعت أسرع من البرق إلى جهنم مع أمثالها وفرحت ببقاء الأشرار تقتلهم ويقتلونهم كما كانوا في الدنيا وكل منهم عذاب للآخر . وهم في عذاب واصل . وليس هناك طمأنينة على حياة غير هذه . قالوا وهذه النفوس لا تقدر أن تتحول عن أخلاقها بعد الموت فأما حياتنا الدنيا فهي الفرصة الوحيدة لتهديب الأخلاق وتقوية المبادئ الروحية والعلم بالله وبعباده . فقال صاحبي هل رأيت أحدا في الإسلام قال ذلك . قلت الفارابي في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ . قال إن كلا من أهل المدينة الفاضلة يعيش في وظيفته الخاصة به فرحان بها وبعد الموت يكونون متحايين على نظام جيد . أما الأشرار فهم جميعهم في عذاب واصل يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا . ويقرب منه الإمام الغزالي في الأحياء فلقد ذكر أن العبادة والأعمال الصالحة إذا كانت لأجل الثواب في الآخرة لا خير وليست معها معارف قلبية وحب لله تعالى فإن صاحبها بعد الموت يدخل الجنة الحسية ذات الأكل والشرب ونحوهما . أما أعلى الجنة ومسكنها النفوس العالية التي تكون قريبة من ربها فذلك خاص بنفوس عارفة أمر ربها مستغرقة في جلاله وكماله فأقرأ ما نقلته عنه في أوائل سورة (البقرة) عند ذكر الجنة والنار وأن العارفين هم الذين يفرحون هناك بالمجائب الإلهية . وأما سواهم من العامة وعلماء الدين الذين هم أقرب إلى العامة فهم إذا صلحوا يكونون في تلك الدرجة المذكورة . فقال صاحبي ماملخص هذا المقال . فقلت ملخصه أن نظام الله في الدنيا وفي الآخرة نظام واحد وعدله عدل منظم لاتفاوت فيه فأهل النار لا يتقدرون أن يعيشوا في الجنة كما أن الحيات لاتعيش مع الناس في الدنيا . إذن العدل ظاهر واضح على مقدار عقولنا نحن في الأرض الآن . فالعدل في الجمهورية يقتضي وضع الزراع والصناع تحت أمر الجنود وحراس المدينة ووضع الجنود تحت أمر الحراس وبغير ذلك لا يكون عدل . وهكذا الطير والحيات والسمك في هذه الطبيعة وضع كل منها في موضعه وهكذا أهل الجنة والنار نفوس تربت في الأرض على حب نفسها وحفظها لاتقدر أن تعيش في الجنة وإذا فقدت صفاتها صارت كالهيئة . ونفوس عاشت محبة لله وللناس فهذه تكون مشاهدة لربها تعيش مع ملائكته فهذه لاتقدر أن تعيش في النار وإنما تعيش بجوار ربها

هذا قصارى الأمر وحجاده فرجع أمر الدنيا والآخرة الى العدل ووضع كل شئ في موضعه . إذن قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل الخ - موافق لما تقدم في هذا المقام من ذكر النحل وذوات الابين والطير فقد ذكرها أولا لنقرأها فنشرف عدله في وضعها ونقيس عليه العدل في مدتنا كما ذكره (أفلاطون) وهكذا عدله في جنته وناره فرجع الأمر الى الامكان وعدم الامكان وقدرة الله لا تعلق لها إلا بالممكن فانه لا يخلق المستحيل وعلماء الأرواح يقولون إن رجوع الروح انشورية عن أخلاقها مستحيل بعد الموت كما يستحيل أن تتغير أخلاق الأحياء والمقارب والحيوانات الذرية ولا تغيرها إلا باعدلها من الوجود . هذا ما فتح الله به في مسألة العدل في قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل الخ - والحمد لله رب العالمين

﴿ النظرة الثالثة ﴾

(وهي الكلام على تلخيص المقالة الأولى والثانية من كتاب السياسة المدنية أوضح مما تقدم)
انه افتتح المحاورة بكلام بهي بين (سقراط) و (سيغالوس) في الشيخوخة وحذر الموت فأداهم سياق المحادثة الى ذكر العدالة وماهى فقال بعض الحاضرين انها الصدق في القول وأن ترد لكل أحد ما هو له فعارضه (سقراط) بأنه لا يسوغ أن ترد السلاح لما لكه اذا جث الليل ولا أن تصدق مع من أشرف على الموت بأن تقول له ما هو عليه من خطر الهلاك . ثم قال بعض الحاضرين إن العدل إنما هو مصلحة القوى القادر فن كان أكثر قدرة كان أكثر حقا وتمثل لذلك بما يقع في المدينة فان الأحكام فيها إنما هي عبارة عن رأى الأكثر أو من يده زمام الامور فما يفعله فهو عن عدل . ويؤيده رأى الجمهور في ذلك . فقد نشاهد القوى الجائر سعيدا مغبوطا والعدل الضعيف شقيا محترا . وبالجملة فلا سعادة ولا عدل إلا في القدرة والقوة ولا اعتبار فيه بالحقوق فعارضه (سقراط) بأن القصد لمن له الرئاسة في المدينة إنما هو مصلحة الرعية كما ان قصد الراعى إنما هو مصلحة القطيع الموكول لحراسته . وقصد الطبيب مصلحة المريض . وقصد الملاح مصلحة السفينة وعلى ذلك فن له ولاية على غيره لا يقصد مصلحة الخصوصية من حيث هو مولى على غيره بل منفعة من تولى عليه وذلك عبارة عن مصلحة الضعيف الملتزم الى الولاية لا مصلحة من تولى عليه فان تعدى وجار لم يكن بوالحقا كما لا يكون الطبيب طبيا ولا الراعى راعيا اذا كان له مقاصد غير مصلحة المريض والقطيع فلا يطابق عليه حينئذ اسم الطبيب والراعى وعلى فرض امكانه فان مثل ذلك الوالى لا ينال غرضه من السعادة والراحة إذ يكون حاله أسخف بكثير ممن لازم الحق وأوفى بما يجب عليه ويبانه أنه لا يمكن لشركة ولا لاجتماع انساني كائنا ما كان أن يستقيم ويسوم إلا باقامة العدل فاللصوص وقطاع الطريق اذا اشتركوا جعلوا فيما بينهم نوعا ما من العدل والا فلا ندوم شركتهم ولا ساعة واحدة . واذا سلمنا قول القائل ﴿ أن الجور هو عين الحق والسعادة ﴾ وأخذ جميع الناس بهذا القول فاعتادوا التعدى بعضهم على بعض فقد يصير الاجتماع الانساني الى الفتنة الدائمة والحرب المستمر فأى سعادة في مثل هذه الهيئة . واذا فرضنا أن يتغلب الواحد على الباقين ويتسلط عليهم بقوته فانه لا ينال من السعادة ما كان يقصده إذ لكل حيوان ولكل شئ في الوجود غاية يقصدها وهو قد نهيا لها بطبيعته فالعين معدة للبصار والسكين لاقطع والفرس للسبق والغاية التي أعد له الشئ هي قدرته التي فيها خيره فنفس الانسانية قد أعنت للتفكير والتدبير والمعرفة فهذه قدرتها التي فيها خيرها وسعادتها بخلاف ما اذا جارت وقسمت فانها قد تخرج عن وظيفتها واستعدادها الذاتي فلا تعيش سعيدة . وبهذا ختم سقراط قوله في المقالة الأولى فأنشأ اثنان من الحاضرين في معارضة (سقراط) في صدر المقالة الثانية فقالا إن العدل ليس بشئ طبيعي للانسان وإنما هو أمر وضعى قد تواطأ عليه الناس طلبا للراحة من شر بعضهم وخوفا من العقوبة . ومصادقه انه لو تيقن أحدهم الأمن من العقوبة كلو كان يده خاتم يغيب به عن رؤية الحاضرين لارتكب كل فاحشة بلا توقف . ثم ما نشاهده في الحالة الراضية . ألم نرا الفنى انظالم محسودا متسلطا على غيره

قادرا على الخير والشر . ألم نرا الرجل العدل القويم في سيرته متروكا في زاوية الجول مضطوبا اذا كان فقيرا وضعيفا . فهذا يدل على ما يعتقده الجمهور في خصوص العدل وخلافه . واذا رأى الصبي الحديث السن مثل ذلك كيف يختار العدل وما يتبعه من المذلة والمتاعب والمجز عن الخير وهو يشاهد ميل الناس الى خلافه فاذا كان ذكيا فطنا اكتفى من الاستقامة بظاهرها وسعى في أن يرى رجلا خيرا واتبع هواه في الباقي فكان عاقلا سعيدا ومن سواه فهو إما عاجز وإما مجنون . فأجاب (سقراط) ان مثل هذه الاشكالات لا تنحل إلا بعد استقصاء البحث عن العدل وجوهره بدون الثفات لما تراه العامة في خصوصه أو الى كونه نافعا أو مضرا فانا اذا ظفنا بتعيين ماهية العدل ونسبته الى نفس الانسان فقد يمكن معرفة ما ينفع وما يضر حقيقة . وهل ينبغي اختيار الجور عليه . وعلى ذلك يكون مدار البحث على «أمرين * أولهما» ماهية العدل «ثانيهما» هل سعادة الانسان موقوفة على العدل أم على غيره قال لما كان الانسان والمدنية طبيعة واحدة فقد يسهل علينا معرفة العدل الانساني اذا تأملناه في المدنية كما يسهل قراءة الكتاب اذا كان مكتوبا بحروف كبيرة غليظة . فاذا وجدنا ماهو العدل في المدنية لا يصعب معرفة ماهو في الأفراد فابتدأ قوله في البحث عن منشأ الاجتماع الانساني وأن الأصل فيه انما هو افتقار البشر بعضهم الى بعض لست حاجة كل منهم من مأكل ومابس ومسكن فأدأهم ذلك الى الاجتماع للتعاون والتمايع وتوزعت بينهم الأشغال فنه نشأ اختلاف الصنائع ثم المقايضة والمعاوضة والتجارة وصورة العدل في مثل هذه الدرجة من الاجتماع انما هي حفظ المساواة والمعادلة فيما يتقارضونه من نتائج أشغالهم . ثم نما المدن وكثرت أسباب الثروة فدعت الحاجة الى اقامةحكام محافظة على العدل واقامة حراس لدفع العدوان والظلم وحراسة المدينة عن أعدائها . فهذه أول المسائل التي تعرض لنا في تأسيس المدينة وهي مسألة ترشيح أهل هذين الصنفين أى الحكام والحراس انتهى . هذا ما أردت نقله من كلام أفلاطون . والمطلع على قوله يرى انهم يصلون الى درجة القرب من الحق تعالى . وهذا عجيب في أم جاءت قبل الاسلام بتسعة قرون مما يدلنا أن الله عز وجل تجلى على أم قبلنا وأثار البصائر لكثير من الناس فهو الأول والآخر . ولكن أفلاطون كان غرامه في العلم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك وبعلم الأخلاق . أما علوم الطبيعة فلم تكن له بها عناية . وهنا في القرآن جاء ذكر علوم الطبيعة قبل هذه الآيات والتعليم العصري في أوروبا يفوق ما عند اليونان يبرز شمس الطبيعة في أفق المدنية الحاضرة . فانظر وتعجب كيف سبق القرآن كل أمة . وكيف شرح علم الطبيعة ثم أتبعه بالعدل والاحسان . فما أعجب العلم والدين . وبأليت شعري هل يعلم المسلمون بعد اليوم هذه العلوم . وهل يفتشون على علوم الأمم فيأخذون بالأحسن منها وهل يعرفون أن القرآن في هذا الأسلوب تخطى حكماء اليونان وجاوزهم وأتى بأسرألوب للتعليم فهو يجمع بين الرياضي والطبيعي . فأما أفلاطون فغرامه بالرياضي . أفلا ترى هذه السورة وكيف جمع فيها الطبيعيات مع الرياضيات وذلك في قوله تعالى - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره - وفي قوله - وبالنجم هم يهتدون - فيها هوذا مزج الطبيعي بالرياضي . إن المسلمين والله لغافلون عن هذا القرآن وعن علوم العالم كاليونان وكأوروبا وأمريكا . ان هذه التعاليم عندهم ونحن ساهون لاهون فانظر كيف كانت هذه الكلمة قد ألقت عليها كتب ونشرت لها علوم . نعم ان الأمة الاسلامية عندها علم الفقه وقد تبجروا فيه ولكن نريد أن تزيد الباحث وأن يكون القرآن مرجع هذه الحكم ومما بحثه أفلاطون في كتابه انه يجب على القائم بالعدل في الدولة أن يمنعوا الناس من كثرة الضحك لأنه يضعف قلوبهم . وأيضا لا يخوفونهم من الموت لئلا يجبنوا عن لقاء العدو بل ينشرون ما يزيد ذلك الخوف * وجاء في الحديث الشريف النهي عن كثرة الضحك . وجاء في القرآن بشارات للجاهدين وللذين قتلوا في سبيل الله . انتهى الكلام على العدل مختصرا

﴿ الاحسان ﴾

أما الاحسان فهو على مناح شتى كالاحسان في الصناعات والأعمال ونظيره قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه - والاحسان في الطاعات وهذا على ﴿ قسمين ﴾ الأول ﴿ الزيادة فيها بالتواضع ويدخل فيه الاحسان للناس ﴾ والثاني ﴿ اتمامها كحضور القلب في الصلاة والاخلاص في الصدقات . وأما إيتاء ذى القربى فهو معلوم مما تقدم

(١) إذا علمت هذا وسمعت قول ابن عباس ﴿ العدل شهادة أن لا إله إلا الله والاحسان أداء القرائض ﴾ فاعلم أن ذلك داخل فيما ذكرناه لأن هذه شهادة حق وهي من العدل . وأداء القرائض عمل والعمل أحق بالاحسان

(٢) وإذا سمعته يقول ﴿ العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ فالأول ظاهر والثاني كذلك لأن العابد إذا غفل في الصلاة عن المعبود وغاب عنه قلبه فذلك لم يحسن ولم يتقن عمله فليس عمله حسنا والله تعالى يقول - الذي أحسن كل شيء خلقه - فالاحسان في الصنعة أن تكون نضرة بهجة متقنة فهكذا في الصلاة . ولعمري أي حسن في صلاة غفل صاحبها عن مخاطبة محبوبه الجليل وهذه المخاطبة جيلة ومحبوبة ولها لذة وبهجة ولكن لا يعقل ذلك الناس بل لا يصدقونه إلا إذا مروا زمنا طويلا وتكافؤوا ذلك التوجه في الفاتحة وفي أركان الصلاة وفي الدعوات بحيث يخاطبون ربهم كأنه أمامهم . وهناك يعرفون كيف أحسنوا أعمالهم ويفهمون قوله ﷺ ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ وهذا خير احسان

﴿ أقسام الاحسان ﴾

واعلم أن أعمال الدين بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى من الطريق وهذه البضع والستون قد ذكرها كلها صاحب الثقاية وشرحها شرحا وافيا . وليس المقام مقام نقل كتب ولكن لابد من فهم الغرض منها كما فعلنا في جهورية (أفلاطون) لئلا يشذ عنك شيء ينبغي الاطلاع عليه ولتقف على عجائب العلم في هذا القرآن . فانظر كيف يقول الحديث ان الاسلام بضع وستون شعبة . وكيف جعل لها أعلى وأسفل وجعل الأسفل إمطة الأذى من الطريق والأعلى لا إله إلا الله . أفلمست ترى أن جميع أعمال الحياة دخلت في هذا القول وأن النبي ﷺ إذا قال ﴿ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ فانه ذكر لنا شعبة واحدة من شعب الدين ليمثل لنا الاحسان والاحسان يشمل الشعب كلها من إمطة الأذى من الطريق الى عبادة الله كأننا نراه . إن عبادة الله كأننا نراه يستحيل أن تتم ولا تنظم إلا بقية شعب الإيمان فلا بد من نظام الأمة كله فالطريق منظمة والجود مكملة والحكومة قائمة والثغور عامرة وكل شيء تام . ومماثل الدين وشعبه إلا كمثل الجسم الانساني لا يتم له تفكير إلا بعد أن تكون له معدة وامعاء وحواس ويدان ورجلان فهذه كلها آلات للحياة ولا فكر للانسان إلا اذا وجدت هذه كلها فالدين كذلك فالعبادة واحسانها أشبه بعقل الانسان وبقية الشعب كبقية الجسم . وكما لا يتم العقل إلا بتام الجسم ولوازمه هكذا لا تستقيم لنا عبادة وحضور قلب مع ربنا إلا باحساننا كل شيء في أمتنا والا فبنال كيف يستقر لنا قرار في مساجدنا وفي مصالنا والفرنجة كالأنجليز يريدون تحويل ماء النيل عن بلادنا فاذا حوّل فأتين المصلون وأبن العبادات فضلا عن اتجاه القلوب للمعبود . هناك لاعادة ولأصلاة ولأدين ولامتدين بل ترهق النفوس ويهلك الحرث والنسل فليحسن المسلمون جميع أعمالهم وصناعاتهم والا فليرحلوا من هذا العالم وليخلق الله أمما أخرى يقرؤن هذا القرآن ويفهمون كما نكتب الآن وفوق ما نكتب من علوم مخزونة عند الله تعالى

(٣) وإذا سمعت ابن عباس أيضا يقول ﴿ والاحسان أن تحب للناس ما تحب لنفسك ﴾ فهو ظاهر لأن

هذا من شعب الإيمان وكلها يجب فيها الاحسان

إن الشارع الذي أمر بنظافة أهم الأعضاء في الوضوء عمم جميعها في الغسل لأنه يريد نظافة عامة هكذا في الأعمال . فإذا قال أحسن في عبادة ربك وتوجهك إليه فانه يقول أحسن في معاملتك مع الناس بل أحسن في جميع أمور الحياة . فإذا لم يحسن المسلمون جميع الصناعات كما أحسنه الفرنجة أو كبر فقد خالفوا ديننا ولا فرق في الاحسان بين الاحسان للناس والاحسان في مخاطبة الله والاحسان للأعمال الصناعية والتجارية والكمائية وغيرها غاية الأمر أن العلم ارقى ومخاطبة الله والتوجه إليه والقرب منه هو المقصود الأعظم . وقد قلنا ان الاحسان فيه يستحيل إلا بدولة تحافظ على الناس حتى يقيموها ونرى أصحاب الديانات القديمة المنسوخة آمنين مطمئنين يؤدون عبادتهم في مصر ونحن في شغل شاغل لأننا لم نحسن سائر الأعمال حتى نحسن العبادات (٤) وإذا سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول ﴿ الاحسان أن تحب أن يزداد المؤمن إيماناً وأن تحب أن يكون الكافر مؤمناً ليكون أخاك ﴾ تكميلاً لكلامه السابق . فهذا داخل فيما ذكرناه فيجب الانسان الناس قاطبة

(٥) وإذا سمعته في رواية أخرى يقول ﴿ العدل التوحيد والاحسان الاخلاص ﴾ فهو فيما تقدمت (٦) وإذا سمعت بعضهم يقول ﴿ العدل المكافأة خيراً وشرّاً . والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن تغف عنه ﴾ (٧) أو سمعت من يقول ﴿ العدل الانصاف باعترافك بالنعمة والنعمة للنعمة والاحسان أن تحسن لمن أساء اليك ﴾ (٨) وإذا سمعت قول ابن عيينة ﴿ العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريره أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيتك أحسن من سريرتك ﴾ وهكذا من الأقوال المختلفة . فاعلم أن هذا وعشرات أمثاله داخل فيما قررناه . فكل عالم فكري مسألة جزئية والقرآن أعم . فأما النبوة لجلالة قدرها فورد في الحديث عن النبي ﷺ ذكر عبادته كأننا نراه فذكر الأعلى وذكر بعض الشعب كأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وبالاجمال الاحسان في كل شيء العبادة والصناعة والتجارة والزراعة وكل هذا دين الاسلام . وهذه كلها فروض كفايات فلا بد من اتقانها والا فلاحياة . فهذا هو الدين وهذا هو العقل . فليحسن المسلمون جميع الصناعات والا فليرحلوا من هذه الأرض الجميلة التي خلقها الله لأهل الجلال . فأما الغافلون فندم لعباده أهل الكمال والجمال والعلم والأخلاق . فبذلك فليفرح المسلمون بما آتاهم الله في كتابه من العلوم النافعة - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ مزايا هذه الآية ﴾

قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن خير وشر هذه الآية . وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى - ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء - بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال . فما من شيء يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يترك أو يؤتى إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية * وروى عكرمة أن النبي ﷺ قرأ على الوليد بن المغيرة - إن الله يأمر بالعدل والاحسان - إلى آخر الآية فقال يا ابن أخي أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر . وهذه الآية كانت سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسأمت إلا حياء منه عليه الصلاة والسلام لسكرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي . وقال أبو جهل إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر . ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لانها جامعة . هذا ما جاء في كتب التفسير اه

ثم أتبع هذه الآية بفروع تفرع عليها وهي ﴿أولاً﴾ نقض العهد وهو ضد العدل وقرين المنكر والبغى
 ﴿وثانياً﴾ العمل الصالح وهو من الاحسان ونتيجته الحياة الطيبة في الدنيا والثواب في الآخرة والعمل الصالح
 هو الذي تم فيه الاحسان وهو يعم جميع ما قررناه في الاحسان وهو جميع أعمال الدولة وأعمال الانسان نظافة
 وأدبا وأعمالاً عامة وهامة ﴿وثالثاً﴾ أن العمل الصالح كما ينفع في الامور المعيشية ينفع في دفع الوسوس
 الشيطانية فان الشيطان لا يجد وسيلة يدخل بها على الذي رتب أوقاته ونظمها وأحسن أعماله لأن الحسن
 والجمال في الأعمال يعود النفس الجليل فلا تقبل القبيح . إن الشيطان لاسلطان له إلا على الجهلاء والفسقة
 والباطلين لأنهم معه لأن أفئدتهم هواء ومتى كان الهواء في الاناء دلّ على أنه ليس فيه ماء وإذا أدخلنا الماء
 خرج الهواء . هكذا العقول متى أدخلنا فيها العلم والارادة وكانت الأعمال وصحت العزائم لم يبق مجال لبليس
 ولا الهوى فالعمل هو السعادة والنوم والسكسل بلادة ﴿ورابعاً﴾ قولهم للنبي ﷺ - إنما أنت مفتر -
 لجهلهم بحكمة التشريع في الآيات الناسخة والمنسوخة وهذا من نوع المنكر والبغى والفتنة أيضاً لأنهم نطقوا
 بالقبيح وهو فحشاء وظلموا بانكار الحق وأضلوا غيرهم فقد جمع هذه المنكرات ﴿وخامساً﴾ ان هذا القرآن
 نزل به روح القدس وهذا من نوع الاحسان ﴿وسادساً﴾ ان قوماً لا يؤمنون بآيات الله اتهموا النبي ﷺ
 الذي نزل عليه القرآن بواسطة روح القدس انه ماعمه روح القدس وانما علمه أعجميان هما سلمان الفارسي
 وعمار وهذا غاية البغى ﴿وسابعاً﴾ بيان أن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يخرج
 عن العدل ولم يدخل في باب المنكر والبغى كأنه لما بين الأقسام المتقدمة ذكر ما شبه أمره ومن أي الأقسام
 هو فينته هنا ﴿وثامناً﴾ من شرح الصدور بالكفر وذلك من البغاة الظالمين ﴿وتاسعاً﴾ مجادلة النفس أمام
 الخالق يوم القيامة عن نفسها . وهذا من العدل المنسوب بين الله وخلقه ﴿عاشراً﴾ القرية التي كانت آمنة
 مطمئنة ثم طغت وبغت فأهلكها الله . فهذا من البغى ﴿الحادى عشر﴾ عدم العدل في الدين بتحريم
 الحلال في الأنعام والحرث . وهذا افتراء وكذب وبغى ﴿الثاني عشر﴾ قصص ابراهيم الخليل عليه السلام
 ومزايه الشريفة واتباع سيدنا محمد ﷺ له في طريقه . وهذا من الاحسان

﴿ ختام السورة ﴾

ثم ختم السورة بما يجمع سائر ما فيها فنن الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة تجمع كل ما تقدم كما أوضحناه
 سابقاً وأما قوله - وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به - الخ ففيه تطبيق على آية - إن الله يأمر بالعدل -
 فقوله - فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به - هو العدل وقوله - ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - راجع للاحسان
 ويتبعه قوله - واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم الخ -

ثم ختم السورة كلها بما يفيد ما تقدم جميعه وما أطلعنا به من نقل كلام العلماء والحكماء فقال - إن الله
 مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - وقد عرفت الاحسان فيما قدمناه فإله يكون مع المحسنين في أقوالهم وفي
 أفعالهم وفي صناعاتهم . فليتمن المسلمون صناعاتهم وليحسنوها وليزيدوا في الكمال كل شئ فقد تقدم أن
 الاحسان يشمل جميع وجوه الحياة كما أوضحناه

﴿ تنبيه ﴾

وقد فاني أن أنبه على العهد واخلافه وقد أوضحناه في سورة (التوبة) ولقد شدد الله في أمر العهد
 ونام المسامون عن العهود . وهذا هو الذي أوقعهم في نحس الطالع وسوء النكال . فترى بعضهم يكذبون في
 معاملاتهم ولا يصدقون في بيعهم وشرائهم . والأثم حولنا قد أدركت ذلك السرّ فعلموا أبناءهم صدق الوعد
 وعدم اخلاف العهود . فترى أم أوروبا كاذبة في عهودها مع المسلمين لضعفهم صادقة مع دول أوروبا بالقوتها
 ومنفعتهم . وترى تجارهم قد ظلوا الشريكين حتى إنك ترى التاجر الأوروبي يشتري البضاعة من الصانع

المصري ويبيعها ذلك الأوروبي على المصريين لأنه عندهم أصدق من المصري وإن كان خادعا لهم وقد كسب في البضاعة مثلي عنها كما أخبرني بذلك صانع أحذية مصري . وذلك لأن الفرنجى يجعل الثمن واحدا وقد علاه كثيرا . فأما المسلم فإنه يحب أن يغالب في الممارسة ويكثر من المساكسة والمساومة . فالبيع إنما هو مغالبة وذلك يورث عدم الثقة وأيضا يخلف الوعد ولا يصدق في معاملته . واخلاف الوعد اليوم هو الداء الوحيد في هذه الأمم الشرقية فإذا اخلفوا وعودهم لم يأمن بعضهم بعضا في المعاملات لأنهم لا يشقون بموعدهم فيهرعون الى الفرنج والفرنج هم الآكلون لأهل الشرق . هذه هي الأحوال العامة . ولكن الحمد لله في هذه الأيام قد ظهر في مصر وفي غيرها تجار عظام يفوقون الفرنجة في الموعد والنظافة والترتيب واتقان العمل وسيكون لهذه الأمة شأن إن شاء الله تعالى . وليس هذا الموضوع وما قبله بخارج عن قوله تعالى في آخر السورة - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - فالتقوى ترجع الى الاحتراس من الفساد في العقائد والأقوال والأفعال والأحسان راجع الى الأعمال الجليلة فالتقوى تحلية والاحسان تحلية . فليس يكفي في هذه الحياة الدنيا أن يكون المرء تاركا للشرب فإن الخمر كذلك . ولكن الرجل إنما هو النافع لغيره بعد نفع نفسه واحسان أخلاقها . فالتقوى في هذه الآيات شملت كل ما جاء في السورة من أعمال السوء والاحتراس منها ومن جميع المنهيات والاحسان شمل نظام كل شئ من عبادة ومعاملة مع الناس وعلوم وأخلاق . فالتقوى مع من أحسنوا علومهم الرياضية وعلومهم الطبيعية وصناعاتهم المدنية وعباداتهم -م- الإلهية وصالواتهم الدينية وأحسنوا في طهاراتهم ونظافة ثيابهم ومعاشرة أهلهم فكيف لا يكون الله معهم وهو يتولى الصالحين الذين صلحت نفوسهم وصاغت أعمالهم فكانوا للناس نورا به يهتدون وغياثا به يستبشرون . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ مذكرة عامة لسورة النحل وإيضاح لما سبق في السورة ﴾

تقد سميت هذه السورة باسم النحل كما سميت أخرى بالنمل وأخرى بالعنكبوت وأخرى بالبقرة وأخرى بالأنعام وأخرى بالفيل وأخرى ذكر فيها العاديات وهي الخيل . فباليت شعري كيف نام المسلمون قرونا وقرونا عن درس هذه المخلوقات درسا دينيا . وكيف نرى الفرنجة يعلمونها لأطفالهم في مدارسهم وبهذه الملاحظات ارتقت عقولهم . اللهم إنك أنزلت القرآن وأظهرت هذه الحكم للمسلمين فعرفوها في القرون الأولى وأخذ الملوك في أوائل الدولة العباسية يهرعون الى ترجمة الحكمة عن اليونانية كلنصور والمأمون ثم في أواخر القرن الرابع كما هو واضح في سورة الأنعام سابقا اعترى هذه الأمة مرض الجشع والشهوات والكسل واكتفوا من العلوم بالشعر والغزل إلا قليلا فأزحت العلم من الشرق الى الغرب لما حقر أهل بغداد وأهل قرطبة أي الشرقيون والغريون من المسلمين العلم والحكمة وحرق بعضهم كتب الغزالي والآخرون حرقوا علم ابن رشد هناك أخذت علومك منهم وأعطيها للفرنجة فنبغوا فيها وعرفوا سر النحل والنمل والعنكبوت وغيرها من الحيوانات التي سميت بها السور ايقاظا للناس . ولما عرفوها وعرفوا سائر العلوم ارتقت عقولهم فصاروا أعلم منا ونحن نائمون ثم انك سلطتهم علينا كأنك تقول ها هم أولاء تلاميذ آبائكم صاروا أسبق منكم للعلم والحكمة وارتقاؤهم إنما كان بفضل القرآن . وليس معنى هذا أنهم قرؤا الحيوانات لأجل القرآن بل أن القرآن كان سببا في ايقاظ العرب وايقاظ العرب ايقظ أوروبا تبعها . ولما استيقظت أوروبا بعقولها لا بد منها أرسلتها اليكم لتدلكم فتستيقظون هذه الدنيا وتعرفون مقصود كلامي ولم سميت سور كتابكم بأسماء الحيوانات وأن هذه عناية مني بذلك . وكيف غفلتم عن حكمتي في التسمية . أنا لم أسم سورة باسم الصلاة ولا الزكاة ولا الوضوء ولا البيع ولا الميراث ولا القضاء بل كان جل عنايتي بالتسمية راجعة الى الحيوان والى عجائب خلقى كل ذلك لأريكم أني لطيف بالعباد لا أفرق في العناية بين الفيل والبقة في نظام أعضائها ولتعرفوا حكمتي فقصوني

وتحبوا لقائى وتنظموا مدنكم وترقوا شمو بكم . فلما طعيتم وبغيتم أنتمكم قرونا وقرونا . وها أناذا الآن أسلط عليكم عبادى لترجعوا الى القرآن والدين فتدرسوا هذه الدنيا وعالومها دراسة أعلى يقول مؤلف هذا التفسير ان كل من اطلع على هذا القول مسئول عن أمته وعن دينه أمام الله فلينبش كل من أهل العلم والجاه هذه الفكرة وليعلم أن الطفل فى بلاد أوروبا يعرف من هذا الجبال والحكم مايجب على الكبار فى بلاد الاسلام ويعرف ذلك من درس كتبهم واطلع على عالومهم . فليقرن المسلمون العلم بالعمل ولتؤلف كتب للصغار وأخرى للكبار . فأما للصغار فليكتب شذرات من عجائب هذا العالم . وأما للكبار فليدرس نفس علم الحيوان والنبات وغيرها . إن كتابتى لهذا أصبحت فرض عين على لالامى بها وقراءته إما فرض كفاية أى لمن يقرؤن العلوم للنافع الدنيوية وفرض عين على كل من أمكنه الازدياد من العلم ولا مانع يمنعه ليكون زيادة فى توحيدته وشكرا لربه فهذا من أعظم الشكر كما هو موضح فى كتاب الشكر من الاحياء للامام الغزالى اه

﴿ نظرة عامة فى هذه السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة قد ملئت بالعلوم والمعارف والحكمة فقد جاء بها خلق الأنعام والبهائم والانسان والزروع والبحار وما فيها من الخلى الجيلة وكذا الحشرات والطير تذكيرا للمسلمين وتعلما للجاهلين وذكر الرأفة والرحمة عند ذكر الأنعام الملقى فيها الدفء والمنافع والأكل وأتم تعداد النعم بذكر دروع الحرب وأعقبها بأنه يتم النعمة علينا . فهنا ﴿ أمران ﴾ رأفة ورحمة فى أول السورة وتذكير بالنعم قبيل آخرها هاهوذا سبحانه لم يذكر انعم النعمة علينا إلا عقب ذكر الدروع فى الحرب . وهاهوذا يقول فى أول السورة - إن ربكم لرؤف رحيم - مؤكدا بان واللام . ظهرت رأفة الله ورحمته فى خلق الأنعام إذ نأكل ونشرب ألبانها وتجمل بها وهكذا . إن هذه الرحمة واضحة للجاهل والعالم ولكن صناعة الحرب والوقاية منها أمرها مزدوج يعسر فهم الرحمة فيه فلذلك عبر بالنعمة والنعم قد تكون بمكره وقد تكون بمحسوب فالطبيب نعمة على المريض وإن كان الدواء مرًا والعلم على المتعلم نعمة وإن منعه الراحة . إذن النعم التى فى هذه الدنيا إما ظاهرة الرحمة فيها وإما أن تكون خفية فما ظهرت الرحمة فيها يعرفها الناس وما لم تظهر فيها الرأفة والرحمة لا تعرف إلا بالبحث والتقصي فالنعم تكون بما تألفه النفس وما لا تألفه والرحمة أكثر ظهورها فيما تألفه النفس وهذا نفس ماجاء فى القاتحة فالله ربى العالمين ﴿ بأمرين ﴾ الرحمة والقهر وللأول - الرحمن الرحيم - والثانى - مالك يوم الدين - . هكذا الوالدان الأم للرحمة والرأفة والأب للتربية العملية فيوجهه للمطالب النافعة له مراعىا المصلحة لا الرأفة به . الله والعالم والأب والأم

وكما ان الأم للشفقة المتناهية التى ترجع أكرها الى مصلحته وتغذيه وتحميه والأب لاصلاح عقله وترقيته ناظرا لمستقبله . هكذا بعد أن يستقل فى أمور الحياة يتخذ له أمًا أعظم من أمه ويقوم الرب بالعناية بارتقائه بدل أبيه . وبيانه أن ما ذكر فى هذه السورة من الأنعام والبهائم والابن والعسل والشعر والصوف كل ذلك أعد للانسان بعد فراقه لبن أمه فبعد أن كان يعيش على لبن أمه أصبح يعيش بأغذية الأم الكبرى وهى الأرض ففيها النبات والحيوان وأنواع الأغذية أعدّها الله له فى أمه الكبرى . فكما أمته أمه باللبن أمته الأرض بهذه الأغذية . وكما ان أمه الصغرى لم تنره بلا عمل بل كانت تكافه أمه أن يقم فله الى نديه البرضع وهذه كلها أعمال تناسب الأطفال . هكذا أمه الكبرى كافته أعمالا مناسبة لقوته وللفائدة التى سيجنيها من الأغذية التى عليها . وكما رأينا أباه وجهه الى العمل والدرس والصناعة وأتعبه فى ذلك وشغله . هكذا نرى الله الذى قام برعايته أكثر من أبيه قدفتح له مدارس الحوادث الجوية والحر والبرد والصواعق والحيوانات

المفترسة والقاتلة كالتي تحدث الطاعون والטיפوس والكوليرا وهكذا فإن هذه سلطها الله على هذا الانسان ليحبذ وينصب في اتقاء شرها ودفع أذاها فيبقى الحر والبرد بالملابس والاسود والفر بالتحاذ المساكن وحفظ البلاد والاستعداد للطوارئ . ويتقى الحيوانات الذرية المحدثه للطاعون بأدوية قاتلة لتلك الحيوانات الداخلة في جسمه المهلكة للجموع الكبيرة من نوع الانسان . ويتقى الأعداء من نوع الانسان بالحصون والبروع والح ذلك ليدربه على التعقل والتفكر والأعمال الصناعية والعلمية فالولا اتقاء الحر والبرد وحسب التجمل والزينة لم تكن تلك المعامل التي تصنع فيها الأنسجة . ولولا أنواع الأوبئة والطاعون التي تحصد الناس حصدا مانبع النابغون في علم الطب وظهرت في الانسان قوى انتفعت بها الانسانية . ولولا الحرب بين السول والممالك ما ظهرت تلك الصناعات العظيمة في بناء السفن في البحار والحصون في البلاد والأسلحة العظيمة . وكل ذلك استخراج لأسرار المادة والعقول . أفلمست ترى أن ذلك من الله استخراج للقوى والقدر في نوع الانسان وفي الأرض . وكما ان الأرض في اعدادها الأغذية والمنافع المذكورة في هذه السورة بأذن الله أبر بالانسان من أمه وأرحم . هكذا الله عز وجل في ارسال الصواعق والحوادث الجوىة على الانسان في الأرض وإيقاد نيران الحرب بين الأمم وحصد أرواحهم بأنواع الطاعون والوباء قد علم الانسان وفتح له أبواب التبصرة والتذكرة أكثر من تعليم أبيه له وتدريبه على زراعة أو صناعة . فإذا كان نظر الأب قد أدرك العاقبة فحسب حساب مستقبله فعمله على العمل فالله لم يذره في راحة وطمأنينة تورثه الخيبة والذل والهوان بل جعل له في مقابل كل نعمة تقمة . فإذا خلق له الأبل والبقر والغنم والخيول والبغال والخيول فقد خلق له نظيرها أسودا ونمورا وذئبا ووحوشا أخرى . وإذا خلق له النحل ليشرب عسله ويتعجب من هندسة بيوته وهكذا حشرات أخرى كثيرة لتلقح زرع وحيوانات ذرية (المسكروبات) تنفع في تحليل المادة في الأرض لتستعد لتغذية الزرع بها والسكرات الجراء في دمه حياته وصحته هكذا خلق له في مقابل ذلك كله الحيات والعقارب والحيوانات الذرية التي تحدث الطاعون والטיפوس والجدرى والحصاء . وإذا جعل الله الأمم ينفع بعضهم بعضا وهكذا رجال الأمة الواحدة يتعاونون والأهل والأقارب والأرحام كل لىكل مساعد . فهاهوذا سبحانه قابل كل نعمة من هذه بنقمة من جنسها . فالسول تقع بينها الحروب والأصحاب معرضون للخلاف والشقاق والمداوة والقضايا . أما الأقارب فحدث عن الحسد والاحراج . أقول . أنا أعتقد أيها الأخ الذكى أنك الآن أمامك صورة واضحة مشاهدة معلومة من هذا الوجود تستبين بها أن الله جعل تقمة في مقابلة نعمة وأن هذه التقم مدارس يربى فيها الناس وهذه التربية التي ليست بحرف ولا صوت بل هي تربية صامتة أرقى من تربية الأب الذى لا يفكر إلا في أن يعلمه كيف يحصل قوته ويحفظ أسرته بعد موته فثبت بهذا أن الأرض وضعها الله بدل الأم وهي أرحم بالانسان من أمه وأشار لذلك بقوله في أول السورة - إن ربكم لرؤف رحيم - وأن الله بما خلق من أصناف المؤذيات المهلكات في مقابلة النعم بحيث لم يذرنعمة إلا قابله بنقمة قد أعد له بذلك مدارس منظمات مفتوحات لتأذره ينم لحظة فإن سار في الأرض بلا احتراز افترسته السباع وإن جلس في مكان وهو ساه لسفته الحيات وإن نام في فراشه أو جلس في بيته وهو غير مستيقظ لنظافة بدنه أو ثوبه أو مكانه تلقته تلك الجوع من القمل والبراغيث والبق . وإن نامت الأمة وادعة ساهية لاهية تألبت عليها جيرانها من السول وأقبلت اليها يقتسمونها فيصبحون عبيدا بعد أن كانوا سادة مكرمين . وإن تركوا علم الطب وناموا على وساء الراحة الوثير تحالفت عليهم جيوش الحيوانات الذرية ففتكوا بهم ففتكا ذريعا فأفنوا أكثرهم وهم ساهون لاهون . فهذه مدارس الله التي أزعجت الناس فارتقوا في الطب والصناعات وفتحت بصائرهم أليس هذا هو معنى - الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين - فالرجة المذكورة في الفاتحة والمذكورة في أوائل سورة النحل هي التي قامت بها الأم وقامت بها الأرض مما ذكر في هذه السورة وغيرها والشدة المأخوذة

من قوله - مالك يوم الدين - ومن قوله - وسراييل تقيمكم بأسكم - في هذه السورة نعمة قالوا فية بالدروع من الحرب نعمة والسلاح والسكران نعمة . ولا جرم أن لا بس السرعة محارب فتكون القدرة على الحرب نعمة وهكذا كل ما أحدث لنا جدًا وعملًا لنحتس منه . كل ذلك نعمة كنعمة انقاء الهلاك بالدروع فالنظر وتعجب . رجة وشدة في الفاتحة مرتبتان ذكرنا كما رتبنا وضعنا . هكذا هما في النحل رجة ثم نعمة مقرونة بالحرب . وهكذا أم الولد أولًا ثم أبوه يتلقاه لترقية قواه . تشابه الوضع الطبيعي والوضع العامي الديني . رجة فشدة في الفاتحة . وهكذا في سورة النحل وفي سير حياة الانسان . فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا المقال حسن ولكن ليس بيلغ . ان البلاغة أن يطابق الكلام مقتضى الحال وليس مقتضى الحال أن تشرح النعمة والنعمة والدين والشدة وتطابق الامور وتترك القول سهلاً . جعلت النقم والحوادث والمصائب في الطبيعة أشبه بشدة الأب على ابنه . وجعلت نعم النبات والحيوان والأغذية أشبه بالراقة المتناهية والرحمة . هذا كل ما قلته ولكن مقتضى الحال أن تثبت ما تقول ان كثيرا من المؤلفين يحاولون كلامهم وتجد عباراتهم ولكن القارئ يخرج من ذلك ولا علم عنده وانما هي صور في الخيال لا تحقيق ومن ذا الذي يقول ان الحيوانات الفاتكات بالانسان نعمة . وأي عاقل وأي حكيم يحكم بأن من أعطاك ثوباً ثم أردفه بضرب السياط والشتم يكون محسناً كريماً والله يقول - قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى - فهل في اعطائنا الابل والبقر والغنم . ثم في مقابلتها تكون السباع المنقرسات نعمة تامة أم ذلك صدقة يتبعها أذى . إن الله عز وجل حكيم والحكيم يوافق قوله فعله وأنا لا أفهم الموافقة هنا . فقلت له ليس كل ما يؤذى الانسان نعمة فمن الايذاء ما يكون نعمة كما تقدم . وليس منع الأب ابنه عن الراحة ووضع في عمن إيذاء وهكذا نأديه بالتوبيخ والضرب ليس إيذاء بل هو نعمة عليه . فقال هذا كلام اقناعي فالتفتي ببرهان يشرح صدرى ويقنعنى . قلت إذن أسمعك

﴿ رسالة منسوبة الى (أرسطاطاليس) للاسكندر في السياسة ﴾

هذه الرسالة نقلت من النسخة الخطية في الفاتيكان بايطاليا في زماننا هذا ونشرت في بعض المجلات العلمية في (برلين) وفي مجلة الشرق . ويرجح العلماء انها مترجمة بقلم حنين بن اسحاق فلا ذكر نبذا منها بالحرف لمناسبة المقام

(١) قال . وقد انتهى اليانا انك بعد الواقعة السكائنة لك بيبابل وظفرك بدارا ومن لحق به وما ركبت من أهوال الحروب وكابدت من شوائدها استأنفت أشغالاً آخر بامور سموت لها وتطلعت اليها فقد ينبغي لك قبل ذلك أن تفرغ نفسك للنظر في مصلحة أمور المدن وتقويم سنها فان هذا أمر كبير يجب عليك النظر فيه ويذهب لك الصوت والذكر الجليل فقد تعلم ما نال من ذلك (لوقرغس) بتقويمه سمن مدينته وعلى حسب سعة مملكك وعدد مدائنك سيكون فضلك على من أصلح مدينة واحدة بقاء الذكر والثناء لك لأن إقامة السنن صلاح العامة ودوام السلامة والهدوء في الرعية

(٢) وقد ظن كثير من الناس أنه انما يحتاج الى المدير القائم بالسنة في الحرب . فاذا انقضت الحروب واستفاض الامن والسكون استغنى عنه والذي صبرهم الى ذلك ظنهم بأن الاستمتاع بالخيرات سهل يمكن لافناء الناس وأن معاناة الشدائد الصعبة لا يقوى عليها كل أحد . ولست أرى هذا صوابا بل الصواب عندى خلافه وذلك أن الناس اذا مستهم الشدائد تحنكوا وتبطلوا لما فيه مصلحتهم فاذا أظلمت الأهوال تحركوا فيما يدفع ذلك عنهم . واذا صاروا الى الامن مالوا الى الشره والفساد وخلعوا عذارائهم حفظ وما أعسر أن نكون مع رخاء البال صيانة العقول بل يذهب ذلك بالعقل كثيرا وبذهله فأحوج ما يكون الناس الى السنن اذا صاروا الى الخفض والمعة فانه ان كانت الحروب قد تحدث فيها الأحداث فان ذلك يحدث والناس متحفظون حذرون

في حال الخفض فتحدث أحداث كثيرة والناس قارون مهملون لأمرهم . عند ذلك يحتاج العامة الى الأدب والسنة . والسنة انما تكون سنة اذا عمل بها . وانما يعمل الناس بالسنة اذا كان لهم مديري يحامهم عليها وانما يقوى على ذلك من كانت رئاسته سنة اجاعية ولم تكن رئاسته فتنه واغتصابا فليس الاستمتاع بالهدوء والخفض مما يحتمله كل أحد كما ظن هؤلاء ولوانه كان ذلك كذلك لوجب على الآباء أن يملكون أبناءهم أموالهم من أول نشئهم . فكما انه لا ينبغي أن تفوض الأموال الى الصبيان كذلك لا ينبغي أن تفوض الامور الى العامة فان أخلاق العوام شبيهة بأخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج الى الرقابة والمديرين

والعبرة في ذلك أيضا قد ترى من تصرف الأحوال وتنقل الدول فبالبال الرئاسات لا تثبت ولا تدوم لصنف واحد وفي مدينة واحدة كالذي رأينا من نقلها في بلاد (آسيا) وفي بلاد (أوروبا) وفي غيرها من المدن فقد ملك (آشور) حيناً لأهل الشام وسورية ثم خلف بعدهم أهل (ماه) ثم خلف بعدهم أهل فارس وكذلك تجده في سائر الأمم . فالقلعة في هذا كاه واحدة هي التي ذكرنا من أن القلب في الحبرات أصعب من مقاساة الشرور وكذلك نجد الذين نالوا الرئاسة بنصب ومشقة ثم زيدوا فيها شيئاً بعد شيء قد حسنتهم وقفتهم التجارب أكثر ذلك ما تطول مدتهم ويؤول الى السعادة وحسن العاقبة أمرهم وتجدهم الذين نشؤا في الخفض ووافقهم الامور عفوا فلم تصبهم شدة ولم يمسه خوف يصيرون الى ضد ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتعظم بالمشقة والنصب وتصير الى الخراب والوار بالرفاهية والخفض داعية الى البطالة والناس في أكثر ذلك مائلون الى البطالة مستلذون بها . وذلك انهم يكرهون الأدب والسيرة الحسنة هرباً من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلباً للتودع ويفنون أعمارهم في طلب اللعب الى الشقوة . وليس يكون مع البطالة وتعطيل الأدب بقاء ملك ولا ذنب عن حريم ولا صلاح عامة . فالأمر على ما وصفت أولاً من الحاجة الى سنة مقومة ومدير يقوم بها فيحمل العوام على حسن السيرة والصلاح . أما أهل السادة ولؤم الطباع فبالخوف

وأما الأشراف فبالحياء . وكيف تكون سنة عامة إلا بمدير عام . ومن الذي يجمع الناس على الألفة والاستقامة وينصر السنة وقيمتها إلا رجل له قدر كبير وقدرة ظاهرة تكون في مصر عظيم فيكون ظهيرا للسنة رابطا للألفة . فبمثل هذا الرجل يقدر على استدامة حسن السيرة في المدن ونفي الفواحش عنها . وليس تصلح المدن إلا بصلاح الرؤساء والمديرين . وينبغي أن يكون هذا الرجل جزلاً كاملاً ليس في الشجاعة والعدل وأصناف الفضائل فقط . ولكن في القوة والعدة أيضاً ليقوى على ضبط العامة وحملهم على السنة فان كثيراً من العوام لا يذعن للعدل ولا يتأد للحق . فاذا لم يكن عليهم خوف مائلوا الى البطالة وتعطيل السنة فلا بد من مدير عام يجمع أمر العائلة كهؤلاء سيما (الياذه ومدائنها) فانها اتصلت كلها مدينة واحدة . وليس يؤتى صلاح المدائن إلا من صلاح الرؤساء والمديرين كالذين رأينا في مدائن (القديمونه) و (ايفناس) فانه كان في بعضها سلاطين جبابرة وضعوا سنناً وفي بعضها قوام عدول فبذبت لذلك هذه المدائن وبعصوتها وكذلك المدائن التي دخلها الخلل والفساد والانتشار انما أتيت من سوء أثر الرؤساء والمديرين فصرفوا همهم الى اللذات الزمنية فأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض الى الدهر فقد ينبغي للمدير أن لا يتخذ الرعية مالا ولا مأكلاً ولا قنية ولكن يتخذهم أهلاً واثقاً وأن لا يرغب في السكرامة التي من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر و صواب التدبير . انتهى المقصود منها

وبقية الرسالة نصائح للولوك ومديري المدن مثل إنك يا اسكندر تريد أن تغزو غزوات أخرى فأذكرك بأن للبشر آفات تعرض لهم في أحوالهم . ومثل ان السلطان اذا كان رئيساً لأحرار خيراً من أن يكون رئيساً لعبيد أذلاء وإذا أذلهم وكرهوه لا تدوم رئاسته . وأن الرئيس اذا أذل رعيته فقد اختار أن يرأس البهائم لا أن يسود الرجال . ومثل غاصب الملك كشكل المولى وأما الملك فيكون في شكل الأب . وأن ملك فارس

كان يسمى كل واحد عبدا حتى ولده وهذا يصغر قدر الرئاسة فرئاسة قليل من الأحرار خير من التسلط على كثير من العبيد . ويقول إن صغير الهمة من الرؤساء يكرمه العامة للخوف منه وعلى الهمة يكرمونه لحسن أثره . والكرامة الأولى هضمحلة والثانية باقية ثم نصحه بأمرين هما ﴿ العبدل ولين الجانب ﴾ وبهما دوام الرئاسة والفضلاء يخضعون بالحياء والمجبة والسفهاء بالخوف والسلطان إذا لم يكن عدلا فهو يسمى غاصبا لسلطانا ونصحه بأنه إذا حارب قوما وانتصر عليهم أن يجعل الرحمة حالة محل الغضب . وأن لا يحقد على الأشراف . ويقول ان ضيهم في مراتبهم أشد من ضيهم في مالهم وأبدانهم ونصحه بأن لا يكون شديد الغضب كالسباع ولا ضعيفا كالصبيان . وأن يكون مستشاره مائلا لفعل الخير وحذره من استشارة المؤهين الخادعين وختم المقال ﴿ بثلاث نصائح ﴾ تكسب السلطان حسن الذكر وهي حسن السيرة . والبلاء في الحروب وعمران المدائن اه

ها أنا ذا أيها النكي ذكرت لك المقصود من هذه الرسالة بالحرف . وتلخصت الباقي ليفرح بها الأذكاء . ﴿ وملخص المقصود منها ﴾ ما رأيت من أن البطالة والرفاهية والكسل وإهمال الأجسام والعقول مضیعة للأثم . وبالأجل أن ما يظنه الناس من أن الراحة سعادة والنصب والتعب شقاء قضية فاسدة . فالحكمة عكست آراء العامة وذلك بالبراهين المعروفة في التاريخ وأن المدن التي مالت الى الراحة يقهرها انفاصبون والرجل الذي جاءت اليه المناصب أو الأموال عفوا تذهب بمنصبه وبماله عواصف الحوادث ومصائب الأيام فها أنا ذا أسمعك حكمة الحكماء في هذه الأرض في سياستها ونظامها . أفنست ترى أن هذه السياسة بنصها وفصها مأخوذة من سياسة الله في الأرض . فاذا قلت لك إن الله خلق الناموس والحشرات المؤذية والحيوانات الذرية المهلكة بالطاعون وبالبئفوس الخ ليرقى عقول الناس ويستخرج مواهبهم فهي هي سياسة الأمم في الأرض

الله أكبر . طابق نظام السياسة العالية في الأرض نظام الله في الحيوان . إذن تكون هذه الرسالة وأمثالها تفسيراً لقوله تعالى في هذه السورة - وسرايل تقيكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم - أي ان سياسة أهل الأرض الصادقة أفهمتنا لماذا جئ، بذكر انعام النعمة في الآية بعد ذكر الحرب وسرايله مع أن السورة كلها نعم في البر والبحر . إذن الله تعالى يقول لنا ها أنا ذا يا عبادي أغدقت عليكم النعم من الأنعام والحرب وأصناف الكرامات ولكن اذا تركتكم بلا موقظ يوقظكم صرتم أذلاء فجعلت في مقابل كل نعمة نقمة لا تتم النعمة عليكم فليس انعامي بالحيوان والنبات كل شيء بل الاقتصار عليه اضاعف لهممكم وتنزيل لها الى مراتب الحيوانية . هذا هو المعنى الذي يؤخذ من وضع هذه الجمل . فاذا جعل الله الشدة بعد الرحمة في الفاتحة . وجعل الحرب والانعام بها في أواخر النعم في سورة النحل بعد ذكر الرأفة والرحمة في أوائلها . واذا جعل الأب في تربية الولد بعد حضانه أمه له فقد اتضح سر هذا كله هنا واتفقت النظم وهذا قوله تعالى في سورة الأنبياء - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - وقوله تعالى - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمى * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانى -

فتجب من هذه الآية كيف كانت ملخص الرسالة المتقدمة . يجعل الله ترادف النعم ليس نعماً ويقول كلام أردفها بأن الناس مقصرون في عمل الخيرات كإكرام اليتيم والحض على طعام المسكين، وهذا ملخص الرسالة المذكورة لأنها ﴿ قسمان ﴾ قسم يذم التنعم وقسم يأمر بالعمل فأول الآية للآول وآخرها للآخر يسبحان الله ويأسعده . أهذا هو القرآن الذى تقرؤه وحفظناه عن ظهر قلب ونحن أطفال لانهقل شيئاً . هل هذا هو كتابنا المقدس . وهل هذه السياسة التي حفظها التاريخ وبقيت في خزائن الأمم العالدية توافق نص الآية . اللهم إن هذه الآيات يقرؤها جميع أطفال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فصارت

أشبه بالشئ المعتاد فهي كالأجسام الانسانية يعيش فيها أكثر الناس وهم لا يعلمون عنها شيئا
هذا القرآن يستحيل أن ينتفع به المسالمون إلا اذا قرؤوا جميع العلوم ومن أين يعرفون معنى هذه الآيات
التي تعرض على العامة والأطفال لأنها في السور الصغيرة المعروفة لكل قارئ إلا بالعلوم والمعارف وأرجو أن
يتم ذلك بعد انتشار هذا التفسير

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد شفيت ما في صدري وعرفت أن النعم المذكورة في هذه السورة ان لم
تصاحبها هذه المواقظات في عالم الطبيعة كالحرب والحيوانات المؤذية كانت الحياة وبالا وأدركت بعض سر قولنا
في الصلاة ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ﴾ وعرفت أن القضاء بالشرع اعممة مخفية وأن جدنا عليه باللفظ لا يفيد
وانما هذه الألفاظ جاءت في الدين لتذكيرنا بأن نعرف أمثال ما تذكره أنت الآن وأن ملأء في الصحاح من
أنه ﷺ كان يأخذ البيعة عن المسلمين بأقام الصلاة وإيتاء الزكاة الخ ويختمه بقوله ﴿ وأن تؤمن بالقدر خيره
وشره من الله ﴾ انما جاء أمثال هذا الايمان ليفتح لنا أبواب العلم الذي اطلعنا على بعضه الآن وهذا ذكرني
بما ذكرته أنت فما تقدم من ﴿ لغز قابس ﴾ المذكور تارة مختصرا وتارة مطولا لأغراض مختلفة في هذا
التفسير وهكذا ما أشرت أنت اليه من كتاب ﴿ الكوخ الهندي ﴾ فهذان الكتابان نقيضتهما واحدة .
إن السعادة لا وجود لها إلا بالصبر على ما يؤلم . وهكذا كتاب (أبكتاتوس) المذكور في آخر سورة الحجر
ثم قال ولكن أريد أن أعرف معرفة أتم اقتران النعم بالنعم . لقد اتضح فيما ذكرته وجود الحيوان الضار
بإزاء النافع وهكذا ولكني أريد ما هو فوق ذلك . أريد أن أعرف الخير والشر يكونان متكافئين معا في
حيوان واحد . فقلت نعم هذا موجود موضح للعدل العام . قال فأوضحه أيما إيضاح . قلت اعلم أن
العقارب والحيات والحيوانات الذرية الجالبة للطاعون والتيفوس ولوباء العام المسمى (كوليرا) هذه كلها
جعل خيرها مكافئا لشرها وضررها مكافئا لنفعها . وانما جعلها الله كذلك لتكون درسا محسنا أمام الحكماء
في أمة الاسلام في مستقبل الزمان لتدلم على أن العدل في نظام المدينة وفي أخلاق الانسان ومملوكه وهكذا
نظام هذا العالم كله يرجع الى هذا الدرس الصغير المجسم الذي كافأ خيره شره ونفعه ضرره . فقال هذا القول
يحتاج الى برهان . فقلت اعلم اني قرأت في كتب الطب القديمة قاعدة أن لحم كل حيوان سام ترياق لسمه
وفرعوا على هذه القاعدة أن جسم الحية ترياق لسمها بالمدغ وجسم العقرب كذلك و بعد ستين قابلي ضابط
من الجند المصريين كان مقبلا بالسودان فذكر مرة أنه لدغته عقرب بمقدار كف الانسان في ظهره قال فضررت
بيسدى بقوة على موضع الألم فتهرأت العقرب من الضربة فسكن الألم حالا . فقال صاحبي هذا لا يقتنعني .
فقلت هالك اسمع ماجاء في كتاب ﴿ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ﴾ تأليف العلامة موفق الدين أبي العباس
أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ صرخد
من بلاد الشام الذي ألف كتابه المذكور سنة ٦٤٣ هـ في مدينة دمشق . قال ان (أندروماخس الثاني) وضع
لحوم الأفاعى في الترياق . قال والذي نشطه لذلك وأفرد ذهنه لتأليفه ﴿ ثلاثة أسباب ﴾ جرت على غير قصد
وهذا كلامه . قال ﴿ التجربة الأولى ﴾ إنه كان يعمل عنسدى في بعض ضياعي في الموضع المعروف
(بيورنوس) حرثون بحرثون الأرض للزرع وكان بيني وبين الموضع نحو فرسخين وكنت أبكر اليهم لأنظر
ماذا يعملون . وذكر أن غلامه كان يحمل لهم زادا وشرايا فأحضرهم يوما خرا طيبا في إناء طين لم يفتح
فلما فتحوها وجدوا فيها أفعى قد تهرأت فقالوا إن ههنا رجلا مجذوما يريد أن يموت فاذا سقيناه أرحناه من
الحياة ولنا ثواب عند الله فغضوا اليه فأعطوه زادا وسقوه الخمر وقنن أنه لا يعيش يومه فلما قرب الليل انتفخ
جسمه نفخا عظيما . فلما كانت الغداة سقط جلده الخارجي وظهر الجلد الداخلي الأحمر ولم يزل حتى صلب
جلده وبرأ وعاش دهرًا طويلا من غير أن يشكو وعلمته حتى مات الموت الطبيعي . قال فهذا دليل قاطع على

أن لحوم الأفاعي تنفع من الأوصاب السديدة والأمراض العتيقة في الأبدان . وأما ﴿ التجربة الثانية ﴾ فان (أندروماخس) كان له أخ يسمى (ابولنيوس) وكان مساحما من قبل الملك على الضياع فصادفه يوما في حجارة القيط أنه نام فنهشته أفعى في يده وكان قد ألقى يده على الأرض من شدة تعبته فانتبه بفزع وعلم أن الآفة قد لحقته ولم يكن به على القيام طاقة ليقتل الأفعى وأخذته الكرب والغشى فكتب وصية وضمها اسمه ولسبه وموضع منزله وصفته وعلق ذلك على الشجرة كي إذا مات واجتاز به انسان ورأى الرقعة يأخذها وقرأها ويعلم أهله ثم استسلم للموت وكان قد غلبه العطش فشرب من ذلك الماء شرابا كثيرا فلم يلبث الماء في جوفه حتى سكن ألمه وما كان يجده من ضربة الأفعى ثم برأ فبقى متعجبا ولم يعلم ما كان في الماء فقطع عودا من الشجرة وأقبل يفتش به الماء لأنه كره أن يفقسه بيده لئلا يكون فيه أيضا شيء يؤذيه فوجد فيه أفعيين قد اقتتلا ووقعا جميعا في الماء ونهرآ فأقبل أخى الى منزلنا صحيحا مسلما أيام حياته وترك ذلك العمن الذي كان فيه واقصر على ملازمتي وكان هذا دليلا على أن لحوم الأفاعي تنفع من نهش الأفاعي والحيات والسباع الضارية قال . وأما ﴿ التجربة الثالثة ﴾ فانه كان للملك (بيولوس) غلام وكان شريرا غملازا خمانا فيه كل بلاء وكان كبيرا عند الملك يحبه لذلك . وكان قد آذى كثيرا أ كثر الناس فاجتمع الوزراء والقواد على قتله فلم يتبها لهم ذلك فصمموا أن يضعوا السم في شرابه حتى إذا مات جلوه الى الملك ليس به جراح فلما وضعوه في الشراب لم يلبث إلا قليلا حتى مات فتركوه في بعض البيوت وختموا عليه ووضعوا الحراس عليه وتوجهوا للملك . فلما ساروا بأجسامهم الى الملك رأى القعدة أفعى قد دخل الى البيت الذي فيه الغلام فلم يتبها لهم أن يدخلوا خلفه ويقتلوه لأن الباب كان مختما فلم يلبثوا إلا ساعة والغلام يصيح بهم لم أقفلم على الباب أعيشوني قد لسعني أفعى فكسروا الباب وخرج ليس به مرض . قال وكان هذا دليلا على أن لحوم الأفاعي تنفع من شرب الأدوية القتالة المهاكة . هذا جملة ما ذكره (أندروماخس) انتهى

وقوله لحوم الأفاعي لله جعل اللعوم كالسموم كلاهما ينفعان من شرب الأدوية القتالة . أما علماء العصر الحاضر فانهم وجدوا أن الحيوانات الذرية الميتة اذا حقنوا بها من أصيبوا بسموم تلك الحيوانات أبرأتهم (وكيفية ذلك) أن الأطباء في أوروبا لاسيا في ألمانيا في زماننا الحاضر قد يربون الحيوانات الذرية المحدثه للطاعون ولحى التيفوس والكوليرا فتتمو وتكثر في أقرب زمن ثم يضعونها على النار بحيث تكون درجة الحرارة (٥٦) لا أنقص ولا أكثر وتبقى تلك الحيوانات على النار (٤) ساعات ثم يرفعونها عن النار فإذا أصيبت أمة بمرض من هذه الأمراض الثلاثة أتوا بأجسام النترات الميتة التي من نفس نوع الاصابة وحقنوا المرضى بها فيبرؤن . فاذن أصبح جرم النترات المحدثه للطاعون ومامعها مانعا من اضرار سم الأحياء منها في جسم الانسان . إذن القاعدة واحدة تكافؤ الخير والشر في الحيات والعقارب والحيوانات الذرية أى (المكروبات) وهذا كله معنى العدل . فالعدل هنا تكافؤ السم والترياق وفي الناس تكافؤ القوى الشهوية والغضبوية والعقلية بحيث لا تظنى احداها على الأخرى وفي الملوك تكافؤ المئين والشدة وفي المدن انتظام العمال والجند ورجال الحكومة وقيام كل بما استعد له وخضوع الأدنى للأعلى . وكل ذلك تفسير لنعمة السرايل في الحرب وجعلها خواتم النعم ولقوله تعالى : إن ربكم لرؤف رحيم -

فقال صاحبي هذا حسن ولكنى أريد أن تذكر لى مسألة واحدة تختم بها النظام في عالم المادّة . فقلت وماهى . فقال إن هذه المقالة دخلت فيها علوم كثيرة ومن تلك العلوم مسألة الحرب كيف جعلت الحرب التي دخلت ضمن ذكر السرايل في الآية نعمة مع انك قلت مرات كثيرة في هذا التفسير ﴿ أيها المسلمون اقرؤا العلوم وعمموا التعليم ثم قودوا الأمم الى السلم العام ﴾ فاذن ماقلته الآن ينافى ماقدّمته في هذا التفسير . فقلت إن الأمر سهل يسير . الحرب موقظة مرقية للشعوب كما أوضحناه . ولكن اذا ارتقت أعم الأرض

واتحدوا على المنافع العامة وأبطلوا الحرب فليس معنى هذا أن الأمم تصبح فارغة من الهم . كلا فستجد لهم أعمال وأعمال تكون أكثر عملا من الحرب . ألا ترى أن الناس كانوا يمشون على أقدامهم في الطرقات ويمتطون الدواب فلما كثرت القطارات في الطرق وعربات النقل ورخصت قيم النقل لم تمنع تلك الراحة الناس من الأعمال التي شغلت جميع أوقاتهم وسائر أيامهم . فهنا نحن أولاء نركب القطار في راحة ونعيم ولكن عندنا أعمال لا حد لها لم يعرفها أبائنا . فاذا فرضنا أن الحرب زالت فكيف في استعداد الناس من أعمال لا تدعهم يهدؤن ولا هم يسكنون كالمبارات في استخراج الخيرات من ضوء الشمس ومن الهواء ومن باطن الأرض ومن الماء ومن كل شيء . فقال ألاحيا الله العلم والحكمة التي أنعم الله بها علينا في تفسير هذا القرآن . ألا بارك الله في أقوام أنصبوا أنفسهم واستخرجوا لنا هذه الكنوز العلمية والمصاييح الفنية والنجوم اللامعة والشموس المشرقة والجواهر المكنونة والعلوم الخزونة . فكيف من أناس يمشون ويموتون وهم يرون بأعينهم الحيات والمقارب وتم الأمراض وأنواع الطاعون بلا دهم ويرون هذه الدنيا وقد ملأها الخيرات والشرور فيكونون فيها أشبه بقطيع من الغنم يسوقه الرعاة وهم لا يذكرون . فقلت نعم إن هذا الإنسان أكثره مسوق بعاداته موثق في شهواته تمر بهم الحوادث وتنهشهم الأفاعي وهم لا يعلمون عجائبها . أولايه يعلمون أن الله لم ينز الإنسان يأكل الطعام ويشرب الشراب من تلقاء نفسه بل سلط عليه جند الجوع والعطش وجند الشبع وكراهة الماء فلا يأكل ولا يشرب إلا إذا أحسّ بسيطا يسوقه بها جند العطش والجوع ولا يذوق الطعام والشراب إلا إذا أحسّ بسيطا جند كراهة الطعام والشراب فكان من حق هذا الإنسان أن لا يدع ألما لا يعرف سره ولا مسرة إلا أدرك كنهها . ولعمري لم يرسل الله الحيات على الناس إلا ليتذكروا ولا الطاعون إلا ليعلموا بعض سر هذا الوجود ولستكنك ترى أن نفس الأطباء الذين يعرفون ما تقدم يجهل أكثرهم نظام العدل وحكمة الوجود في تكافؤ الداء والدواء في جسم الحيات وفي الحيوانات الذرية ولا يعينهم إلا مداواة الأجسام وشفاء العلل والأسقام فاما البهجة بالحكمة وشفاء القلوب بالعلم فأكثر الناس ومنهم الأطباء عن آياتها معرضون ولا هم يذكرون

﴿ عموم نظام العدل في عالم المادة وعالم الأرواح ﴾

فقال صاحبي . قد رأينا العدل والنظام في جسم الإنسان وفي قواه وفي مدنه وفي أنواع الحيوان لاسما الحيوانات السامة والقاتلة . فاذا كان هذا حقا في عالم المادة أفلا تكون هكذا عالم الأرواح . وإذا رأينا تكافؤ الدواء والداء في الحيوانات الذرية للطاعون كما وجدناه في الحيات فأننا بهذا وصلنا إلى أدق وألطف ما في المادة فلم يبق بعد ذلك إلا عالم الأرواح . فقلت له عالم الأرواح لا يمكننا الحكم عليه لأننا في عالم الأجسام وليس لنا سبيل إليه إلا من طريق الديانات قديما ومن علماء الأرواح حديثا . فقال نعم وإذا تطابق العلماء في اثبات ما يشابه الذي رأيناه في المادة كان ذلك صوابا لأن علماء الأرواح لاعلاقة لهم بعلماء الدين فاذا تلاقى الحزبان كان ذلك دليل الحق واليقين . فقلت قد ثبت في دين الإسلام أن لكل امرئ ملائكة يلهمونه وشياطين يضلونه . فقال نعم هذا مشهور في الحديث وفي القرآن ولكني أريد أن أسمع مقالا لأكابر العلماء في ذلك . فقلت قد تقدم في مواضع من هذا التفسير ولعلك ستقرأ ذلك قريبا في قوله تعالى - ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا - في سورة مريم . قال أريد قبل ختام تفسير هذه السورة أن تذكر علاقتها بما قبلها وما بعدها . فقلت أما علاقتها بما قبلها فأذكر الآن منها ﴿ أمرين * الأول ﴾ منهما أن سورة الحجر جاء في آخرها الزهد في الدنيا وأنه ^{مبتلى} يجب عليه أن لا يجعل الدنيا محط آماله ولا يجب بما فيها إذ قال تعالى - ولا تمدن عينيك - الخ وأمته تبع له وهذا الاعراض يفتح للإنسان باب العلم إما بالوحي للأنبياء وإما بالأطعام للحكماء والأولياء والعلماء ويرقيه يوم القيامة الصغرى وهي الموت ويوم القيامة الكبرى

لذلك ذكر في أول سورة النحل أن القيامة اقتربت وأن الله ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴿الامر الثاني﴾ أن سورة (الحجر) ختمت بقوله تعالى - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - واليقين أخص من العلم لأنه العلم الذي لا يتطرق اليه الشك . ولا جرم أن الموت يوقن به الناس جميعا لذلك اعتاد المفسرون أن يفسروا به هذه الآية . ومعلوم أن اليقين يزيد إذ مامن كمال إلا وعند الله أكل منه والعلم اليقيني لانهائية له إذ العلم لانهائية له . والدليل على ذلك ﴿أمران * الأول﴾ انه جاء في حديث الرجل الذي مدحه الصحابة في إحدى الغزوات وقالوا إنه أبلى بلاء حسنا انه ﷺ قال انه في النار فلازمه رجل أمدا طويلا وهو يقاتل ويميت من الكفار عددا كبيرا حتى اذا جرح رآه قتل نفسه بسلاحه فرجع اليه ﷺ وقال له يا رسول الله لا يزال الله يزيد نابتك يقينا وقصصا ما تقدم فقطضي هذا أن اليقين يزيد ﴿الامر الثاني﴾ أن اليقين كالغنى فكما ان الغنى لا حد له هكذا العلم واليقين لا حد لهما . ولا جرم أن كل غنى يطلب مطالبا أوسع من ماله فاذا ناله طلب ماوراءه وهكذا . هكذا طالب العلم لا يزال يطلب مطالبا فاذا وصله طلب ماوراءه . وهذا ظاهر في قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - فهذه قضية كاية لا تنذر علما إلا وجدنا وراءه آخر وقوله تعالى أيضا - وقل رب زدني علما - وقوله تعالى - وللاخرة خير لك من الأولى - * يقول العلماء انه يترقى في كل لحظة عما قبلها في الحياة وبعد الموت لأن علم الله لانهائية له * ويقول الامام الغزالي ان قرب التلميذ من أستاذه انما يكون بالعلم ولكنه قد يرتقى عن أستاذه وقرب العبد من الله بالعلم ولكنه لن يصل لنهاية علم الله الى الأبد . إذن يكون اليقين هنا هو العلم وكلما زاد الانسان عبادة ازداد يقينا فيجدد العبادة لازدياد اليقين فيكون اليقين مراحل كل مرحلة تحتاج لاجتهاد جديد . ولا جرم أن هذا يناسب قوله تعالى في أول سورة النحل من ذكر يوم القيامة لأن ظهور الحقائق العلمية فيها أتم وذكر الوحي للأنبياء . ذلك لأن الوحي انما يكون على مقدار قبول نفس الوحي اليه فلن ينزل الوحي على غير من يستعد له ويقبله والا لمكان الناس كلهم أنبياء فازدياد اليقين بالعبادة يعد نفوس الأنبياء لعلوم أوسع مما عرفوه ونفوس تابعيهم الى عالم يعاونه من قبل . وهذا معنى ماورد ﴿من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم﴾ وذلك لأن العلم لا يكون إلا بالاستعداد له كما ذكرنا . وأما مناسبتها لما بعدها فستراه في غرضون تفسير سورة الاسراء موضعا والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير سورة النحل

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن من كتاب ﴿الجواهر﴾ في تفسير القرآن الكريم
وبليه الجزء التاسع وأوله تفسير سورة الاسراء)

الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صحيفة	لم
تسع	تسعة	٢	٣
خاب	من خلب	١١	٢٢
على	وعلى	١٢	١١
الاول	الاولى	١٢	٢١
أف	من السنديان أو	١٧	٨
السنوبر	ان	١٨	٣٢
شر	البوط	٢٠	١
السمع	شئ	٤٦	٨
ضرر	السبعة	٤٧	٧
ستضىء	وضرر	٤٩	٢٦
الأبيض المتوسط	استضىء	٥٦	١١
عقابكم	والأبيض والمتوسط	٦٩	٦
كما	الظلم	٧٠	٥
وإذا	وكما	٧٤	١١
والأطلال التي	وإذا	٧٥	٢
الفاتحة وستراه في سورة الرحمن	التي	٧٥	٣٤
تقبض	الفاتحة	٩٣	١٨
هلامي	تقبض	٩٣	٢١
فيزداد	هلاسية	٩٤	١٦
أعطيتني	فيزداد	١٠٦	٢٦
ما	المتى	١١٠	٣
مأمور	ما	١٢٣	٣٣
الطيور وغيرها	مأجور	١٢٤	١٦
محددة	الطيور	١٢٦	٩
ألف بيضة	محددة	١٢٧	٢٣
الذي	بيضة	١٣٧	٢٤
قوقعة	التي	١٣٧	٢٨
بلايين	قوقة	١٣٩	٥
المعدة	ملايين	١٤٣	١٠
عذاب عظيم	المعدة	١٤٨	٢٢
ملكهم	عظيم	١٥٣	٥
الغضبية	ملكهم	١٦٠	٧
كلوكان	الشهوية	١٦٠	٢٢
	كلوكان	١٧١	٣٤

فهرست الجزء الثامن من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ١ سورة الجبر جميعها مشككة
- ٥ التفسير اللفظي لجميع السورة
- ٩ السورة تنقسم الى (قسمين الأول) في بدء الخلق (والثاني) في القصص ونتائج مافي السورة الخ
- ١٠ تلخيص المعنى لهذه السورة بقلم المؤلف
- ١١ فصل في قوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا - الخ
- ١١ العاقبة والجهلاء في كل أمة لا يؤمنون إلا بما يدهشهم الخ
- ١٢ تحقيق قوله تعالى - إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين -
- الناس (ثلاثة) مفكر وجاهل وبين بين . العلوم تراد لأمرين في الدنيا الخ
- ١٤ لطيفة في أن القرآن أقرب للعلم الحديث من العلم القديم وبه وحده تعرف معجزاته كسألة عدم خرق السماء والتثامها عند القدماء و بطلان ذلك عند المحدثين الموافق للقرآن وأصبح العلم الحديث يقول ان الشهب قطع كوكبية سماوية . تحقيق الكلام على الشهب عند القدماء وعلماء أوروبا في علم الآثار العلوية من علم الحكمة نقلا من كتاب المؤلف في الفلسفة وما هو الشهاب والنيازك . والكلام على مجموعة تسمى الأسدية وقطرها مائة ألف ميل الخ
- السكرات النارية وتعريف الفرق بين آراء القدماء والمحدثين في الشهب الساقطة
- ١٥ الكلام على تفسير قوله تعالى - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي -
- دخول العناصر في النبات بالوزن واختلاف المقادير اختلفت النباتات . الجنود وامتصاصها وان اختلاف النبات لاختلاف المقادير المنصرفة وهي مخلفات باختلاف الفتحات الشعرية في جذور النبات وهذا عجب جوهرة في قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - . لذة المأكول في الفاكهة ولذة استماع بلاغة القرآن والاقصا على هاتين اللذتين جهل من الناس بل يجب ادراك بواطن النبات من حيث وزنه الخ
- ذكر أن البواطن هنا ليست مايقوله الصوفية بل هي هنا حكمة . ذكر شك المؤلف أيام الشباب في هذا الوجود وأن كتاب (التاج المرصع) فيه ذلك الشك ثم اليقين
- ١٧ بيان ما ترجمه المؤلف من كتاب (علوم الجميع) إذ ظهر فيه معنى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون -
- فان الاوراق على الاشجار لها حساب منظم بحيث تكون في الفصن ورقات ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ وهكذا ولها دوائر تامة وكل دائرة تشتمل على دوائر صغيرة حلزونية فأوراق الدائرة التامة مع الدوائر الصغيرة تؤلف كسرا اعتياديا بسطه عدد الدوائر الصغيرة ومقامه عدد الاوراق ويكون بينها نسب عجيبه بديعة . إذن الله حسب أوراق النبات وجعلها متناسبة مع بعضها كما ترى في شجر الدردار والزئبق والتفاح والكتان والصنوبر ونبات آخر
- ١٨ بيان هذه النسبة بالحداب ورسم غصن شجرة التفاح رسمين رسما رأسيا ورسما أفقيا وتبيان العجائب المدهشة في الأوراق ونظامها وكيف كانت الاوراق الخمس في كل دائرة حول الغصن محاذية لتظيرتها في الدائرة الاخرى بحيث تنظم هناك خمس خطوط رأسية في كل خط أوراقه المنظمة البديعة . ثم ان الزوايا الخمس متساوية بحيث يكون بين كل ورقتين زاوية مقياسها ٧٢ درجة . فهنا نظام الحساب ونظام الهندسة وهذا هو معنى الآية - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون -

١٩ بيان أن أهل هذه الأرض ناقصو العلم ولو كملت نفوسهم لعلموا أن بينهم نسبة كنسبة الأوراق لبعضها وانهم قد حسبت قواهم وجعلت على مقتضى احتياجهم كما حسب ورق النبات على مقتضى نظامه وأن العقول الانسانية وقواها الى الآن لم تدرس كما درس ورق النبات من حيث نظامه وحسابه وهذا مقصود كتابي ﴿أين الانسان﴾

٢٠ رسم صورتين صورة زهر الصنوبر وهو مخروط ورسم الخرشوف والدورات الحلزونية فهما خمس في كل دائرة والأوراق ١٣ وهنا بدائع الحساب المدهشة للمفكرين وبيان ثلاث جداول لأوراق النبات الدالة على أن الانسان متى عرف أوراق نباتين اثنين أمكنه أن يذكر باقي النبات بدون مذكرات أمامه فكأن جميع النبات جسم واحد

٢١ هذا من معنى قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . أوراق الأشجار أصبحت ذات نظام به يعرف مجهولها من معلومها وغائبها من حاضرها . ما معنى الأعراس في الحدائق والأشجار . وبيان أن الناس في مآثم والكون في عرس وتشبيه النوع الانساني مع ربه ومخلوقاته بقوم سجنوا في قصر ملك وآخرين في ضيافته . وفي القصر قناديل مشرقة بهيئة منظمة . ايضاح معنى هذا في الجداول الحسابية وأن الانسان متى عرف نظام الأوراق تخيل انها قناديل معلقة في عرس الكون وهي مضيئة على أبعاد متساوية فهي من جهة دوائر ومن جهة أخرى خطوط رأسية منظمة ومن جهة ثالثة أشكال حلزونية . كل ذلك تراه مرسوما . وبيان أن الناس لا يعقلون من العلم إلا ظواهره فخل هذا النظام في الأوراق لا يهتم عالم الزراعة إلا من جهة نفس الزراعة أما أنه يفكر في اسعاد الناس باظهار هذا الجبال فهذا لا يكون . إذن أكثرهم محبوسون والمفكرون هم الذين في ضيافة ربهم يشرح صدورهم بهذا الجبال وبيان أن السعادة العامة للانسان أن ينشر الجبال والحب العام في مدارس الأرض كلها حتى يصبح الناس متناسبين تناسب أوراق النبات كله ودين الاسلام يساعد ذلك في قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - . وبيان أن الشرائع انما يكون سلطانها على المتنافرين

٢٣ بيان أنواع النظام في النبات في أجزائه وتوزيعه على المناطق وعلى حاجات الحيوان ومن جهة نظام أوراقه وتوزيع الانسان على الأرض يناظر هذا التوزيع فأفراده خلقوا على هذا النظام ولكن لم يكشف الناس هذا الرأي الآن . وبيان أن دين الاسلام ﴿قسمان﴾ هيكل عظمي ولحم وشحم الخ . أما الهيكل فهي الاركان الخمس المعروفة . وأما اللحم والشحم والحواس الخ فهو المتمم للقسم الأول وهو جميع العلوم والصناعات فاذا لم يضم الثاني الى الأول دل المسلمون كما هو الحال الآن

٢٤ ذكر المثليين المذكورين في آخر سورة الفتح وبيان أن ضرب المثل للساميين في التوراة بأنهم أشداء على الكفار الخ يرجع الى فتح البلدان وقد تم انتشاره بذلك وأن ضرب المثل لهم في الانجيل بزرع نما وترعرع واستغلظ راجع لارتقاء العلم وهذا سيحصل من الآن ان شاء الله تعالى بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله . والاسلام ﴿قسمان﴾ ظواهر العبادات وحقائق الموجودات . والأول قد انتهى دوره الآن والثاني قد أقبل زمانه

٢٥ الملك اذا زار قرية استعذت له ثم زارها . هكذا دين الاسلام انشر ثم ظهرت معانيه في علوم أوروبا وغيرها ثم تظهر للساميين في زماننا هذا وما بعده . ويكنى الساميين (٢٠) سنة لتعلم ما أقوله لهم وفتح البلدان مقدمة وفتح العلوم مقصود . كل ذلك يناسب قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - وفتح البلدان خاف منه ﷺ في حديث ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا﴾

والخوف منه قد تحقق فعلا بذهاب دول الاسلام قديما . وبعد نشر هذا التفسير وأمثاله يستعد المسلمون
خشي ثمار العلم ثم ان سورة - اذا جاء نصر الله - فيها الأمر بالتسبيح والتحميد بعد فتح البلدان
والحمد لا يتم إلا بعلم بالمحمود . إذن علينا نحن قراءة جميع العلوم اليوم بعد أن تم فتح البلدان الاسلامية
ووقف الآن وبغير العلم بالخلوقات يكون الحمد رياء منا نحن بخلاف صاحب الشرع ﷺ لأنه أفرغت
عليه العلوم

٢٧ لانسبة بين فضيلة العبادة وفضيلة العلم فثانيهما أرفعهما مقاما . ازدياد المسلمين عاما دينويا في الطبيعة
والرياضة الخ يزيدهم قربا من ربهم كما اننا لم نعرف نظام أوراق النبات فيما تقدم تفسيرنا للآية إلا بعد
نبوغ الأمم الأوروبية في علم النبات فعرفة الله ثمرة علوم الدنيا . إذن لا آخرة إلا بدنيا منظمة . علم
النبات مثلا فرض كفاية لأجل المعاش وفرض عين على القادر لزيادة الشكر والتوحيد ولا قرب لله
إلا بالعلم . العبادات في الدين الاسلامي خاصة بالمسلم والعلوم التي هي المقصودة يشارك فيها أوروبا وأمريكا
واليابان الخ وستكون هذه الأمة خليفة لربها قريبا . ذكر ملخص ما تقدمت وهو أربعة أمور

(١) رقى العلوم النباتية بأوروبا (٢) وبها عرف نظام الأوراق (٣) وأن الآية فيها أن الناس كالنبات
على الأرض (٤) وأن الفتح ﴿ فتحان ﴾ فتح البلاد مضى وفتح العلم الآن أقبل موسمه والأول خاف
منه نبينا ﷺ والثاني مأمون العواقب ونحن أمرنا بالزيادة فيه والاستعداد التام له في زماننا لا قبله .
كتاب الفتوحات المسكية وأمثاله عويص على المسلمين وغزير المادة أغرق كثيرا من الأذكياء في لججه
وهذا التفسير فتح لباب الحركة الفكرية والاجتهاد فهو لحفظ التوازن مع تلك . مثل ذلك . قوله تعالى
- وجعلنا لكم فيها معايش الخ - وذكر أنواع الرياح وتفاوت سرعتها من (٥) أقسام الى (٣٠٠)
قدم في الثانية . وذكر سرعة قلة المدفع وهكذا وأن هذه الحركات خزائن الله . والكلام على خزائن
الهواء كالرياح الدائمة المنظمة والرياح الدورية والرياح المختلفة

٣٠ الحركات الهوائية وحاول الرياح الباردة في خط الاستواء مشلا محل الرياح التي ارتفعت بالحرارة وهكذا
الحركات المائية . كل هذا يشبه حلول الأحياء محل الأموات في أرضنا . كيف كانت الشهوة فينا
قائمة مقام صانع الفخار من طين والغضب فينا قائما مقام النار الموقدة عليه

٣١ النبات مؤذ ونافع وكذا الحيوان . هكذا هناك جن ثبتت بالعالم الحديث وملائكة لاحداث شر وخير .
بيان أن قيام الحيوان بطاعتنا أثر من آثار سجود الملائكة والعلماء منا أشبه بالملائكة والمعمرون بالشهوة
والغضب أشبه بالشياطين وطرد ابليس كقلع الشوك والتباعد عن الآساد

٣٢ زيادة إيضاح لهذا المقام وبيان أن فهم ذلك يحتاج الى العلوم كلها وأن الجنة والنار يرجعان الى الاستعداد
لا غير أي على مقتضى الطباع فالقوة العلمية والقوة التهذيبية لاحداهما وغيرهما لثانية

٣٣ بماذا وصف النار وبماذا وصف الجنة . فانظر كيف ابتدأ بذكر المعاش في الأرض الخ . وهما الطائف
(الأولى) في قوله تعالى - والأرض مددناها - الخ . ذكر السمك الصغير الذي كثر حتى أوقف السفينة

٣٤ خزنت يا الله في الفحم منافع الضوء والصبغ الخ كما خزنت في القرآن علوما تظهر الآن وهما ذه فتحت
خزائنه الآن (الطليقة الثانية) في الرياح والقاحا . ذكر ما كتبه في كتاب ﴿ الزهرة ﴾

جمال النبات وبهجته في الأزهار ونظامها . خرافات قدماء أوروبا وأن الأرواح تهدي الى من تحبهم
الأزهار الخ . نظم في الزهر . ثم نظم صفى الدين الخلى ﴿ ورد الربيع الخ ﴾ . تعجب المستر (جون
لبك) من جمال الزهر وان فهم الزهرة وسر الطبيعة يحتاج لصرف العمر . شجر السنط ونحوه لاجمال

لزهرة والرياح تلقحه والأزهار الجميلة في أشجارها أعدت للحشرات لأجل الالتاح ثم اوضح هذا المقام
وبيان السكاس والتويج وبقية أجزاء الزهرة . غبار طلع النبات يظهر في (اسكوتلانده) كسحاب في
الجو يصيب إناث النبات . نبات فيه أوراق التويج كأنبوبة لهاو بر تمنع غير النحل من الدخول

٣٧ شعر ﴿أومأ ترى الأزهار الخ﴾ وشعر ابن زنباع ﴿أبدت لنا الأيام الخ﴾ في الزهر أيضا
الكلام على الزهرذي الأقفال والمفاتيح والزهرذي الخراس والزهرذي الجند والزهرذي السياسة الحقيقية
والوهمية وغير ذلك من عجائب النبات

٣٨ عجيبة عن الحشرات والنحل وانها كالسل في السياسة فالنبابة تحبسها زهرة الأشراف دخات للاستدفاء
بها فألقصتها والنحلة لا تغتر بذلك لأنها أذكي فؤادا . الزهر المنظم كالجند

٣٩ زهر عجيب محكم الترتيب . نوم الزهر . ينام الزهر ويستيقظ في أوقات معلومة كالحيوان على مقتضى
نوم الحشرات المخصصة له فكل حشرة تستيقظ في الوقت الذي تستيقظ فيه زهراتها مثل زهرة اسمها
(حنا ذهب لينام) تستيقظ في الهجرة حتى ان أولاد الفلاحين يجملون ذلك موعد تناول طعام الظاهر

شعر ﴿وعلى سماء الياسمين الخ﴾ . الزهر الأسمر والأزرق خاصان بالنحل . أما الأصفر والأبيض
فيمكونان لغير النحل من الحشرات . شعر ﴿زار الربيع الخ﴾ وغيره أيضا ﴿تأمل رياض الأرض الخ﴾
يقول (أرسطاطاليس) ان النحلة تشرب من الأزهار التي من نوع واحد ليحصل اللقح ويقل نصيبها الخ

٤١ هذه العلوم أصل الاسلام فلم عكس الأمر . فائدة في الحلم وهي رؤيا رآها المؤلف وهي أضغاث أحلام
وقد استيقظ بسببها من النوم حفظته من البرد وكان يحاظرها له بنظام عجيب . فهذه عجائب في النفس
فوق عجائب الزهر لمنفعة الجسم . وكأن هذا خطاب من الله لنا أن ندرس نفوسنا فوق دراسة علوم
الأرض . فهذا ليس تهديبا بل هو تهذيب

٤٢ جوهره في قوله تعالى - وان من شئ إلا عندنا خزائنه الخ - مع قوله - ونزعنا ما في صدورهم - الى
- متقابلين - . ابتهاج المؤلف أثناء كتابة هذا الموضوع . الكلام على الأجسام المتباعدة (١) كنقطة
من الزيت فوق ماء مزوج بالكحول (٢) قطرات السدى والمطر (٣) الصودا السكاوية مع الماء الحار
إذا بردت تسكون على هيئة هرمين قائمين (٤) الشب الأبيض بدل الصودا يكون كذلك (٥) الشب
الازرق بدل الشب الأبيض في العملية السابقة يكون شكل مكعب فهذه ثلاثة أشكال مصورة بالتصوير
الشمسي (٦) هكذا قطع الثلج والصقيع وسطح الماء إذا جد بعد البحث يعرف تبلوره (٧) وأكثر
تراب الأرض مؤلف من متبلورات محلبة . تعجب المؤلف من هذه المناظر

٤٤ استمداد هذا من اسمه (الحفيظ) ويعبر عنه في الطبيعة بكلمة (جاذبية الملاصقة) قوة الجذب وقوة
الدفع وقوة الملاصقة لولاهن لتبددت هذه العوالم لأن الفضاء لانهاية له وهذه الجاذبيات في المادة تشبه
امتياز المجرمين من الصالحين في عالم الأرواح . وهكذا نزع الغل من القلوب يوجب الاتحاد كنظام
جاذبية الملاصقة فنظام العالم أولا وآخرا واحد . أ كثر الناس عني عن هذا الجلال

جوهرة في قوله تعالى - واذا قال ربك للملائكة - الى قوله - من الغاوين - وموازنه بلغز قابس
في أن جهل الخير والشعر هو سبب شقاء الناس . قصة آدم كررت في القرآن ونصف النوع الانساني يؤمن
بأكل آدم من الشجرة والشجرة هي معرفة الخير والشعر فمعرفة الخير والشعر السطحية وهي الشهوات
الحاضرة أوقعت الناس في المرض بتعاطي الطعام الضار مثلا ونفس هذا العمل هو المسمى في لغز قابس
عدم معرفة الخير والشعر . إذن عمم الله العلم ونشره فعند المتدينين بذكر الشجرة والأكل منها وعند

الفلاسفة جهل الخير والشر . إن الناس ﴿قسمان﴾ حكام سمداء وجهلاء أشقياء
ذكر ﴿ثلاثة أمثلة﴾ للضرر الناجم من تعاطي شجرة معرفة الخير والشر في الناس (١) ان قوى
الانسان كشمعة ذات أربع فتائل الخ (٢) في القمح (١٦) مادة يتكوّن منها اللحم ولما نخلوه أذهبوا
أكثر المواد منه ولو أكلوه برمته منع الامساك وقوى أجسام الفقراء وسعدوا بأكل القمح كله والأغنياء
أضرّهم الإفراط في نخله

٤٨ نتيجة هذا المبحث . الناس أكثرهم في غفلة وهم مقلدون والعالم والطيب لا يمتازان عن الجهال في
التقاييد . الانسان الأول أكل الثمر والحب فصيح جسمه . والانسان الثاني اتبع اللذة فرض جسمه .
والانسان في المستقبل يعرف بعلمه الضرر والنافع بالعلوم فيصح جسمه لأن العلم اليوم لا يزال ناقصا
﴿المثال الثالث﴾ ما يزاله الناس من أكل السكر الصناعي والنش في الدقيق والبن والاكثر من اللحم
وتعاطي الخمر والتبغ والشاي وهكذا . كل ذلك يرجع لمعنى الأكل من الشجرة ولجهل الخير والشر
٥٠ كيف كانت حال المؤلف عند قراءة هذا الموضوع . وأن ثنية من ثنياه كادت تقلع . ولما ترك السكر
والقهوة الخ ثبتت الى الآن مع انه لم يعلم أن السكر ضارّ بالثة . ذكر ما قاله ابن خلدون من أن أهل
البادية أصحاء وأهل المدن اتبعوا اللذات فأضرّتهم . عقاب الله للناس أكثره على الجهل . الناس
في قلوبهم مرض الجهل فزادهم الله مرض الاجسام وذلك الحياة

٥١ غش البن بالآجر أى الطوب المحرق وبالرماد والبن الأخضر يصنع من أشارة الخشب والرمل وسجرت صنع
منه أقلام الرصاص . الزبدة كلها مفسوشة إذ يحشها البارودي الكيمائى والملح والخل والبن والمشروبات
الغازية فيها زرنبيخ ومواد سامة وموؤها قذر ومحال صنع الخبز مظلمة وماء البجين قذر وفي الدقيق نوع
من الأنجبار وهو الطلق . خطابي للآدم الاسلامية وأن الله لا يغفر لنا جهلنا فيعاقبنا في الدنيا على جهلنا
بنظامها كما حصل لي أنا ولسكى انسان . وجوب التفتيش على كل صغيرة وكبيرة وعقاب كل غاش .
وإذا صلى المسلمون جماعة فالجماعة في أمور الحياة أولى لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب والناس
مشتركون جماعات في دينهم ودنياهم

٥٣ عموم الغش في المدنية الحاضرة وفي هذا معنى حل الأمانة في الآية أى غشها كما في القاموس
خطاب لقارئ التفسير أنه إذا كان في المدن فليخبر في بيته لأن أغلب الخبز ضار
﴿القسم الثاني﴾ يذكر الله هنا ﴿قصتين﴾ كالدليل التاريخي على ما تقدم قصة ابراهيم ولوط عليهما
الصلاة والسلام وقصة أصحاب الحجر

٥٤ فإذا كان أمر الدنيا والآخرة متما كما تقدم فالنتيجة أن خلق السموات والارض بالحق الخ
جوهره في قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - ليس التوسم في قوم لوط كافيا اليوم فليتفرس
العاماء في أحوال المسلمين . موازنة بين أمم الاسلام اليوم وأمم الفرنجة بطريق الفراسة الخاصة بالتوسمين
أما أمم الفرنجة فهـم (١) جعلوا الكهـر بـاء اليوم تذيع الخطب والأنباء والقصص والأغاني والموسيقى
(٢) فيسمع المصري اليوم مغاني برلين وأمريكا وهو في داره (٣) ويفكر القوم اليوم في اذاعة الكهـر بـاء
من محطات خاصة بذلك كما يقوله (فيليبس توماس) وقد جرب ذلك . الطرق التي يبحنها القوم اليوم
لنقل الكهـر بـاء وهي إما أن يبني برجاً قريبا من القطبين والكهـر بـاء تذاع منهما وإما أن تبني أبراج على
الجبال العالية لهذه الغاية . تجري الطائرة ألف ميل في الساعة بطريق فسكروا فيه ولم يتم . وهو أن
ترتفع الى أعلى الجو ولا تأثر للجاذبية عليها وتنزل متى حاذت الموضع الذي تريده (٤) وهكذا التلفون

الأنبرى به رؤيت الأشباح وسهت الأصوات يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٨ فرأوا شابة وسمعوا صوت الآلة التي تعزف عايها . أما أم الاسلام فانهم اذا رأوا جميع الرجال والنساء في أوروبا وأمريكا تعلموا فعلهم جميعا أن يتعلموا مثلهم وتزداد الثروة بازدياد العلم وبسبب الاسلام ترقى القوم كما تقدم عن (سديو) الفرنسي . سياحة أمان الله خان ملك الأفغان وزيارته لمصر أيام طبع هذه السورة . وهو يريد رقى بلاده والدين يطلبه وعلماء الاسلام اذا أدركوا ما نكتبه الآن في هذا التفسير وأمثاله ساعدوا فينبغ في المسلمين نابغون لم يكن لهم نظير لأنه ينضم الى العاوم العقيدة فيكونون أرقى من هذه الأمم وان خذل علماء الاسلام هؤلاء الداعين كأمان الله خان هلكت هذه الأمة الاسلامية (لا قدر الله) إن المعادن في الارض بأكثر بلاد الاسلام لم تستخرج والله لا يعطل المنافع لأجل جهل المسلمين فان فهموا ما نقوله ارتقوا وان تقاعسوا فليس الله معطلا ملكه لأجلهم

٥٩ خطاب المؤلف لأهم الاسلام وذكر أنى قردان والدود فجعل الله الدود آكلا لنباتنا لأن الحيوان أرقى ولكن أبو قردان أرقى بسمعه وبصره الخ فأكل الدودة التي لاسمع لها ولا بصر ولا تنفع بالشمس . فليحذر المسلمون أن يكونوا كدود والأمم كآبى قردان . جوهرة في قوله تعالى - ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - الى قوله - للمؤمنين - وذكر حديث ﴿ انظروا الى من هو أسفل منكم الخ ﴾ عجائب الفلسفة اليونانية والرومانية وكيف أتى بها وبخير منها القرآن وهذه معجزة للقرآن . موازنة بين هذه الآية والآمرة بترك زينة الدنيا وبين حكم (أبيكتاتوس) وكان عبدا برومه وملخص حكمته ﴿ أمران ﴾ الصبر على ما يؤذينا وعما فاتنا . وهنا ذكر (٢٦) حكمة من حكمه مثل ان مافى قدرتنا هو عواطفنا وكل ما هو خارج لانملكه كالأهل والنسب والمال والولد فلنجعل كل ذلك ودعة عندنا فاذا أخذنا وجب ألا نسبأ به وأن نصبر وبهذا نكون الحرية . فأما الاتسكال على الامور الخارجة عن طاعتنا فهذا هو الاستعباد . ومثل ان الناس أشبه بداخل الحمام . فكما أن من في الحمام يوطن نفسه على كل نازلة تنزل به هناك هكذا من في هذه الدنيا كلهم معرضون لما لا يملكون . الحوادث لا تحزن والمحزن هو ما نحس به في نفوسنا من الحوادث وليكن الانسان مستعدا لنزول البر من سفينة الحياة في كل لحظة لاسيما كبير السن وهكذا

٦٣ ان الخير المحض هي الحكمة والشر المحض هو الجهل . هذه الحكم تناسب آيات كثيرة مثل - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه - الخ ومثل - أيحسبون أنما نعتهم - الخ

٦٤ ذكر أن العرب في الجاهلية كانوا لا يعرفون هذه الحكم . وأفضل ما أثر عنهم حكم زهير بن أبى سلمى مثل ﴿ ومن يصانع الخ ﴾ وحكمة (أبيكتاتوس) كانت مخبوءة لأن الفلسفة حرمت بسبب الشريعة النصرانية . إذن هذه معجزة للقرآن جاءت حديثا مصداقا لقوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - الخ

٦٥ سورة النحل وهي ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ آيات القسم الأول مشكلة الى قوله - ما يؤمرون -

التفسير المنطقي لهذا القسم الى قوله - أفن يخافى كمن لا يخافى - الى قوله - إن الله لغفور رحيم -

٦٩ كلام عام بقلم المؤلف ملخصا لمعنى هذه الآيات كقوله خلقتكم من نطفة وأودعكم في الأرحام وجعلت أعضاءكم مفصلة الخ . وبيان أن أكثر المرجان في البحار والسفن في يد الفرنجة

ايضاح آية - وهو الذى سخر البحر - الى قوله - لعلمكم تشكرون -

وذكر أن شواطئ بلاد الجزائر مقسمة عشرة أقسام يحصد قسم من المرجان فيها في كل سنة ولا يصطاده

إلا الاوروبيون ورجحهم عظيم الخ . صورة المرجان شكل (٨) وله ثغور باسمته . تفسير بقية الآيات من قوله - والله غفور رحيم - الى قوله - ويفعلون ما يؤمرون -

٧٥ البلاغة . موازنة ما بين معالقة طرفة بن العبد ﴿ لحولة أطلال الخ ﴾ وأول هذه السورة . فهنا ابتداء السورة بخلق الانسان والحيوان والنبات الخ وهناك يقول ﴿ إن محبوبتي أطلالها ببرقة الخ ﴾ وهكذا مبدأ قصيدة زهير بن أبي سلمى الذى لا يتعدى بيت أم أوفى والدمعة التى لا تتكلم والأرض الغليظة وبقر الوحش والظباء الخ

٧٧ هذه السورة تشبه ما قبلها وهي مقسمة الى حكمة وموعظة ومجادلة . تعريف هذه الثلاثة . فالحكمة ترجع لنظام هذه الدنيا من أسفلها الى أعلاها وهي تسمى النشوء والارتقاء اليوم وعند آبائنا دائرة الوجود . وشرح دائرة الوجود المشتملة على مملكة المعدن والنبات والحيوان . حث المسلمين وتوبيخهم على ترك هذه العلوم . رسم دائرة منظمة عليها نظام العوالم فهي دائرة أولها آخرها ﴿ ملك . عنصر معدن . نبات . حيوان . انسان . أنبياء . ملك ﴾ وهكذا

٧٩ رسم دائرة أخرى كبيرة أعظم وأكبر . بيان تقصير الأمة في هذه العلوم وانهم قديما حاربوا العلماء كابن رشد فسلبهم الله ملكهم وعلمهم . ايضاح بعض كلمات الدائرة مثل خضراء الدمن الخ

٨٠ ذكر النخل والحارون والقرد وهي من تلك الدائرة . تعريف الأنعام والبهائم والسيباع والوحوش والطير والجوارح والحشرات . تبيان أن آية - ويخلق ما لا تعلمون - بعد ذكر الأنعام والبهائم ليدلنا أن الكهرباء تقوم مقام الأنعام تارة من الابل والبقر الخ ومقام الحير والبالغ الخ تارة أخرى . إن الكهرباء تقوم مقام الابل والحيل والبالغ والحير في توصيل الأخبار وأيضا أصبح الانسان بذلك يتكلم بال تلفون ويرى المتكلمان كل منهما صورة الآخر . والكلام على العالم (فلطا) الكهرباءى ويطار يته والعمود الفلطاى . اشراق النفس الانسانية تمثله الكهرباء والمغناطيس . تاريخ الكهرباء من مبدأ طاليس اليونانى في القرن السادس قبل الميلاد ثم (ثيوفواستس) اليونانى ثم (بلينيوس) الايطالى سنة ٢٣ (ب م) ثم الشاعر الرومانى (لقرينيوس) ثم الصوفى وهو جابر بن حيان العربى وهكذا علماء الصين منذ سنة ٢٦٣٤ ق م عرفوا الابرة المغناطيسية ثم اهتموا بها في البحر سنة ٣٠٠ ب م والعالم غلبت الانجليزى ثم كولون الفرنسى ثم كافانى الايطالى ورسم (رصيف فلطا)

موازنة بين كهربائية المادة واشراق نفوسنا . جمال الناطقة الثانية . وذكر ست فرائد (الأولى) استخدام الكهرباء في الزراعة . المستر (مانبور) إذ استعملها (٦٧) استعمالا في مزرعته مثل حلب البقر ودرس القمح وعمل الدريس والزبدة وتربية النحل والتدفئة والطبخ . وهكذا الكهرباء تزيد بيض السجاج وأسرع في ظهور الأزهار . عجائب الأنوار الربانية . وصف هذه العوالم الدنيا بأنها جيلة بل الأرض كلها كهرباء متجمدة . المرقب الذى لا سلك له . أدهش اختراعات العصر واخترع مرقب لاسلك له يرينا الأشباح عن بعد وهو (التليغريون) الذى ينقل الأشباح المتحركة بجميع دقاتها وهذا الاختراع قارب الانتهاء

٨٧ (الفريدة الثالثة) غرائب التلغراف والتلفون الذى لاسلك له وستنقل الرسائل كما هي قريبا طبق الأصل (الفريدة الرابعة) الفلاحة والكهرباء . الفلاح عندنا وعندهم . الفلاح فى أوروبا فاق أجداده أربع مرات وصناعة الحديد تضاعفت عشر مرات وصناعة الورق أضعا فاضاعفة . تقسيم أعمال الحقل الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أعمال ثابتة ٣٠ فى المائة من العمل وأعمال نقل ولها ٢٠ فى المائة من العمل

- وأعمال في الحقل لها (٥٠) في المائة من العمل وإيضاح ذلك كله
- ٨٨ (الفريدة الخامسة) السيارة التي تسير في الصحراء وفوق الجبال وتسمى (سفينة الصحراء) شكل ١٠
اخترعها ألماني وقطر محجلتها (١٥) مترا لتسير على التلال وفي الأرض الوعرة جدًا
- ٨٩ (الفريدة السادسة) السفر في الهواء . رسم البالون (شكل ١١) وسفينة الهواء (شكل ١٢)
والطيارة للسماة (ألواح الهواء) شكل ١٣ والطيارة ذات الألواح الواحد (شكل ١٤) . كل هذا
اجمال تفسير قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - . بيان ما اخترعه الناس للسفر بعد العصور الأولى
وهي عربات النقل وعجلات يركبها الناس والسيارات الخ . بيان السير فوق الماء وفي الهواء
٩٢ (اللطيفة الثالثة) في ذكر عجائب الأشجار كشجرة الأروم قطراتها كثيرة والشجرة الباكية في جزائر
(كناريا) يملؤن منها جرارهم . نبات الأباريق يحيي المسافرين في القفر بمائه وذكر أشجار في
غابات أمريكا يشرب منها المسافرون
- ٩٣ حكاية مصرية في النبات الذي جعل من رآه في الصحراء (التي لاماء فيها وقد أرواه) رجلا صالحا
مستغرقا في العبادة والتقوى . وحكاية الذي رأى صورة النجوم في الماء فترك الاضرار بالناس
الدّر والمرجان وأن الدّر مضى في الفاتحة وستره في سورة الرحمن . جزائر المرجان . حيوان يشبه
المرجان وهو الهيدار . القطع المقطعة من جسمه يصبح كل واحد منها حيوانا تاما
- ٩٤ اشراق النور في المرجان . أنبات المرجان أم حيوان . المرجان ومسكنه . الحياة الفردية والحياة
الاجتماعية للمرجان . جزائر المرجان ينبت فيها شجر النارجيل فيكون ملجأ للطيور والطيور تحضر
البذور من أقرب الجهات اليها فتكسي جلايب سندسية . وهذا الانتقال كان انتقال السم من اليونان
الى العرب فأوروبا الأقرب فالأقرب
- ٩٥ (اللطيفة الخامسة) وبالنجم هم يهتدون - . صورة غير المتقدمة للمرجان (شكل ١٥)
- ٩٦ هذا العالم كجسم واحد . (اللطيفة السادسة - وترى الفلك مواخر فيه -) . الحرارة في هذا العالم
أشبه بالحرارة في الانسان الخ . الشمس والرياح . الرياح التجارية . الرياح التجارية الضدية
الرياح القطبية . الرياح التجارية . زيادة ايضاح - وترى الفلك مواخر فيه الخ - . الناس
يعومون ولا يعلمون غالبا لماذا يفرقون . وكيف يسير الانسان على الشوك وعلى الزجاج في الماء ولا
يسيل منه السم . ولماذا لا تغرق ذوات الأربع اذا غامت كما يفرق الانسان
- ٩٨ لماذا يعوم الوز العراقي والبط أسهل من عوم الانسان ومن عوم ذوات الأربع . وبيان أن هذا كله
راجع لمسألة (أرشميدس) . وأن رأس الانسان أثقل من جسمه ورؤس ذوات الأربع أخف من
جسمها الخ والأوز والبط لم تعط منفوخ السمك لأنها تنزل الماء لتنزهه والسمك يعيش فيه فاحتاج الى
ذلك وهكذا . كل هذا تفسير قوله تعالى - وترى الفلك مواخر فيه -
- ٩٩ البلاغة في مشاهد الطبيعة وفي لسان العرب
- ١٠٠ (اللطيفة السابعة) الظلال . الموعظة الحسنة . المجادلة بالتي هي أحسن
بهجة الجبال في قوله تعالى - وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه - . صورة الفراشة (شكل ١٦)
ذكرى أيام الشباب وحيرة المؤلف وحزنه على جهله بهذه العوالم ونظامها ورأيه الآن وإيقانه بالحكمة
كمثل مسألة حشرة أبي دقيق هذه المرسومة وفيها ألف ألف وخمسمائة ألف بيت كل بيت فيه كيس مملوء
هواء أو مملوء مادة مبنونة وكلاهما يظهر بهيئة جميلة

- ١٠٣ بيان أن هذا الرضع منظم متناسب في بيوت حشرة أبي دقيق مشمل وضع النجوم في السماء . في الحشرات ﴿ نوعان ﴾ أحدهما ﴿ يعيش في البرازيل زاحي اللون وله سلاح به منبه أعداءه وهو المادة البشعة انظم والريح ﴾ وثانيهما ﴿ يشبه شكلا ولا سلاح له
- ١٠٤ فوائد الألوان في الطب (١) الأزرق منشط (٢) البنفسجي يمنع الأرق (٣) الأصفر منشط منبه الخ
- ١٠٥ اللون الأصفر يفيد راحة في أسقام الزكام والشلل والأمراض المزمنة وهو مضر بالحيات
- بهجة العلم في قوله تعالى - وان تعلموا نعمة الله لا تحصىها - . بيان أن الانسان من عالم متأخر جدا سل الناس تجمد أكثرهم لا يقدرّون نعمة الهواء والبخار قدرهما مع أنه لولاها ما عاشوا على الأرض هما شفافان لا ينعان أشكال الأجسام ولا ألوانها وأحجامها . ولولا الهواء لم يكن جفر ولا شفق فنشرق الشمس وتغرب بغنة ولون السماء لا يكون إلا اسود . جو الكواكب ذوات الذنب ألطف من هوائنا ألف مليون مرة الخ
- ١٠٦ تذكرة في قوله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - وأن المؤلف اعتراه مرض نغارت قواه فخرن على بعض الذرية إذ مات هو وعلى تميم طبع هذا التفسير
- ١٠٨ منظر الأشجار والمزارع والشمس والأرض والانسان . خيل إلى المؤلف في مرضه أنه يرى ورقة شجرة القرطم وأعجبت ثم تعجب من هذا الإعجاب ثم خيل له قائل يوضح له سرّ هذا التعجب ثم ان الحثث في المؤذية في الأرض خلقت لمنفعة جزئية والناس يهلكونها لأجل زرعهم للمنفعة السكية هكذا الأخلاق الشائنة لبقاء الأشخاص ولكن التهذيب يجعلها للمنافع السكية
- ١٠٩ جمال العلم وانشرائح صدرى في مرضى ومنظر الشمس والأرض وأسنان نوع الانسان في عالم الخيال . الله لا يشغله الأمر العظيم السكى عن تدبير الأمر الجزئى فهذا من علم اليقين الذى هو أرقى من الايمان ثم شفى المؤلف فكتب هذا تذكرة له ولغيره عند الموت . هذا لمناسبة قوله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - الخ
- ١١٠ وقد مرض المؤلف في زمن الشباب فكان حزنه على الحياة أنه لم يعمل عملا يوازى ما انتفع به من أهل الأرض والآن يحمد الله على ما قدر له من عمل للمسلمين على قدر الطاقة
- ذكر كتاب التفاحة المنسوب لأرسطو وملخصه أن الحياة بعد الموت تكون على نسق الحياة في الدنيا كل هذا بمناسبة آية - سلام عليكم ادخلوا الجنة الخ - ﴿ التذكرة الثانية ﴾ - فاسألوا أهل الذكر - العلوم ﴿ قسمان ﴾ قسم مبرهن عليه وقسم هو كتب الأولين والأوّل نظير المعجزات والثاني نظير الكتب السماوية . ذكر كلام الفيلسوف (سنبلان الطلياني) الذى اثبت أن قراءة الفلسفة العربية لا بدّ منها ومن تاريخ مباحث الأمم القديمة وأن الفلسفة الحديثة لم تزد في معرفة أصل العالم والنفس والله عن معرفة المتقدمين وقد أقرّ بهذه الحقيقة العلامة (سبنسر) . وبيان أن دعوى صغار أهل العلم لم في مصر وغيرها أن وجود موجد العالم بسبب رقيهم في المعارف يكذبها فلاسفة أوروبا في عصرنا
- ١١٤ ﴿ القسم الثانى ﴾ الآيات القرآنية مشكلة من قوله تعالى - وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين - الى قوله - وبشرى للمؤمنين - . التفسير اللفظى لهذه الآيات
- ١٢٠ بيان أن هناك أرضين يظنّ انها ٣٠٠ مليون ويظنّ أن فيها دوابّ لأنه هنا لم يجعل الدواب خاصة بالأرض . النبات رأسه ساجدة والحيوان راعى فهو أقرب الى السجود
- ١٢١ بيان أن هذا الانسان اعتاد أن يفسر شكر النعمة التى طلبها فناها كالاعتاد على التدخين بالتبغ وعلى

- شرب الشئ الخ وهذا قوله تعالى - ثم اذا كشف الضر عنكم - الخ
- ١٢٢ الكلام على آية - ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم - وبيان أن حب الآباء للذكور وحدهم يستوجب فناء الانسان اذا عم هذا القانون لأن التعبير هنا بقوله - ما ترك على ظهرها من دابة - مناسب لما قررناه بخلاف آية - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وهذا من أعظم أسرار القرآن وأبدع البلاغة والحكمة
- ١٢٥ الكلام على قوله - من بين فرث ودم لبنا خالصا - وبيان اختلاف الحيوان في الحركات . وصف عام للحيوان . وصف معنى - وانظر الى حمارك - . وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر الطير مختصر من الأنعام . الحيوان ﴿ قسمان ﴾ مستقل ومستعبد
- الظلال . ايضاح الطير وانه مختصر من ذوات الأربع الخ والبيض وحضنه بدل الحمل والولادة
- ١٢٦ صورة أحشاء الطيور (شكل ١٧) وشرحها وموازينها بأحشاء الأنعام فان لها أربع معدات مرسومة (شكل ١٨) نظام الهضم في معدة الانسان وأمعائه المرسومة (شكل ١٩)
- نظرة عامة في القنوات الهضمية . وقد أعطيت الأنعام أربع معدات لتقوم بدل طبخ الانسان وخبره لطعامه . إذن كل حيوان يعطى ما يلائمه تبع المصلحة
- ١٢٨ هنا وحدة في الوجود . اختلاف في الطرق واتحاد في المقصد . وهذه قاعدة عامة في هذه الدنيا . التناسل يحصل مما فضل من الدم فيتحول الى نطفة تكون ولدا كما تحولت الفضلات الغليظة الى سجاد يموه الزرع . اللبن وانه كان أولا دما أو هو بين الدم في عروقه وبين الروث في مؤخر الدابة
- ١٢٩ الحشرات أجسامها متخلخلة للمسام الخ والحيوانات الكبيرة ذات جلد غليظ الخ . وتعريف الأنعام والبهائم الخ . وبيان أن البقرة أعجب خلقه من الفيل
- ١٣٠ اختلاف الحيوان في الحركات . ما يرحف وما ينساب الخ وأعين الحيوان اثنان فأكثر الى (٤٠٠) الى (٢٧) ألف عين . وطبقات العين ورطوباتها عشر والشبكية تسع طبقات آخرها مؤلفة من (٦٠٠) مليون خلية الخ
- ١٣١ التعجب من هذه البنية الانسانية من زجاج في عينيها ونظام بدعي في مخها . الكلام على آية - وانظر الى حمارك - ووجوب علم التشريح . واذا أمر العزيز بفهم العجائب في جسم الحمار فالعجائب في الانسان أولى . واذا أمر الأنبياء بالتشريح لينالوا اليقين فنحن أولى وأولى
- ١٣٢ فصل في وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر
- ١٣٣ ﴿ الوجه السادس ﴾ في الطير وانه متزن الجانبين طولاً وعرضاً الخ وكيف يضطرب في طيرانه اذا تنف أحد جناحيه لفقد الموازنة وهذا الوزن في الطير كالوزن في رقبة الجمل
- ﴿ الوجه السابع ﴾ النعامة وتقسيمها بيضها لثلاثة أقسام والكلام على السجاج والحمام والبط والعصافير . ساعد ذكر الحمام أثناء بخلاف الديك والسجاجات . والتأسف على أم تتابع الى قبورها وقد أكلت الحمام والسجاج وهي لا تعقل حكمها
- ١٣٤ ﴿ الوجه الثامن ﴾ الحيوان قسمان مستقل وغير مستقل كالغزال والعنز
- ١٣٥ بيان أن هذا كتاب كتبه الله بحروف بارزة لا يعقلها إلا الحكياء والحروف الصغيرة بالمداد يعرفها الناس والكبيرة اختصت بخواصهم . إذن كل شئ يميزان هكذا في الأمم الضعيفة سلب الله عليها القوة فالسياسة في الحيوان والانسان واحدة وبيان أن الدفاع عن الوطن واثقاذا المستضعفين واجب

تذكر المسلمين باحتلال أوروبا مصر وشمال أفريقيا . وأن بعض الممالك الإسلامية استقلت كالأفغان والفرس وهكذا

١٣٦ ﴿الوجه التاسع﴾ الحشرات ومنها النحل والعنكبوت . وبيان عجائب النحل من كتابي (القرآن والعالم العصرية)

١٣٧ تفصيل الكلام عن النحل . ذكر ما كتبت في كتابي (جواهر العلوم) أن الناس لا يتعجبون مما يرون في مثل بيوت النحل لجهلهم ولأنهم نشؤا فيه فصاروا لا يعجبون به . وبيان السبب في اختيار النحل الشكل المستدس وتركه المدور والمربع لما فيهما من ترك فرج ضائعة لا عمل لها والكلام على ذكر النحل وانه والشغالة الخ

١٣٨ كيف كان صنع العسل مصحوبا بالقاح الزهر في النبات . وذكر أنواع الأماكن التي يختارها النحل والمقاطف الشعرية على أرجلها لتجمع فيها تلك المواد وأنواع النحل الأسود والأحمر وكيفية موت زمن الشتاء إلا قليلا يبقى في سبات الى فصل الربيع فيستيقظ

١٣٩ حكاية القوقة مع النحل إذ هجمت عليها . يعسوب النحل وخطابه في محفل عام (من اخوان الصفاء) رسم بيوت النحل (شكل ٢٠) ووصف النحلة وصفا دقيقا عجيبا

١٤٠ بيان الملكتين المتشابهتين ملكة النحل وملكة الأرضة . صور ثلاثة للنحل (شكل ٢١)

١٤١ صورة ملكة النحل وحولها خدما نحو عشرين (شكل ٢٢)

صورة الأرضة المالكة وأتباعها (شكل ٢٣)

١٤٢ بيان أن هاتين الملكتين متشابهتان ﴿أحدهما﴾ في الهواء والأخرى تحت الأرض . وكل ملكة تحكم جوعا وجوعا . ومن عجب أن الأرضة الملكة تحكم تلك الأمم وهي لا بصر لها وجميع الرعايا عمى

١٤٣ الكلام على النحل ومساكنه وجيوشه ومدارسه وبناموسه . العنكبوت وهندسته في بيوته وانه لا يخطئ في هندسته والمهندسون من الناس يخطئون . وبيان أن جسمه فيه ألف ثقب يخرج منها خيوط دقيقة تتجمع فتكون خيطا واحدا وهذه الخيوط تصير بيتا . إذن بين النحل والعنكبوت مناسبة من حيث الهندسة الخ

١٤٤ ﴿الوجه العاشر﴾ في قوله - والله جعل لكم مما خلق ظللا - الى قوله - لعلكم تسامون - مع ملخص ما تقدم . ايضاح مقام الشكر

١٤٥ أعجب ما ذكر في هذه الآية وبعض رموزها . الحيوان ﴿ثمانية أقسام﴾ أربعة منها لم تذكر في هذه السورة مع انها كلها نافعة من وجه

﴿الجوهرة الأولى﴾ ان مثل الشعر له (خاصتان * الخاصة الأولى) استعداد الصوف والوبر والشعر لحفظ الحرارة في الجسم والحرير والتيل والقطن هذه الثلاثة أقل مما سبقها . وأن المعادن موصلة جيدة للحرارة وأمثال الخشب والزجاج ونحوها فهي كالصوف . وهنا أسئلة . لماذا خلق الانسان عاريا دون الحيوان ولم أعطى نحو القطن أيضا ولم يجعل على الحيوان قطن الخ . للريش والوبر خاصيتان الخ

١٤٧ الانسان يظن لجمال الوجوه ولكنه لا يظن لجمال هذه الحكيم

١٤٨ لا يمكن معرفة معنى - تسبح له السموات السبع الخ - إلا بمثل هذا فهو تسبيح عملي . ولا نعرف معنى - الرحمن الرحيم - إلا بهذا . هيكل الانسان وتركيبه . لم نر القلب جاور الامعاء فلا يخلط

ولاجوار السماغ ثلاثا يتصل بالدماع الخ . هنا عدل في النظام . ثم هناك سفير الدولة الجسمية يوصل أخبارها وهو قريب من رؤساء الجمهورية في الدماغ ويقرب منه علماء الصحافة وكتاب دواوينها والأول اللسان والثاني اليد . أما الشرطيان الخاصان بالغذاء والتناسل فقد وضعا أسفل الطبقات لأنهما مأموران لا آمران والاعتكاف عليهما جهالة حقا . ولو كان المدار على قوة التناسل لكانت الحيوانات النفسية التي لا تتناسل تلد مليون حيوان في الشهر الواحد أشرف من الإنسان

١٥٠ محاورات بين الدودة والفزلة والإنسان والملك في السعادة . الدودة في التفاحة سعيدة والعزلة تحسدها على نعمتها ففسفه الدودة رأى الغزاة الخ . فهذا هو العدل الذي لا ظلم فيه وعلى مقدار ازدياد الدم والعقل يكون القرب من الله وهذا المقام يفهم معنى الإيمان بالقدر وهذا يفسر المعجزة التي بين سيدنا موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف

١٥٢ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وسرايل تقيمكم بأسكم - . هل الحرب نعمة كالحرب الكبرى وهل جوارح الطير والحيات والعقارب الحاربات لنا نعمة الخ

١٥٧ ﴿ القسم الثالث ﴾ ذكر الآيات مشكلة من قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل - إلى آخر السورة وتفسير الألفاظ

١٥٩ بيان أن العدل عام في سير الكواكب وفي نظام الحيوان ولولا العدل نزلت هذه الدنيا . وبيان مقاله أفلاطون في جمهوريته في معنى العدل وذكر بعض عدل عمر رضى الله عنه

١٦٠ العدل في الجمهورية لا يتم إلا ﴿ بثلاثة أمور ﴾ طاعة العامة للجنود والرؤساء وطاعة الجنود لرجال السياسة العدل في الأخلاق الشخصية يقاس على العدل العام . ثم إن المدينة متى كانت منظمة كما تقدم فهي مدينة فاضلة وأقل منها حكومة الجند وأقل منها حكومة الأغنياء الخ

١٦١ هنا ﴿ ثلاث نظرات * النظرة الأولى ﴾ موازنة جمهورية أفلاطون بالعالم التي حولنا من حيث العدل وأن الخواص في الإنسان والقوى المحركة بالنسبة لجسمه في القلة كرجال السياسة في المدينة بالنسبة للشعب كله . نظرتي اليوم في شارع زين العابدين

١٦٢ الناس غادون رائحون وأكثرهم يجهلون نعمة الهواء ونعمة أصغر الأعضاء كفاصيل اليدين . فهل خلق هذا الجبال للعميان . كلا بل خلق الحكماء وهم قليل في كل أمة . فهم ملوك العالم وجميع أهل الأرض تكدم لهم . العدل في جسم الإنسان كالعدل في المدينة . ضغط الهواء على أجسامنا من جميع الجهات وفي الداخل أيضا فتعادل القوى ولولا هذا لم يكننا . الإنسان يحمل ٦٦ قنطارا من الهواء دائما

١٦٣ برهان العالم (المكديرجي) على ثقل الهواء . وأن هذا سرّ قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - ﴿ النظرة الثانية ﴾ ملاحظته على الانسانية العامة في هذا القرن العشرين . رأيت الناس في قريتنا بالشرقية يحقرون الصادق ويعظمون الخبيث

١٦٤ المقالة الأولى والثانية من جمهورية أفلاطون لأنها تعبر عن أخلاق الناس الآن تعبيرا واضحا وإلى سأقدم قبلها أولا انتظام أنواع الحيوان في الأرض الخ

١٦٥ (ثانيا) ذكر قدماء المصريين (ثالثا) أن أفلاطون إنما اشتق جمهوريته من علوم قدماء المصريين ولكنه نوع فيها (رابعا) كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي وأنه يقول إن الأمم كلها أشبه بنفس واحدة لها أعضاء (خامسا) كتابي ﴿ أين الإنسان ﴾ يبحث في نظام الأمم الحاضرة ومجاسلها الخ

(سادسا) نظام القرآن وهو نفس نظام كتابي ﴿أين الانسان﴾ أى أن تكون الأم كلها قائمات بما استعدت له طوعا أو كرها

١٦٧ (الفصل السابع) ديانات الأمم مثل دين (خريستا) و (زردشت) و (بوذا) الخ وأن الكشف الحديث أظهر أن الدين وجد في جميع الآثار . إذن هو سجيّة في البشر كغريزة الطعام والفترة صادقة فخرج أناس عليها لا ينافيها الخ

(الفصل الثامن) عدل الله في اليوم الآخر . وبيان السؤال المشهور ﴿أن الله خلقنا فلماذا يعذبنا﴾ وأن الاجابة على هذا السؤال صعبة في علمنا هذا . ولكن نقول ارجع الى ما ذكرته في آخر شؤد أول فيصل التفرقة للقرآني والذي فتح الله به أن تقول لك ان نظام أهل الجنة والنار كنظام الانسان والحيوان . فالعقارب والحيات أشبه بأهل النار ولا أحد يقول ان اختلاف الحيوان ظلم ولا الحيوان نفسه كالعقارب معترض على هذا النظام . فهكذا أهل الجنة والنار

١٦٩ بيان ما جاء في علم الأرواح أن الغم الذي يحس به الانسان انما يحصل غالبا من أرواح شريرة ملحقة بالجثث عند فساد هضم الطعام وأن إيذاء أمثال هذه ورد فيها الحديث . وبيان أن أرواحا عاصية طلبت دخول الجنة فقبل منها ولكن منها استعدادها ونقصه وأن المنقطعين للعبادة مع قدرتهم على النفع العام معذبون بانفاق الأرواح وكلام علماء الاسلام . روح زعمت شرورها لتدخل الجنة فأغشى عليها فأرجعوا لها قوتها الشريرة ثانيا

١٧١ التكلام على المقالة الأولى والثانية من كتاب السياسة لأفلاطون وشرح مقالة العدل وأن الجور ليس سعادة والسعادة في العدل . بيان قياس أخلاق الشخص على نظام المدينة

١٧٥ أنواع الاحسان وانه يعم سائر الأعمال الدنيوية والأخروية . منايا هذه الآية . ختام السورة بالحكمة والموعظة الخ والكلام على العهد

١٧٦ تذكرة عامة لسورة النحل وايضا على لما سبق

١٧٧ نظرة عامة في هذه السورة . إن الله خلق الأم وجعلها للرأفة والأب وجعله للترية العقلية والعملية هكذا الأرض أمه الكبرى والله أوسع علما من الأب فأُنزل له الموقظات من الحوادث وجعل في مقابل كل نعمة نقمة . ففي مقابل الأنعام الآساد وفي مقابل النحل والحيوانات الذرية النافعة جسمه وللنبات والحيوانات الذرية (المكروبات) القتالة وهكذا وذلك ليستخرج قواه وملكوته فاذا كانت الأم يساعد بعضها بعضا فالحروب تقع بينها . واذا كان أهل المدن يتعاونون فيكم قضايا ومشاكل تقع بينهم وهكذا مودة الأقارب يتخللها الحسد . كل ذلك لا يفاظ الانسان

١٧٩ رسالة منسوبة لأرسطاطاليس أرسلها للإسكندر في السياسة تبين ما تقدم وملخصها أن الأم اذا كانت تعيش في راحة وترف ونعيم ضاعفت أجسامها وعقولها فنحصدها الأم حصدا وتذل والأبناء الذين نالوا المال عفاوا بالانصب يذهب منهم سدى ولا يحفظونه وبكس ذلك الذين حصلوه تعب وهكذا الممالك المأخوذة بنصب والمناصب تدوم رئاستها والعكس بالعكس . وعلى رئيس المدينة أن يقوم الأشرف بالحياء وأهل الدناءة بالخوف ثم يصحح الملوك بنصائح بها يدوم ملكهم وهي ثلاثة

١٨٢ من هنا تبين أن النعم لابد معها من الموقظات من الحوادث وهي أيضا نعم . وهذا سر قول المسلم في الصلاة ﴿فلك الحمد على ما قضيت﴾

بيان أن النعمة والنقمة مقرونتان بحكمة في سم الحيات ولحمها وكذا العقارب والحيوانات الذرية المحدث

للتيفوس وللطاعون وللكوليرا فحسم هذه كلها ترياق وهي تحدث السم . وبيان التجارب الثلاثة التي ذكرها (أندروماخس) . ﴿ الأولى منها ﴾ أن الفلاحين في أرضه وجدوا الجر الذي أحضرها لهم فيها أفعى مبراة فسقوها لمجدوم سيموت فبرئ ﴿ والثانية ﴾ أن أخاه المساح عند الملك لدغته أفعى فشرب من ماء فيه أفعيان مهرانان فشفي حالا وهكذا ﴿ الثالثة ﴾ أن ابن الملك شرب السم ولكن الأفعى لما لدغته لم يؤثر فيه السم

١٨٤ بيان عموم نظام العدل في عالم المادة وعالم الأرواح

(تمت)

